



4530  
4530  
4530



١٧١

# الجواهر

## في تفسير الفرائد

السيد علي محراب بايع المكنون وغرائب الأديان

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
مع الله المسلمين ببيان آمين

## المجلد الثاني عشر

طبع مطبعة

مصطفى السباني الحلبى وأولاده بمصر

حقوق الطبع محفوظة

مباشرة - محمد امين عمارة

جداى الثانية - ١٣٤٧ هـ



وَذَكَرْنَا أَنَّ اللَّهَ كَرِيْمٌ تَفْعَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية

( وهي ثلاثة أقسام )

( القسم الأول ) في أحكام القذف والزنا وبرائة أم المؤمنين وما ينبع ذلك من المواعظ من أول السورة إلى قوله - لهم مغفرة ورزق كريم -

( القسم الثاني ) من قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا - إلى قوله - وموعدة للذين - وذلك في آداب للعاشرة وآداب الرجال والنساء

( القسم الثالث ) في عجائب السموات والأرض وأحوال الكفار والمؤمنين وما يندم ذلك من الآداب الواجبة العامة من قوله - الله نور السموات والأرض - إلى آخر السورة

( القسم الأول )

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سُورَةُ النُّوْرِ اَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَاَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ \* الرَّايَةُ  
وَالزَّانِي فَاَجْلِدُوْهُ كُلًّا وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِيْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ  
تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنْ الْمُؤْمِنِيْنَ \* الرَّايَةُ لَا يَنْسُكُحُ اِلَّا  
زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْسُكُحُهَا اِلَّا زَانٍ اَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ \* وَالَّذِيْنَ  
يَزْمُوْنَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِارْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاَجْلِدُوْهُم مِّنْ اَيْنَ تَشَاءُوْنَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوْا لَهُمْ شَهَادَةً

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • إِلَى الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا قَالَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ •  
وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ  
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ • وَالْخَالِيسَةُ أَنْ لَمَسَتْ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • وَبَدَرُوا  
عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ • وَالْخَالِيسَةُ أَنْ قَضَى اللَّهُ  
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ •  
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ  
أَخِيٍّ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ • وَلَوْلَا إِذْ  
سَمِعْتُمُوهُ ظَنُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَا أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ • وَلَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ  
بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ • إِذْ تَلَقَّوْنَهُ  
بِالسَّلَامِ فَقَالُوا لَا تَقُولُوا بَأْسًا فَقَالُوا هِيَ مَا يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ بِهِ غَلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ •  
وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ •  
يَبْطِغُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَتُودُوا إِلَيْهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ  
فَأِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا  
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ  
يُؤْتُوا أُولَى التَّرْتِي وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ  
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُبُّوا  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ  
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ •

الْخَيْثَاتِ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ  
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \*

### ﴿التفسير اللفظي﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه (سورة أزلناها وفرضناها) وأوجبنا ما فيها من الأحكام وأزمنّاكم العمل بها وكذلك من بعدكم  
إلى يوم القيامة (وأزلنا فيها آيات يبينات) وأوضحنا (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا بالأمر والنهي فلا تعطلوا  
الحدود ﴿حكم الزنا﴾

(الزانية والزاني) فيها فرضنا أو فباأزلنا حكم الزانية والزاني و يصح جعل الزانية والزاني مبتدأ خبره (فاجلدوا  
كل واحد منهما مئة جلدة) الجلد ضرب الجلد فلا ينبغي أن يصل إلى اللحم وهذا فرض على الأمة كلها يقوم  
مقامهم الإمام لتعذر اجتماعهم وهذا الحكم لمن استوفى الشروط في وجوب الحد وهي البلوغ والعقل ويجب أن  
يفترق عما عند الشافعي لثبوته في السنة . ووكّل أبو حنيفة أمر التعريب لرأي الإمام ويجب على العبد والأمة  
نصف الحد ولأرجم عليهما وهذا حكم غير المحسن . أما المحسن فيزيد على ما تقدم أن يكون حراً مسلماً متزوجاً  
بشكاح صحيح وقد دخل بها والإسلام ليس بشرط عند الشافعي محتجاً برجه عليه الصلاة والسلام . يهوديين وحكم  
المحسن الرجم . ويرى مالك في غير المحسن كإبري الشافعي ولكن المرأة لا تغرب . ويرى الحنفية أن التعريب  
المروى في الحديث منسوخ كما نسخ الحبس والأذى في قوله - فامسكوهن في البيوت - وقوله - فاذوهما -  
بهذه الآية (ولأناخذكم بهما رأفة) رجة ورقة فتعطلوا الحدود أو تخففوا الضرب بل يكون في الزنا أشد من  
الفرية وفي الفرية أشد من حد الشرب أو تخفف في الأخير ويشدد في الأولين على الخلاف في المذاهب وقوله  
(في دين الله) أي في حكم الله \* روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها﴾  
\* وروى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولأناخذكم  
بهما رأفة في دين الله فقال يابني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ، ومعنى قوله (إن كنتم  
تؤمنون بالله واليوم الآخر) أن المؤمن لأناخذه الرأفة إذا جاء أمر الله أي إذا كنتم تؤمنون فلا تنكروا إقامة  
الحدود (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وذلك ليزيد التشكيل والطائفة أقلها ثلاثة وقيل رجل أو اثنان  
والمراد حصول الشهادة قد يكون التفضيح أكثر تعذيباً من التعذيب . ولما كانت الأشكال تحقّق إلى أشكالها  
وكان ضعة المهاجرين قد هموا أن يتزوجوا بغايا يكرهن أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة  
الجاهلية نزل قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) لتقارب الأشكال واتلاف الأخلاق (والزانية  
لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهو مكروه كراهة تنزيه لما يلزم فيه من التنبه بالفاسق  
والتعرض للهمة والتسبب لسوء المقالة والظعن في النسب وغير ذلك ويجوز أن يراد بالتحريم انصراف النفس  
عن ذلك فإن الزناة يأتلفون والصلحاء كذلك . فهذا تحريم يرجع للطبع والعادة والشرع لا يمنع زواجهن  
\* وقيل إن نكاحهن كان محرماً ثم نسخ بقوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - ولذلك قال عليه السلام لما  
سئل في نكاح المساكات ﴿أوله فساح وآخه نكاح والحرام لا يحرم الحلال﴾

﴿فصل في حكم القذف العام وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة﴾

اعلم أن من قذف محصناً أو محصنة بالزنا فقال له يازاني أو يازانية أو زنت فعليه جلد ثمانين جلدة إن كان  
القاذف حراً وكان المقتوف محصناً أي مسلماً بالغاً عاقلاً حراً عفيفاً من الزنا ولا فرق بين الذكر والأنثى ويكون  
الضرب هنا أخف من ضرب الزنا ولا تعتبر شهادة زوج المقتوفة خلافاً لأبي حنيفة ثم إذا كان القاذف عبداً

يُجْلَدُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ الْمُقْتُولُ غَيْرَ عَمَلٍ فَيُجْلَدُ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا وَيُؤْتَى الْقَاضِي . وَمِنْ زُنَى وَتَابَ وَحَسَنَتْ تَوْبَتُهُ وَقُذِفَ لِأَيِّبٍ فِي قَذْفِهِ إِلَّا التَّعْزِيرَ وَهَكَذَا الْقَذْفُ بِغَيْرِ الزَّنا مِثْلُ يَأْفَاقُ وَيَأْشَارِبُ الْجُرْ وَهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ الْحَسَنَاتِ) الْآتِي اسْتَوْفِينَ الشَّرْطَ الْحَسَنَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَكَذَلِكَ الرِّجَالُ يَهْدُونَ الشَّرْطَ وَنَحْوَهُ النِّسَاءُ بِالذِّكْرِ لَشَعَاعَةِ أَمْرِهِنَّ إِذَا قُذِفْنَ وَقَوْلُهُ (تَمَّ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) أَيْ يَشْهَدُونَ عَلَى الزَّنا (فَاجْلِسُوهُمْ ثَمَانِينَ جُلْدَةً) أَخْفَ مِنْ جُلْدِ الزَّانِي (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) الْمُهْكَمُ بِسُقْمِهِمْ فَالْقَذْفُ إِذَنْ مِنَ الْكِبَارِ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ مَرْتَكِبُهُ فَاسِقًا (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) مِنْ بَعْدِ الْقَذْفِ (وَأَمْلَحُوا) أَحْوَالَهُمْ وَهَذَا اسْتِثْنَاءُ مِنَ الْفَاسِقِينَ وَسَيَأْتِي إِسْخَاحُهُ وَالْخِلَافُ فِيهِ (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يَنْفَرُ ذُنُوبَهُمْ وَيَرْجِعُهُمْ (وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ أَزْوَاجَهُمْ) يَقْذِفُونَ زَوْجَاتِهِمْ بِالزَّنا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَى تَصْدِيقِ قَوْلِهِمْ مَنْ يَشْهَدُ لَهُمْ بِهِ الْخُ (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ مِنَ الْصَادِقِينَ) فِيهَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنا (و) الشَّهَادَةُ (الْخَامِسَةُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فِيهَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنا (وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ) وَيُدْفَعُ عَنْهَا الْحَدَّ (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ) إِنْ الزَّوْجُ (لَمِنْ الْكَاذِبِينَ) فِيهَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنا (وَالْخَامِسَةُ) بِالرَّفْعِ وَالتَّصْبِ (أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَلَفَ مِنَ الْصَادِقِينَ) فِي ذَلِكَ (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) لَفَضَحَكُمْ وَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَلَكِنَّهُ سَرَّعَ عَلَيْكُمْ وَدَفَعَ عَنْكُمْ الْحَدَّ بِالْعَمَلِ

### ﴿ فِصْلٌ فِي قِصَّةِ الْإِفْكَ ﴾

وَمَا ذَكَرَ حُكْمَ الْقَذْفِ الْعَامِ وَقُذِفَ الرَّجُلُ زَوْجَتُهُ أَتْبَعَهُ سُبْحَانَهُ بِالْكَلَامِ عَلَى الْإِفْكَ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِفْكَ أَيْ بَلِّغَ مَا يَكُونُ مِنَ الْكُذْبِ وَالْإِفْكَاءِ (وَعَمِلَ الْقِصَّةَ) مَا ذَكَرْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ ﴿ فَقَدْتُ عَقْدًا فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصَلَّاتِ فَتَخَلَّفْتُ وَلَمْ يَعْرِفْ خُلَاوَالَهُ دُجَّيْ خَلْفَتِي ذَلَامًا رَحَلُوا أَنَاخُ لِي مَقْوَانُ بْنُ الْمَعْلُ بِسَبْرِهِ وَسَافَهُ حَتَّى أَتَاهُمْ بَعْدَ مَا نَزَلُوا فَهَلَكْتُ فِي مَنْ هَلَكَ فَاعْتَلَّتْ شَهْرًا وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْأَلُ كَيْفَ أَتَيْتُ وَلَا أَرَى مِنْهُ لَعْلَفًا كُنْتُ أَرَاهُ حَتَّى عَثَرْتُ خَالَةَ أَبِي أُمِّ مَسْطُحٍ فَقَالَتْ تَعَسَّ مَسْطُحٌ فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهَا فَأَخْبَرْتَنِي بِالْإِفْكَ فَلَمَّا سَمِعْتُ لَزْدَدْتُ مَرَضًا وَبِتْ عِنْدَ أَبِي رَبِّي لَا يَرِقَ لِي دَمْعٌ وَمَا كَتَحَلَّ بَنُومٌ وَهِيَ يَظُنُّ أَنَّ السَّمْعَ فَالْتِ كَبِدِي حَتَّى قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبْشِرِي بِأَجْرَاءٍ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَأْدَتِكَ قَتْلَ مُحَمَّدَانَةَ لِمَعْمَدِكَ ﴿ أَهْ وَهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكَ) وَهُوَ الصَّرْفُ لِأَنَّهُ قَوْلُ مَا فَوْقَهُ مَصْرُوفٌ عَنْ وَجْهِهِ (عَصَبَتُكُمْ) جَاعَةٌ مِنْكُمْ وَهِيَ مِنَ الْعَشِيرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَكَذَلِكَ الْعَصَابَةُ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَزِيدُ بْنُ رِفَاعَةَ وَحَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَسْطُحُ بْنُ أَثَّانَةَ وَجَعَتْ بَنَتْ جَحْشٌ . ثُمَّ اسْتَأْنَفَ سُبْحَانَهُ الْكَلَامَ مُخَاطَبًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرَ وَعَائِشَةَ وَصَفْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَا (لَا تَحْسَبُوهُ) أَيْ الْإِفْكَ (شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) لَكُمْ فِيهِ ثَوَابٌ وَارْتِقَاءُ الْأَنْفُسِ وَظُهُورُ الْكِرَامَةِ بِإِنْزَالِ ثَمَانِ عَشْرَةَ آيَةً فِي بَرَاءَتِكُمْ وَتَعْظِيمِ شَأْنِكُمْ وَفِيهِ إِضْطِهَابٌ وَتَشْدِيدٌ عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ فِيكُمْ وَتَوَاتُ عَلَى مَنْ ظَنَّ خَيْرًا (لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ) أَيْ جَزَاءُ مَا أَكْتَسَبَ بِقَدْرِ مَا خَاضَ فِيهِ مَخْصَا بِهِ (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ) مُعْظَمُهُ (مِنْهُمْ) مِنَ الْخَائِفِينَ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَانَهُ هُوَ الَّذِي بَدَأَ بِهِ لِأَنَّهُ يَحْكِي أَنَّ صَفْوَانَ مَرَّ بِهَوْدَجِهَا عَلَيْهِ وَهَوِيَ مَلَأً مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ مِنْ هَذِهِ فَقَالُوا عَائِشَةُ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا بَجَتْ مِنْهُ وَلَا تَجَا مِنْهَا (لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أَيْ جَهَنَّمَ . ثُمَّ أَخَذَ يَوْجُ الْعَصَبَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ (لَوْلَا) هَلَا (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) أَيْ الْإِفْكَ (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) أَيْ هَلَا ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ الَّذِينَ سَمِعُوا الْإِفْكَ خَيْرًا بِعَائِشَةَ وَصَفْوَانَ الَّذِينَ هُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمَا جَمِيعًا كَتَفَسَ وَاحِدَةً فَادَّ ظَنُّوا بِهِمَا خَيْرًا فَقَدْ ظَنُّوا بِأَنْفُسِهِمْ وَهَذَا مِنْ أَيْبَغَ مَا يَكُونُ فِي التَّخَلُّفِ مِنْ حَيْثُ اتِّحَادُ الْمُؤْمِنِينَ (وَقَالُوا هَذَا الْإِفْكَ مَبِينٌ) كَلْبٌ بَيْنَ لِحَاقِيهِ لَه (لَوْلَا) هَلَا (جَاءُوا عَلَيْهِ) عَلَى مَا زَعَمُوا (بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) يَشْهَدُونَ بِذَلِكَ (فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا

بالشهداء فأولئك عند الله في حكمه وشرعته (هم الكاذبون) القاذفون لأنهم ليس عندهم أربعة شهود  
(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) فضله في الدنيا بالنعم الكثيرة ومنها إمهالككم للتوبة ورحمته  
في الآخرة بنم كثيرة منها العفو والمغفرة (أسكن) عاجلا (فما أنتم فيه) ختم فيه (عذاب عظيم) فالجلد  
واللوم مستغفران بالنسبة له (إذ) متعلق بحكم (تلقونه بالسكينة) يأخذنه بضمك من بعض السؤال  
(وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى يقولون ما ليس من العلم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا)  
سهلا لاتبعة له (وهو عند الله عظيم) في الوزر . فهذه (ثلاث خصال) التلق والتحدث والاستغفار للذنب  
مع عظمته (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) في أمثال هذه الأمور لاسيا  
ما يحسن بأبناء الصديق (سبحانك) تزيها لله من أن تكون حرم نبيه ﷺ فاجرة فان لجورها بخل بمقصود  
الزواج (هذا جهنم عظيم) لأن الجهنم عليه عظيم (يعظمكم الله) كراهة (أن تعودوا لله أبدا) مادامت أحياء  
مكلفين (إن كنتم مؤمنين) وهذا تفرير وتوبيخ فان الإيمان يمنع من القبايح (ويبين الله لكم آياته)  
الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب تعلبا لكم (والله عليم) صفوان وعائشة وبكل الأسوال (حكميم) في  
تدبيره هذا العالم ومن حكمت أن يجعل زواجه ﷺ طاهرات لأنه يكرم أولياده . ومن حكمته أنه برأ عائشة  
وحكم على القاذفين بالحد (إن الذين يحجون) كعبد الله بن أبي وأصحابه (أن تشيع العائشة) أى يظهر الزنا  
(في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) فيصنون في الدنيا ويدخلون جهنم في الآخرة (والله يعلم)  
ما في الضائر (وأنتم لاتعلمون) فليكن عقابكم لهم على ما تعلمون من الظواهر في الدنيا وهو يعاقب على ما  
يعلم من حب الاشاعة وعقابه في الآخرة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رؤوف رحيم) بكم لعاجلكم  
بالعقوبة والمخاطب لسلط وحسان بن ثابت ورحمة وكرره للتعاقب بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لاتدعوا  
خطوات الشيطان) بإشاعة العائشة (ومن يبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) (الحشاه  
ما أفرط قبحه والمنكر ما أذكركه الشرع) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بأن شرع التوبة ووقفكم لها  
فتمحى ذنوبكم وأزل الحدود وهي كفارات لذنوبكم (مازكى منكم من أحد أبدا) أى ما طهر ولا صالح فانه  
بفضله ورحمته شرع التوبة وقبلها وأزل الزواجر وحكم بها ووقفكم لما يحجوا الذنوب إما بأعمالكم الدالعة  
وأما بما تصابون به من الزايات فانها مكفرات (ولكن الله يركن من يشاء) بتوفيقه للتوبة وحله لميلها لقبولها  
منه وبإقامة الحدود وإزال ما يخفف من الحوادث المؤلمة (والله سميع) لقائلهم (عليهم) بنياتهم . ولما حلف  
أبو بكر رضى الله عنه أن لا ينطق على مسلح بعد وكان ابن خاتمه وكان من غفراء المهاجرين نزل قوله تعالى  
(ولا تأتوا) أى لا تحلف (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال (أن يؤنوا) على أن لا يحسنوا إلى  
المستحقين للإحسان الموصوفين بأنهم من (أولى القرى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وإن كانت  
بينهم وبينهم شحنة لجناية اقترنوها . ويصح أن يقال « ولا يقصر أولو الفضل الخ » ثم قال (وليعدوا) أى  
وليستروا (وليصفحوا) يعرضوا وليتجاوزوا عن الجفاء وليرضوا عن العقوبة (الأنحجون أن يغفر الله لكم)  
فليعدوا بهم ما يرجون أن يفعل الله بهم مع كثرة ذنوبهم (والله غفور رحيم) «خلقوا بأذن الله وتأنبوا»  
بآدابه . ولما قرأها النبي ﷺ على أى كرا قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد إلى مسلح فقتله (إن الذين  
يرمون المحصنات) العناق (الغافلات) عما قدن به (المؤمنات) بالله ورسوله كعائشة رضى الله عنها وغيرها  
من كل سليمة الصدر تقية القلب لادعاء عندها ولا مكر لأنها لم تجرت الأمور (لنوا في الدنيا والآخرة) ولهم  
عذاب عظيم) فهوالة القصة ملعونون في الدارين ولهم عذاب عظيم في الآخرة إن لم يتوبوا يعذبون (يوم  
تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بما أفكوا وأبهتوا إذ تظهر آثار الأعمال على  
تلك الأعضاء وهو أبلغ من تنافق اللسان والفم واليد والرجل والقاذفون وأمثالهم تظهر صور أعمالهم بحسمة يراء المذنب

وتشاهدها الناس حوله والملائكة بصورة قبيحة بنحة تنهر بالهانة والذلة ولا مانع من التعلق اللفظي وهو معنى قوله تعالى - ووجدوا ما عملوا حاضرا - وقوله - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - وذلك حاصل بعد الموت بلا توان فيظهر الانسان مظهره الحقيقي وهذا قد أظهره الكشف الحديث فان علماء الأرواح لما استحضروها أخبرت بما يفيد أن أخلاق الانسان وصوره الباطنة تلازمه ولا تفرقه وبود لو يتخلص منها وتستقيم حاله فلا يقدر بل تكون له كالغواء يحيط به أينما حل - ويقولون إن جسم الانسان بعد الموت عبارة عن صورة طبق الأصل أى مطابقة لهذا الجسم المادى ويسمى ذلك الجسم (الجسم الأثيرى) أى المنسوب للأثير وهى المادة اللطيفة التى هى أخف وألطف من الهواء والعالم كله مقدور فيها وهذه الصورة تمثل الأخلاق الباطنية للانسان وبود لو ينخلع منها اذا كانت قيصة قال تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) علم مائة (أن الله هو الحق المبين) العادل الظاهر عدله ولذلك ينتم من المظالم لظلاله (الغيبات للخيثين والخيثون للخيثات والطيبت للطينين والطينون للطينات) أى الغيبات من النساء للخيثين من الرجال والخيثون من الرجال للخيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبى والطيبت من النساء لالطينين من الرجال والعكس يعنى عائشة ورسول الله ﷺ وهذا عام فان الطيور على أشكالها تقع واذا كانت عائشة زوج رسول الله ﷺ فهى مبرأة لأنها مع الطيب وهذا قوله تعالى (أولئك مبرؤن مما يقولون) أى أصحاب الافك (لم مغفرة) عفو قلوبهم (ورزق كريم) أى الجنة وقد خست عائشة بأن جبريل نزل بصورتها فى راحته وقال هى زوجتك ولم يتزوج ﷺ بكرا غيرها وقبض ﷺ فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها فى الصحاف ونزلت برأءها من السماء وهى ابنة الصديق وخلقت طيبة وورعت المغفرة والرزق الكريم - انتهى التفسير اللفظي وهنا (أربع لطائف) ١

(١) فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -

(٢) وفى قوله تعالى - أن تشهد أربع شهادات بالله - الخ

(٣) وفى قوله - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زك منكم من أحد أبدا - الى قوله - سمع عليم -

(٤) وفى قوله - الغيبات للخيثين - الخ

(٥) اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - ﴿

(١) ومقتضى هذه الآية أن القاذف اذا تاب تقبل شهادته وبزول عنه اسم الفسق سواء أ كان قبل إقامة الحد أو بعده لأن الاستثناء راجع الى رد الشهادة الى الفسق وهذا قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري ومالك والشافعي

(٢) لاتقبل شهادته أبدا بعد التوبة ولكن يزول عنه اسم الفسق وهذا لأن الاستثناء راجع الى الفسق

عند النسخى وشرح

(٣) لأرد شهادته بنفس القذف مالم يجد عند أصحاب الراى

(٤) هو قبل الحد شر منه حين يجد لأن الحدود كفارات فكيف تردونها فى أحسن حاله وتقبلونها فى

شر حاله وهذا هو اعتراض الشافعي على أصحاب الراى بل قال ان حد القذف يسقط بالتوبة وأن الاستثناء يرجع لكل كما تقدم

(٥) لايسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المتذنب فيسقط كالتقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة وهذا مذهب عامة العلماء وقوله - أبدا - أى مادام مصرا على القذف وذلك على مذهب من يقول بقبول شهادته بعد التوبة وتكون الأبدية فى كل شئ بحسبه فالقاذف أبديته حتى يتوب وأبدية الكافر حتى يؤمن

أى لا تقبل مادام على كفره

﴿ الطيفة الثانية - شهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات ﴾

فقرله - انه لمن الصادقين - معناه على انه من الصادقين خفف الجبر وكسرت ان وعلق العامل باللام تأكيذا . روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر الجبلي جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فقال لعاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم فمسمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال لعاصم لم يجر لم يأتي بخبر قد ذكره رسول الله ﷺ المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أتهدى حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله الى آخر ما قلتم فأخبره رسول الله ﷺ باللعان قتلا عينا فلما فرغا من التلا من طلقها عويمر ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال شهاب فكانت تلك سنة التلا من . هذا ملخص ماجاء في الصحيحين ومثله ماجاء في البخاري في مسألة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سماعة وذكر أن جبريل نزل بالآية بعد أن قال هلال ولينزلن الله ما يرى ظهري من الحد فقام هلال بن أمية فشهد والنبي ﷺ يقول الله يعلم أن أحدا كاذب فهل منك ناثب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجهة قال ابن عباس فتلكت ونكست حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فغض فقال النبي ﷺ انظروها فان جاءت به أكل العينين ما يغ اللتين خدج الساقين فهو لشريك بن سماعة فجاءت به كذلك اقال الى النبي ﷺ لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن . وخدج الساقين بمعنى الساقين غليظهما

﴿ الطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمز كما منكم من أحد أبدا - ﴾

يقول علماؤنا رحمهم الله تعالى في هذا المقام انه شرع الحدود وشرع التوبة والتوبة من نوع التهذيب والعقوبة من نوع التعذيب . فالتركيب كان التهذيب مع التعذيب سبيلين لزكاة الناس وطيهارتهم . ومعنى هذا أن الله فضله هم الناس ولولا فضله ورحمته لم يطهروا وعليه أصبح كل هم وغم ومصائب وأمراض كل ذلك مما يزك ويطهر وأيضا كل علم وكل حكمة وكل خلق شريف كل ذلك مطهر . فالطهيرات التي أنزلها الله في الأرض نوعان التهذيب والتعذيب فأضحت المدارس التي في الأرض للتطهير ﴿ قسمين ﴾ قسم الحوادث التي تصيب الناس وقسم المرقبات للعقول الانسانية وقد شرحت هذا في أماكن كثيرة في هذا التفسير

﴿ الطيفة الرابعة في قوله تعالى - انجيليات الخبيثين - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية تشرح الغرائز والأخلاق والطباع وبهجتها وعجائبها وتبين أن هذا الانسان بل هذا الوجود لا تلازم فيه إلا بالتناسب ولا اتحاد لإبصاف متناسبة فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء هكذا ككرة الهواء وكرة النسيم فكل جزء من أجزاء هذه اللواد لاحقة بأصلها مطبوعة لمجموعها ذلك للتناسب والتشابه في الصفات هكذا أخلاق الناس انهم اذا تشاكلت صفاتهم اتفقوا واذا اختلفت تفرقوا وهكذا يوم القيامة فالناس لا يجتمعون إلا حيث يتفقون ولذلك تفرق المسلمون اليوم للجهل الذي فشا بينهم ولو تناسبوا في العلوم والمعارف لجمعهم ووحدهم ولكنهم جهلوا فالجهل فترقم والله هو الولي الجيد

ثم اعلم أن هذه الحكمة ألهمها الله للآدم وثبتها في العقول فغلقت بها الألسنة وكتبت في الكتب وذاعت في الأمم وانتشرت في الأقطار قديما كما ترى في كتاب ﴿ كلية ودمية ﴾ فقد جاء فيه مانعه

﴿ حكاية العابد والقارة ﴾

سكن أن عابدا قتل فأرته ثم ندم على ما فعل وحزن حزنا شديدا على هذا الذنب ولم يجد سبيلا الى التوبة

في نظره إلا أنه يعلق الفأرة في عنقه مدة ثم دعاه الله أن يحبسها فتصير بنتا فأجاب الله دعاه فصارت بنتا وربها  
 وتوهرعت وأن زمن الزواج فسلها أي الأزواج تختار فقلت اختار أقوى الأزواج فقال لها إذن تختارين  
 الشمس قالت . كلا . فالسحاب أقوى من الشمس لأنه يحجبها قال إذن أزورك للسحاب قالت . كلا .  
 فالريح أقوى منه لأنها ترفعه وتحمله إلى الجبال قال فلا تزورك للريح قالت . كلا . فالجبل أقوى منه لأنه  
 يصدّه ويمنعه قال فلا تزورك بالجبل قالت . كلا . فالقار أقوى من الجبل لأنه يحفره ويفتح فيه بحرا يعرف  
 عند ذلك أنها لا ترغب إلا فيمن هو على شاكلتها فدعا الله فربحت فأرة وتم الأسر وهذا قول الشاعر  
 \* إن الطيور على أشكلها تقع \* وقوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ . انتهى الكلام  
 على القسم الأول من السورة

### ( القِسْمُ الثَّانِي )

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا  
 ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَلِكُمْ تَذَكَّرُونَ \* فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ  
 لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* لَيْسَ  
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا  
 تَكْتُمُونَ \* قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ  
 خَبِيرٌ بِمَا يَسْتَعْمُونَ \* وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَتَّصِفْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ  
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ  
 أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ  
 بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ  
 أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ  
 زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَمَلِكُمْ تَعْلَمُونَ \* وَأَنْكِحُوا الْأَيَاتِ مِنْكُمْ  
 وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُنْفِقْهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \*  
 وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُنْفِقَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ  
 بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكُلُوا مِنْهُمُ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ  
 وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى النِّبَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْمُسَا تَتَّبِعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ  
 فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنْ



## الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبَائِكُمْ وَمَوْحِلَةَ الْمُؤْمِنِينَ •

### (التفسير اللفظي)

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التي تكونونها فليس مؤجر الدار ولا الذي أعمرها لها حق الدخول إلا بإذن قلدار على المكتني لاعلى الملك (حتى تستأذنوا) تستأذنوا أى تسعطوا . يقال آانس الشيء أيسره ويصح أن يكون من الآانس على وزن قفل فان للتأذن مستوحش قبل الاذن مستأنس بعده وأن يكون من الآانس على وزن جبر أى تضرعوا هل نعمة انسان (وتسلموا على أهلها) وتقولوا لهم « السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات » فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم) أى ما ذكر من الاستئذان والتسلم (خير لكم) من أن تدخلوا بقتة وتحبوا تحية الجاهلية فتقولوا « حيثهم صباحا . حيثهم مساء . وربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف لعدم الاستئذان وانما أنزل عليكم هذا إرادة أن تذكروا وتعلموا بما هو أصلح لكم وهذا قوله (عليكم تذكرون) • فان لم يجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلاندخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتي من يأذن لكم (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحقوا (هوأزكى لكم) أى الرجوع أظهر لكم من الإلحاح والوقوف على الباب فذلك مناف للرودة (وإياه) بما تصادون عليه (فيعلم ما تأتونه وما تذررون فيجزيكم عليه) (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت (فيها متاع) منفعة (لكم) كابواب الأمتعة بالحوانيت وكاتقاء الحر والبرد في المنازل المبيعة للساية وكالدخول في بيوت التجار والحوانيت في الأسواق يدخلها الناس لليح والشراء . فهذه كلها ليس فيها استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) • قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) عما لا يحل النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم - (ذلكم أزكى لهم) أضع لهم وأظهرها فيه من البعد عن الريبة (إن الله خير بما يصنعون) لا يفتني عليه ما يصدون من استعمال الإبصار وكل جارية من جورحهم فيجحدروه (وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن • روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أحمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفعميا وإن أتتا ألسنا تبصرانه . رواه الترمذى وأبودلود ثم قال تعالى (ولا يبدين زينتهن) أى ولا يظهرن لغير المحرم الزينة الخفية مثل الخللخال والخصاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلاند في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها كساتراخل والثياب والأصابع فضلا عن مواضعها فلا يبدى منها شيئا (إلا ما ظهر منها) عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخصاب في الكف وكالجوهرة والقدمين في ستر هذه الأشياء خرج عظيم فان المرأة لا يجد بدا من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لاسيا في مثل تحمل الشهادة والمطالبة والمتاجرة وما أشبه ذلك وهذا كله اذا لم يخف الرجل فتنة فان ما فيها غش يصره أيضا (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انحر جمع خمار أى يضعنها وذلك كما قول ضربت يدي على الخائط اذا وضعتها عليه أى يلقين بمقانهن على مواضع الحبيب وهو الحنحر والصدر ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأفراطهن وصدورهن . ولقد كانت جيوبهن واسعة تبتد منها صدورهن ومحواليها وكن يبدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن أن يبدلنها من قدامهن حتى تغطين (ولا يبدين زينتهن) هذا بيان لمن يحل لهم الإبداء فيوزن الزينة الخفية منها ومواضعها كالصدر والساق والراس ونحو ذلك (إلا بعولتهن) لأنهم المقصودون بالزينة فيجوز لهم النظر الى جميع البدن ويكره النظر للفرج (أو آبائهن أو آباءه بعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن) لأن الطباع تنفر من ماسة القرباب فلهم أن

ينظروا منهم إلى ما عدا ما بين السرة والركبة . ومثل للذكورين الآباء والأبناء والأخوة وبنو الأخوة وبنو الأخوات من الرضاع . ثم قال تعالى (أو نسائهن) أي المؤمنات من أهل دينهن فيجوز لمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز لمرأة للمؤمنة أن تجرد من ثيابها عند الفتية أو الكافرة (أو ما ملكت أيمانهن) من الاماء والعبيد فينظر العبد من سيده ما عدا ما بين السرة والركبة كالامة فيؤكل لحومهم وكالغلمان المسلمين وهذا غلغل القرآن وحديث أنس (إذ وهب النبي ﷺ فاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال انه ليس عليك بأس إنما هو أبوك أو غلامك) . وقال سعيد بن المسيب هو كالأجنبي معها ونحمل الآية على الاماء دون العبيد ثم قال تعالى (وألتايعن غيرأولى الإربة من الرجال) أي التين يتبعونكم ليصبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء كالبهائم الذين لا يعرفون شيئا من أمر النساء والشيوخ والصبيان والنحس والخنف والمحبوب . وفي حديث مسلم انه كان يدخل على أزواج النبي ﷺ غنث وكانوا يعتونه من غيرأولى الإربة فدخل رسول الله ﷺ يوما وهو عند بعض سائه وهو يعت امرأته قال اذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فأمر ﷺ أن لا يدخل عليهن وأخرجوه إلى البيداء يدخل كل جمعة ليطم . وأراد بالأربع أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ثم قال تعالى (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم وعدم بلوغهم حد الشهوة والظهور والاطلاع والطفل جنس وضع موضع الجمع والوصف يدل عليه (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وهذا أبلغ من النهي عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت . وقد كانت المرأة اذا مشيت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها فهتفن عن ذلك . ثم قال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) وإنما نهى على التوبة هنا لأن آداب هذه السورة لا يغلو أحد من التفرع فيها (لعلكم تفلحون) بسعادة البارئين لأن النفس الانسانية أشبه بماء نهر النيل مثلا والقوى الانسانية من الشهوة والغضب والعقل أشبه بمجدول تجري من ذلك النهر والشهوة والغضب أشبه بالبحر الأبيض المتوسط يصب ماء النهر فيه سهلا بلا فائدة والكف عن الشهوات كغض البصر وتجنب النساء وقلة الافراط في الشهوات حلالا أو حراما وما أشبه ذلك أشبه بالسود والحبوس والقناطر الموضوعة في مجرى النيل وسقي الأرض من المجدول النيلية في الوجهين القبلي والبحري وخروج النبات والأثمار والحدائق الفناء والأشجار والأزهار والبهجة والفناء أشبه بتصرف عقولنا في أنواع العلوم والحكم وازدهار الآراء وجمال النفوس واشراق القلوب فكل ما حفظناه من قوتنا رجع إلى قوة الدقل وكل ما أضعناه من قوى النفس في المبصرات والمذوقات والمفوسات وجيع اللذات نقص من قوة العقل والفلح يكون بالقوة العقلية والغلبة بالتمسك في القوة الشهوية . وبهذا عرفت الحكمة في غض البصر والكف عن المحرمات . فانه تعالى وضع هذه القوى أمانة عندنا فإذا صرفناها في أسفل الامور سفلنا وإذا صرفناها في أعلاها علونا . وهذه اللذات المذكورة ونحوها لم تخلق إلا لبقاء النسل فهي مقتنيات والمقتنيات نتائج إذ لا نقول إلا لمولود ولا ولادة إلا بهذه الشهوات . فإذا جعل الانسان حياته مقصورة على المقتنيات صار آلة ضائعة كما يضيع ماء النيل في البحر الأبيض وإذا حفظها سقى بها حقول العلوم وبساتين المعارف وجنى ثمار اللذات العقلية والثناء العاجل والثواب الآجل بل الأمر فوق ذلك فان أعلى الجنة لأولى الأبواب والعلم أعلى لذة في الجنة كما هو أعلى لذة للأنبياء والحكماء في الدنيا . فتعجب كيف كان هذا التحريم مقصودا به رفع عقولنا والعتاة لايغفون مثل هذه الامور وما يعقلها إلا الحكماء الذين فكروا في الدنيا وخلقها . فالعتاة يخافون من عذاب يوم القيامة وحده والخاصة يخافون منها ومن عذاب الدنيا بالجهالة ونقص القوى العقلية

ويرون الثواب والعقاب أمامهما في هذه الحياة مقدمة لما سيرونه بعد الموت فيكون قوله - لعلمكم قهلهون - معروفا لهم في هذه الحياة يقرؤه في نفوسهم وفيمن حولهم ويرون الزناة والمُسرفين وأمثالهم قد طوّحت بهم طوائف الدهر وقلب الدهر لهم ظهرا وبخرا وأزّل بهم العذاب المون كما أضل عقولهم فغناهم مجبور في هذه الحياة وإن كانوا لا يتقاولون انهم معذبون ويسجنون وهم لا يعلمون أنهم مسجونون - ولما فرغ من الكلام على انتهى عما يفرض الى السفاح القتل بالنسب المؤذى الى اقطاع الألفة وذهاب الأسرات أعقب بما يكون سببا في بقاء النسل وهو المقصود فقال (وأنكحوا الأيتام) مقابول أيتام كيتامي جمع أيم وهو العرب ذكر اكان أوتأي بكرة اكان أوتيا \* قال الشاعر

فان تنكحي أنكح وان تنأيمي \* وان كنت أفضى منك أئاميم

أي زوجوا من كان أعزب من الرجال والنساء البنات والاختوات والبنين والاخوان (منكم والصالحين) للنكاح (من عبادكم) عبيدكم (وامائكم) وهذا الخطاب للأولياء والسادة وهذا الأمر للنسب

(١) فيستحب لمن تأقت نفسه الى للنكاح ووجد أهبة أن يتزوج

(٢) ومن لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخطى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي

(٣) والنكاح أفضل له عند أصحاب الرأي

(٤) تزويج الأيتام بالأولياء وتزويج العبيد والاماء خاص بالسادات عند أكثر أهل العلم من الصحبة

فمن بعدهم كعمر وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب وأحسن وشرح والنخعي ومهر بن عبد العزيز والثوري والأزهري وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق

(٥) يجوز للمرأة أن تزوج نفسها عند أصحاب الرأي

(٦) إن كانت ذنبة جاز لها أن تزوج نفسها وإن كانت شريفة لم يجوز عند مالك

ولما كان الناس عادة يتزكون الزواج ويتعاشرون خيفة الفقر اذا كان الحطب او الخطوبة في فقر أردفه بما يفيد الله سبحانه وتعالى فينهيها عند الزواج إما بالقناعة والرضا وإما بالمال وأما بهما معا فقال (إن يكونوا فقراء فينهم الله من فضله) ففضل الله يسعهما والمال غدا ورائح

وكم يسر أتي من بعد عصر \* وفرج كربة القلب الشجي

وورد في حديث ﴿اطلبوا النى من هذه الآية﴾ ثم قال تعالى (والله واسع) ذبسة إذ لا انتهاء لفضله ولا حد لقدرته فهو يسع الزوجين وجميع الناس (علم) يسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه الحكمة (وليستغف الذين لا يجدون نكاحا) ليبتد في العفة وقع الشهوة من لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة مثل أن يصوم الشاب اذا لم يجد المال لحديث ﴿يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء﴾ ومعنى الباءة النكاح أى أسباب النكاح والوجاء رض الاثنين فليستغف هؤلاء (حتى فينهم الله من فضله) فيجدون ما يتزوجون به

(فصل في المسكينة)

المسكينة أن يقول الرجل لمالوكه كاتبك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك في نجمة من أى موعدين أو نجوم في كل نجم كذا اذا أدت ذلك فأنت سراح ويفيل العبد ذلك فاذا أدى العبد ذلك للمال عتق وصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة - ومعنى عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق - واذا هجر عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده وهذا قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) المسكينة (بما ملكت أيمانكم) عبدا كان أو أمة (فكاتبوهم)

(١) والأمر للرجوب عند صلاه وعمره دينار هـ وقد روى أن سيرين أباً محمد بن سيرين سأل أنس ابن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فأنطلق سيرين إلى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالدرّة وتلا قوله تعالى - فكاتبوهم - الخ

(٢) أولئذ وهو قول أكثر أهل العلم

(٣) والكتابة تجوز إلى نعيم واحد وحالة واحدة عند أبي حنيفة ولا تقل عن نجمين عند الشافعي وقوله تعالى (إن علمتهم فيهم خيراً) أي مالا أو قوة على الكسب أو صدقاً وأمانة أو الاكتساب مع الأمانة وهذا رأى الشافعي . وأن يكون بالغاً عاقلاً . وجوز أبو حنيفة مكانة الصبي المراهق . وقوله (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) يقول الله آتوا أيها السادة للمكاتبين شيئاً من مال الله الذي آتاكم فليس لكم فيه فضل فإن الله ربكم ورب عبيدكم وأموالكم ملكه وكذلك أعطوا أيها الحكماء المكاتبين سهمهم من الصدقات العانة المذكورة في قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء - فإن عتق الرقاب داخل في الصدقات وهذا الأمر عام لكل امرئ فهو بعض جيع للمؤمنين على عتق الرقاب . واعلم أن السيد لاحد للقدر الذي يعطيه والخط واجب وقدره بعضهم بالربح وهو قول علي وقال ابن عباس يعطى الثالث وأنت خير أنه لاحد للخط

(فصل في عدم إكراه الإمام على الزنا)

روى الله كان لعبد الله بن أبي بن سؤل المتأفق جاريتان يقال لهما مسكة ومعانة وكان يكرههما على الزنا اضريبة يأخذها منهما . وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إمامهم فلما جاء الاسلام قالت معانة لمسكة إن هذا أمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندده . ويقال إن إحدى الجاريتين جاءت يرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما أرجعا فارزنا فقاتلا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأثارت رسول الله ﷺ وشكته إليه فأئزل الله قوله (ولانكروها فتياتكم على البغاء الزنا (إن أردن تحصناً) وذكر هذا الشرط لأنه على مقتضى السبب الذي نزلت لأجله الآية والأفلا إكراه محذور سواء أردن التحصن والعتق أم لم يردن ذلك على أن الإكراه لا يمكن إلا إذا أردن العتق فأما التي لا تريد العتق فليست بمكرهة على الزنا بل هي رغبة فيه . يقول الله - لانكروها فتياتكم على البغاء - (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتطلبوا كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرههن) على الزنا (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) يعني بالمكرهات والوزر على المكره . وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول (لن والله لن والله) (ولقد آتيناكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) أي مثلاً من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم وهي قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة للفتين) ما وعظ به من الآيات والمثل . ولقد جاء هناك من العظات البالغات ما فيه مزدج لم يذكر كقوله تعالى - ولولا إذ سمعتموه قتلتم - الخ وقوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم - الخ وقوله - ولا تأتوا أولوا الفضل منكم - الخ انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني . وهنا لهايات

(الطليقة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ)

عن قتادة أن الاستئذان (ثلاثة الأول) يسمع الخي (الثاني) ليأتهوا (الثالث) إن شاءوا أدنوا وإن شاءوا ردوا فانهم في أول مرقباً منكم بعض الأشغال من الأذن وفي المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقتضي المنع أو يقتضي التساوى فإذا لم يجب في الثالثة يستدل بعلم الأذن على مانع فيسأل له الرجوع ويجب أن لا يكون الاستئذان متصلاً بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت فاما قرقع الباب بنصف والصباح بصاحب الدار فذلك حرام لأنه يتضمن الإذاء وكفى بقصة بني أسد زاجرة ومازل فيهم من قوله تعالى - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون - وقد كان ﷺ لا يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن

من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم من بين ومن جامع الرسول لا يحتاج إلى استئذان وكذلك من جوت العادة له بإباحة النحول فهو غير محتاج إلى الاستئذان ويستأذن الإنسان على أخيه وأمه بقوله **يُحِلُّ** لرجل وقد سأل في ذلك . **و أحب أن تراها عريانة** ،

واعلم أن الاستئذان مشروع **( ثلاثة أمور )** النحول في منزل الغير والنظر إلى المحرم شرعا والاطلاع على ما يكره الإنسان الاطلاع عليه . فلأن دخول ملك الغير بغير إذنه محظور والاطلاع على المحرمات محظور شرعا هكذا فليكن محظورا على الإنسان النحول على أمه وأخته وزوجته وأمه للخصمة الثالثة فانهم ربما كن في حال لا يعين اطلاع أحد عليها فلأن نجا من المحرمة مع هؤلاء بالنسبة لتحريم النظر وحظر النحول في ذلك الغير فليكن ذلك للأمر الثالث وعليه صار الاستئذان على جميع الناس قريبا وبعيدا ومحارم وزوجات وهذا هو المعنى بقوله **يُحِلُّ** . **و أحب أن تراها عريانة** ،

### ( اللطيفة الثانية )

**قال **يُحِلُّ** ( تزوجوا الولود للودود )** فإني مياه بكم الأم يوم القيامة ) وقوله تعالى - وأنكحوا الأبى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم - قد أخذ منه بعض العلماء كما في تفسير البيضاوي . أنه يجب تزويج المولية والموالوك وذلك عند طلبها . ويقول عامة السلف **( إن النكاح مستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح )** ووجد أحبته . كما تقدم . فلهذا من هذا أنه قد أوجب بعض العلماء على السيد تزويج عبده وأمه في حال خاصة . ومن المعلوم أن الإنسان إذا خاف الفتنة ولم يجد سبيلا لفرطها وجب عليه النكاح . واعلم أن هذا الزمان الذي نكتب فيه هذا التفسير قد تغيرت فيه طباع أهل المدن ففرى الشبان المتعلمين بفنون ويروحون وقد أسكرهم الصبا وخامرهم الجهل وأحاط بهم الشيطان فأسدل عليهم حجابا من الخزي والعار فترك بعضهم الزواج اكتفاء بالزنا واستخفافا بالدين فأصبح المسلمون المتعلمون في الأمصار أشبه بأهل باريس الذين يفسدون الخلعة على الزواج . ولما رأيت هكذا حكومة الترك سفت قانونا بحجر فيه الشاب الذي لم يتزوج بعد السنة الثامنة عشرة أن يدفع مالا للحكومة تتفق على أبناء المنزويجين . ولقد بلغنا أن الأمة الروسية التي أصبحت اليوم ( بلشيفية ) أي أنها تجرى على حكم الأكرمية تأمر القتيان والفتيات بالتزويج بعد الثامنة عشرة فإن لم يتزوج الفتاة قبل هذا السن زوجها لمن يريدون هم . واعلم أن هذا الأمر يجب على علماء الاسلام أن يفكروا فيه فإذا رأوا خلعة منتشرة وفسوها وأضاعوا فلاحهم إذا أفتوا بما يحفظ الأعراض ويشغل الأرحام بالأجنة والدكتور بالغة والنساء بترية الأولاد وليكن ذلك بحكمة وتفكر . ولقد نرى أئمتنا المتقدمين رضوان الله عليهم قد نظروا في ذلك من عدة وجوه تارة من حيث التخلل للعبادة بترك النكاح وتارة بغير ذلك كما تقدم فلينظر اليوم علماء الاسلام إلى الخطر المحدق بالمسلمين وليعلموا أن الله خلق الذكور قدر الاناث تقريبا ودليل ذلك تعدد المواليد فانك تراه متعادلا تقريبا في جميع الكرة الأرضية . وإذا كان التعداد جائزا ليكون اللواتي لا عائل لمن يجبن من يمولهن . فإذا تزوج جميع الصالحين للسلح لم يبق هناك نساء لا عائل لهن فإذا نفذ قانون على هذا الوضع وحتم على كل صالح للسلح أن يتزوج سالحة للسلح فلذلك لا يبعد منه ديننا فإن قوله تعالى - وأنكحوا الأبى منكم والصالحين - الخ . قال بعض العلماء يجعله للوجوب في مسألة الاماء والعبيد ولم يبق إلا أن نعمه فيكون للجميع . وإذا صح ذلك أصبح الزواج فرضا لازما للصالحين له كفرض الصلاة والصيام . وإذا قلنا بمعه للعرق والحكومات اليوم أصبحت تساعد التي لازوجة له فقد زال هذا المانع وإذا كانت فيه عاة فينظر في أمره . وإني لست أقطع في هذه المسألة . وإنما أقول إن المجال فيها متسع وديننا صالح له . فهنا أمر بقوله - وأنكحوا الأبى - وفي الحديث . والترغيب في النكاح كثير في الشرع وإذا كانت ألمانيا وتركيا والروسيا يحرم على أكثر نوع الإنسان . ويفرض الزواج عند البعض على كل

صالح له وصاحبه . فهل هذه الأمم تكون أحوص على اكتثار النسل من الاسلام . كلا ، قالني <sup>عليه السلام</sup> يقول  
 ﴿ تَزْجُوا الْوُلُودَ الْوُدُودَ قَالِي مَبَاهِ بِكُمْ الْأُمُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ولعل في قوله تعالى - أن يكونوا نقرأ بفهم الله  
 من فضله - رمز إلى ما نطقه دولة تركيا اليوم من تفريم الأزواج وإعانة التزويج والنظر إلى أمباطور ألمانيا  
 (غليوم) الذي كان السبب في الحرب كيد ، كان يعرض قومه على اكتثار النسل وكيف أمر العلماء باختراعوا  
 سودا التزويج وصوروا للأعزب لجعل الناس يدخلون فيكون رجلا أشط وامرأة شططا منزويين في ركن  
 المنزل قد آذاهما البعد وهما منكشان وآخرين معها أولادهما هذا يعمل وذلك يلعب وهذه تطبخ وهذا  
 يصنع الخبز وهذه ترتب البيت وهكذا والأبوان مستبشران فرحان فيرغب الناس في التكاثر وتلك صارت  
 ألمانيا نحو (٧٠) مليوناً . أما فرنسا فاتها صارت أقل من أربعين مليوناً . فالسعود أولى باكتثار  
 النسل . واعلم أن التعدد المذكور في الآية لا يكون إلا حيث يتنحل قوم عن الزواج لموا ولما أوفقرا .  
 فأما إذا أمر الناس جميعا بالزواج فلا تعدد إلا نادرا جدا . واعلم أن التعدد اليوم في الاسلام لا يزيد على ثلاثة  
 أو خمسة في المائة فإذا تم ما ذكرته ههنا التعدد بل ينعدم وأمة الاسلام قابلة لذلك لأنه إذا كان كل امرأة  
 لرجل والله قد جعل الصدق على هذا المنوال ولم يخلق إلا بقدر غلق الذكور على عدد الإناث كما تقدم فيكون  
 التعدد إذن نادرا جدا بل يكون خارجا عن العدل لأنه إذا كانت هنالك امرأة سالحة للتكاثر فكيف نحبها  
 عن رجل صالح للتكاثر . ويكون قوله تعالى - فإن ختم الاتصال فواحدة - الخ مقربا لذلك لأنه إذا كان  
 خوف عدم العدل بين الزوجتين يمنع التعدد فليكن خوف حرمان الأعزب من امرأة سالحة للتكاثر غير  
 عدل . واعلم أن هذه المباحث أوردتها ولم أعط فيها رأيا . ولكن عرضتها لبحث العلماء وتفكير الحكام  
 ومراعاة مقتضيات الأحوال وتكون الفتيا على حسب الأحوال وهذا يحتاج إلى إجماع أهل الحل والعقد في  
 الممالك الاسلامية فما أجمعوا عليه بعد البحث والتدبر يصبح ديننا ومباحث هذه مقتضات لمباحثهم المستقلة  
 إن شاء الله تعالى وسيكون في الأمة الاسلامية من قراء هذا التفسير من ينشرون هذه المباحث . وستكون  
 مباحثهم إجماعية فما استقر الرأي عليه فلا خلاف فيه . اللهم اهد أمتنا الاسلامية إلى سوله الصراط . انتهى  
 الكلام على القسم الثاني من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ  
 الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ  
 زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . فِي يَتُوتِ أَذُنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرُ فِيهَا أُمَّتُهُ  
 يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ  
 وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيََهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
 وَزَيِّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٌ  
 يَبِيحَةٌ يُحَسِّبُ الْفُلَّانَ مَاءَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْفًا وَوَجَدَهُ عُرْفَاءً حِسَابَهُ وَاللَّهُ

مَرِيعَ الْحِسَابِ • أَوْ كَلَّمَكَ فِي بَحْرِ لُجِّي يَنْشَأُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ سَعَابٌ  
 ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا وَمَنْ لَمْ يَحْمِلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَدْ  
 لَهُ مِنْ نُورٍ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْغُلُوبُ سَافَاتٍ كُلُّ فَذٍ  
 عِلْمٍ صَلَاحٌ وَتَسْبِيحٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ • وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ  
 • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ  
 خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَصَرْفُهُ عَنْ مَنْ  
 يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ • يَغْلِبُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالْثَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ  
 الْأَبْصَارِ • وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى  
 رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • أَفَدَّ  
 أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَيَقُولُونَ آتِنَا بِاللَّهِ  
 وَرَسُولَهُ وَأُطِيعَا ثُمَّ يَقُولُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ • وَإِذَا دُعُوا  
 إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ • وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا  
 إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ • أُولَئِكَ يَرْجُونَ أَمْرَ أَزْوَاجِهِمْ أَنْ يَخَافُوا أَنْ يَخِفُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَمْ  
 أُولَئِكَ أَمْ أَطَاعُوا • إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ  
 يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ • وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُعْرِضَنَّهُمْ لِنَعْرِضَ قُلْ لَا تُفْسِدُوا طَاعَةَ  
 مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
 مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ • وَعَدَ اللَّهُ  
 الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا  
 يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِقُونَ • وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • لَا تَحْزَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسُخِرَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْأَرْضِ وَمِمَّا رَأَوْا

النَّارِ وَلَيْسَ لِلصَّيْرِ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَقْبِلَ لَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ  
لَمْ يَبْتَاعُوا الْحَلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ  
الطَّوِيلَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ  
مَلَافُؤُنَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ •  
وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَقْبِلُوا كَمَا اسْتَقْبَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ  
جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ تَعِيمٌ عَلِيمٌ •  
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ  
تَأْكُلُوا مِنْ ثَوْبِكُمْ أَوْ يَتُوتِ أَهْلُكُمْ أَوْ يُتُوتِ أَهْلُكُمْ أَوْ يُتُوتِ إِخْوَانُكُمْ أَوْ يَتُوتِ  
أَخْوَانُكُمْ أَوْ يُتُوتِ أَهْلُكُمْ أَوْ يُتُوتِ عَمَلُكُمْ أَوْ يُتُوتِ أَخْوَالُكُمْ أَوْ يُتُوتِ خَالَاتُكُمْ  
أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحِشُهُ أَوْ صَدِيقُكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا  
دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ  
جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
• لَا تَحْمِلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ يَنْتَكُمُ كَذَلِكَ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ  
لِوَاذًا فَلْيَعْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • أَلَا إِنَّ  
اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَتَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا  
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ •

### ﴿ التفسير الفطري ﴾

قال تعالى (الله نور السموات والأرض) مزين السموات بالنجوم والأرض بالنبات والمياه وموتور قلوب  
أهل السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين (مثل نوره) نور الله في قلب المؤمن (كمشكاة) كمشة  
مشكاة وهي الكوة غير النافذة • ويقال أيضا الأنوبة في وسط القنديل (فيها مصباح) سراج صختم ثابت  
(المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج (الزجاجة كأنها كوكب دري) نجم مضىء من هذه الأنجم الخمسة



زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وهذه هي الأنجم السرية منسوبة للدر في الصفاء (يوقد) الصباح  
أو توقد الزجاجة أي مصباحها (من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية) أي أخذ دهن هذا القنديل  
من شجرة الزيتون بقلعة لاصبيها ظل الشرق إذا غربت الشمس ولا ظل الغرب إذا طلعت الشمس بل هي  
مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وغروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من  
الأميرين فيكون زيتها أضوأ وأصنى أو لآنية في شرق المعمورة ولاغربها بل هي في الشام وزيتونه كما يقال  
أجود الزيتون (يكاد يثيها يضيء) من وراء قشرها (ولولم تحسها نار) فالزيت لصفائه وتلاؤه يكاد يضيء  
من غير نار وبجنتها المشكاة الجامعة للنور والزجاجة المقوية له والمصباح المتقد والزيت الصافي يكون النور أقوى  
قلولا المشكاة لتفرق في الجهات الست ولولا صفاء الزيت لم يكن الضوء باهرا ولولا الزجاجة لم يكن متضاعفا  
وهذا معنى قوله تعالى (نور على نور) وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) لنور المعرفة ودين الاسلام  
ونور البصيرة وهذا النور الثاقب (ويضرب الله الأمثال للناس) تحريبا لأفهامهم ليعتبروا (ولقد بكل شيء عليم)  
فبين كل شيء بالطرق التي يعلم أنها توصل إليه . وقوله (في بيوت) أي تلك القناديل للدلول عليها بالمشكاة  
والمصباح والزجاجة والزيت معلقة في مساجد (أذن الله أن ترفع) أمر الله أن تعظم فلا يذكر فيها الخنى من  
القول وتظهر من الأنجاس والأقدار (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه ويبعث في أحكامه وأفعاله (يسبح)  
له فيها بالقدوس والآصال) يصلح له بالقداسة صلاة الفجر وبالأصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين ووحد القدوس  
لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات وهي جمع أصل ككتب جمع أميل وهو العشي وقوله (رجال) فاعل  
يسبح ومن قرأ - يسبح - بالبناء للجهول فيكون مسندا لقوله - له - ورجال فاعل لما دل عليه يسبح  
أي يسبح له رجال (لأنهم تجارة) لا تشغلهم تجارة في السفر (ولا بيع) في الحضر (عن ذكر الله) باللسان  
والقلب (واقام الصلاة) أي وعن إقامة الصلاة وحضور المساجد لذلك (وليتاء الزكاة) المفروضة (يخافون)  
يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أي هؤلاء الرجال وإن بالغوا في الطاعات من الصلاة والزكاة وذكر الله  
وجاؤون خائفون لأنهم يعلمون أنهم ماعبدوا الله حتى عبادته وما قدره حتى قدره ويخشون يوما تضرع فيه  
وتتغير القلوب فتفقه مالم تكن تفقه وتبصر الأبصار مالم تكن تبصر وتخشى الهلاك وتقطع في النجاة (ليجزئهم  
الله أحسن ما عملوا) يقول اشتغوا بذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزئهم الله أحسن ما عملوا وهي  
الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها وتظلمها . وأما غير الأحسن وهي المساوي فهو يفرها لهم أو يجازيهم جزاء  
أحسن من أعمالهم من عشرة إلى سبعمائة ضعف (ويؤيدهم من فضله) فهو لا يقتصر على مكافأتهم على أعمالهم  
(وأنه يرزق من يشاء بغير حساب) لكمال قدرته وسعة إحسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو  
ما يرى في الغلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب أي يجري على وجه الأرض كأنه ماء يجري (بقية) جمع  
قاع وهو الأرض المستوية (بحسب الظمان ماء) يظنه العطشان ذلك (حتى إذا جاءه) أي جاء إلى ما توهم  
أنه ماء (ليجده شيئا) كما ظنه (ووجد الله) أي جزاء الله (عنده) عند الكافر (فوقاه) أعطاه (حسابه)  
جزاء عمله وأفيا كاملا (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب . روى أنها نزلت في عتبة بن ربيعة  
ابن أمية بعد في الجاهلية والنفس الدين فلما جاء الإسلام كفر . وقوله (أو كظلمات) عطف على - كسراب -  
يقول الله إن أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب الخ وإن كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر لحي)  
ذي لحي أي عميق واللح معظم الماء (يشاء) يضئ البحر (موج من فوق موج) أي أمواج مترادفة متراكبة  
(من فوق) من فوق الموج الثاني (سحاب) غطي النجوم وسحب أنوارها هذه (ظلمات بعضها فوق بعض)  
أي إن البحر يكون قمره مظلمًا جدا بسبب غمورة الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق  
الأمواج سحاب بلغت الظلمة حدا لا يطاق (إذا أخرج يده) وهي أقرب ما يرى إليه (لم يكذبها) لم يقرب أن يراها

ففسلا عن رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يوقه لأسباب الهداية (فقاله من نور) وأما الموقف  
فله نور على نور كما تقدم في مثل المشكاة . واعلم أن الآيات المتقدمة قد اشتملت على ﴿ النظم الأول ﴾  
تسبيح الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله في مثل المشكاة ﴿ والنظم الثاني ﴾ السحاب المنسج  
في مثل أعمال الذين كفروا إذا كان فوق الأمواج الهالجة في البحر اللجج الخ لك أخذ يذكر ما يناسب الأول  
قاتلا سبحانه أن كل من في السموات والأرض يسبحون له وخصص نوعا منها بديع الصنع عجيب الوضع  
والإحكام وهي الطير حال كونها صافات باسطات أجنحتها في الهواء مع تقلل أجسامها فبالحكمة ارتقاها  
وبالتظم البديع طيراتها مخالفة لسائر السواب الأرضية إذ قويت على مخالفتها ومقاومة القوة الجاذبة الأرضية فطلت  
إلى الجوّ وعاشت في الهواء الطلق فدلالتها على المبدع الحكيم أقرب وإبلاغها أحكم كل واحد مما ذكر (قد  
علم) الله (صلاته وتسبيحه) دعاه وتزييه وذلك إما باختياره كالإنسان وأما بطلبه كسائر الحيوان والطير  
فإنها وإن لم تصل كصالة الإنسان فإن غرائزها المستمعة من النور الأعلى تستمد الرزق والأحوال من المبدع  
وهذا الاستمداد والطب في معنى الدعاء بالفرزة والطبع وهي بما ركب فيها من دقائق الصنعة وبدائع الحكمة  
وما حليت به من الريش الناعم البهيج الجوف الخفيف والمناكير الممتدة للمساعدة على النهوض في الهواء . بذلك  
كأن تدل على حكمة نظمها وحكيم أبدعها . ألم تر إليها كيف كتب الجمل والارضاع على ذوات الأربع ولم تحمل  
هي ما لا طاقة لها به بل حكم عليها أن تبيض ولم تحمل أذى الجمل والارضاع خيفة أن يبيها عن الطيران  
ونخف ريشها وكان مجقوفا ولم يكن لها كرش ولا أمعاء واستغنى عن ذلك كله بغيره من الخصوة والقناعة . كل  
ذلك أبداع وإتقان لينم أسرار الطيران بمخفة الأجسام - فتبارك الله أحسن الخالقين - (والله عليم بما يفعلون)  
والله ملك السموات والأرض) فهو يشملهما بعلمه وعلمكما بقدرته . فبالعلم يقدر المصلح والبقدرته يفعل ما  
يقتضيه العلم من الحكمة فلذلك كان تدبيرها حكما بحيث خصص كلا بمخاصة لا يشركه فيها سواه (والى الله  
المصير) للرجوع . ثم أخذ سبحانه يذكر ما يلائم ﴿ النظم الثاني ﴾ فقال (ألم تر أن الله يرحم سحابا) يقول  
الله بعد أن ذكر في المثل الثاني أن السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجوّ غلظا ويوقع الراكب في حيرة  
ألم تر أن الله يسوق سحابا (ثم يؤلف بينه) أى يضم بعضه إلى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق  
بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل (ويترى من السماء)  
من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وألوانها (من برد)  
من التبريد والتان قبلها للابتداء أى أنه يترى البرد من السماء من جبال فيها . وذلك أن الأبخرة إذا  
تصاعدت فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحابا فإن لم يشتد البرد تقاطر  
مطرا وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والآن نزل بردا وقد يبرد الهواء بمافي  
من البخار بردا مفرطا فينقض وينقد بخاره سحابا وينزل منه المطر أو الثلج . وهذا المقام قد أوضحته فيما تقدم  
في ﴿سورة الزعد﴾ وستوضح قريبا (فيسحب به) بالبرد (من يشاء ويصرفه عن يشاء يكاد سنا برقه)  
ضوء برقه (ينهب بالأبصار) بأبصار الناظرين إليه من فرط الاضاءة وذلك من الهباب أن السحاب الذى  
ضرب به المثل في تقوية الظلمة يكون منه نور يكاد ينهب بالأبصار فهذا قد اشتق النور من الظلام والهداية  
من الضلال . فالسحاب الذى ذكر مثلا لظلمة أعمال الكافرين أسماء الجوّ بنور وأشرف في سائر الأقطار  
وكاد يحطف الأبصار وإلك أعقبه بما هو من قبيله فقال (يقب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبأن  
ينقص من أحدهما ما زاد في الآخر بتغيير أحوالهما نورا وظلمة وحرا وبردا وغير ذلك كما كان السحاب  
ظلمة واشتق منه نور البرق الذى يهر الأبصار (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) لدلالة لأهل العقول والبصائر  
على قدرة الله وحكمته

### ( فصل في علم الحيوان )

اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المؤمنين بالشكاة ومثل أعمال الكفر بالسراب وبالظلمات وذكر منها السحاب ثم جعل ذلك السحاب موضوع نظر وبحث وبين نظامه ومجاياه وأن الماء ينزل منه أنبعه سبحانه بذكر الحيوانات لأنها من الماء النازل من السحاب . وذلك أنه ملأ من حيوان إلا وهو مركب من مواد أهمها للماء قلادة نزل من السحاب وجري في النهر وتفرقت منه أجزاء فدخلت في جسم كل حيوان (١) فمن الحيوان ما ينقسم بالانقسام بمعنى أنه إذا بلغ أشده انقسم إلى اثنين كل منهما إلى اثنين وهكذا على التعاقب

(٢) ومنه ما ينقسم الحيوان منه إلى عدة حيوانات

(٣) ومنه ما إذا بلغ أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تنمو وتناسل ويموت هو

(٤) ومنها ما ينقسم بالتبرعم وذلك أنه ينبت على جسم الحيوان تنوء كالبرعم ثم يبلغ فينفصل ويصدر

حيوانا مستقلا

(٥) ومنها ما ينقسم بالبيض الذي يتكون الجنين في البيضة كما يحدث في ذوات الفترات . فنه ما يخرج فيه البيضة من الأنثى قبل بلوغ الجنين وتم حركاتها في التطور كالطيور وبعض السمك . ومنها ما تبقى البيضة في الرحم ويتكون الجنين فيه ثم يولد كاملا كالإنسان وذوات الأربع من البهائم والوحوش والبيع وما أشبه ذلك . فكل هذه تلد الجنين بعد أن يقر في بطنها وهذه الحيوانات على اختلاف أنواعها مكوّنة من الماء عتقلا بغيره فترجا به متحداه وهي

(١) إما حيوانات فقرية ذات عظام ودم وهي (أ) الإنسان (ب) وذوات الأربع (ج) والطيور (د)

والسمك (هـ) والزواحف كالحيات

(٢) ولما حيوانات حلقية قد تركب جسمها من حلقات (١) وهي الحشرات كالقمل وأبي دقيق من كل مائة ستة أرجل (٢) والعناكب وهي ذوات ثمانية أرجل (٣) ومائة أكثر من ٤٠ رجلا (٤) وقارض الخشب (٥) والنبود

(٣) ولما حيوانات قشرية ليس لها عظام ولادم ولا حلقات تركب منها جلدها وإنما جسمها هلامي قد يحفظ في قشر عظامه وذلك كالثقوبة وغيرها مما تقدم شرحه في هذا التفسير

(٤) ولما حيوانات شعاعية تظهر على شواطئ البحار كالحيوان المسمى (سمك النجم) وغيره مما تقدم شرحه موضعا ولعلها تتضح بأوسع من هذا قريبا

هذه هي أقسام الحيوانات وقد صلت أنها كلها خلقت من ماء أي أن الماء داخل في تركيبها . فتعجب كيف ذكر الله السحاب في مثل أعمال الكفر ثم شرح السحاب ومجاياه ثم ذكر الحيوان المخلوق من الماء من حيث تركيبه منه وكذلك أكثر الحيوانات يتولد من طفلة وإنما قلنا أكثر لأن بعضه قد رأيت أنه يتولد من تنوء في الجسم أو بالانقسام . فهذا ليس تولده من طفلة بل ذلك بالانقسام - وورك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله تعالى عما يشركون - وإذا فهمت هذه اللقمة عرفت أيها القارئ قوله تعالى (ولله خلق كل دابة) حيوان يدب على الأرض (من ماء) وهو جزء مادته أرواء مخصوص وهو النطفة وقد صلت شرحه وأقيا كاملا (فهم من يمشي على بطنه) إشارة إلى الزواحف التي هي من ذوات الفترات كالحيات (ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) وذلك كالطيور وكبعض ذوات الأربع كما تقدم (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر وما لم يذكر ومنه ذوات الحلق وذوات القشور والحيوانات الشعاعية وما يمشي على ستة أرجل وعلى ثمانية أرجل وعلى أربعين رجلا . وهذه تقدم أنها من ذوات الحلق (إن الله على كل شيء قدير)

وهو بقدرته نوع الحياة فلم يخص بها ذوات القتراث ولا ذوات الحلقات ولا الحيوانات ذوات القشر التي جسمها رخو قترها جعل الحياة سارية عامة فلا يحجبها فقد العظم ولا فقد اللحم ولا فقد الحلقات ولا فقد القشر . وترى السودة العارية التي لا عظم لها ولا جلد عالته فرحة . وترى نوع الحشرات وحده كالنمل والنمل والبعوض والناموس والجنادب والخنافس والنحل والجملان ودود القز ونحوها أصنافا كثيرة ربما زاد عددها على مجموع سائر أصناف الحيوانات من السود إلى الإنسان . ولقد وجدوا أن الخنافس وحدها نحو (٨٠٠٠٠) صنف ولذلك يقترون الحشرات المعروفة بنحو (٢٠٠٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يشكفونه من أنواعها الصغيرة مليون صنف . وهذه الحشرات كلها ماعل منها وما لم يعلم يمر في دور التكوين على ثلاث درجات فهو يكون دودة لينة للملص تنسل بين التراب أو الأعشاب ثم تصير جنبا صلب القشر يلب وثبا ثم تصير فراشة ذات أجنحة تتلألأ بالألوان الزاهية . وقد تأكل في دورها الأول التراب قهضمه وتصيح في دورها الثاني لانهمض إلا أوراق العشب السدية . ومنها دود الحرير فهو يكون دودا فشرقة فراشة ثم تبيض الفراشة بزورا والبزور تصير دودا والسود يفرز لعابا واللعب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكم فيه وهي الشرقة ثم يخرج من الشرقة فراشا بأجنحة يتزاوج ويبيض . ومنها القباب الاعتيادي فهو يلقى بزورا صغيرة يبيض تصير دودا أبيض وهو السود المعروف التي يشاهد في اللحم للثقل والجبن والملح القديم ثم يتحول ذلك السود إلى جناب ثقب لا أجنحة لها ثم يتحول إلى فراش يطير ومنه القباب الفارسي فانه يكون في الدور الأول دودا ثم يطلع فويه ويصير جنبا يلب تحت الماء ينسلق الأعشاب للمائة وله قوائم قصيرة بلا أجنحة ولا يعيش إلا في المياه أو الأوحال فإذا جاء أجل انتقله إلى فراش تسلك أوراق العشب وتخلع ثوب (الجندي) فإذا هوجار من تحتها ذا أجنحة صغيرة جبلة وبعد قليل تصير كبيرة يطير بها إلى حيث يشاء . وكان الناس قبلا يظنون أن كل دور من هذه الأدوار حيوانا مستقلا فالسودة غير الجنب والجنب غير الحشرة الطائرة وهكذا . واعلم أن الناس يأكلون الجبن واللحم ويرون فيها السود ولا يخطر ببالهم أن هذا السود هو عين النمل الذي يطير على وجوههم وطعامهم أنه هو هو وهذا السود هو الذي يصير جنبا أو شرقة ثم يصير حشرة طائرة وهي التي تبيض ويبيضها يصير دودا . ومن ذلك الناموس فانه يضع بزورا في الماء تصير دودا فيه وذلك السود يصير شرقة وهي تصير ناموسة وهكذا . والطريقة لإبادة الناموس ردم المستنقعات والأجم أو تقطيع سطوحها بالسائل المسمى بقول . وهذه الأدوار الثلاثة لهذه الحشرات مختلفة . فالسودة لا عمل لها إلا الاغذاء كالأطفال في بني آدم فهي تموت وتزيد ثم تنكش كما ترى دودة الحرير وقد تنكش ثوبا تنسجه على نفسها من خيوط فهي حينئذ الشرقة وهي كتنة محنة ملفوفة بالأكفان ثم لا تلبث أن ترى الحياة أخذت ثقب في تلك الكتنة رويدا رويدا حتى تبث من مرقعها وتخلع أكفانها وقد لبست ثوبا جديدا زاهي اللون من أزرق أو أخضر أو أحمر أو ذهبي أو عتيقي أو بنفسجي . فتجذب من حشرة بهجة اللون بديعة التركيب منقشة مرقشة نشأت من رقعة جافة لا تظهر للحياة فيها أثر . ومن هذا نشأ هديس المصريين القدماء للبعملان (جمع جعل) فانها تنشأ من رم مائة فرمزوا بها للحياة والنصب وأكثروا من رسمها في كتاباتهم وتتشوها على الهياكل وصنعوا لها القنايل بأقمار مختلفة وكانوا يصلون لها . فاجب لصنع الله وكيف خلق هذه الجباب ولون الألوان وأبدع الأشكال وحير الأبواب حتى جعل علم الحشرات مدهشا . وقد قدم بأوسع من هذا في آخر (سورة الحج) ولعمري ان المسلمين أحق الأمم بفهم هذه الجباب

أي عذر للمسلمين في جهالتهم . يقول الله في هذه الآيات - ففهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . فانظر كيف قال انه يخلق ما يشاء وقال انه على كل شيء قدير مشيرا بذلك إلى الاختلاف وحسن الصنع الذي رأته

وكيف كانت الحشرات موضع العجب للأثم حتى قدس المتقدمون من الأمم عنها لأن علماءهم لم يبينوا لهم عجائب إلا عجائبها ولوانهم فتحوا لهم باب العلم على مصراعيه كما فتحه القرآن لم يقفوا في العجائب عند حد الجعلان فقتلوه بل التفتدس لصاحب الصنعة التي زين وقش وزخرف وأبهج صنعه وأبدع افتقانه وجعل دودة ربا هضمت الطين فصير فراسة لاتهمض الطين ولاتأكله بل تأكل ماهو أظف . إن هذا العالم عجيب - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون - وههنا ربع لطائف (١) في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله - كمشكاة فيها مصباح - الخ

(٢) وفي قوله - والله يرزق من يشاء بغير حساب -

(٣) وفي قوله - والطير صافات - الخ

(٤) وفي قوله - وينزل من السماء من جيل فيها من برد - الى قوله - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار -

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - ﴾

اعلم أن هذه السورة قد بين الله فيها أحكام الزانية والزاني وجلدتهما وبين حكم من رى زوجته بالزنا وعقابه وبين حكم الملائنة وكيف يتفرق الزوجان بها ثم قصة الافك وكيف خاض الناس فيه وجعل هذا الحديث كحديث مريم ابنة عمران في عفتها وانها أحصت فرجها . ثم أبان كيف يجب أن يصفوا الانسان ممن ظلمه كما امتثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ففعا عن مسطح . ثم أمر الرجال والنساء بنفض الأبصار وحرم عليهن أن يظهرن زينتهن لغير المحارم ثم بين حكم النكاح والمكاتبه تكثيرا للنسل في الأول وحفظا للفرج وهتقا للمبيد الذين هم عباد الله وبين انه يجب أن ينفق من المال في سبيل العتق فان المال مال الله والخلق عباد ففتحها لباب الحرية لأن نبينا ﷺ أرسل رجلة للعالمين ومن رجه لهم أن يكون دينه فاتحا لباب الحرية والاطلاق العبد من رقهم . ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبينات ومواضع للتقين . ولما كانت هذه الأحكام إنما أتت بها لتعليم الأخلاق والأداب وحفظ المجتمع مما يقوؤ دعائمه وتقويه بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقدمات لما هو أعلى مراما وأجمل وأعظم وهي المعارف والعلوم أردفه بقوله - الله نور السموات والأرض - كأنه تعالى يقول أيها الناس لاتلهكم الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وأحكام الزنا والنكاح والقذف وما أشبه ذلك لاتلهكم عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتا الزكاة كما قال في آية أخرى - يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . - فههنا كأن الله يقول لاتلهكم أيها الناس أحكام النكاح والقذف والعتق وحده والزنا وعقابه عن عظام الأمور وجلائها . أيها الناس ارفعوا رؤسكم الى أعلى . انظروا الى جلالى ونورى في شمسى وفي قمرى وفي النبات والزهر والنهر . أنا لم أنخلقكم في هذه الأرض لتكونوا فيها خالدين وانما خلقتكم لتعيشوا آمين أمدا ثم أنقلكم الى دار أجل من هذه ولن تنالوا تلك الدار الجيلة إلا اذا نظرتم جلالى وفهمتم بعض حكمى وابتدا ذلك بقوله - الله نور السموات والأرض - الخ

واعلم أن الله جعل هذا المثل تبراسا للعوالم المشرقة . ضربه بما نشاهده كل يوم في مساجدنا . يقول الله أى عبادى أريدون أن تعرفوا حكمى في خاتى . انظروا القناديل المعلقة في مساجدكم . انظروها الآتروا أنوبة فيها زيت أحاط بها زجاجة اشعلت فيها نار فأضاءت المساجد وأتم تصالون فيها . فهذا نظام مركب تركيبا أنتج هذا النور الذى أشرق على أبصاركم فأضاء لكم مساجدكم هكذا نورى المشرق في عجائب خلقى . وههنا أخذ الناس يفكرون في ذلك التمثيل فقوم خصوه

(١) فقالوا ذلك تمثيل لحمد ﷺ

(٢) وقوم قالوا لآبراهيم عليه الصلاة والسلام

(٣) وقوم قالوا ذلك لكل مؤمن فعمموا

(٤) وقوم قالوا . كلا . بل هو لكل انسان أى لقواه البراءة

(٥) وقوم قالوا بل هو لقواه العاقبة

(٦) وقوم قالوا هو للقرآن

اختلفت أنظار العلماء في هذا التمثيل على مقدار فهمهم ومقتضى نظرهم ومقامهم في العلم فمن كان لا يعرف إلا الإيمان قال به . ومن كان مغمورا في نور النبوة قال بها . ومن كان ذا نظري السموات والأرض والعالم عم المثل فتارة أرجحه لنفس الانسان وتارة لقواه الفارقة وتارة لقواه العاقبة . وهذا أعم للأقوال لأن الانسان يشمل الأنبياء والإيمان القائم بالقلوب . واعلم أن هذا المثل اللفظي الذى جعل مشا كلا لهجابت أجسامنا وعقولنا وادراكنا أشبه بما نصبه الله في الأرض من الأجسام الانسانية إذ أحكم منها ونظم أعضائها وخلق وسوى وقتر وأحكم لجعلها العلماء تمثيلا لأمور وهي

(١) كالسيفنة تركبها الروح في بحر الحياة اللبجي حتى تصل الى شاطئ الموت

(٢) أو كالدار فيها السكان المختلفون من القوى البراءة وأعضاء الحس وأعضاء الحركة والمهاضمة والمصورة والغاذية وما أشبه ذلك وفيها أمتعة كالصقراء والهم والبنم ونحوها

(٣) أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتتعل حتى اذا علمت ما تطيقه رمت باللوح وراحت الى ربها كما ان الطفل يقرأ في اللوح ويتعلم حتى اذا عرف القراءة المطالبة ترك اللوح وذهب الى ما يريد

(٤) أو كالدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها الخ

(٥) أو كالذكان والروح صاحبها والأعضاء الباطنة مناهها والأعمال بحارها والريح والشمس في آخرتها وهكذا . وهكذا هذا المثل وهو قديم المسجد

﴿ الوجه الأول من الوجوه السابقة ﴾

إن هذا التمثيل لنور محمد ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه البوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد ﷺ وأمره يبين للناس ولولم يتكلم به انه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولولم تمسه نار

﴿ الوجه الثانى ﴾

المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية ليهودى ولا نصرانى . توقد من شجرة مباركة . وهو ابراهيم عليه السلام . نور على نور . نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ وهذان الوجهان متقاربان

﴿ الوجه الثالث ﴾

المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ . سعى الله محمدا مصباحا كما ساء سراجا منبرا والشجرة المباركة ابراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه . لاشرقية ولاغربية . يعنى ابراهيم لم يكن - يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان خيفاء مسلما . لأن اليهود تصل الى الغرب والنصارى تصل الى الشرق

﴿ الوجه الرابع ﴾

انه لكل مؤمن وهذا أرقى مما قبله وأوسع مدى على حسب ارتقاء النظر واتساع الفكر فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح الإيمان في قلبه والقرآن يوقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده وهذا التمثيل وإن كان أعم مما قبله فهو قاصر على قوم مختصين

﴿ الوجه الخامس ﴾

إن هذا تمثيل لما منح الله به عاده من القوى البراءة الخمس التى بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التى

نترك بها المحسوسات بالحواس الخمس . والقوة الخيالية التي تحفظ صورتك المحسوسات لتعرضها على القوة العاقلة متى شئت ثم العاقلة التي تترك الحقائق الكلية وتستنتج . ثم القوة القدسية التي تجلّى فيها لوائح الغيب الخاصة بالأنبياء فهذه مثل لها بالشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألا ترى رعاك الله أن المشكاة بمعنى السكوة قد شابهت محال الحواس التي قد وضعت فيها ووجهها إلى الظاهر ولا تترك ما وراءها كالعين فأنها لا تترك ما خلفها ولكن تترك ما أمامها ثم أنك تعلم أن الإنسان إذا أدرك المحسوسات وصورت في نفسه صارت في القوة الخيالية كما يحس به كل إنسان فأننا إذا أخفطنا أعيننا فأننا نترك في أنفسنا تلك الصور التي رأيناها فهذه القوة التي حفظت تلك الصور نسميها الخيالية فهي كالزجاجة قبل صور المدركات وتضبطها ثم إن قوتنا المفكرة أكبر من هذه القوة الخيالية فإن هذه القوة السكّنة فينا تنصرف في الصور التي في قوة الخيال فتقول هذا حسن وهذا قبيح وتستنتج فهي كالمصباح . فأما القوة العاقلة فهي كالشجرة المباركة لأنها تؤدي إلى ثمرات لإنهاية لها . فأما كونها زيتونة لاشرقية ولاغربية فذلك أنها تجرّد للعاني عن الصور وتخضع القضاء الكلية التي لا تخص شيئاً بعينه أي لاتقيّد بالجزئيات . فإذا أدركت أن الكل أكبر من الجزء وأن الشئين المساويين لشيء واحد متساويان فلم يكن هذا المعنى خاصاً بشئ دون شئ فهو لاشرقى ولاغربي بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء فهي لشدة صفاتها تكاد تضيء بالعارف من غير تعليم ولا تفكر .

#### ( الوجه السادس )

إن هذا تمثيل للقوة العاقلة وحدها . فهي في بدء أمرها خالية من العلوم ثم تنقش فيها العلوم بالحواس الخمس فتصير كالزجاجة متألّفة في نفسها قابلة للأشوار ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة التي زيتونة أو بالحنس كالزيت أو بقوة قدسية كالتي يكاد زيتها يضيء فأنها تكاد تعلم وإن لم تتصل بها العلوم . فإن اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شئت فهي المصباح فإذا استحضرتها كان نوراً على نور

#### ( الوجه السابع وهو أسهلها )

قال ابن عباس ( هذا نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور )

هذه هي الوجوه السبعة التي ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآية سالحة لها جميعها لأن الأنبياء ونوع الانسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة في المساجد . وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل انظروا إلى هذه القناديل المعلقة في مساجدكم التي نورت أرضها وحيطانها . هكذا أما آتت قلوبكم وقلوب أنبيائكم وعقولكم وحواسكم وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ، إبراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الانسان وحواسكم وعقولكم وخیالكم وقوّاتكم العاقلة . كل هذه أنوار مثلت لها بهذه القناديل . أتى نور السموات والأرض . آتت السموات بالكواكب والشموس وآتت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم وجعلت كل شئ بحسب ونظام وجعلت هذا القنديل مثالا لكم وأتمّ صلواتي في مساجدكم فهذا القنديل أذكركم بنوري في سمواتي بالكواكب والشموس والأقمار . وهو مثال أيضاً للأشوار المشرقة في نفوس أنبيائكم كمحمد وإبراهيم وقواكم العاقلة والحاسة والخيالية ومجائب نفوسكم . إن نوري مشرق في العالم العلوي والسفلي

#### ( عجائب القرآن في قوله تعالى أيضاً - الله نور السموات والأرض - )

انظر أيها الذكر إلى نظم القرآن ومجائبه . انظر وتجب . انظر كيف أتى بعد آيات العلق والنكاح والقذف والملاعنة بآيات النور . يقول الله أيها المسلمون . إياكم أن يشغلكم أحكام الشرع وإقامة الحدود ونظام

الأسرات والزواج والعق والمكاتبه وأحكام الحرام والحلال عن النظر إلى عجائب خلقى . إياكم أيها المسلمون أن يصرفكم صارف عن عجائب صنئى . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم الكائنات . انظروا إلى السراج الموضوع أمامكم فى كوة المسجد . انظروا . إن سمواتى فيها سرج من الشمس والأقمار والسيارات . إن عقولكم فيها سرج . إن حواسكم وقواكم الداخلة فيها سرج . إن دينكم سراج . إن أنبياءكم سرج . إن المؤمنين سرج . لئى أمأت كل شئ بأنوارى وعلاوى ظاهرا وباطنا . إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالقنوء والأصايل فلا تلهيهم تجارة ولا بيع . هكذا لا يشغلكم ما تقدم من علوم الفقه فى هذه السورة وغيرها عن النظر إلى عجائب صنئى . هذا هو الذى فهمت أيها التكن من هذه الآية وقوله - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الخ

اللهم إني أسألك أن تقرنى على اتعلم تفسير القرآن وأن تنشره بين المسلمين . اللهم إني أسألك أن تنير بصائرهم كما أنرت السموات والأرض وأشرفت الأرض بنورك . اللهم ابعث فيهم رجلا منهم يرشدونهم إلى مقاصد القرآن فترتقى الأمم إلى سبل النجاح وطرق الفلاح

( إيضاح الكلام على التبديل والمشكاة فى المسجد )

نئين لك فيما تقسم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن ضعف النوع الانساني وأن المسلمين بعد القرون الأولى سيصحبون قاصرين على الأحكام الشرعية وهم فيها غير مأمومين ولا مدمومين ولكن اللوم والذم إنما يتوجه إليهم لقصورهم واقتصرهم على الأحكام الشرعية . لذلك تراه فى (سورة البقرة) لما ذكر الحيف والرضاع والنققات والطلاق والعدة والرجعة وما أشبه ذلك فأجاب المسلمين بقوله - حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين - ولقد بنا هذا القول هناك خارجا إليه كأنه يقول للمسلمين إياكم أن تشغلكم القضايا والشهود والزواج والطلاق والعدة والمهر والنفقة والعدة وسائر الأحكام الشرعية عن التوجه لله فان هذه أمور لحفظ نظامكم وارتقاء مدنكم واسعادكم فى الحياة الدنيا . فأما ارتقاء العقول فأنما يكون باتجاه النفوس إلى خالق الكون وذلك بالمحافظة على الصلاة والتوجه إلى الله فيها . هذا ما كان هناك . ولكن اسمع ما هو أعجب هنا . هناك ذكر الصلاة وهنا أتى بما هو أعظم مقاما وأبعد إحكاما . لم يكتب بالصلاة بل ذكر المقصود الأعظم من الصلاة ومن جيع هذه الحياة إذ عبر بالنور الذى عم السموات والأرض نور الشمس ونور القمر ونور السراج . ومآثور السراج إلا أثر من آثار أنوار الشمس . ألا ترى إلى الزيت كيف كان فى الشجر والشجر كيف كان عناصر أرضية والعناصر الأرضية كانت مادة ساذجة لاصورة فيها والمادة قيس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكل هذا ذكر نور السموات والأرض بالكواكب ومثل بالسراج النئى هو أثر من آثار النور العالم مثل به لما هو أنم وأكل وهو نور العقول والبصائر . وإيضاحه أن تقول . اعلم أن العقل عند الحكماء كأرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط والفارابى وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد وأضرابهم إما عقل بالقوة وإما عقل بالفعل وإما عقل مستفاد وإما عقل فعال وهذه هى التى ضرب لها مثل المشكاة على حسب الحقيقة وما تقدمت إنما هو أجال وهذه المباحث لا يعقلها إلا الحكماء . ولكنى سأضرب لك مثلا يوضح المقام لك حتى تطلع على عجائب الحكمة وبدائع العلم وتقف على السر المصون والجوهر المكنون فأقول

تصور شابا ذكى الفؤاد رائع الفكر قويت ذهنه مستعدا للتجارة فهذه حال أولى وهو فى صفه ثم إن هذا الشاب تعاطى التجارة وأخذ يقلب المال لتصدر الربح فكسب ألفا وبالأل كسب ألفا أخرى وبهما كسب ألفين وهكذا فهذه حال ثانية . ثم انه اذا اجتمع عنده آلاف وقال الفنى على مقدار طاقته بحيث لا يقبل الزيادة وأخذ يقلب المال كله مرة بعد أخرى فهذه حال ثالثة . فهذه الأحوال الثلاثة يمكن أن نسميها على الترتيب



غنى بالقوة وغنى بالفعل وغنى مستفاد فهو قبل أن يملك شيئاً غنى بالقوة أى انه فى امكانه أن يكون غنياً ومضى ملك شيئاً بعد شيء يقال انه غنى بالفعل بالنسبة لما ملكه والقوة بالنسبة لما لا يملكه فإذا تم غناه يقال انه غنى بالفعل ولم يبق هناك ما هو بالقوة بالنسبة له فإذا قلب المال مرة بعد أخرى يقال ان هذا غنى مستفاد . هذا مثال أول ( للمثال الثانى ) شاب ذكرى كالتقدم هو ابن ملك فهو قبل أن يملك يقال له ملك بالقوة فإذا ملكه أبوه ولا ية يقال له قد ملك بالفعل شيئاً والقوة شيئاً آخر فإذا مات أبوه وولى مكانه قيل انه ملك بالفعل فإذا أتى الأمر مرة بعد أخرى قيل ملك مستفاد مثلاً . هذان المثالان اذا عقلتكما أدركت ما سأوضحه لك الآن فأقول . اعلم أن العقول الانسانية فى أول أمرها مستعدة لاقتصاص الصور من هذه المادة التى نعيش فيها فكل امرئ فى أول حياته ينظروا ويسمع ويشم ويلتصق وهذه المنقولات والمسموعات والمسموعات والمبصرات صفات المادة وصورها وهذه الصور جلايب للمادة وقد عطاها الحكماء فكانت ( ٣٣ ) كالألوان والأصوات الخ فهذه الجلايب التى كسيت بها المادة خلق العقل ليكتسب بها ويلبسها فان الطفل نراه مستعداً لتعلم ماحوله ودراسته فهو قبل فهم الأشياء عقلها بالقوة لا بالفعل أى انه مستعدٌ للعقل فإذا عقل صورة بعد صورة وعلم بعد علم يقال انه قد عقل شيئاً بالقوة وشياً بالفعل فاعرفه صار معقولا بالعقل وما لم يعقله صار معقولا بالقوة فإذا انتهت معالوماته بأن درس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والسياسية والأخلاقية بحيث وصل الى ما يطيقه نوع الانسان يقال ان له عقلاً بالفعل فإذا استحضر هذه المعقولات التى خزنها عنده بعد أن صارت بالفعل يقال ان هذا العقل مستفاد . هذه هى المراتب الثلاث التى تقدمت فى مثال التاجرونى مثال ابن الملك . فهذا العقل المستفاد فى نوع الانسان القى لا يكون إلا لأكابر الحكماء له نظير فى عالم غير عالمنا وهو العقل الفعال . ومعنى العقل الفعال العقل القى لم يقتصر علومه من المادة بل علومه مفروسة فيه بغيره فان المادة قد كسبت الصور اللاحقة بها من ذلك العقل ورسم فيها ما كان مرتسماً فيه وجميع الأحوال القائمة به ترسم فى المادة مقسمة عليها وتلك العلوم فى العقل الفعال غير منقسمة فيه لكنها منقسمة فى المادة موزعة عليها ففرها جمعت بين الزرع والجبر والنهر والكوكب الخ ولكن العقل الفعال جمع هذا كله غير مفرق ولا منقسم كما ان عقولنا تجمع هذا . وهى غير مقسمة ولا مجزأة بل هى واحدة منزهة عن التقسيم كما هو مبهر من عليه فى كتب الحكماء . وهذا العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا . فإذا كانت أبصارنا مستعدة للأبصار . ومعنى كونها مستعدة انه لو أشرق نور فى الهواء وعلى قرينة العين وعلى عصبيتها وأحضر الصور على شبكيتها أدركته ووصلته للعين فهكذا عقولنا اذا أشرق العقل الفعال عليها اشراقاً معنوياً كاشراق الشمس فى الهواء وفى العين فان المعانى تتحمل فى عقولنا كما رسمت الصور الصورية فى القوة الباصرة فالعقل الفعال كالشمس والعقول كالعيون واشراق العقل الفعال المعنوى كاشراق الشمس الحسى . فصور العقل فى الصور فى العقول كصور المراتب فى أبصارنا . فإذا حصلت للمعقولات فى نفوسنا واستغنينا بها علوماً أخرى وهكذا فانه يقال إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه والقوة بالنسبة لما لا نعرفه . فإذا ارتسمت العلوم فى نفوسنا يقال انها عندنا بالفعل ثم يكون العقل المستفاد ثم إن العقل بالقوة كأنه مادة للعقل بالفعل والعقل بالفعل كأنه مادة للعقل المستفاد والعقل المستفاد كأنه مادة للعقل الفعال والعقل الفعال كأنه صورة له وعلى ذلك يكون هذا الوجود مرتباً فى عقولنا من الأدنى الى الأعلى فالتا نترك الباطن ثم المركبات ونترك الصور المحسوسات التى هى أخص من المعقولات ثم نترك الكليات ثم تتم عندنا وتكمل وتكون عقلاً مستفاداً فأما فى العقل الفعال فان العلوم فيه تتنزل من الكليات الى الجزئيات بلا زمان بل هى فيه هكذا أبداً وهى تكون فى المادة من الأدنى للأعلى

### ﴿ الصورة والمادة والمعاني والعقول ﴾

إياك أن تظن أن المعاني التي تنقش في عقولنا مثل الصور التي في المادة سواء بسواء . كلا . إن الصور التي في المادة منقوشة فيها . ولقد اعتاد الناس أن يقولوا إن الصورة غير المادة . ألا ترى أن نقش الخاتم شيء والمعدن الذي نقش عليه شيء آخر كما إن الإنسان شيء واللباس الذي يلبسه شيء آخر فها هنا ليس كذلك فان المعاني التي تقتضها عقولنا من المادة تصبح هي نفس عقولنا . وكما أنك إذا رأيت صورتك في المرآة لم يكن هناك شيء غير الصورة فالصورة هي عين المصور ( بالفتح ) إذ لامادة هناك فالصورة والمصور شيء واحد هكذا عقولنا . فكل معنى عقلنا أو فضاءا اقتبسناها فهي هي عقولنا . فأنه أخرجنا من بطون أمهاتنا لانعلم شيئا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة فاقترضنا من المادة معلومات وتلك المعلومات أصبحت نفس عقولنا لاشئ وراءها فليست صفات لعقولنا بل هي نفس عقولنا كما إن صورنا في المرآة ليست شيئا سوى الصورة فإذا نحن عقلنا أنفسنا فالفعل الذي عقلنا به هو نفس العقل . فاذن يكون عقلنا عقلا وعاقلا ومعتقلا فإذا تعقل الإنسان نفسه فالفعل هو العاقل وهو العقل إذ ليس هناك شيئا من متغيرات كالجسم واللباس عليه وكالمادة والصورة بل هما شيء واحد . هذا هو السر الذي تراه في ثنايا الكتب الفلسفية قد أوضحت لك هل قدر الامكان وبه تعرف كيف انتقل الناس من أدنى الامور الى أهلاها . فينظام ينظرون الألوان والأصوات اذا هم يرتقون الى السكيات اذا هم ينكرون في العقول وقد استكملت علومها اذا هم يقولون بالعقول المستفادة التي تحضر للعقول متى شئت اذا هم يرتقون الى العالم الأعلى أى الذي ليس في مادة ويقولون اذا نحن قدرنا هاتى الأرض أن نكون عقولا بمجرد الاطلاع على هذه المادة وأخذ صورها والتصرف فيها واننا نلبس ملابسها وتصبح حلال لعقولنا ونذهب بها الى عالم آخر فأخبرنا أن قول ان هناك عوالم لم تكتسب علومها من المادة بل علومها فيها كاملة . واذا كنا نقول ههنا مادة فيها صور تعلمنا منها وأخذنا العلم عنها وهي حاضرة أمامنا وأصبنا عاقلين بها فها هنا تنكص على أعقابنا ولا نقول ان هذا العقل الذي كسبناه منها على منوال العقل الذي أكسبها هذه الصور ولتلك نرى أنفسنا نحن حذوه فتتبع بهذه الصور التي طبعها ذلك العقل في المادة وهذه العقول التي غرست فينا واستعنت ليمرس هذه المادة مستمدة من ذلك العقل الفعال والعقل الفعال قد جعل هذه المادة كالوح قروره قوسنا فقلده ويشرح ماخذه في لوح الطبيعة وتنحون نحو العقل الفعال لأننا نرى أن الأبناء يسبون على طبيعة الآباء . فاذا كنا نرى جميع صفات الحيوان تتبع في نظامها وسيورها نظام آبائنا ووجدنا عقلا لما كان عقلا بالقوة أخذ يسعى سعيًا حيثما حتى استكمل المعقولات فما الذي يمنعنا أن نقول ان العقول الانسانية تحتذى حذو عقل ليس في مادة وتقلده وتستكمل العلم لتبلغ شأوه أو تقرب من ذلك الشاؤ كما كان صفات الحيوان يتبعن آباءهم وأن ذلك العقل الفعال فيه النظام غير مسخه من المادة لأنه لا يحتاج اليها . أما عقلنا فهو اليها محتاج وعليها يقول ولقد أوضحت لك المقام والله هو الولي الجيد أفلاتنظروا توجب كيف ذكراته فتسديل المسجد ونور الكواكب وأشار بنور القنديل الى أنوار القلوب والى ما ينقش في العقول من المعاني وكيف انتقلنا من مقام الى مقام حتى وصلنا الى عالم الملائكة . ولعمري ما ضياء القنديل في المسجد إلا لظواهر الحيطان والسقف والأرض وأن الحقائق في العقول لتفصل تفصيلا وتعرف تحقيقا وقد بين الله ما هو أجل مما هو أقل لأن ما هو أقل أعرف عندنا وما هو أجل مجهول لدينا . وهانحن أولاد وصلنا من هذا المقال لعالم الملائكة - والله من ورائهم محيط - • وقال الشاعر

على نفسه فليكن من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ قطرة ماء في تضيق قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض - ﴾

اعلم أن الناس اعتادوا أن يعرفوا عظمة هذه الدنيا بالنظر في السموات والأرض . والقرآن طافح بذلك

وهذا التفسير قد عني بهذا أشد عناية . الله أكبر . جلّ العلم . فهل لك أن أحدثك حديثا جليلا عجيبا في هذه الدنيا التي نعيش فيها تطبيقا على هذه الآية ومن هذا الحديث يجعل لك أن العلم الحديث أظهر أن جميع خيرات هذه العوالم تفسير هذه الآية وأن هذه الدنيا كلها نور خلقه الله وأن هذا العالم كله نور واثنا نعيش في وسط النور وأن ما تراه من حيوان ونبات وساء وأرض وحجر ومطر . كل هذا مالم إلا نور متجمد كما تجمد الماء فصار ثلجا . فهذه العوالم التي شرحنا الأم كلها وذكر مجملها القرآن تدخل في هذه الآية . ومتى سمعت ما أقوله لك الآن وتحققت انشرح صدرك وتمنيت أن ترى هذا النور عيانا وأن تعجب عنك هذه الدنيا وصورها الزائلة وتمتع بجمال لانهاية له . فهاك اسمع ما يقوله العالم (هنشو) الذي يكتب في (مجلة هاربر) الأمريكية في سنة ١٩٢٦ وهذا القول نشر في مجلات أخرى فأريد أن أسمعتك ملخص ما يقوله ولكني أحافظ على الحقائق العلمية والمقابر تماما وأورد القول بإيضاح يناسب هذا التفسير حتى تعرف نور الله وجهه الذي أشرق في الأرض اليوم وأصبحت علوم الأمم في الشرق والغرب مفسرات للقرآن وهم لا يشعرون . يقول (هنشو) إن بعض قطرات الماء قد يكون قطرها ثلث سنتيمتر . ولاجرم إنك أيها الذكر تعرف هذا المقياس فهو مشهور لأن السنتي جزء من مائه من المتر قال فلنكبره

(١) وأخذ يكبره تقديرا مرارا حتى أوصل قطره الى (١٥) سنتيمترا . يقول ومتى صارت قطرة الماء هكذا أصبحت كثيرة الانجفاف وظهرت عليها ألوان قوس قزح

(٢) وإذا كبرناها حتى صار قطرها (١٧٠) مترا زال ظهور قوس قزح ولا يرى فيها إلا الماء لا غير

(٣) وإذا كبرنا قطرة الماء فصار مائة ميل . قال حينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة ويكون كل جوهر صغير من الماء قد صار مثل (الجوزة) حجما وقياس قطره سنتين ونصف ومعنى هذا أن جوهر الماء المذكور لا يمكن قسمته الى قسمين كل منهما ماء بل لا يمكن الانحلاله الى العناصر التي ترك منها . فهذا هو الجوهر المائي في حده الأدنى الذي لا يقبل القسمة الى قسمين مائين بل يحلل الى عناصره الأصلية التي لا تسمى ماء وهما الأكسجين والهيدروجين . وهذا الجوهر المائي الذي كبرناه وقلنا انه لا يقسم اذا أسكنناه فرضا وجدناه أشبه بالجر صلابة لاتحاد الأكسجين والهيدروجين اتحادا قويا جدا لا يمكن انضامه إلا بأعمال كيميائية لا عمل لذكرها ولكن هذا الجوهر المذكور يجب علينا أن نعرف ما فيه لأن العلم لاحد له وشوق النفس لانهاية له . وفوق كل ذي علم عليم . فما أشوقنا الى أن ندخل هذا الجوهر الصغير من النقطة كما دخلنا النقطة ونفرجنا عليها ونحن راكبون في سفينة تجري في ذلك البحر اللجي . قال حينئذ تكبر النقطة مرة رابعة

(٤) ففعل قطرها مائة ألف ميل فيصير قطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكبر من أر بعين قداما بعد أن كان سنتين ونصفا . ولكن هذا التكبير لا يفيدنا إلا أمرا واحدا وهو اننا نرى كل جوهر مائي مؤلفا من (ثلاثة جواهر أحدها) وهو الأكسجين في الوسط والآخرا واحد عن يمينه وواحد عن يساره وهما من الهيدروجين . وهذه الثلاثة جواهر فردة أي انها لاتنقسم ومعنى انها لاتنقسم انها اذا حلت لاتكون أجزاءها أكسوجينا وهيدروجينا بل أشياء أخرى ستعلمها . هذه الجواهر الثلاثة أشبه بخلاص مسافات لا غير لامادة فيها وجوهر الأكسوجين التي في الوسط عبارة عن قنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه (٢٠) قسما وهذه الدوائر هي سطحه والجوهران اللذان من الهيدروجين حوله مائا إلا دائرتان من النور قطر كل منهما سبعة أقدام تنوران حول مركز من النور . إذن نحن الآن عرفنا الجوهر المائي . ولا ولما كبرناه وجدناه مركبا من أشياء ليست ماء ولكنها أشياء أخرى في علم الكيمياء يحلل للماء إليها في جميع المدارس في العالم وتكون عبارة عن مواد أشبه بالهواء وهذا معلوم مستفيض ولكن النفس لاتزال تريد الزيادة في العلم كما قال تعالى . وقول رب زدني علما . وقال ابن سينا في قصيدة النفس



البحث أن قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - قد وصل هنا الى قرار ممكن ، والكهرباء الموحدة والكهرباء السالبة المذكورتان كل منهما زوج وهما زوجان كالذكر والأنثى وهذا الزوجان اتحدتا كالذكور والاناث من الحيوان والنبات . وهذا السر الذي ظهر الآن هو الذي ظهر في الدين المجوسى قبل دخول الخرافات عليه كما تقدم في (سورة الانبياء) إذ جاء فيه أن الله خلق أصلين وهما الخير والشر . وليس يقوم العالم إلا بهما . ثم جاء المتأخرون منهم فجعلوا الخير والشر لاهلين لا لواحد كالمتقين وهكذا طبع العدد زوج وفرد وعلم الحساب جمع وتفرق والعالم مركب من التثاقف والحقبة . فكل هذه عبارات ترجع الى معنى واحد وهو الذى جاء في قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - فمن علماء اليونان من قال أصل العالم العدد . ومنهم من قال الكراهة والحب . هذا مافتح الله به في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

﴿ النور قديما وحديثا في أرضنا ﴾

(١) المشاغل

(٢) مصابيح الزيت

(٣) قناديل الشمع

(٤) زيت البترول المعروف

(٥) الغاز الذى هو خلاصة الفحم المحترق الجارى في الأنابيب لآبار المدن

(٦) خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسيرتر) أى بخارها الذى ينشئ عادة بنشاء يحفظ ضوءه

(٧) ضوء الكهرباء الذى عم الأطفال الآن أيام كتابة هذا التفسير . انتهى الكلام على الطبقة الأولى

(الطبقة الثانية) في قوله تعالى - والله يرزق من يشاء بغير حساب - انظرها في (سورة آل عمران)

﴿ الطبقة الثالثة في قوله تعالى - والطير صافات - وهي جوهرتان ﴾

( الجوهرة الأولى في تسبيح الطير )

إن مقام تسبيح الحيوانات وغيرها قد قدم في (سورة الاسراء) عند قوله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - وهكذا في (سورة هود) واستبان هناك أن التسبيح والتحميد من المخلوقات لا يحرران إلا بقراءة جميع العلم ومن ذلك دراسة الألوان التى وضعت في (سورة المؤمنون) وسأله نفحات الأجنار في (سورة الرعد) وبيان أن التسبيح والتحميد لغز الوجود وفيها مسألة الخير والشر وأن المجوس تخلصوا منها بأن للعالم لطين والاسلام أرجعها للتسبيح والتحميد . وبيان أن المسيح والحامد وهو جاهل كالخشرة المستدفعة بازهر للبقعة للشجر ولاعلم لها . وبيان أن هذه الانسانية اليوم جاهلة هذا الوجود . وبيان أن الصوفية الذين يتبعهم أكثر المسلمين ينهونهم عن العلم فأرسل الله على لسان الشيخ الخواص وهو منهم مايفيد أن الجباد يعقل وأن الأشجار تتعاقش وقد ظهر في الكشف الحديث ووضح في هذا التفسير تعاقش الأشجار أما ان الجباد يعقل فهذا لم نصل له عقولنا . ثم عقولنا عرفت أن النبات يحس . ويتحرك كالحيوان كما أثبتته العالم الهندى بحسره وتقدم في (سورة الحج) أما كونه يسبح وكون الجباد يعقل فهذا لم نصل له غاية الأمر أن الأمم اليوم تعرف أن كل مجاد متحرك حركات سريعة تعد بمئات الالوف في ثانية . وقد استبان فيها تقدم لماذا ظهر هذا على ألسنة السالحين من المسلمين وأن حكمة ذلك اقامة الحجة على الصوفية في زماننا اذاهم قصرُوا في معرفة العلوم التى هي فروض كفايات . وبيان أن المفتوح عليه منهم نادر وهم كالتيبلين من أهل الهند البوذيين الذين رضوا أنفسهم عن الشعب (انظره هناك في سورة الاسراء) انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في الطيور الرحلة . مترجم عن الانجليزية ﴾

إن الطيور على ﴿ نوعين ﴾ نوع يصرف حياته في مكان واحد ولا يفرقه ولا يذر شجرته أو المستنقع

التي يبنى فيه بيته ويعيش فيه أكثر من خطوات معدودات إلا أنها جدا . ونوع آخر لا يأكل جهدا في الحظ والترحال مدة الحياة وفي جميع العصور فيكون في مكان بضعة أشهر ثم يرحل آلافا من الأميال ليصرف بقية السنة في عملكة أخرى . وهذه الطيور تسمى (طيورا رحالة) لأنها دائما على هذه الحالة وهذا النوع طائفتان طائفة تألف رحلة الشتاء وأخرى تألف رحلة الصيف . فالأولى تسكن البلاد الحارة وترحل إلى الباردة شمالا والثانية تسكن البلاد الباردة وترحل للحارة جنوبا طلبا لحرارة الشمس . إن الإنسان عند سفره يدفع أجرة السفينة في البحر أو القطار في البر . فغراها أسرابا تطير في جوف السماء مارة بالبحار والبلدان المختلفة . إن ارحل الطيور من أحب الجباب العظيمة للدهشة في هذه الدنيا وبدائعها وعجيب نظامها . ففي فصل الربيع من كل سنة في يوم معين يصل إلى أوروبا طواغيت من الطير وتبتدئ فتنى أعشاشها في الأمكنة التي بنت فيها في السنة الفائتة وقد يبنى العش طير صخبر على الطريقة التي بنى أبواه بها العش الذي تربى فيه هو في العام السابق بحيث يكون قريبا منه . وقد يقوم بعض الناس بتجارب لمحنة بعض عادات هذه الطير فيصطادون منها جماعة ثم يعلمونها بعلامات خاصة كدوائر وخطوط يرسمونها على هذه هي التي تصل في العام القابل . وقد ثبت لهم بهذه الطريقة أن الطائر للمسمى (الخفاف) بالعربية و(سوكو) بالانجليزية التي يصرف زمن الشتاء بالقرب من (بحيرة تشادو) في أواسط أفريقيا يبنى أعشاشه لتربية صغاره سنة بعد سنة في حائط من منزل مخصوص في قرى الفلاحين ببلاد الانجليز . إن طرق السفن البحرية الرئيسية في البحر الأبيض من أوروبا إلى أفريقيا (ثلاثة) مبتدئة من شبه جزيرة إسبانيا وإيطاليا واليونان . والمسافرون في هذه الطرق على السفن بالبحر الأبيض المتوسط من الحريف غالباً يرون أسرابا كثيرة من (الطيور الرحالة) طائرات جنوبا إلى بلاد الجزائر وبلاد تونس وبلاد مصر

### ﴿ ما سبب رحلة الشتاء والصيف ﴾

وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم رحلت هذه الطيور . ولقد أجاب على هذا السؤال علماء الحيوان الذين هم أقرب إلى العلم بأحواله من سائر الناس فقالوا إن تلك الأقطار التي يرحل لها ذلك الطير أوفى إلى تربية صغاره وتغذيته بالأغذية الموائمة لها . وهذا السبب ذهبوا إليه لأنهم لم يعرفوا الحقيقة يست أوفى وطريق أقرب فليس من الناس من يعرف السر في ذلك على حقيقته والله أعلم . انتهى (ترجم من الانجليزية)

### ﴿ حكمة ﴾

إن سفر هذه الطيور الأوروبية إلى أفريقيا وسفر الطيور الأفريقية إلى أوروبا أشبه بسفر الناس من إحدى الجهتين إلى الأخرى ارتيادا لطلب الرزق وجدا في طلب العلم وذلك كله مما يعلم الإنسان أن الأرض كلها منزل واحد وقد عرف هذه الحقيقة الطير فعمل بها وقال لي رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف . ولكن الناس يقاتل بعضهم بعضا على الأمكنة وفاتهم بل جهلوا أنهم أسرة واحدة وسيعرفون هذه الحقيقة في مستقبل الزمان حينما تم الرحلة أهل الأرض (انظر شكل ١) و (شكل ٢)



( شكل ١ - صورة الخفاف )



( شكل ٢ - صورة ورود الطيور المهاجرة من كتاب ( علوم للجميع ) المسمى ( ساينس فورال )  
تأليف العلامة ( روبرت برون )

وهما ( فاندان \* العائدة الأولى )

( أسرع المخلوقات الحية )

كشفت منذ مدة قصيرة الدكتور ( تشارلس تونسنند ) السحابة الأميركية الشهيرة حشرة غريبة في البرازيل تعد أسرع المخلوقات الحية لأنها تقطع ٨١٥ ميلا في الساعة أو نحو ١٤ ميلا في الدقيقة و ٤٠٠ ياردة في الثانية فتكون سرعتها نحو من نصف سرعة رصاصة البندقية التي يحتاج ٩٠٠ ياردة في الثانية بينما الطائرة لا يحتاج أكثر من ١٣٠ ياردة في الثانية وأسرع اسنان لا يحتاج ١١ ياردة في الثانية . أما اسم هذه الحشرة فهو ( سفوميا ) وهي موجودة في أمريكا الجنوبية والشمالية وبعض أعاء أوروبا . وإلى الآن لم يتمكنوا من معرفة مصدر سرعتها الحقيقي وقد قلروا أن جناحها يدوران عدة آلاف من المرات في الثانية بينما أسرع طائرة لايسر دولابها الأمامي أكثر من ٢٠٠٠ مرة في الدقيقة . وقد قال الدكتور ( تشارلس تونسنند ) للدكتور مايناثي ( لوانج ) للانسان أن يطير بسرعة هذه الحشرة لتمكن من الدوران حول الأرض في ١٧ ساعة فقط فانه يترك ( نيويورك ) الساعة الرابعة روالية صاحا ويفطر فوق ( رير ) ثم يختار ( ماكين ) ويتناول الشاي

فوق (الاستانة) والقلعة فوق (مريد) و يصل (نيويورك) الساعة التاسعة زوالية مساء وهذا ميعاد دخول (الاورا) وقد سوك اكتشاف هذه الحفرة اهتمام للمهندسين والمختبرين وأخذوا يتحدثون مسائلتين ولماذا لا نصلل العكرة فمصطنع طائرة بسرعة هذه الحفرة أو أسرع ، وعسى أن يحقق اهتمامهم رغبتهم هذه فيقوموا للانسانة بخدمة جليلة لا تقدر ولا تخمن

### ﴿ مقاييس السرعة ﴾

نظم القائد (الرنولد) الأمريكي قائمة بمقاييس السرعة وهي كما يلي

(١) أعظم سرعة للانسان الراكض ٢١ ميلا في الساعة

(٢) سرعته على الزجاجة ٢٢ ميلا في الساعة

(٣) أعظم سرعة للحصان ٣٩ ميلا في الساعة

(٤) أعظم سرعة للتراجة (يسكوت) ٧٥ ميلا في الساعة

(٥) أعظم سرعة للتراجة البخارية ١١٢ ميلا في الساعة

(٦) أعظم سرعة للقطار الحديدى ١٢٥ ميلا في الساعة

(٧) أعظم سرعة للطيارة ٢٨٨ ميلا في الساعة

### ﴿ أسرع طائرة في العالم لاجناح لها ولا مرواح ﴾

صنع المسيو (شبالدين) وهو مهندس فرنسى شهير نموذج طائرة بلا جناحين ولا مروحة في مقاسها ومع هذا فهي تطير . ويعتقد هذا المخترع أن الطيارة التى تصنع على نط نموذج هذا يمكنها أن تقطع من سبعائة الى ألف ميل في الساعة . فهي والحالة هذه تسقى الشمس اذا بارتها في شوط بين باريس ونيويورك . وقد قال المخترع ضاحكا ﴿ انه ينسى لركاب طيارتى أن يفتلوا الغداء في الجراب وبوفارد باريس ويشربوا الشاي في بروكلى ونيويورك ﴾

والمسيو (شبالدين) مقتنع بأن طيارته التى أسماها ﴿ جيوثر ﴾ ستكون طائرة للمستقل القريب . وقد أبد الفؤجج الذى صنعه لهذه الطيارة أقواله بكيفية مذهشة . ويبلغ طول نموذج هذا نحو عشرين قيراطا ولا يزيد ارتفاعه على قدم واحد وهو يحاكى الطيارات العادية في هيكلها . وعلى كل من جانبيه دولاب كرف الواخر النهرية أو كالتى كانت مستعملة لواخر البحارى أول عهد اللواخر . وكان يقتضى لهذا النموذج محرك تكون قوته ٩ من ٧ حصان ووزنه أوقية وربع . ولما كان محرك كهذا معلوم الوجود جهز المخترع نموذج بمحرك كهربائى وأوصل اليه التيار بأسلاك لينة من دنجو صغير وضعه على المائدة وما كاد يوصل التيار به حتى أخذ راساها يدوران بسرعة ٧٠٠٠ دورة في الدقيقة وأخذت تلك الطيارة الصغيرة ترتفع وتدور في الحجرة . وقد جعلت معالق متحركة حول أغطية الرقاسين تستخدم لتحويل مقدم الطيارة الى أعلى أو الى أسفل . ومبدأ المخترع في طيارته هذه الهيمية هو من قبل مبدأ للركبة الألمانية المسماة (روكن) فالزقان في الطيارة التى نحن بصددها يقومان مقام للمروحة التى تكون في مقدمة الطيارة العادية وهما اللذان يدفعان الطيارة ويسيران . ويقول المخترع ﴿ إن سرعة هذه الطيارة يمكن أن تزداد اذا استعمل الفلز الهالك الذى ينسب من المحركات على مبدأ الصاروخ ﴾ . ولهذا الطيارة ميزة أخرى كما يقول مخترعها وهي ان رقاسيها وأغطيتها تقوم مقام المظلة للرافيتة (الباراشوت) في حالة إصابة المحرك بسيل فتنزل الطيارة الى الأرض ببطء يقيا خطرا الاصطدام الشديد ولا يخفى ما لهذا الاختراع من الأهمية الكبيرة في عالم الطيران . انتهت القائمة الأولى

### ﴿ القائمة الثانية ﴾

حاه في الأنباء البرقية في ١٥ يونيو سنة ١٩٢٧ ماضه



### ﴿ إرتياد القطب الشمالى ﴾

عادالسكران (جورج ولكسن) بعد ماضله ضباب الدائرة للتجربة الشمالية وردّه على أعقابهِ وترك وراءه إحدى طياراته وسط التلويح للتجربة في ساحل (الاسكا) الشمالى وقد قال ﴿ إن ذلّه حراهم طارفى ٢٨ مايو الى ابته فى جرينلند ومن هناك الى مستودع الوقود والمؤنة فى رأس بارو ليحاول حلّ المسألة الغامضة عن مهاجرة الطيور الى أقصى الشمال ويتثبت مما اذا كانت قارة الانتيك التى ورد ذكرها فى الأساطير موجودة فى مكان لم يصل اليه بنو البشر ولكن البعث عدت عنها الآن كما عدت فى الستة الماضية من جراء الغياب الكثيف وطبقات الثلج المستقرة والظلمات يطيران فى عالم كنه ضباب لا يخرق ﴾ انتهت القائمة للثانية وإنما قلت لك هذا لغير البرق لتطلع على غرل الأم التى يعيش معها المسلمون أولئك الذين يخاطرون بأنفسهم ويمرضونها للهلكة فى سبيل العلم . وأنى علم هو . هو علم الطيور فى مهاجرتها . تلك الطيور التى ذكرها الله فى القرآن انها مسبحات مصليات فكان على المسلمين أن يشقوا العلم ليعرفوا عجائب صنع ربههم وليتهجوا بالجلد والبهاء والحكمة والنور . فهل الأم التى تدرس كل علم كالألم النائمة . يقول الله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب - ويقول - أظفر يسبروا فى الأرض فكأنهم لم يلقوا بقلوبهم فى أعماقها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور -

### ﴿ اختراع الطائرات ﴾

فى سورة (المائدة) فى آية القرباب وفى (النحل) عند قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - تقدم الكلام على البالون والطائرات ورسم بعضها فى سورة النحل اهـ

### ﴿ الطبقة الرابعة فى قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ ﴾

لقد ذكرت لك فيما تقدم فى ﴿ سورة الرعد ﴾ مايناسب قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - من أمر الثلج . وذلك أنك ترى هناك أشكالا منظمة هجيبة مستنة الشكل مرسومة فى القرن الماضى بهجة المناظر حسنة الأشكال . ولكنى هنا أريد أن أريك مايناسب هذا المقام من عجائب العلم فى هذه الآية ﴿ أولا ﴾ أبين لك ما كان يعلمه علماء القرن الثانى عشرالمهجرى من أم الاسلام إذ كان العلم لديهم قليلا وقد جاء على لسان صلحائهم مايناسب كشف العصرالحاضر ﴿ ثانيا ﴾ أذكر لك الجبل الثلجى من كتاب علوم لجميع تأليف العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومقالا لغيره فى ذلك ﴿ ثالثا ﴾ أذكر ما أبدعه صديقنا مصطفى بك منير فى الجمعية الجغرافية أمام ٢٥٠ علما من علماء أوروبا تضيق هذه الآية . فهذه ﴿ ثلاثة فصول ﴾

### ﴿ الفصل الأول فيما جاء فى أقوال علماء الاسلام فى القرون المتأخرة ﴾

قد ذكرت سابقا فى هذا التفسير أن الشيخ أحمد بن المبارك الذى عاش فى القرن الثانى عشرالمهجرى كان علما من أكابر علماء الاسلام وقد لقي الشيخ عبد الميرزالبغا لقى لم يدرس ولم يتعلم وأن الأول قد أدهشه الثانى بعلمه . فلا سمعك ما أجاب به فى هذا المقام وأقدم لك مقدمة فأقول

لقد ذكرت فى هذا التفسير أن العالم الدينى فى الاسلام يجب أن يكون علمه أوسع من علم الفقه وهماهى هذه الحادثة الآتية تبين لك كيف كان الناس فى العصور المتأخرة يسألون علماء الاسلام فى أغور وأصعب مسائل الطبيعة العويصة . فانظر كيف سأل ابن المبارك للذكر فى ذلك . وكيف بحث عن الجواب فى كلام الفلاسفة الاسلاميين وعلماء الحديث وغيرهم فلم يجد طلبته ثم كيف سأل الشيخ السبغ فأجابه بما لم يعلمه إلا علماء العصر الحالى . فهناك البيان وهذا هو السؤال الذى ورد اليه

(١) الجدة . ساداتنا الأعلام . أدام الله بكم النفع للأنام (١) جوابكم في الثلج ما أصله (٢) هل ينزل كذلك من عمله منقدا (٣) ومأمله الذي ينزل منه ؟ (٤) ولأى شيء خص البلاد الشديدة البرودة ؟ (٥) ولأى شيء خص الجبال (٦) ولماذا تراه تارة مجتمعاً مع المطر وتارة وحده وهو الأغلب (٧) ولأى شيء خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل (٨) وأيضا الصاعقة لاتنزل إلا في البلاد الباردة والجبال ومواضع الشجر بخلاف الأرض المستوية الحارة مثل الصحراء فإن أهلها يقولون إنها لاتنزل فيها فلماذا ؟ هذا ملخص السؤال . فلما أخذ يبحث في كلام علماء الاسلام رأى ما يأتي

(أولاً) أن أهل السنة والجماعة لم يفيدوا في هذا قائمة . قال إنه قرأ كتب التفسير والحديث وعلم الكلام فما هنر على شيء فيها . ومن هؤلاء الحافظ السيوطي مع علق درجته في الآثار لم يترض لثقل لافي كتابه المسمى (الحبة السنية في المية السنية) وقد وضعه في علم المية لأمثال هذه المسألة ولأى حاشيت على البيضاوي ولأى (الدر المشور في تفسير القرآن بلائور) ولأى كتبه الأخرى مع أنه أكثر فيها من الكلام على الرعد والصواعق والمطر والسحاب والرق . وأيضاً لم يتكلم على الثلج والبرد ولا على سبهما . قال وإنما رأيت ذلك في كلام البيضاوي نقله عن الحكماء . وملخص ذلك أن البخار لما في إذا وصل إلى الطبقة الباردة صار سحابة وزلت الأجزاء المائة فهي على أحوال إما أن يكون بردها قليلاً فتكون مطراً وإما أن يكون بردها شديداً فإن جدت قبل الاجتماع فهي ثلج وإن جدت بعد الاجتماع فهي البرد . ولما قل كلامه كله اعترض على البيضاوي في نقله كلام الفلاسفة . هذا هو الذي رآه ابن المبارك في كلام المتقدمين . ثم رجع إلى الشيخ السراج فعلمه وأجب بما يأتي

(١) إن الثلج ماء عقده الرياح وأصله غالباً من ماء البحر المحيط . وهنا أخذ يشرح لرفع البخار في الجو وأنه بصير مثل الغباء ثم تجتمع أجزاءه لأجل ما فيه من الندوة وينزل على هيئة الصوف أحياناً وعلى هيئة أخرى أدق منها أحياناً . فهذا أصل الثلج . أما البرد فإن المسافة بين انقذاده ونزوله غير طوية وهو من مياه البحور والفران وأنه إنما ينزل على هيئة الطعام المنقول الفليط وإنما غلاظ لأجل مصاكة الرياح له فراجت أجزاءه في الهواء تحت أيدي الرياح مثل روجان أجزاء الطعام تحت أيدي المرأة في الضحكة فحصل فيه قتل مثل ما يحصل في الطعام . قال ولوانه تأخر نزوله ودامت المصاكة لاضحكت أجزاءه وصار ثلجاً ، فهذا بيان أصل الثلج وبيان الموضع الذي ينزل منه وبيان البرد

(٢) وأما قولكم (لأى شيء خص البلاد الشديدة البرد الخ) لجوابه أن الثلج لا يزال على انقذاده حتى يطرأ عليه مانع والمنايع يجعله مطراً وذلك المانع هو الأجزاء البخارية الصاعدة من الأرض الحارة للحرارة فإذا لقيت الثلج كسرت برودته فصار مطراً وهذا البخار الحار يكثر في البلاد الحارة والسهول ولذا لا يرى فيها ثلج . ولو فرض أنه رقى ذلك لا يطول مكثه بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فانه لا مانع فيها من بقاء الثلج على انقذاده

(٣) فأما كونه ينزل مع المطر أو وحده فذلك لما يأتي . إما فوإن بعض أجزاءه بالأجزاء البخارية للذكورة فينزل التي لم ينسب ثلجاً والتي ذاب مطراً وثلج يكون المطر النازل معه في الغالب ضعيفاً رقيقاً مسحوقاً مثل الثلج . وإما أنه نزل قبل تمام انقذاده فإن الرياح تحمل ماء فينقذ ثم تحمل ماء آخر فلذا نزل نزل الأول ثلجاً والثاني مطراً

(٤) وأما اختصاص الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل . لجوابه أن ذلك قرب الجبال والأرض العالية من الجو الذي هو في غاية البرودة . فأما السهول فهي بعيدة منه

(٥) وأما الصاعقة التي ذكرتوها فإن القول بعدم نزولها في الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح

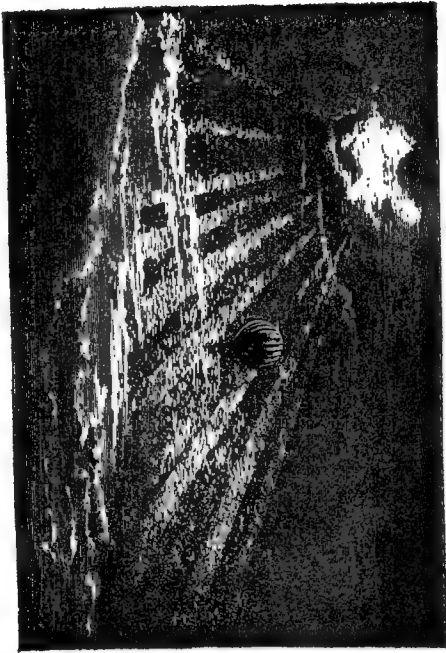
فإنها نزلت ببلاد (سلجاسة) وهي أرض مستوية سهلة كانت صحراء . ولما أتم الجواب قال ولعل أن هذا أخبر به من عين الأمر على ما هو عليه من أرباب البصرة الخ (يريد الشيخ الباغ) وقد سأل الشيخ الباغ أيضا قائلا « هل في السماء جبال من برد كما قاله بعض المفسرين » أجاب ليس فيها ذلك . والمراد بالسما في الآية ماعلاك فكأنه يقول من جهة العلو وجبال البرد تكون في جهة العلو يحمل الرياح لها من الأرض إلى الجهة المذكورة . انتهى الفصل الأول

( الفصل الثاني في مقال بعض علماء الطبيعة في عصرنا وما دبره العلامة (روبرت براون) الانجليزى

في كتابه علوم الجميع )

قد جاء في كتاب « الفلسفة الطبيعية » في تعريف البرد انه قطع من الجليد متفاوتة الحجم فنها ما هو أصغر من الحص . ومنها ما هو بقدر البرتقال . ومنها ما هو بين هذين الحجمين . ولا يعرف كيف يتكون . والظاهر انه يحدث من هبوب ريح شديدة البرد وتتخللها ريح أخرى أحر منها جدا وهي مشبعة برطوبة تقريبا ولكن لتليل هذه الرياح الباردة صر وغير معروف . فانظر إلى علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر كيف تحيروا في تليل البرد ووازن بين هذا وبين كلام (الشيخ الباغ) الذي قال ان السماء ماعلاك وأن البرد ما هو إلا ماد حرجت الرياح من المواد المائية ولم يزل زمنه وشرح شرحا طويلا ضافيا . فلننض القول في مسألة الثلج والبرد من كتاب « علوم الجميع » فقول

اعلم اني قد كنت لك في (سورة الزعد) عند الكلام على الثلج انه عند القطبين يكون دائما وبأخذ في الارتفاع شيئا فشيئا . ومعنى هذا أن الثلج دائم في جميع أنحاء الدنيا غاية الأمر أنه مرتفع عند خط الاستواء وهو على الأرض عند القطبين وما بينهما يكون بالنسبة لهما ارتفاعا وانخفاضاً . فاقرا ما ذكرته هناك ثم انظر هنا ما يقوله فسرى عجبا عجبا . سرى ما قاله الله في القرآن يشاهد عيانا ( و بعبارة أخرى ) سرى ما بهز عنه حول العلماء سابقا وإنما شرحه (الشيخ الباغ) الذي لم يتعلم . قد ظهر له بالمعينة . سرى أيها الذي ما جاء في القرآن من أن هناك جبالا فيها من برد حقا وصدقا . ومعنى هذا أنك الآن ستشاهد صورة الجبال الثلجية المرتفعة فوقنا وتجب من المسلمين الذين تركوا جميع العلوم وجهلوا حق الجهل . وإذا قرأ المتعلم هذه الآية تحير وقال في نفسه هل السماء فيها جبال من برد . وإذا كان المطر ليس من نفس السماء فكيف يكون البرد منها . وكيف تكون هناك جبال فوقنا من برد . كل هذا كان يحيرني أنا ولم أعرف تمام هذه المعاني إلا من إيضاح (الشيخ الباغ) ومشاهدة المناظر التي سترها الآن وهي منقولة من الكتاب الانجليزى المذكور . أفلمست بعد ذلك أيها الذي توقن أن ذل المسلمين اليوم إنما جاء لجهلهم الفاضح وانهم معاقبون في الدنيا والآخرة على هذه العلوم . فاسمع إذن كلام ذلك العلامة . قال ( إن الثلج يظهر في أعلى الجوف في كل مكان في الأرض وعند كل خط من خطوط العرض غاية الأمر أن ذلك الثلج قد يلوب قبل نزوله إلى الأرض إذ يقابل الطبقات المنخفضة الحارة فهذه الحرارة تذيبه . إذن مامن بقية في الأرض إلا وفوقها تلج . فنه ما ينزل اذا لم تقابل الحرارة في الأماكن المنخفضة . ومنه ما ينزل ) وهذه صورته ( شكل ٣ )



( شكل ٣ - صورة ألوج الثلج في الأقطار العالمية من لبلتو قد تخطتها أشعة الشمس )

ويقول المؤلف قبل ذلك في صفحة ١٧٩ مانصه ( إن جسم الثلج لطيف جدا حتى انه يشغل مسافة أكبر من المسافة التي يشغلها الماء (٢٤) مرة . أما حتى الثلج فان الماء الذي يكون منه لا يشغل إلا عشر حتى الثلج . فاذا كان مقدار الثلج عشروصات فهذا القدر لا يعادل إلا بوصة واحدة من الماء ) هذا كلامه إذن بهذا عرفنا السر في أن الثلج مرتفع في أهل الجب . ذلك لأنه خفيف جدا فارتفع . وهذا من هيب أن الشيخ عبدالعزيز السباعي للتقدم ذكره يقول فوق ما تقدم في صفحة ١٣٩ من الكتاب المذكور مانصه ( وكما مرة أنظر الى طرف الماء الموالي للجب الذي فيه الرياح فأرى فيه جبالا من الثلج لا يعلم قدر عظمتها إلا الله ) ونرجع الى ما نحن فيه فنقول . ثم إن هذا الثلج الذي رأيته في الشكل المتقدم معرض لأن ينزل الى الطبقات المنخفضة الحارة فيرجع بخارا . فاذا فعل الله لحفظه . خلق له الجبال حتى صادف ذلك جبل

مرتفع احتفظه وضمه إليه ورسا فوقه حتى لا ينزل ويبقى تلجا دائما فوق الجبل وهذه صورته (شكل ٤)



(شكل ٤ - هذه صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب والجبال المتصلة بها والتلج البائم المغطى لها)  
(جبال الالب تمر بإيطاليا وفرنسا وسويسرا وهذه الهضبة بالأخيرة)

ولعلك تقول عرفنا أن التلج مرتفع وهو كالجبال . وعرفنا أن الجبال تحفظه . ولكن ما فائدة هذا التلج وما فائدة حفظه . أقول لك . فائدته أن يحيا الانسان والحيوان والنبات بذلك التلج الذى نزل من الجبل ومن الجبل نزل الى النهر ثم ذاب ويورى وهذه صورته (انظر شكل ٥ فى الصفحة التالية)  
هذه هى معانى الآية . فالتلج شاهدته وشاهدت نظام الله وحفظه له ثم انزله فى النهر . أليس هذا معنى قوله تعالى - سنبهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتمعرفونها - اللهم إنا نحمدك فقد أرينا الآيات وعلمتنا على مقدار درجاتنا الأرضية التى خلقتنا فيها فلك الحمد ولك الشكر . كل ذلك أبها الذى جاء فى التلج ولكن الآية لم يذكر فيها التلج بل المذكور فيها هو البرد . فأين البرد إذن . تقول . لقد علمت مما تقدم أن الماء يكون مطرا ويردا وتلجا . فهذه الثلاثة متعلولة وغاية الأمر أن البرد يكون نزوله أسرع . لقد علمت أن أمر البرد من السهولة بمكان . قد علمنا فيه القوم حيرة شديدة فتارة تراهم

(١) يقولون إن الفكرة الأولى فى ذلك أن يقال كما أن نسة الصقيع الى الندى كنسبة التلج الى المطر هكذا يقال ان البرد ماهو إلا مثل لصقيع المطر (وعبارة أخرى) هو مطر منعقد

(٢) ثم تراهم يتمشقون فى البحث فيقولون إن البرد لا يكون مباشرة من نفس المطر . ذلك لأنهم رأوه صبارة عن كرات صغيرة جدا من الجليد الصلب منسوجة متجانسة مصمتة ذات سطح أملس وقد علموا ذلك بأن المطر كان أولا فى طبقة حارة من الجو الأعلى ثم سقط فجاء الى جو أدنى منه فيه تبار شديد البرودة فأثر فيه



(شكل ٥ - صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الردن) بجاني (موكا) منحدر إلى رأس واد من الأودية حيث يتدفق منه النهر)

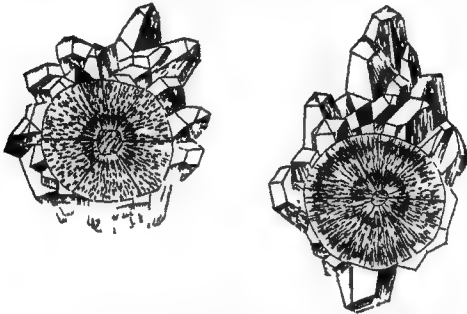
فكوره مرات جليدية ثم نسج نسجا كما تقسم

(٣) ثم انهم شاهدوا أنواعا من البرد بهيئات حبوب بيضاء غير شفاقة أى انها لا ترى ما وراءها كأنها صور صغيرة لسكرات الثلج لا انها صور لقطرات المطر وهذه تشاهد كثيرا نارية مع قطرات المطر والقطعة من البرد إذ ذلك مركبة من جبات صغيرة منه بحيث لا يزيد قطر الواحدة منها عن عشرين بوصة أى بحور بع ستين متر وقد غطيت طبقة من الجليد . وقد علموا ذلك بأن البرد أولا كل ألوانا ثلجية في أعلى الجوف الذى اشتقت برودته ثم نزل الى جوف حار فأخذ يذوب فيه وقبل أن يتم ذوبانه نزل الى جوف بارد قرب الأرض . هنالك جد ضار بردا ولكن آثار الثلج لا تزال ظاهرة في خلال أجزائه . وهذا آخر ما ذكره . إذن يكون الأمر دائرا بين هذه الأحوال . مطر جدد فصار ثلجا . مطر جدد فصار جليدا . والجليد اجتمع فصار بردا متجانسا الأجزاء الساخنة فيه . ثلج تكون ثم ذاب ثم بردا ثانيا قبل تمام ذوبانه فصار بردا . هذا ملخص ما جاء في كتاب

(علوم الجميع)

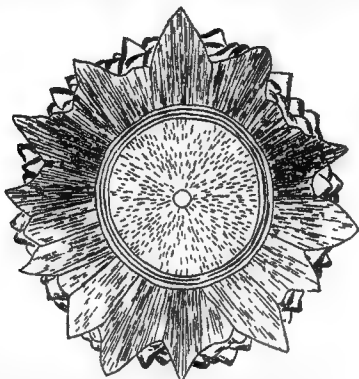
والليل على أن الرد كان أولا ثلجا ماستره في هاتين الصورتين الجليتين الحسنى الشكل البهجتى للنظر

للتلاوتين للشرقيين اللتين هما من أعجيب آيات الله تعالى اللتين رأهما المستر (هـ . ابك) الروسى المقيم بالعلوم وقد نزلا في أثناء عاصفة قوية في جبال (اتزبك) بالقرب من (بجولوى كلسك) في القوقاز بالقرب من (تفليس) في (جورجيا) في التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ فرسهما ونشرهما في المجلة الروسية العلمية في تلك السنة وقلعها العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومنه نقلتها . وقد قال في وصفها انهما صورتان بلوريتان هندسيتان مرصومتان بشكلهما في الطبيعة وهما ربما كما أجهج وأكثر تأنيا في النفس من كل مראה الناس من أنواع البرد على الأرض الى اليوم (انظر شكل ٦) و (شكل ٧)



( شكل ٦ وشكل ٧ - صورة البرد الجوى البلورى الشفاف الذى سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م بالقرب من تفليس )

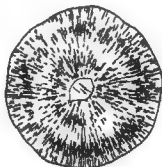
ثم قال : إن هاتين الصورتين قد ركتا من حزأين القلب والعلاف . أما القلب أو النواة فهو عبارة عن مادة لجمية تضامت واجتمعت بهيئتها المستترة . وأما العلاف الخارجى فليس بشئ كالأول وإنما هو جليد بلورى الشكل طويل الحجم بهيئة صور هندسية منظمة جبلة جدا . وكثيرا ما يرى لها صافيا صغيرا من الجليد المسطح الهية في داخل البلورات الخارجة . وهاتان القطعتان المرصومتان قد سقطتا في إياه من الحديد والتقطتا وأخذت صورتها فوراً وهما معتمتان في النواة الداخلية وفي العلاف الخارجى فأما ما بينهما فانه جليد شفاف ذو خطوط مست منقطعات على هيئة ست زوايا كل زاوية ستون درجة وهذه الخطوط تنضم عند التقائها بالقلب الداخلى وعند اتصالها بالعلاف الخارجى ويحيط بكل منهما أعمدة مستترة منتية بأجسام مدشورية الشكل ذات زوايا مختلفة وأصلاص يتساوى كل اثنين متقابلين بها . وهناك قطعتان برديتان أخريان جيلتان . أما أولاهما فقد رسمها الضابط (الكابتن ديكسكوز) الأستاذ الفرنسى في الملسة سنة ١٨١٩ ونشرها في ذلك التاريخ في المجلة العلمية الأستاذ (اراجو) وهذه صورتها (شكل ٨)



( شكل ٨ - صورة الرسم الهندسي الذي أن قطع من البرد الصخري النوري الذي سقط في

كورة (مديرية) من كورات فرنسا الغربية في الرابع من شهر يوليو سنة ١٨١٩ )

ولما سقط ذلك البرد الصخري في تلك المديرية كسر سقف المنازل والشبائيك وأضر بأعصاب الأشجار ودمر مزارع الحقول وقتل الحيوانات وهي ترى في مراعيها . وهذه القطعة البردية الحجرية مركبة من جليد أبيض غير شفاف متشام بهية باهية الشكل ذات بوا صغيرة يحيط بها حجم كبير أزرق ذو خطوط لامعة تمتد من المركز الى محيط الدائرة وفوق ذلك يحيط بها طبقات متضامات وهذه الطبقات الخارجية المحيطة ذات أشكال هندسية طريقة متصلات بأشكال صغيرة بارزات بينهما . أما ثابتهما فهي مركبة من طبقات بعضها فوق بعض كل طبقات البصلة طقة زرقاء صافية تليها طقة بيضاء غير شفافة من الجليد وهذه الطبقات المتعاقبات وصفها العالم الألماني في الظواهر الطبيعية ( كيمر ) بأنها من جليد وثلي وتحيط بها طقة من الجليد . وهذه صورتها ( شكل ٩ )



( شكل ٩ - صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتحدات المركز المركبات من جليد أزرق

صاف وأبيض غير شفاف الذي رسمه العلامة (ابك) المتقدم ذكره وتاريخ رسمه )

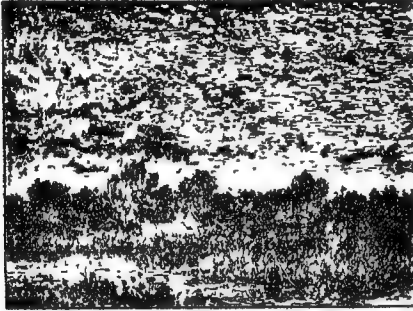
( بهجة العلم في البرد الصخري )

قال المؤلف المذكور أيضا ( إن بعض القطع البردية التي رآها الناس كانت تزن ثلاثة أرطال انجليزية تقريباً ) ثم قال في صفحة ٢٩٤ من المجلد الثالث ( وقد قيل إن بردا صخريا سقط في (كلوروتا) في بلاد

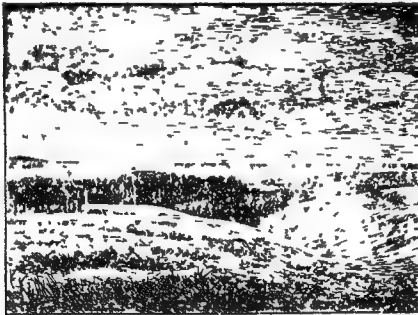


اسبانيا سنة ١٨٢٩ كان وزنه أربعة أرطال ونصف اجليزية تقريبا ) وقال العالم الألماني بالطواهر الطبيعية ( كيمتز ) ان قطعة من البرد سقطت سنة ١٨٥٢ فكات مساحتها ( ٣٩ ) بوصة من ناحيتين وسكها ( ٢٨ ) بوصة انتهى

ولذا فرغت من الكلام على جبال الثلج وعلى البرد فهناك تفسير الآية بالصورة الطبيعية المرسومة فيما تقدم والى سترسم الآن . قال الله تعالى - ألم تر أن الله يذبح سحابا ثم يؤلف بينه - هذه صورته ( شكل ١٠ )



( شكل ١٠ - صورة السحاب المتجمع من قطع منفصلة . منقولة من كتاب روبرت براون )  
وقوله تعالى - ثم يجعله ركاما - هذه صورته ( شكل ١١ )



( شكل ١١ - صورة السحاب المركوم منقولة من الكتاب المذكور )  
وقوله تعالى - فترى الودق يخرج من خلاله - هذه صورته ( شكل ١٢ انظره في الصفحة التالية )



( شكل ١٢ )

وقوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - انظر في شكل (٣) و(٤) و(٥) فهناك جبال الثلج الدائم في شكل ٣ ونزلها على جبال الأرض من السماء أى أعلى الجبل شكل ٤ وهذه الجبال تحفظها واستمداد الأنهار منها نزل في شكل ٥ إذ يخرج منه نهراين . وقوله - فيها من برد - انظره في شكل ٦ و٧ و٨ و٩ فهناك أشكال البرد المذكور وقوله - فيصيب به من يشاء - الخ قد تقدم كيف كان البرد يترك بالهائم في مراعيها ويكسر الشبايك وسقوف المنازل والمزارع وقوله - ويصرفه عن يشاء - هذا هو الأعم . وأما قوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - الخ فهو ظاهريا تقدم في التفسير . وهنا جوهرة

( الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - )

قد قمت لك أن العقول لا تقبل أن يكون في السماء جبال . وأريدك على ذلك أني حينما كنت أقرأ هذه الآيات أقول لعل الجبال جعلت مجازا عن السحاب . أما الآن فقد ظهر أن جبال الثلج دائمة في الجبل ولكن الحب أن يقول - فيها من برد - فلم يقل جبلا من البرد لأن الحقيقة أن الجبال المقدسة من الثلج لا من البرد والبرد كما تقدم داخل في الثلج كاشع السماء وأوضعه العالم الألماني في الظواهر الطبيعية فيها تقدم أنما إذن قوله تعالى - فيها من برد - لم يتضح إلا في هذا العصر لأن جبال الثلج إنما يكون البرد محولا عن بعضها لاسكها . إذن ذكر - من - في الآية قد ظهر سره الآن . انتهت الجوهرة الأولى

( الجوهرة الثانية )

اللهم انك أنت ذو الجلال وذو الجلال . خلقت الانسان من الجبال على الجبال في الجبال فاعلنا كلمة جبال ولكننا غافلون . فإذا يفعل الله معنا . هو يرزحهم . فتح لنا أبوابا كثيرة وهذا إلى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجبال . أذكر أني بعدما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمحت البراري الحسان لامعات في جو السماء ترقص وهي في جلايب لازوردية مشرقة اللون . فإذا خطرت لي قلت في نفسي عجبا وألف حجب . أنت يا الله حكيم ورحيم . أسطنا بكرة سمينها ساء وكلها مرصعة بالبراري وهي آمن من الدرف لم نترك الجبال وأغلبننا غافلون فأخضت فتحت لنا أبواب النظر . ومنها أنك عمدت إلى بخار الماء في الجبل فجمعت بالبرودة وصنعت منه بحجارة لامعة سمينها باردا وأخذت تكسر بها الشبايك والسقوف في

المنازل وهتل بها البهائم في مراعيها . لماذا هذا . لأنك لم تخلق هذا العالم إلا للبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا . وإذا خربت بيوت ومئات نفوس وهلكت حقول فذلك باب للعلم . لولا هذه الزعجات ماتت الناس لهذه الحوادث ولذلك رسمها العلامة (البك) (الروسي سنة ١٨٦٩) والضابط (ديككوز) الفرنسي سنة ١٨١٩ وبقى ذلك للناس ليذكروا . أهلك البرد بعض ما ينفع الناس في الأرض ليوقفهم فإذا رسموا هذه الصور كما رأيت فقد أتوا يعلم دائم نشره القوم في أوروبا ونحن هنا نضربه القرآن . إذن كل هذه العوام انما يراد تخلفها في النهاية العلم ولا حادثة تحدث في الأرض إلا لما قسم صدق في العظة والاعتبار والاعتبار هنا أكثره على كما عرفنا والحمد لله رب العالمين

### (انعام الجبال في هذا المقال)

لقد تبين في هذا المقال وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير أن جبال الثلج تكون على الأرض عند القطبين وكلما تباعد الانسان عن القطبين واقترب من خط الاستواء ارتفعت تلك الجبال فأعظم ارتفاع لها يكون عند خط الاستواء أي ان جبال الثلج التي تقدم انه كالقطبان المنسوف وشاهدت رسمه يكون بعيدا عن سطح الأرض جدا ولا يزال يقترب منها حتى يكون على سطحها عند القطبين فأريد الآن أن أزيد هذا المقام جمالا فأقول

ورد في كتب الجغرافيا الحديثة أن تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا أشبه بتاج حول القطب الشمالي . ولقد اتجه العلماء لكشف تلك الأقطار من ابتداء القرن السادس عشر الميلادي الى الآن ولم ينالوا من العلم بها إلا قليلا لأن الثلج الذي نحن بصدد الكلام عليه يصد السائحين أو يهلكهم وغاية الأمر أن (دافيس) كشف البوغاز المسمى باسمه في القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر كشف (بفان) (بوغاز) (نسكاستر) ولكن الثلوج قامت عتبة في طريقه فارتد الى أوروبا . وفي القرن التاسع عشر توجه (جون فرانكلين) الى القطب الشمالي ومات . وهكذا قصدت بعثة القطب عن طريق (بوغاز بهرنغ) فهلكت بين الثلوج . وفي سنة ١٨٦٩ قصدته بعثة أخرى على سفينة ألمانية خلطت الثلوج السفينة وألقت العناية الإلهية بركابها الى ظهر جزيرة سابعة من الجليد سارت بهم حتى ألقتهم على شواطئ جرينلاند الجنوبية سالين . وفي سنة ١٨٧٢ كشف (واير) و (تايرخت) جزائر (فرانسوا جوزيف) ولم يقدرا أن يجتازا أكثر من الدرجة (٨٢) والدقيقة (٥) . وقصد (كان الأمريكي) القطب سنة ١٨٥٨ فصادفته المصاعب فرجع وقال (هناك بحرسائر في القطب الشمالي) . والدكتور (هيس) قصد القطب في مركبات تجرى على الثلج سنة ١٨٧١ فأتى عند الدرجة (٨٠) والدقيقة (١٦) فرجع أصحابه بعد ما حطمت سفينتهم فقلبتهم جزيرة من الجليد عائمة فلبثوا عليها ستة أشهر وهي سابعة حتى صادفتهم سفينة على شواطئ (البرادور) فقلبتهم بها وقد كادوا يهلكون . وفي هذه الأقطار يرى البحردا بياض ناصع لكثرة الثلوج وتري سطحه مغطى بقطع ثلجية مختلفة الأشكال وقد يكون شكل جبال بمفاويزها ومضائقها ووديانها وقممها . ومنها ما هو على شكل سهول واسعة لامعة . وفي الصيف قد يبلغ سطح بعض هذه الثلوج مئات من الكيلومترات للبربة وارتفاعها ينوف على مائة متر وحجمها بجله آلاف آلاف الآلاف من الأمتار المكعبة ويضطرها ثقلها أن تعطس في الماء . وقد يكون المحتقن منها في الماء ثلاثة أمثال ما على ظاهره . وتأتي الرياح والتيارات بهذه الجبال الثلجية الى بلاد المنطقة المعتدلة فيشاهدها سكان الأرض الجديدة بأمريكا (٤٥) درجة وغيرهم والبرمغطي بالثلج كالبحر هناك . فترى الرياح تأتي مشبعة ببخار الماء من البحار فيستكاث بخارها فينزل على الأرض كأنه نديف القطن فيجتمع ويصير جليدا . ومن العجائب أن هذه الأقطار اذا كان الليل فيها (ومعلوم أنه ستة أشهر كالبحار) تطلق حاستا السمع والبصر فتظهر للعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس

والأقمار الكاذبة والشفق الشمالى المتقدم ذكره ورسه في (سورة الكهف) ويكون لهذا الشفق كما تقدم هناك ألوان بهجة وأشكال عجيبة فيظهر كأنه زينة في الأفق أوياب من نورفتح في السماء . فأما قوة السمع فانها تكون عجيبة فإذا سقط حجر كان له صوت كصوت المدفع وإذا تكلم إنسان سمع صوته وقهم كلامه على مسافة ألف متر . وليس هناك أبهج من شروق الشمس والقمر فتظهر أوار الشمس أولاً شقاً ثم تعظم بالتدريج ولا تعاد الأفق بل تدور حوله والقمر يظهر نوره جلياً جداً حتى يستطيع الإنسان أن يرى على مسافة (كيلومتر) وسكان تلك الأقطار يختلفون بظهور الشمس فيوقدون النيران ويقيمون الأعياد . وأما القطب الجنوبي فإن المعروف عن أرضه قليل جداً . وأهم الرحلات إلى القطب الجنوبي كانت في القرن الثامن عشر فكتشف ثلاثة من الفرنسيين بعض الجزائر . وتبعهم (كوك) وكشف جلة أرضين . وأثبت أن هناك قارة عظيمة . وآخر درجة وصلوا لها (٧٨) والديقية (٩) والثانية (٣٠) (١٨٣٩ - ١٨٤٣) وقطع الجليد أضخم وضخامة الطبقة الثلجية أكثف فيه والضباب هناك غم دائماً . والقول العام أن هناك أرضاً بالقرب من القطب الجنوبي واستنتجوا من بعض الظواهر أن هناك جبلاً ورأوا بعض براكين . وكل ذلك يدل على قارة جنوبية كما عرف علماء طبقات الأرض أن الأقطار الشمالية المتقدمة فيها مناجم للفحم الجوى مما يدل على أن الغابات كانت في قديم الزمان موجودة بهذه الأصقاع

( بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله ينجي سبحاً - الخ )  
خرجت من المنزل صباحاً للرياضة منذ شهر هذه السنة ١٩٢٨ م وكانت الطبيعة لم تصل في طبع التفسير إلا إلى (سورة الاسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة المنيل) وكان نظري مبتهجا بالألوان الشمسية للشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يطل ضوء الشمس الأصل ضوياً أظهر بياضاً وأحسن اشراقاً . فأما فكرى فقد كان مبتهجا بمسألة (الحمار) وتناوله في البحر وأن (الحمار) تلد ألقاً من صفاتها بلذكر وهذه المسألة تناسب مسألة المسيح وأمه . فبينما أنا كذلك إذ قابلى هناك صديقى مصطفى بك منير ذاهباً إلى ديوان التنظيم فسألنى قائلا . فيم تفكر . فأجبت بما ذكرته فسر وقال هذا أمر لم أسمع من تفكر فيه من قبل . هناك أخذنا تتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث فأخذ يقض لى قصصاً عجيباً . قال ( لقد اجتمع سنة ١٩٢٥ أى منذ ٣ سنين ببلادنا للصربية باسم الحكومة المصرية نحو (٢٥٠) عالماً من علماء الأمم الأوروبية كلهم أعضاء الجمعية الجغرافية التي أنا من أعضائها . ولما التأم جمعهم وتكامل وانتظم الاحتفال ألقى كل واحد منهم خطبة في موضوع جليل جليل . ولما كنت أنا منهم ألقيت موضوعى في أمر النيل وخروجه من خط الاستواء وأن آية - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ منطبقة على نيل مصر انطباقاً تاماً

(١) ألم تر أن الله لم يخلق نهراً مبدؤه بحر به خط الاستواء إلا النيل  
(٢) ألم تر أن تلك الأقطار الاستوائية لاتفتأ أنواع البرق تتلألاً فيها بحيث فوق المعتاد تمتاز عن برق الدنيا كلها بحيث تكاد تخطف الأبصار وتبهرها مدة عشرة أشهر في السنة

(٣) وأيضاً هناك أخايد في الأرض غائرة ينزل فيها ماء غزير جداً لا يدري الناس أين يذهب وهكذا  
(٤) يخرج البخار من المحيط الاطلسي والمحيط الهندي أى من جانبي افريقيا فيلتقيان في الجوف فيمطران في خط الاستواء . ولأول الاشارة بقوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - ومعالم أن ذلك التقلب في خط الاستواء لأن حركة الشمس هاهنا . ولثاني - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار - ولثالث - يصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء - والرابع بقوله - ألم تر أن الله ينجي سبحاً ثم يؤولف بينه - الخ . قال وكانت الخطبة لكل خطيب لاتتجاوز (٢٠) دقيقة فلما سمعوا هذه الخطبة آمنوا بالاجماع على قولى واعتبروا هذا نوراً

اسلاميا . فقلت له أيها الصديق كيف تقول ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر منبجه بخط الاستواء مع أن هذه المنطقة ينبع منها أنهار كثيرة . فقال تنبع أنهار ولكن ذلك ليس من نفس خط الاستواء أي ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر في خط الاستواء فعلا بمنبجه . أما غيره فيميل قليلا أو كثيرا ثم تسم وقال لاتنس أن هؤلاء علماء الجغرافيا الذين يظنون لكل ما يقل على علمهم . فقلت له فإذا عملوا بهذا ذلك قال لما رأوا انطبق نهر النيل على الآية وقد كنت رسمت خريطة رسما عجبا بحيث صارت الخريطة أطول من ثلاث حجرات على الأرض وقد رسمتها بحسنة وجبالها مرتفعة وبحيراتنا منخفضة وكل ذلك بألوان . وهاهي ذه أريكها الآن في دار الجمعية الجغرافية التي مفتاحها بيدي فأخذني إليها وفترجت عليها ودهشت لخريطة عظيمة مرتفعة عن الأرض بقوائم مستطيلة ضخمة وليست في حجرة بل هي في بهو المكان فقال انظر فنظرت السقف ومنه تدخل أشعة الشمس فقال ان علماء الجغرافيا الذين أروا من جميع عمالك أوروبا كما أخبرتك هم الذين نقولها بأنفسهم من الداخل الى هنا اعظاما لها وجعلوها ملاقة لأشعة الشمس إشارة لأنها مناط العلم والتقدم ورسومها ( الخريطة المقدسة ) وذلك لأن لها آية في كتاب مقدس وهو القرآن . قال وقد فرحوا فرحا عظيما . فقلت له يا سبحان الله . أيتكون هذا في بلدي وعلى مقربة من منزلي ثم اني أجهل مع انك أنت صديقي . إن هذه أحسن فرصة أن أقص هذا القصص في التفسير وأن ترسم هذه الخريطة لي مع بعض المعلومات معها فتفضل ودرسها وأرسلها لي فشكرته على صنعه ودرسها هنا وذكرت ما كتبه على مقتضى ما أفاد به علماء الجغرافيا . ومن عجب أن يجتمع في هذه السورة ( ثلاث عجائب ) الخريطة المقدسة هنا . ثم خطبة صديقي الأستاذ ( حاد المولى ) في شرف الدين الاسلامي في جمع حافظ من عظماء علماء أوروبا وقد أقرره ولم يناقشوه وذلك عند قوله تعالى - وكذلك أنزلناه آيات مبينات - فساد كرها هناك لأن هذا من التبيين الذي نزل به القرآن . ثم ما كتبه الجمعية الأسبوية الفرنسية على الدين الاسلامي بمناسبة كتابي ( نظام العالم والامم ) فلا بدأ بالخريطة المقدسة وان كان مافسره ليس على النهج الذي قدسناه ولكني أردت أن يقف الناس يدينا على آراء أهل عصرنا

### ( الخريطة المقدسة )

لما أرسلها لي صديقي مصطفي بك منير قال بعد الديباجة . وبعد فرسل معه صورة لوحة (خريطة منابع النيل) التي أبصرتموها في دار الجمعية الجغرافية ومعها نسخة من مختصر المحاضرة التي ألقيتها في الجمعية على أسانذة للدارس والله يحفظكم ويهدينا الى الصل بارشاداتكم المخلص . مصطفي منير أدهم وهذا نص الخطبة المذكورة

### ( القرآن الكريم و منابع النيل )

من ألف الخارطات المعروضة في دار الجمعية الجغرافية الملكية المصرية لوحة بحسنة تمثل منابع النيل عند خط الاستواء . فتري جبال (رقنزور) الشاهقة التي ارتفاعها (٥٥٠٠) متروفي جنوبها جبال (اريزمي) وارتفاعها (٤٥٠٠) متر . وفي شرقها (جبال الجون) وارتفاعها (٤٣٠٠) متر وقد كساها البرد طيلسانا أبيض حتى اذا ما أزعج السحاب وتألفت أجزؤه وتراكمت خرج المطر من خلالها ونزل من السماء من تلك الجبال الشاهقة بلعان له يريق يظف الأبار . وتري على هذه الجبال تجلوف الماء وقد انحدر منها وجرى الى بحار تنهي الى بعض البحيرات وتنصرف عن الأخرى ، تری بحيرة (فيكتوريا نيارا) ومساحتها (٦٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا وارتفاعها عن البحر (١١٤٥) مترا وقد أصابها ماء تلك الجبال لأن البحيرة وقعت بينها . وتري بعض هذا الماء وقد انصرف من جبال (رقنزور) و (اريزمي) الى بحيرات (نيجانيقا) وارتفاعها (٦٣٣) مترا و (كيفو) وارتفاعها (١٤٥٠) مترا و (اوارد) وارتفاعها (٩١٥) مترا والبرت ومنسوها

مكتسوب بحيرة (ادوارد) ، وكذلك انصرف بعض ماء (جبال الجون) الى بحيرة (رودلف) وتروى الماء في بحيرة (فيكتوريا) يجري شمالا الى مجار تصب في بحيرة (كيوجا) وارضاها (١٠٣٠) مترا ويخرج من هذه البحيرة نهر فيكتوريا فيصب في بحيرة البرت . ثم تروى نهر البرت وقد خرج من بحيرة البرت وانتهى الى أول مجرى النيل السعيد . وتجد فوق اللوحة خط الاستواء حيث يستوى الليل والنهار ملوا بالجزء الشمالي من بحيرة (فيكتوريا نيارزا) قاطعا جنوب جبال الجون الواقعة شرقي البحيرة وجبال (روفوزو) و (اريزمي) التي في غربيها . اختارت الجمعية له هذه اللوحة أحسن مكان عندها فوضعتها تحت روشن قاعة المحاضرات الكبرى فترى أشعة الشمس وقد سقطت عليها نهارا فأكسبتها هبة ووقارا . ويحيل الى الناظر إليها كأنه في طائرة عالية عند خط الاستواء وتحت تلك الجبال الشاهقة وقد كساها الثلج وتراكمت عليها السحب وخرج من خلالها المطر وزل من أعلاها بلعانه المبحي الذي يغطف بالأبصار منتويا الى بعض الجهات وينصرف عن الأخرى بحسب ما يهيه له يد القدرة من مرتفعات ومنخفضات وأخاذه كانت غامضة علينا لولا أن كشفها أخيرا المستر هرس مدير مصلحة الطبيعيات سنة ١٩٢٧

هذا المنظر المائل بل السر الإلهي العظيم يستمر على هذه الحال عشرة أشهر في العام . وضع بطليموس سنة ١٥٠ ق م خارطة النيل الموجودة صورهما في دار الجمعية الجغرافية ورسم عليها منابعا واحدا للنيل حسب ثم جاء بعده بنحو اثني عشر قرنا الاندريسي ذلك الجغرافي الشهير وقال ان النيل يخرج من بحيرتين تصبان في بحيرة ثالثة وهو أقرب الى الحقيقة ومطابق للوصف المبين على لوحة منابع النيل المذكورة .

هذا ما أمكنني على قدر طاقتي أن أصفه لك أيها القارئ الكريم عن هذه اللوحة وإخالك ملئت وصني وإن كان قرب لك على قدر الإمكان تصوير اللوحة . ولكن انظر إذن الى ما وصفها الله تعالى به منذ ١٣٨٧ عاما في كتابه العزيز فقال تعالى وهو أصدق القائلين - ألم تر أن الله يزيح سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار • يقرب الله القليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار -

لم تترك هذه الآية الكريمة قطعة واحدة من وصف اللوحة وما يحصل عند النيل من العوامل الطبيعية من أول ما يزيح السحاب الى أن يجري ماءه في النيل إلا وذكره . ولا سيما ما يحصل من الليل والنهار لمناسبة مصادقة خط الاستواء لمكان تلك المنابع وما ينصرف من الماء الى تلك الأخاديد التي كشفها المستر هرس وما يحصل لأهل اقليم (فيكتوريا نيارزا) من تأثير لمعان البرق على أبصارهم . وهذا الوصف لا ينطبق على منبع أي نهر آخر غير النيل السعيد قال تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ انتهى خطابه (انظر شكل ١٣ في الصفحة التالية)

( نكل ١٣ - سورة الحرة القذبة ليل معزرس مطلق بك من ادم )



﴿ مقال عام في هذه الآيات من قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير - ويان أن هذه الآية هي سر

ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيا دين قديم المصريين ﴾

انظر أولا في دين الصابئين وهم عباد الكواكب وتعجب لما في لغة العائلة (الآرية) أو الهند الجرمانية فان الله عندهم هو النور أو الشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو اللامع ويشق منها عند الشعوب للذكورة ألفاظ للدلالة على الله . ففي لغة (السنسكريت) (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلقطة (ديوس) وعند اليونان (ذوبوس) وعند اللاتين (دوبوس) أو (ديوفيس) ثم قالوا (جوفيس) ومنه (جو بتر) وفي الألمانية القديمة (ذيو) وفي السلان (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أم الشمال والفرنسيون يعبرون عن الخالق (ديو) مترجمة والإيطاليون (ديو) والاسبانيون والبرتغال (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد . ولأجزم أن نار الفرس ذات علاقة بالنور فتري هذه الأمم في مبدأ أمرها لما بهرهما من جبال النجوم عشقت مبدعها وعبدته وسمته باسم النور على مقتضى تعاليم أنبيائهم ثم طال عليهم الأمد ففسدوا تلك التعاليم فعبدوا العوالم المنظورة المصنوعة ثم عبدوا الأصنام اشبهى من كتابي ﴿ أصل العالم ﴾ مع إيضاح آتم

فانظر لتعاليم القرآن وكيف أنزل الله هذه الآية ليدلنا على أصل فلان . إن فطرة الانسان كلها عاشقة للنور لأن النور جبل والنور مبدأ الحياة . فلو أن أنوار السماء والحرارة المنبعثة من الشمس لم يكن على وجه الأرض نبات ولا حيوان . لذلك كان الناس مغرمين بالأنوار سواء أعرفوا الحقيقة أم لم يعرفوها . فاذا أسماوا الله بالنور فهمي تسمية أقرب الى الفطرة . فانظر جميع أديان الصابئين التي ذكرتها لك فانها ترجع الى النور المذكور في هذه الآية فهي آية جمعت ديانات الأمم الفطرية التي تلائم عقول الناس جميعا مما اعتراه ما يعتري كل حي من البوار فاختلطت تلك الديانات وعبدوا الشمس والكواكب ثم الأصنام ثم ذهبت وحل محلها الاسلام . ذلك دين الانسانية جميعها . فانظروا عجب لهذا الدين . نبى أمى في جزيرة العرب تنزل عليه آية - الله نور السموات والأرض - ونفس هذا المعنى هو ملخص كل دين نزل على نبي قبله . وإياك أن يصدك عن هذا المعنى أن الأديان ضالة أو خاطئة أو منسوخة . كلا . ثم كلا . فهذه الديانات كلها كانت في أول أمرها حقا صحيحة والله عز وجل أشرق نوره العلمي على كل طير وكل دابة وكل حشرة وهذا على الأمم الانسانية . الله لم يستغن من رجته أحدا وكيف يستغنى وهو نور السموات والأرض . هو رحم كل مخلوق ورحم الأمم السابقة وأسبغ النعم عابها ظاهرة وباطنة . ولكن كلما اختلط دين وضل أهله أرسل رسولا آخر حتى جاء الاسلام فشرح كل دين وقال الله فيه - الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة - الخ أى فلا تظنوا أن الله هو الشمس أو الكواكب . كلا . بل هذه ضرب أمثال ثم ضمن حفظ هذا الكتاب وبقائه باللغة العربية ثم خلط أمم الشرق بأمم الغرب وقال لهم أيها الناس لا تخافوا من الضلال فكل من حصل له شك في دينه فوجدته غير معقول عنده . فها هو ذا حصن وهو القرآن فاقروه أيها الناس في هذه الأرض . ولقد كنت أرسلت ألقا من الأنبياء ومئات من الرسل فغيرتم أديانهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك - لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن - وأنه تعالى جذر بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا \* وأنه كان يقول سفينا على الله شططا -

﴿ الكلام على دين قديم المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه ﴾

اللهم انك قد سحرت ببجالك الذى أشرق في الآفاق عقول العقلاء من جميع الأمم وانه يظهر لى أن الله أناسا في كل جيل وأمة يحضون اليه ويظربون لمنظر جماله الذى أشرق في هذا الكون العظيم . اللهم ان



نجومك الجيلة وشموسك المشرقة وأقمارك الباهرة وعلومك الساحرة وبهجتك الساطعة قد امتلأت بها قلوب وقلوب فظهر على ألسنتهم وصف ذلك الجبال . اللهم إن هذه الدنيا كلها مشهد عرس وموسم أفراح قد نصبت فيه التريات المشرقات وهن برقصن بتلاؤن ويتواجدن بترفع حتى إن أرضنا في الحقيقة لازال راقصة آناء الليل وآناء النهار فهي كن قال الله فيهم من اللانكسة - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - فهي لا تهدأ ولا تقتر عن الجري بما جعلت على ظهرها حول الشمس وحول نفسها فرقصها مزودج كأنها في عرس دائم وفرح هائم . تدور الهورين على نفحات الرافعات الحسان من كواكب السماء وهي فرحة بما حليت به من تلحج كلناس في قطيبها وجبال منه كأنها القطن اللندوف في جوقها وفوق أعلى جبالها فهي حسناء وشمت بالناس والجواهر من ججع جوانبها قد كلفت آما فآنا بقوس قزح والأزهار الجيلة وأريج الزهر وبهجة السحاب ولطف الهواء زينة وبهاء . الكون كله في عرس متى خلطه العقلاء . كله نور همد من يعقلون . ليس يشهد هذا العرس من الناس إلا قليل أولئك هم الذين يعقلون لم يخلقوا ويدركون نعمة من جبال مبدع هذه الكائنات لذلك ترى ججع البيانات بحسب حقائقها ترجع إلى هذا المبدأ الذي وصفناه ولذلك قال الله تعالى - قل ما كنت بدعا من الرسل - فهذا الدين شأن البيانات الحققة السابقة قبل تبديلها . انظر ماذا ترى في دين قدماء المصريين فإنه قبل أن يشتد فيه التبديل جاءت أناشيد على منهج هذه الآلهة - الله نور السموات والأرض - فانظر ما نقلته لك عنهم في (سورة البقرة) من كتاب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين المترجم حديثا عن كتب الاوربيين وذلك في أول سورة عند قوله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة - الخ فهناك وصف الله بأنه قد أشرفت شمس في الأرجاء وتبع ذلك وصف الشمس ونورها وبهجة الحيوان بها إلى آخر ما هناك . هذا ما كتبت هناك فاقراء تجد الحب . وأقول هنا قد جاء في الكتاب المذكور ما نصه (ومن رأى بعض المؤرخين أنه لم يكن اعتقادهم أن توت هو الشمس نفسها بل هو الجواهر الذي لا شكل له وهو أصل كل شيء والذي أنزل المحبة على الأرض . وقد مثلوا (توت) على شكل قرص الشمس) انتهى

أقول . إذن هؤلاء أصل دينهم كديننا فآنا نقول ان الله مقتس عن كل الحوادث ولكن هم جعلوا الشمس ضرب مثل له وآتون اسم من أسماء الله عندهم

وقال في صفحة ٩٢ (وقد وصفوا أنون بالرجة والشفقة وحب الخير والملاطفة مع خلقه وأنه أب لهم عطوف جيل بلاء السموات والأرض بالخير والبركة ولطيف بخلاقه بأسرهم بمحبة ويلطف بالطفل في الرحم وفي المهد ويطلق على الفرخ في البيضة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعمم المنافع لساير البلاد وجيع العباد) اه وجاء فيه أيضا في صفحة ٩٧ (ان قنساء المصريين وان عبدوا الآلهة قد وحدوا فضلا أيام الملك مينا فأنه في مدينة (عين شمس) أتوم وفي مدينة منفيس (فتلح) وفي مدينة الاشمونين (نحوت) وفي مدينة طيبة (أمون) . وفي الأقصر (حورس) وفي جزيرة اسوان (ختوم) وهذا كان سبب تعدد المعبودات عندهم والا فالأصل هو التوحيد) انتهى

وجاء في هذا الكتاب صفحة ٩٧ ما ملخصه

(من هنا يتضح أن معبود الجميع في الحقيقة إله واحد وما هذه الأسماء إلا رموز ومظاهر للإله الحقيقي الواحد الجامع في ذاته كل الصفات الإلهية) وإلى القارئ أنشودتان من أناشيد أهل طيبة للمعبود (أمون) ومنها يتضح حقيقة عقيدتهم في الله الفرد الصمد وهما

(الأنشودة الأولى)

(إله العظيم سيد جميع الآلهة (لعل التصديج لللانكسة) أمون رع الأزلي الحق الواحد الخالق لكل

شيء السيد المسيطر الذي لم يكن قبله شيء بل هو الموجود قبل كل شيء وكان منذ الخلق هو قرص الشمس الذي  
يحيا جميع البشر بظهوره ﴿ ترجع من كتاب (نافيل)

### ﴿ الأنشودة الثانية ﴾

﴿ الإله الذي أوجد العشب للحيوان وغار الأشجار للإنسان ويسرقوت الأسماك في البحور وهيا الغذاء  
للطيور وروضع الروح في البيضة وأطعم البرغوث والبعوض وحانه شامل لكل ملتجئ إليه . حتى الضعيف من  
القوى وهو المجدد المحبوب في السماء والأرض والبحار وتخضع له الأتلة (أقول أي الملائكة) تجده تعظما لحاقتهم  
وتبتهج بقر بهم منه وتعبدته الحيوانات الضارية في فياني الصحراء . يهر جالك العقول وخطب القلوب ﴾  
(ترجع من كتاب أرمن الألفاني) انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أفلمت ترى أن هذا الميام وهذا الحب والفرام يجمع هذا العالم ناشئ من قلوب أدركت جلاله في هذا  
الوجود ورجسته الشاملة . فالأوصاف في هاتين الأنشودتين ترجع للجمال الظاهر الذي أبرزوه بهجة الشمس  
والجمال الباطن الذي يرجع للرحمة الشاملة لما في الأرحام ولكل من على الأرض . ومن عجب أن آية - الله  
نور السموات والأرض - وما تبعها من أن الطير صافات تسبح لله وتصلي له فيها كثير من معاني هذه الانشودة  
بل فيها جميع معانيها لأنه ذكر ما يعيش على رجلين وما يعيش على أربع وما يعيش على بطنه بعد ما ذكر الطير  
ففي هذه الآيات معاني هذه الانشودة والأنشودة التي ذكرتها في (سورة البقرة) فغانيا تقرب مما هنا ولولا  
خوف التكرار لذكرتها هنا ولكني أقول أنهم فيها (أولا) وصفوا الليل وظلامه وأن الله يحفظ أرواح الناس  
وهم نائمون (وثانيا) وصفوا طالع الشمس وفرح الناس به فيتوضئون ويلبسون ملابسهم ويرفعون أيديهم  
إلى السماء (وثالث) ذكروا أن المواشي تستقر في مرعاهها والأشجار تزدهي والطيور ترفرف تعجيدا لك  
وتنهض الحيوانات على قوائمها (ورابعا) أن الشمس إذا أشرقت تسبح الأفلاك في بحارها وتمجح الأسماك في  
لججها وتتلألأ الأنوار على صفحات الماء (وخامسا) ذكروا تصوير الأجنة كما تقدم وأرضاع الأم لمن بعد الولادة  
ثم تعليمهم اللغات . ثم ذكروا أنه خلق سائر البلاد لامرئ وحدها وهكذا ذكروا النيل الذي يحيا به المصريون  
ونزل الأمطار على الجبال وتقسيم الفصول بأضواء الشمس . وانتهى النشيد بهذه العبارة ﴿ خلقت الأرض  
لأبنائك (يريد عبادك) ومتى أشرقت علينا تشخص العيون لجلالك ﴾ انتهى

فهذا المعنى الذي تضمنته ذلك النشيد يرجع إلى النور وإلى الحياة وإلى الحيوان والطير وإنه كله مسبح  
بحمده . إذن هذه الآيات تضمنت هذه المعاني . وهذا عجب أن تنجبه الأفتدة في الأم قديما إلى المعاني التي  
نزل بها الوحي حديثا على خاتم الأنبياء ﷺ لهذا ولنغيره قال الله له - قل ما كنت بدعا من الرسل -

ثم اعلم أن هذه المعاني التي تتشربها قلوب عقلاء وحكام الأمم غذاء لهم وبهجة في الحياة الدنيا بل هي  
السعادة العظمى . اللهم إن أمثال هذه البدائع والذم والجواهر نعم جعلت لأناس أنت اصطفتهم في الدنيا  
يعجبونك حبا جارا وقلوبهم وإلهة بك وإمعة لك بهجة بأنسك مشربة للفتاك ترى الدنيا عروسا أنت جلوتها  
وكؤسا أنت أدركتها ونورا أنت أبصمتها وحرما أنت أقتته وزينة أنت نصبتها . سبحانك اللهم جعلت هذه  
الدنيا دارا تجمع بين خالين حل الجنة وحال النار . فأما الأمم والدول والممالك وأكثر الناس فكل هؤلاء  
يكتوون بنارها في احتدام وخسام وجدال وحسد على متاع قليل . وأما الحكماء الذين اصطفتهم فوالله أنهم  
مع الناس بأجسامهم وظواهرهم وهم الآن في جنة المعارف . فهم في الدنيا معك في أنس وحبور وجمال  
وبهاء . بك يأنسون وبقربك يفرحون وشموسك وأقارك وبحومك بهم يطوفون . هؤلاء هم صفوة  
الإنسانية ومقر الأنوار الالهية . فهم مع الناس في شقاء وظواهرهم ومعك في جنة بيواتهم . إن الحسد  
والحقده والفيظ والعداوة والطمع والحرص قد أحاطت بالناس فسلبتهم السعادة . فأما هؤلاء فانهم غلبت عليهم

تلك الأنوار المشرقات فازدانت قلوبهم . فهم في جنة يحبون . وهؤلاء وحدهم هم الذين يقتلون قولك - الله نور السموات والأرض -

﴿ بهجة العلم في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الخ ﴾

اللهم انك أنت المحمود على نعمة العلم والعرفان وجمال الاقنان وأبداع النظام . هذه الآيات أبانت لنا ﴿ جالين ﴾ جلالاً يدرك سببه بالابصار وجمالاً يدرك سببه بالبصائر . فأما الجبال التي يدرك سببه بالابصار فهي هذه الأنوار المشرقات من الكواكب المحيطة بأرضنا كما أوضحناه . فهذه تدرك أسبابها أبصاراً وهي التي ضربها الله لنا مثلاً للأنوار الباطنة التي مصدرها هوائه بلا واسطة هذه المشرقات . وأما الجبال التي يدرك سببه بالبصائر فهو ذلك الابداع الذي ظهرت آثاره في جمال الوجود واثقان الصور والعطف والطف والراقة والرحمة والمهام الحشرات والأشهاد وخلق الأجنة في البطون والرحمة التي لاحد لها والتي قد وضعت في هذا التفسير أيضاً وضح وهذه هي التي ضرب الله المثل لها . فالشمس والكواكب وأنوارها ضربت مثلاً للنفحات الباطنة والالهامات الجبية واحسان التصوير والنقش والابداع . فقوله - مثل نوره - الخ هو الذي ضرب به المثل . وذكره الطير صافات وإزجاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركناً وإزال الودق منه وكذلك البرد وتقلب الليل والنهار وخلق الموابكها وتقسيمها الى من يمشي على بطنه ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على أربع . كل هذا التدبير لاصلاح الشمس والاكواكب لاحدائه . كلا . إذن الشمس والغيوم والاكواكب أسباب الأنوار الظاهرة . فأما ذلك التدبير والابداع فأسبابه خفية تدركها العقول والأفهام . ولقد ذكرت لك آنفاً أن قسماً للمصريين ذكروا الأمرين معاً أمر الأنوار الظاهرة في أناسيدهم من اشراق الشمس وظهور الحركات الحيوانية بها . ومن ظهور الطيف والراقة والتدبير في خلق الأجنة في الأرحام وأزيد عليه الآن بأنهم لم يكتفوا بذلك الشئ بل انهم فوق ذلك أبدعوا رقصاً دينياً في معابدهم . وذلك الرقص ليتشبهوا بالكواكب الجارية حول الشمس لأن أظهر الأنوار مآراه العيون من الكواكب فإذا تشبهوا بها فقد نسجوا على المنوال الرباني في نظرمهم وذلك ليكون ذكر الله قولاً بالأشيد وعمل بالرقص الذي وهذا (مع وجود الفارق) كما اتنا ذكر الله بألسنتنا ونسلى له بحر كائناتنا في القيام والتعود والصلاة أقوال وأفعال فهم كذلك أقوالهم النشيد وأفعالهم ما يشبه الرقص . ولا ندري هل ذلك كان عن أنبياء مثل سيدنا ادريس (سيزوستريس) وغيرهم أم من اختراع علمائهم استناداً على دينهم ونصوص أنبيائهم . وسيأتي إيضاح هذا الرقص في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - ولقد عرف الناس الآن أن تاريخه يرجع الى (٥٠٠) سنة . جاء في كتاب ﴿ الأدب والدين ﴾ المتقدم أن ذلك لم يكن خلاعة وشهوة بل جماعه نموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلاً للأفهام الموسيقية . ونقل في هذا الكتاب عن (كسفيلاذ) أن تمجيد الخالق عند قسماً المصريين آداهم الى انشاد الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهاراً لسرورهم وأفراسهم وقياماً بشكر النعم واظهاراً للعبودية والنضوع لتمام الربوبية حتى اعتبر قسماً الشعوب أن الرقص جزء جوهرى من ديانتهم بل اعتقد المصريون انه من التعاليم المنزل . انتهى ملخصاً

ثم انظر ماذا جرى في الأمم الاسلامية في هذا المقام فانك تجد الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات يقول مالمخلصه ﴿ إن مما يشق النفوس الانسانية في الحضرة الالهية ويجذبها اليه العشق العفيف والصوت اللطيف والعبادة مع الفكر ﴾ وقال شراحه إن المراد بالعشق عشق الشماثل لعشق الصور فان عشق الصور موجب للفسوق والاهيام بالمحسوسات . أما عشق الشماثل فهو الذي يدعوى الى جمال الالهى . وأضرب لك مثلاً الآن فأقول : اتنا نرى الزهرة والشجرة والكواكب فلانهيج شهواتنا وتفرق طبعنا بين هذه وبين الصور الجليلة الانسانية . فزهرة نحبه ولكننا لا نثير شهواتنا مباشرة بخلاف منظر النساء فانه مثير للشهوات مباشرة

لحبنا للشبائل يقولنا أشبه بحبنا الزهرة المبصرة . ثم إن الصوت اللطيف الذى ذكره (ابن سينا) شرحه العلامة الغزالي فى الاحياء فى « كتاب السماع » فى الجزء الرابع منه فأباح السماع ولم يحرمه ولكنه شرط له شروطا كلها ترجع الى أمر واحد وهو أن لا يثير الشهوات فقد ذكر شروطا فى السماع وشروطا فى المنفى وشروطا فى نفس القول المسموع وأبان أن السماع لا يكون حتى يحتاج بالسماع وأن المنفى اذا كان امرأة هيج الشهوة وأن القول اذا كان فيه خلاعة كذلك . وقد أطل فى ذلك وفصله تفصيلا فارجع اليه . ومن عجب أن العلامة (ابن الطفيل) فى محو القرن الخامس على ما أذكر فى كتابه (حى بن يقظان) التى تلخصت لك فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أولم تؤمن قال بلى - الخ قد ذكر أن (حى بن يقظان) لما ترعرع فى الجزيرة وفطر الكواكب مشرقه مغربة أدهشه جالها وقلدها فى حركاتها ودوراتها وصار يدور على نفسه تشبها بها حتى ينشئ عليه لأنه لم يجد من يقتدى به فى حركاته وعبادته إلا هذه السيارات الجارية ودوراتها حول الشمس هو عين عبادتها لله . وهذا التخيل جعله يقلدها فى القرب من ربه . أفلا تعجب معي أيها الذكى كيف رأينا علماءنا السابقين قد بحثوا فى العالم العلوى والسفلى ودققوا وكتبوا لنا آراءهم فلم ينروا بابا من أبواب العلم إلا ولجوه وبحشوه . وانما كتبت لك هذا لتعلم أن آيئنا لم يكونوا ناعمين وأن سلسلة العلم قد انقطعت بيننا وبينهم وآراءهم قد خبت فى كتبهم وأن قراء هذا التفسير وأمثله سيحدثون للشرق نهضة لم يحدث مثلها من قبل . ثم انظر قول العلامة (ابن سينا) « ان العبادة مع الفكر عند الفلاسفة موازية للعشق العفيف والصوت اللطيف » وذلك فى أواخر كتاب الاشارات وكيف كان الناس اذا لم يجدوا نبيا يعلمهم العبادة قلوا الكواكب كما حصل لحي بن يقظان . هذا ما أردت ذكره فى هذا المقام استطرادا

#### ﴿ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التى أزدادت بها أرضنا ﴾

قد ذكرت فى هذا المقال أن أرضنا قد أحاطت بها أنوار الكواكب والشمس والقمر وهكذا الهواء اللطيف والتلج والبرد والسحب . ثم أقول أيضا هناك أنوار الماء المتلاطئة فى البحار الاستوائية التى تلمع أنوارها بأشكال كالقمر وهالته والبرق وأنواره المشرقات بمائها تلك من الفسفور المتحلل من الحيوان البحرى وهذه هى الأنوار الظاهرة التى صارت مناطق تمنظت بها أرضنا

أما مناطق الأنوار الباطنية فهى الحيوانات والنباتات التى أحاطت بالأرض من جميع جهاتها كما فى (شكل ١٤) و (شكل ١٥) و (شكل ١٦) و (شكل ١٧)  
 هذه الأشكال الأربعة وما يليها الى شكل (٢٦) منقولة من « الأطلس الحديث » المقرر فى المدارس المصرية تأليف الاستاذين (ليب أفندى العسال) و (محمد أفندى جدان)



# المناطق الخمس وحَيوانها



( شكل ١٥ - صورة مناطق الحيوان حول الأرض )

( فلينظر الانسان الى طعامه أما مبينا الماء صبا \* ثم شققنا الأرض شقا \* فأبنتا فيها حبا \* وعنبا وقنبا \* وزيتونا ونخلا \* وحدائق غلبا \* وواكها وأبا \* متاعكم ) (ولأنعامكم )



(أكمل ١٦ - نبات أفريقيا )

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها )





في شكل ١٤ مناطق فيها أسماء النبات حول الأرض وهي ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ نبات في المناطق القطبية ونبات في المناطق المعتدلة ونبات في المناطق الحارة . وفي شكل ١٥ مناطق فيها أسماء الحيوان حول الأرض وهذه تقسم الأقسام السابقة بعينها . والشكل السادس عشر فيه صور وأسماء نباتات أفريقيا . والشكل السابع عشر فيه صور وأسماء حيوانات (أفريقيا) . وسيأتي في أشكال (١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) صور وأسماء نباتات وحيوانات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا

فاظهر كيف زين الله أرضنا ﴿ بزيتين ﴾ زيتة أهم أسباب أنوارها ظاهرة وهي الكواكب السماوية وهي التلويح والسحب والأنوار وهكذا . وزيتة أهم أسباب أنوارها باطنة وهي صور الحيوانات والنباتات التي أوجدت مناطق حول الأرض زيتة لها . وانما قلت ان السحب والتلويح وأمثالها أهم أسبابها ظاهرة لأن حرارة الشمس سبب لها ولكن هناك إحكام في الصنع ونظام في الوضع أسبابه خفية فلا يشبه عليك . ثم ان للمناطق الحيوانية والنباتية التي جعلها الله محيطة بأرضنا زيتة لها بديعة . فظاهرها جيل ولكن باطنها أجل لما فيها من التدبير والاحكام في ادراكها ومنافعها فضلا عن صورها والاحكام في تغفلها أمور معاشها وتدبير ذريتها مما ظهر كثير منه في هذا التفسير . وفي هذا المقام ﴿ خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على طريق تقسيمه في الآية

﴿ الفصل الثاني ﴾ بهجة العلم . إن الانسان محبوس في عاداته تاركاً عقله كما حبس الحيوان في غرائزه وهو في ذلك أقسم على منهج القرآن الكريم

﴿ الفصل الثالث ﴾ في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان . وأن الأرض كراقصة بما حلت حول الشمس

﴿ الفصل الرابع ﴾ في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة . وفيه بيان نعيم الحرية وبهيم الاستعباد

﴿ الفصل الخامس ﴾ في أن ما كتبناه هنا نسجنه على طريقة أكابر المتقدمين

﴿ الفصل الأول في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على منهج التقسيم في الآية ﴾

هأنت ذا أبها الذي رأيت بعض صور الحيوانات في أفريقيا وأمريكا وقديس عليها ماسواها . سبحانه اللهم أنت ضربت نور القناديل أمامنا مثلاً لنورك الذي أشرق على قلوبنا وعلى كل حيوان ونبات وسماه وأرض ثم قلت - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم - . نعم أنت تعلم كل شيء لأنك تعلم ما خلقت . أما نحن فالك تضرب لنا الأمثال وليس ضرب الأمثال قاصراً على ما ضربته لنا في القرآن . كلا . إن النجوم التي نراها مشرقة في أكناف السماء والقمر والشمس لم تر حقائقها وانما رأيناها مصفرة جداً . فسكوك الجوزاء الذي نراه في السماء أصغر من البرقعة أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة والكواكب الثابتة كلها كبيرة كشمسنا أو أكبر أو أقل . فهذا الذي نراه في الجوّ المحيط بنا ليس نفس الكواكب بل هو ضرب مثل لها . فإذا كان القنديل في مساجدنا ضرب الله به المثل لنوره فكم ضرب لنا مثلاً لمخولقاته بتصغير صورها في أعيننا . ذلك لأنه يقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - والعلم يضرب الأمثال علم قليل . فإذا قيل لنا فلان كالبدر فليس في هذا معنى إلا أن وجهه مشرق ولم تعرف صفاته . ولقد قرب الله عز وجل العلم للناس اليوم بما كثره ضرب الأمثال بالصور الشمسية مثل الصور التي رأيناها (شكل ١٥ و ١٦ و ١٧ الخ) فما هي إلا صور للقرود وعجل البحر والغر الأمريكي والبيغاء وأضرابها ولكنها لا تعطينا إلا ضرب مثل وهو علم قليل فقوله تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس - يفتح لنا باب الكواكب والحيوانات والنباتات التي ترسم لنا صورها في عصرنا . ذلك العصر الذي امتاز بأف الله يرينا آياته فيه . إذ قال - ويرى آياته فأبى آيات الله

تسكرون - وقال - . وقيل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها - فنعين الآن مأمورون أن نحمد الله لأنه أرانا آياته بالعلوم المنتشرة اليوم . ولا معنى للحمد إلا بالعلم بالمحمود عليه بقدر طاقتنا . فلنقرأ علوم هذه الحيوانات والنباتات ولنحجب من تقسيم الحيوان إلى ماش على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع . وهذه الطريقة هي التي سار عليها علماء الطبيعة في عصرنا إذ يقولون إن الحيوان أدناه خلق قبل أعلاه . فلما شئ على بطنه قبل الطيور والطيور قبل ذوات الأربع

﴿ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع ﴾

لما وصلت إلى هذا المقام حضر صديقي العالم المدقق الذي اعتاد أن يحاورني في المسائل الهامة في هذا التفسير فاطلع على هذا فقال ما هذا التطويل . أريد أن نحصل هذه الآية كتاباً ضخماً . فلهذا الأكثر . إن هذا يورث السآمة والملل . فقلت له أنا أسألك في قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - فهل نجد في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة . قال لا . قلت فمن الذي فصلهما . قال النبي ﷺ فقد بينت السنة الصلاة فقال ﷺ ﴿ صلو كما رأيتموني أصلي ﴾ وهكذا بين الزكاة قتل ﴿ في كل أربعين شاة واحدة ﴾ وهكذا . قلت ألم يؤلف علماء الإسلام في ذلك كتباً شتى . قال بلى ولو جئت كتب للذهاب من الشيعة وأهل السنة في الصلاة والزكاة وحدها لمئات مكاتب عظيمة تملأ مساحات واسعة . قلت الصلاة والزكاة فرض عين وعلم الحيوان والنبات يكونان فرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يكفيا بحيث يضارعون في علمهم بهذه العلوم في كثيرتهم من يعلمون هذه العلوم في أوروبا والصين واليابان وأمريكا أو أكثر . هذا من جهة ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ لا يقتصر الجواب على الوجوب الكفائي بل هناك وجوب عيني على كل قادر متفرغ لذلك للتوحيد والشكر . فشكر الله واجب وكل يشكر على مقدار وسعه لا تكلف نفس إلا وسعها . ولا معنى للشكر بغير علم بنعمة المشكور . إذن هذه العلوم يجب وجوباً كفاً على مجموع الأمة وعينياً على أفراد ممتازين ذكاه وفراغ بال لمعرفة الله ولشكره ومعرفة الله بهذه العلوم وهكذا شكره وازدياد المعرفة واجب كازدياد الشكر قال تعالى - وقل رب زدني علماً - فهذا من ازدياد العلم الذي يجب علينا بنص الآية لأننا أمرنا أن نحمد الله بالازدياد ولا معنى للدعاء بأمر نحن لا نطلبه ولا توجه إليه فنحن أمرنا بالاستقامة كما قال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - وأمرنا بالصلاة بالاستقامة قلنا - أهدنا الصراط المستقيم - وأمرنا بالعلم قال تعالى - أعلموا أن الله ينجي الأرض - الخ وهكذا آيات كثيرة . فقال صاحبي هذا القول موضح في مواضع أخرى من هذا التفسير ونحن سلمنا به ولكني أقول لني أخاف سآمة القارئ . قلت قد ذكرت لك أن الصلاة والزكاة واجبان . فالصلاة على الجميع والزكاة على من عنده مال فمن ليس عنده مال لا يجب عليه الزكاة هكذا من ليس عنده قدرة على دراسة علم الحيوان لا يجب عليه . فأما القادر على الدراسة فعليه التعلم للشكر . إذن فلماذا نرى المسلمين ملؤا خزائهم بالعلوم العملية ولم يملؤوها بالعلوم العلمية التي عليها يبني أصل العقيدة وأصل الحياة الدنيا . فهذه العلوم تنفع من جهة ثبات العقيدة وازدياد الشكر ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ أنها تزيد الناس ثروة وغنى وسعادة في الحياة الدنيا . وقد قال امام الحرمين وبعض العلماء ﴿ إن هذه العلوم أفضل من علوم فروع الدين لأن نفعها أعم ﴾ فلماذا اقتصر المسلمون على ما ينفع نفعاً خاصاً وتركوا ما ينفع نفعاً عاماً الصلاة تنفعني وحدي والزكاة تنفعني في الآخرة وتنفع أناساً فقراء محددين في الدنيا . أما هذه العلوم فأنها تنفع الأمة كلها . وعليه يكون قول امام الحرمين ومن يحا نحوه وجبها ويكون بعض المسلمين هم وحدهم الأمة المقصرة النائمة الجاهلة الغافلة المسكينة الفارقة في بحر الخي من الجهالة وهم ساهون

فقال صاحبي إن هذا القول حق وأحسن بما تكلم في نفسي منه . ولابد من نتائج له تحصل في الإسلام . قلت إذن لا يسأم الإنسان من بيان الحيوان . ولماذا لم يسأم من معرفة أركان الصلاة وبيان الزكاة . قال انه لم

يسأله لأنه يسمع ذلك من النبوة . قالني ﷺ وأصحابه هم الذين شرحوا الصلاة والزكاة ونحوهما فلذلك أقبل الناس عليها وألفوا كتاباً فيها . قلت والبيع والابرة والرهن والقضايا . قال كذلك فهذه قد قبل الناس أحاديث عن رسول الله ﷺ فيها فرغوا وحققوا ودققوا . أما هذه العلوم فلم يجدوا فيها نصوماً . قلت له قال الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون - ألم يقل الله تعالى في القرآن - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر - . قال بلى . قلت إذن الله لم يوجب علينا أن تقتصر على قول النبي ﷺ وأصحابه في كل شيء بل في الشرائع وحاشا . أما النظر في هذه الدنيا فهذا علم عام . ألم تسمع قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - فنحن ننظر وإذا جهلنا سألنا أهل العلم . ألم تذكر ماقلته لك في (سورة البقرة) عند آية النسخ إن النبي ﷺ أخذ بقول سلمان الفارسي في حفر الخندق ولم يبال بأخذ العلم عن المجوس لأن حفر الخندق إنما كان من عمل الفرس . فهاهوذا رسول الله ﷺ يعمل بعمل عباد النار وسمع كلام أهل العلم بالحرب في واقعة خيبر . أفلا يسعنا مايسع رسول الله ﷺ ونرس هذه العلوم ونأخذها عن أربابها مادامت ليست شرائع كما أن حفر الخندق ليس من الشرائع . قل حقاً يجب علينا الأخذ عن أهل العلم في كل علم وهم أهل الذكر فيه . قلت وأيضاً يقول الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - . إذن للمؤمنين المشركين هم المسلمون بعدنا الذين يقرؤون علوم الأمم ويتبعون أحسنها وهؤلاء هم أولوا الألباب وهم المهديون وهؤلاء يكونون أرقى من المسلمين الذين في زماننا وفي القرون المتأخرة فقال نعم هذا حق . قلت إذن فلنفصل هذا المقام بعض التفصيل بحيث لا يكون مكروهاً مع ما تقدم في علم الحيوان من هذا التفسير

### ﴿ أقسام الحيوان ﴾

إن الآية كما قدمنا جعلت الحيوان ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ (١) ماش على بطنه (٢) ماش على رجلين (٣) ماش على أربع . إني أذكرك أيها الذكر بما تقسم في (سورة الحج) عند قوله تعالى - إن الذين يندمون من دون الله لن يخلقوا ذباباً - الخ فقد تبين هناك أن القباية بدراسة جسمها أمكن تقسيم الحيوان إلى قسمين قسم له دم وعظم وهي الحيوانات الفقرية . وقسم لادم له ولاعظم وهي الحيوانات الحلقية والمفصليّة والزخوة والنباتية . فقال صاحب ليس هذا عين ما هناك بل هنا بعض تضيير في اللفظ . فقلت له إن القول هنا سيكون أوضح . إنما أحب أن قرأ ما هناك ثم قرأ ما هنا ليحصل عندك من جلال العلم ما به ينشرح صدرك . فقال سأفعل إن شاء الله . فقلت إذن الحيوانات هكذا

(١) فقرية (٢) حلقية (٣) مفصليّة (٤) زخوة (٥) نباتية





( شکل ۱۹ - حیوان اوروپا )

( ومن الأنعام حوله وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين )

الحيوانات القرية فيها الأقسام الثلاثة في الآية عن يمشى على أربع وعن يمشى على رجلين وعن يمشى على بطنه . فهذا القسم استوفى أقسام الآية . قال وكيف ذلك . فقلت إن فيه ١٢ قسما ( الأول ) الحيوانات ذات الديدن وهو الإنسان الذى قسموه الى الصنف القوارى وهو الأبيض والى الصنف المغولى وهو الأصفر والى الصنف الإفريقى وهو الاسود والى الصنف الأمريكى وهو الأحمر والى الصنف ( الأيبوروبى ) وهو ساكن القطب الشمالى الاسكيمو ( القسم الثانى ) ذوات الأربع الأبدى وهى القرود وهى أصناف ( الحيون والاورانج أوتان والفوريلا والشبانزى ) ( القسم الثالث ) الحيوانات آكلة اللحوم وهى تشمل الحيوانات الكاسرة كالاسود والفور ولها أسنان ناقة وهى القواطع والأنياب والأضراس ( والقسم الرابع ) الحيوانات الثديية البحرية وأطرافها قصيرة ولها أرجل قصيرة كأنها المجاذيف تعينها على السباحة وغذاؤها اللحوم وتخرج الى الشاطئ للراحة ورضاعة أولادها . وهذه ( نوعان ) الحول البحرية والبقربجرى ( القسم الخامس ) الحيوانات ذوات الأبدى الجناحية وهو حيوان واحد وهو الخفاش يرضع أولاده وهو ليلى ويتغذى بالحشرات وهو يطير بسبب غشاء عريض ممتد بين أطرافه للقفزة والمؤخرة وكذا أصابعه المستطيلة على شكل أجنحة يطير بها ويقضى الشتاء وهو نائم ( القسم السادس ) الحيوانات الثديية آكلة الحشرات ومنها القنفذ والقار الفبطى وغذاؤه الحشرات ولها أنياب وأضراس ( القسم السابع ) الحيوانات الثديية . القرطاة لا أنياب لها وأضراسها كحجر الطاحون مفرطحة وتعيش فى الأشجار وتتغذى بالنبات وبالفواكه وهى تشمل ذوات الترقوة كالبربوع والسنجاب والكاستور وهذه تنسلق على الأشجار . ومالاترقوة له ومنه حامل الشوك والأرانب وهذه لا تنسلق على الأشجار ( القسم الثامن ) الحيوانات الثديية عديمة الأسنان ومنها آكل النمل والكسلان وأم قرقرة وهونوع مغطى بصفايح كقشور السمك وبضه له درع مثل ( التانو ) ( القسم التاسع ) الحيوانات التى لا أطافر لها ذات الجلد الثخين وتتغذى بالنبات وهى ( ١ ) ذات الظلف الواحد كالفرس والحصان وحمار الوحش والخرثيت ( ٢ ) وذوات الأرجل المشقوقة وأطرافها تنتهى بأصابع من اثنين الى أربعة مثل الخنزير وجاموس البحر ( ٣ ) وذوات الخرطوم وهو الفيل ( القسم العاشر ) الحيوانات المجتررة . ليس لها ترقوة وتتغذى بالحشائش والنبات من غير مضغ ومعدتها أربعة أقسام تقدم رسمها وشرحها فى ( سورة النحل ) وليس لها قواطع فى الفك العلوى ولا أنياب لها إلا حيوان المسك الذى يتميز ذكره عن أنثاه بنائين طويلين فى الفك العلوى وتحمل تحت بطنها كيسا فيه مسك وعدد الأضراس ستة من كل جهة لطحن الغذاء والفك يتحرك حركت جانبية وبعض هذه معدة خاصة لخزن للماء كالجلل واللاما . ويدخل فى هذا القسم الجاموس والبقر والغنم والماعز والزرافة وحيوان المسك ولها واللاما





( شكل ٢١ - حيوان آسيا )

( مامن دابة إلا هو أخذ بأصبتها إن ربي على صراط مستقيم )



﴿ القسم الحادى عشر ﴾ الحيوانات القيطسية وهى حيوانات بحرية تنتنس فى الهواء آنا قاتنا وتضع أولادها أحياء وهى إما أن تتغذى بالنبات مثل اللامتيلين وإما أن تغذى بالبحوم مثل القيطس والكشاو والدقطن أما القيطس فهو الذى يستخرج منه زيت يصنع منه شمع شفاف وهو يتغذى بصغار الحيوان ويسعد الماء من أفه كلنافورة . وأما الكشاو فهو كلقيطس ورأسه مقدار ثلث أو نصف جسمه ويستخرج منه العبر السجاني وهو فى الأعور فى هذا الحيوان . وأما اللقطن فهو الرقيل المشهور يتغذى بالسلك والحكومات حرمت حبيده لأنه ينقذ الناس من الفرق ﴿ القسم الثانى عشر ﴾ الحيوانات ذوات الرجين وهى فى (هـ) تالنده الحديده وهى تضع أولادها وهى أجنة لاتتحمل أحوال الحق فتضعها فى جيب خاص فى مؤخر البطن والثدى أمام هذا الجيب والبن يسيل من ذلك الثدى بغير اختيار لتغذية الصغار وبعد أمد معام ترك أولادها ذلك الجيب وترجع اليه متى رأت خطرا . ومن هذه الحيوانات (الفقر) وهو كالأرنب الكير إذا جلس معتدلا وهو فى استرايا وتسمايا . هذه أنواع الحيوانات الثديية التى هى قسم من أقسام خمسة للحيوانات ذوات الفقرات

#### ﴿ القسم الثانى من الحيوانات ذوات الفقرات الطيور ﴾

وهى (١) إما داجية مثل السجاج والطاويس والحجل والسمان والحمام والطيما (٢) وإما ذوات أرجل كفية مثل البط والأوز والبجع (٣) وإما شاطئية مثل أبى قردان والقلق وأبى مغازل والنعامه والبشاروش (٤) وإما دورية مثل البلبل والعندليب والخطاف والقنبر والعراب والمهدد (٥) وإما متسلقة مثل الببغاء وقنار الخشب (٦) وإما جارحة مثل السر والحدأة والنوم والمصاص والعقاب والصقر

#### ﴿ القسم الثالث من ذوات الفقرات الزواحف ﴾

وهى السلاخ والورل والثعابين . فالسلاخ لها ذرق على جسمها والورل مستطيل له ذيل وأربع قوائم قصيرة والثعابين مستطيلة اسطوانية عديدة الأطراف . ومن الثعابين ذواالجرس إذ له آلة رنانة فى ذنبه يعيش فى أمريكا وهو سام . ومن الثعابين مالا سم له مثل (البوا) وهو كبير جدا ويتغذى بالحيوان بالضغط والازدود ومثل الثعبان ذى الطوق وهو يتغذى بالسلك والسود والحشرات

#### ﴿ القسم الرابع ﴾ من الحيوانات ذوات الفقرات الضفادع

#### ﴿ القسم الخامس ﴾ السلك . انتهى قسم الحيوانات ذوات الفقرات

ها أنت ذا أيها الذكى اذا تأملت فى هذا النوع من الحيوان تجده مرسوما أمامك والرسم مثل من الأمثال التى ضربها الله لنا فتجد فى حيوانات أمريكا الجنوبية مثلا العنم وهى من ذوات الأربع والأففى وهى من التى تمشى على بطنها والببغاء وهى من التى تمشى على رجلين وبقية الحيوانات الفقرية المتقدمة ملحقة بهذه



( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقاه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون • والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبئ لا يخرج إلا نسكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون )

( شکل ۶۳ )



( والأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا جِبَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَمْرَحُونَ • وَحُمَلٌ أَتَالِكُمْ لِيَبْلُغَ لَكُمْ الْبَالُغُ إِلَّا بَشَرٌ مِّنَ الْأَنْعَامِ إِن رَّبَّكُمْ لَمُوفٍ بِرَحْمٍ )

﴿ القسم الثاني ﴾ من أنواع الحيوان (الحيوانات الحلقية) ومنها ما يسكن البحار وملجورها مثل السربيل له خياشيم ذات ألوان زاهية ومثل (الساييل) وهو يسكن أعجاز الشواطئ ويعيش فرقا . ومثل (الامفريت) ومثل (السكولوبندر البحري) وهو القنق يبيح عنه الصيادون ليستعملوه طعما للسماك . ومثل (دودة السباخ) وتسمى دودة الأرض جسمها أبيض يميل للحمرة لماع لمعانا معدني . ومثل (دود العلق) يسكن في المياه العذبة ويقرب من هذا السود (١) الدود القنق يعيش في أجسام الخنازير والأرانب والإنسان وهكذا (٢) والدود الكلوي وهو يعيش متطفلا على الحيوانات المختلفة وفي كلا الإنسان . وهكذا أنواع كثيرة من الدود التي تسبب أمراضا مختلفة كما وضع كثيرا في هذا التفسير فكلها من أنواع الديدان وكلها من الحيوانات الحلقية كالتي تحدث (البلهارسيا) و (الانكلستوما) وغيرها . انتهى القسم الثاني من أقسام الحيوانات المعلقة وهي الحلقية . وهذا القسم دمه إما أحمر أو أصفر أو أخضر وهي خنثى فلكل حيوان عضوا للتذكير والتأنيث معا وبعضها يحتاج لجناس متبادل . ومنها ما يتولد بطريق الأزوار كأزوار النبات

﴿ القسم الثالث - الحيوانات المفصلية ﴾ وهي العنكبوتية والقشرية وذوات الأرجل الكثيرة والحشرات فالأولى منها العنكبوت والقرب وأبو شبت والقراد وحيوان الجرب . والثانية منها أبو جليبو والسرطان والجبري فلكل منها (٨) أرجل وهيكلها صلب وتعيش في الماء . والثالثة لها أرجل كثيرة وتعيش على الأرض . ويدخل في هذه ذات المائة رجل وأم أربعة وأربعين وذات الألف رجل . وأما الحشرات فهي معروفة في هذا التفسير وتقتسم كثيرا فلانعيد الكلام عليها فانظرها في آخر (سورة الحج) وغيرها

( شكل ٢٤ )



( شكل ٢٤ - نبات أمريكا الجنوبية )

( هو الذي أول من الساء ماء لكم منه شراب ومه شجر فيه تسمون \* يبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون )

( شكل ٢٥ )



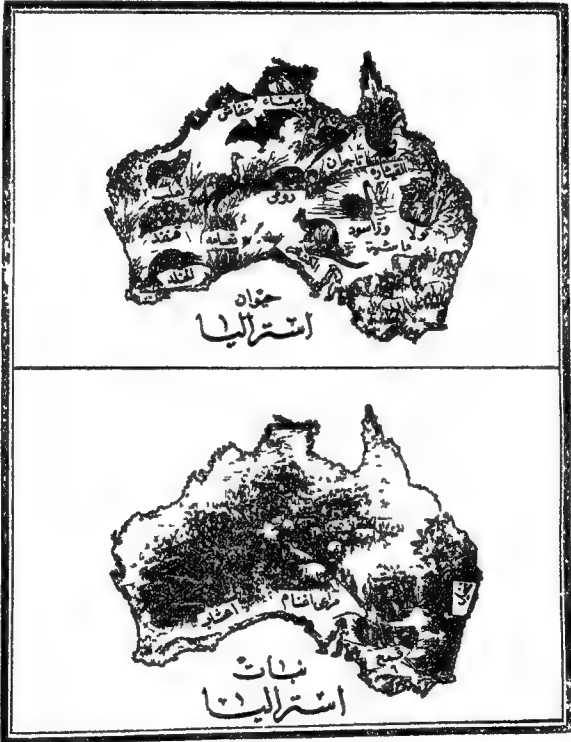
# حيوان أمريكا الجنوبية

( شكل ٢٥ - حيوان أمريكا الجنوبية )

( والخيول والبغال والحمير تركبها وزينة ويخافون ما لا تعلمون • وعلى الله قصد السبيل ومنها جاز ولوشاء لهذاكم أجيبين )

ومن الحشرات ما لا جناح له . ومنها مستقيمة الأجنحة كالصرصار والجراد وفرس النهر والحفار . ومنها نصفية الجناح كالقمل والقمل . ومنها ما أجنحتها غشائية مثل النمل والزنبور الأصفر والأحمر وزنبور الطين ومنها غمدية الأجنحة مثل الجعلان وخنافس الفول . ومنها ما لها جناحان فقط مثل البعوض والبراغيث والذقنة . انتهى الكلام على القسم الثالث وهي الحيوانات المفصليّة

( القسم الرابع الحيوانات الرخوة ) مثل المحلر وصفد المؤق وأم الحاول وبعض هذه مشروح شرحا وافيا في (سورة مريم) في أولها (شكل ٢٦)



( شكل ٢٦ - نبات وحيوان استراليا )

(والذي خلق الأرواح كلها وجعل لكم النمل والأنعام ما تكونون لتستوعبوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \* وإنآلى ربنا لتقلبوا )

( القسم الخامس الحيوانات النائية أو الشعاعية ) ومنها التي يوفيت وتقدم شكلها في آخر (سورة الحج) بحيث خسة أشعة منتظمة جميلة . انتهى الكلام على أقسام الحيوان

وبعارة هذه الحيوانات يعلم المسلمون معنى قوله تعالى - فهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - فهذا هو الذي يفهمنا القدرة أي قدرة الله على التنوع فهو يتنوع الحيوان أنواعا لا حدها ويعطى كل ندى حقه . وهذا هو الذي نزل لأجله القرآن وفتح باب علم والحيوان وتقسيمه بهذه الآية . أما النبات فلم يذكره في هذا المقام إلا استطرادا لأنه غذاء الحيوان ولقد تقدم الكلام عليه في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - إلى آخره عند مسألة إبراهيم والطير وفي سورة الأنعام عند قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى - وعند قوله تعالى - انظروا إلى ثمرة إذا أثمر - وفي سورة الحجر عند قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شيء موزون - وفي سورة الحج عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فصنع الأرض مخضرة -

هذا ما أردت شرحه في تفسير قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - فيأبها المسلمون أذكركم خير بحيث يرى الطالب حكمة الله واضحة له كأن يقرأ ذلك الحيوان المتقدم الذي ينزل اللبن له ليسقيه لضعفه لأنه لا يزال جنيبا لأن أمه ذات رحمين كما تقدم أم تنضع زمانه في حفظ القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه علما وكونه حيا لا لا . أيها المسلمون هذا لا ينبغي أن تعلموا وأما الآن أكتب هذا وعندي اعتقاد تام أن تعاليم المسلمين ستكون على النهج الذي يوافق منهج أمثال هذا التفسير - ولتعلن

بأنه بعد حين - والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨

( محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وانظر مدرسة ومدرسين ضحي يوم الأحد ٩ ) من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أوردها ها (لفرضين الأول) أنها (يصاح لهذا المقام (الثاني)

ان خير العلم ما أخذ من نتائج آراء المصكرين المجريين )

قال المفتش بلطف وأدب (وهو من أتموا علومهم في أوروبا) أيها الأستاذ لقد حل كثير من المسرين القرآن ما لا يحتمل وأدخلوا فيه ما لا سبيل لدخوله حتى ان بعضهم أخذ يستخرج من الآيات أن الفهم موجود في القرآن . ولا جرم أن أمثال هذا التحمل ترفضه العقول وتنفره النفوس ولقد رأيتك اليوم ترسم هذه الحواظ في التفسير مينا حيوانات ونباتات إفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا والاقيانوسية وهذا لا سبيل إلى ادخاله في القرآن إلا بتكلف . فقلت له هاك فارق بين اثبات أن الفهم في القرآن وبين بيان أن الحيوان مقسم على القارات في الأرض . فقال أين البيان . فقلت إن الله يذكر لنا أن الحيوان منه ما لا أرجل له ومنه ما له رجلان ومنه ما له أربع أرجل . هل هو يريد أن تقب على تعداد الأرجل . كلا . بل يقول العلماء ان العدد لا مفهوم له وإذا عددنا للحيوان أربعة أرجل فهناك ماله (٦) وماله (٨) وهكذا . فقال أنا لست أعارض في إتمام مبحث الأرجل ولكني أعارض في ادعاء أن معرفة تفرق هذه الحيوانات على القارات يطلبها القرآن . فقلت إن هذا تقسيم للحيوان من حيث عدد أرجله وهو فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن معرفة العلوم كلها ( كما نص عليه علماء المطلق ) ترجع إلى أربعة تحليل وتعريف أو رسم وتقسيم وقياس . فالتحليل للأشخاص كهدد التفاحة أو هذه النخلة لا يجوز أن تقول عرفت هذه النخلة ولا قسمها ولا برهن عليها وأما قول حلقها فالتحليل كتحليل الماء إلى الأكسوجين والهيدروجين هو السبيل إلى معرفة الأشخاص . والتعريف وهو الحد و يتبعه الرسم وهو التعريف الناقص يعرف بهما الأنواع كما تعرف الانسان بأنه حيوان ناطق أو تأتي له برسم فتقول هو حيوان عريض الأطراف يمشى على رجلين وهكذا . وأما القياس كالبرهان والجدل فهو للاجتناس كما استدلت بأن للعالم عددا . وأما التقسيم فهو لتفصيل الكليات المختلفة كأن تقسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف وتقسم



النبات الى نجم وهو ملاساق له والى شجر وهو ماله ساق وهكذا والتقسيم مستعمل في جميع العلوم . فالتقسيم الذي ورد في الآية اليه يرجع ريع العلم . وهنا قول هل الله يريد أن تنظر تقسيم الحيوان من حيث عدد أرجله فقلنا يريد اننا تفكر في أمره والتفكير في أمره يحتاج الى دراسته كله بقدر طاقتنا فلنقرأ علم الحيوان ونقسمه من كل جهة من جهات التقسيم . فنقسمه من حيث موطنه في البحر وفي الهواء وعلى الأرض ومن حيث منافعه ومضاره وهكذا كما تقدم . فقال هذا حسن ولكنك قد استعنت بعلم المنطق على إيراد هذه الخواطر في التفسير وفيه بعض التكلف فغير من هذا أن يكون نفس القرآن هو الذي يصرح بالتقسيم الذي أوردته هنا بلا احتياج لعلم وضعه الناس . فقلت له إن الله ذكر المشي فهل يعنى الحيوان على الهواء أوفى الأثير بل هو يمشى على الأرض . فإذا رسمنا الماشي رسمنا أرضه معه . وإذا رسمنا بقعة من قارة لم يكن لها فضل على الأخرى . وإذا رسمنا قارة يقال لنا ولماذا لم ترسم القارات الأخرى . فغيرنا أن نرسم الجميع . فقال هذا أحسن مما قبله ولكن فيه بعض تكلف . فقلت له يقول الله تعالى - حم \* تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم \* إن في السموات والأرض لآيات للذين \* وفي خلقكم وما بثت من كل دابة آيات لقوم يوقنون - فهاهنا سبطه جمل الايمان وهو أرقى من الايمان مرتباً بجمرة الدواب المفترقة في الأرض فقال هذا أقرب ولكن أريد ما هو أبين من هذا . فقلت إذن تريد أن تسمع قوله تعالى في (سورة البقرة) - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة - فذكر الأرض وذكر أنه فرق السواب فيها . فهاهنا هذه الأرض مسومة أمامك وهذه هي السواب وهل هذا غير القرآن وهل الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فيها غير هذا . أليس ترى الله يقول - والله خلق كل دابة من ماء - فهنا ذكر الكل والكميات لا تعرف إلا بالتقسيم وهاهنا هذه قسمتها على المناطق تارة وعلى القارات تارة أخرى وهكذا يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة - أفكفاك هذا البيان . فهذه هي الأرض أمامك في الرسم وهذه هي الحيوانات عليها . فقال نعم قد اضرح صدرى له . فأقر الحاضرون على ذلك البيان وهم مستبشرون . فقال لقد كنت في أوروبا ورايت القوم يحملون قصص أنبيائهم في مسارح السينا وهم يظهرون لهم قصص الأبياء كعيسى عليهم السلام والرجال والنساء والأطفال يتأثرون من الوقائع والحوادث ويكون . فبأنه كيف يثبت الدين في القلب إلا بنقشه في النفس من الصغر كمثل ما رأينا هناك . أما المسلمون فهم لتلك محرمون ومنه محرومون . فقلت للتصوير الشمسي قد نشرف في هذا التفسير وتلقاه المسلمون بالقبول وقد ذكرت في (سورة يونس) فتوى علماء المذاهب بالأزهر وأبنت أن ذلك يكون واجبا اذا كان للتعليم . فهاهنا التصوير الشمسي أصبح في نفس التفسير وقد قلت هناك ( أن من حرمه فقد أخلع من دينه وعقله لأنه ظل مصور بتصور الله صوره هو بشمسه ومن حرم الظل والنظر اليه فقد أصبح مجردا من العقل ومن الدين . وأما اظهاره بطريق ( السينا ) وهي الصور المتحركة فليس يزيد شيئا عن ظهوره في هذا التفسير إلا أن التفسير يقرؤه آحاد . وأما في محال الصور المتحركة فانه يقرؤه مئات مجتمعون واذا جاز ظهور الصور للأحاديث لآلاف ) فهذا التحريم لا معنى له الآن . فقال آخر إن المرحوم الشيخ محمد عبده قال ( إن التصوير الجسم لا يحرم في هذا الزمان لأنه منع بالحديث الشريف في الأزمان الأولى حينما كان الناس أقرب الى الوثنية . أما الآن فقد تنور الناس فلا يخاف عليهم ذلك ) فقلت اني لم أطلع عليه ولست الآن مضطرا لهذا المبحث فقد اكتفيت بما أحتاج اليه في هذا التفسير وهو التصوير الشمسي فأما كون قصص الأنبياء تظهر في الصور للمتحركة عند الفرنجة فقد ألفت قديما تلمسين كتباً شتى فيها روايات تحجب المسلمين في الدين مثل ما جاء في كثير من حكايات ( ألف ليلة وليلة ) وخرافات سيف بن ذي يزن وأمثالها

قد جعلوها روايات تحجب المسلم في الدين وما أكثرها فلتهدب تلك الكتب وينشر أمثالها بين العامة وإذا كانت في الصور المتحركة لم يضر ذلك شيئا كما قدمناه . فقالوا الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهـ  
 ﴿ هذا التفسير وأمثاله بامثال هذه العلوم يرجع المسلمين الى الصور الأولى ﴾

لما اكتمت هذا المقال قابلي صديقي العالم الذي اعتاد أن يجادلني في المسائل المهمة في التفسير مرة أخرى فقال ما أجل ما اخترت هنا من الرسم الجليل والبهجة . ولعمري لم أبجد روضة أبجل ولا مجلسا أبهى من مجلس أطلع فيه على عجائب هذه الصور البديعة الحسنة . ماشاء الله كلن . فبينما أنا أطلع منظر الصحراء في أفريقيا وجمالها وشجر جوز الهند وحقل القمح وشجر النخل والقطن إذا أنا أرى الخمرية والتمساح والفهد وفرس الماء وأنواع القردة والخمير قوي العنق حذا الأسنان خشن اللسان مبطن الأقدام طويل الذيل يبلغ طوله على الأرض نحو (٣) أمتار . ذلك الذي يسبح في البحر فعاوا السفي في النهر ويهاجمها وتقرب الماشية أمامه حائرة إذا نظرها ومع ذلك كله يخاف من الصوت الغريب عليه كالخشخشة والجلجلة ان لم يكن جالسا

### ﴿ الأسد ﴾

ولما نظرت الأسد تذكرت انه سيد السباع . رمى اللون عظيم القوة حتى انه ليقيم ظهر نور حتى وهو قنوع . حافظ الجميل محب بنفسه كريم ولا يقترس إلا اذا جلع ، ينام النهار كالغمر ويسى للقوت ليلا شديد البطش عظيم المهابة

### ﴿ الثعلب ﴾

ولما رأيت الثعلب تذكرت انه عدو الطيور والسباع مشهور بالمكر والخبث والحيل مثل أن يتظاهر بالموت ليتخلص من الصياد وهو يحول للصيد ليلا ويختفي بالثأر ويحفر له حجرا منفردا قريبا من جنود الأشجار العتيقة وهو سريع العدو وإذا لم يجد نحو السباع تقضى بالغبان والضفادع وهو يأكل القواكه كالغلب ولذلك يتلف الكروم

### ﴿ الذئب ﴾

ولما رأيت الذئب تذكرت انه هو الجبان الذي لا يسوق الى الافتراس إلا الجوع وهو يجني بدخل صوامع السباع برجليه الخلفيتين وهكذا لا تصيد الذئب غالبا إلا وهي قطعان فتفتس الغنم والحيوان الأضعف وقد تصيد الخيل والبقر والانسان وقطعان الذئب اذا جاءت لانهاب خطرا والذئب قوى ما كره كالثعلب . واذا تعرض للانسان وهجر عنه استعان بالذئب . واذا رمى الانسان ذنبا أكلته الذئب ولم تأكل الانسان وهكذا اذا مرض واحد منها افترسته وقلبك اذا مرض واحد منها اعتزل الباقي

### ﴿ الجمل ﴾

ثم لما رأيت الجمل تذكرت صبره على العمل وعناؤه اذا أهين وحقدته وانتقامه عن ظلمه وتذكرت انه يعيش (٢٥) يوما بلا شرب ماء اذا كان الورق الذي يأكله ملأوا بالصبر النباتي وهو لا يعيش إلا في البلاد الحارة . وهكذا تذكرت صفات البقر والجاموس والغنم وللعز المجترة التي لها أربع معدنات تأكل الحشائش وتبلغها فتتزل في الكرش ثم تذهب الى تجويف يسمى القلنسوة وتذهب الى الفم فتضع ثانيا ثم تذهب الى تجويف ثالث يسمى أم التلافيف ثم الى تجويف رابع يسمى الأنفحة . كل ذلك تذكرته لما رأيت هذه الأنعام في هذه الصور وهي مرسومة في مراعيها . بذلك ذكرت قدرة الله وحكمته وكيف خلق لكل حيوان ما يليق له . فلم يخط القردة ولا الانسان ولا الأساد هذه الممدات الثلاثة لأن هذه ليست في حاجة اليها ولم يخط الطير أسنانا بل جعل له القناسة والحوصلة يهضمان الطعام عوضا عنها وعن المعدة والأمعاء . وجعل الحيوانات آكلة الحشائش طعاما لا آكلة اللحوم وقلل هذه وأكثر تلك ولم يخلق سبعاته عوازا إلا لمنفعة قترى الأنياب القوية في السباع للحاجة اليها ومنعت المجترات ذلك لعدم احتياجها اليها . هذه هي المعلومات الآتية التي

تعلمتها في الصبا فذكرتها الآن بهذه الصور المرسومة أملئ . ثم الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

( بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغرارتها

وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين )

جعل ملكك يا الله وابتهج حيوانك بنباتك وابتهج كل مخلوق بنبعك خرسهم ورجلك وحفظهم بنعمتك  
لا إله إلا أنت ذوالجلال والجلال الذي ظهرت آثاره في الآفاق فصمرت بها القارات كلها آسيا وأفريقيا وأوروبا  
وأمریکا والاقیانوسية . هاهي هذه الحيوانات رائعة في مجبوبة النعم وأظلالها في كنفك وأبخت لها الحشائش  
والمرامح والأشجار وهي راقت في حلل السعادة والنعم . هذه نعمك مائة أماناً نحن قراء هذا التفسير التي  
أنعمت به علينا بعد شوقنا إليه آماداً طويلة وألهمت أناساً رسموا خرافاً أرضك بأقسامها وآخرون رسموا  
حيوانك ونباتك ثم هيأت هذا كله وجعلته تفسيراً لكتابك المنزل . الله أكبر . أحاطت آيات القرآن بالقارات  
وبحيواتها ونباتها أحاطه السوار بالمعصم . أصبحنا يا الله نشاهد بعد اليأس آيات القرآن معاشات قاراتك  
وحيواناتك ونباتاتك . يحيط كتابك المنزل بحبيب كتابك المبدع في الطبيعة . نعم ظهر الآن كيف كان  
الاسلام دين الفطرة . حل هذا الانسان المسكين منذ أزمان في أمر دينه وفي أمر دنياه . ظن المسلم وغير  
المسلم أن الطبيعة شيء والدين شيء آخر . طنت الأمم كلها ذلك الظن لما رأوا مخالفة البيانات للعلوم والطبيعة  
ولكن هذا الدين الاسلامي لكونه لم يتغير كتابه المنزل وأخذ الناس يوضعون علوم الطبيعة أصبحت هي  
تفسيراً له وهذه هي الحجة القائمة والآية البالغة . آيات قرآنية يكون تفسيرها نفس العلوم الطبيعية وإذا لم يتم  
هذا تكون البيانات مفتراة أو مغيرة لأن القائل ينطق بما يعرف فإذا خالف القول بالعمل دل على أحد أمرين  
إما ان القائل كاذب وإما أن غيره كذب عليه . وهذه كانت فكرتي في أول حياتي فكنت أقول ان لم يكن  
دين الاسلام ملائماً للطبيعة فهو غير حق . هذه كانت فكرتي من غير معلم وأخذت أبحث في الطبيعة وفي  
القرآن فامتزاج الآيات القرآنية بالعلوم الطبيعية أجل نعمة عليّ وهي قراء هذا التفسير . هي سعادة الدنيا  
وسعادة الآخرة وغير سعادة في مشاهداته اليوم من ازدواج آيات الوحي وآيات الكون . فهاهي هذه آيات القرآن  
تحيط بالحيوان والنبات والناس يشاهدونها في هذا التفسير وتصور هذه أمراً شائعاً بين المسلمين وسيكتبون  
هذه الآيات على حيطان حدائق الحيوان في الحكومات المختلفة على طراز ما كتب هنا . وهكذا في الحدائق  
العامة النباتية ويكون ذلك ديدناً للمسلمين

### ﴿ جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلت بالتقليد الأعمى ﴾

الهم إن أهل هذه الأرض من أنواع الحيوان والانسان عيالك في ملكك . إن ملكك واسع وأرضنا  
كما عرفناه من آراء علماء الفلك فرة ضئيلة ليست في العبر ولا في النiger . نسبنا الى ملكك كله كنسبة الجواهر  
الفرد الذي يدق عن أن نراه بلناظير للعلمة الى ألف مليون أرض كأرضنا هذه . لتلك كان علنا وإدراك  
حيواننا ضئيلاً ضعيفاً . فأما الحيوان فأنك أنت ألهمت منافعهم فحاش بها وهو يسر بارشادك ووحيك على قدر  
ما قسمت له فالفرزة هي التي توجهه مدة الحياة . فأما الانسان وإن أعطيت العقل وهو به حوله فهو مسكين مني  
بالتقليد . ذلك انه وإن أعطيت ملك الأرض وأبعتها له ومنحته العقل والحرية قد حبس نفسه في محابس التقليد  
وضلّ وغوى فقال في نفسه بدل أن أفكر وأضني عقلي وجسمي فإلى وما أنصّب والتعب فلا قلد الآباء فأما  
لست خبراً منهم . هنالك هام الانسان أكثره على وجهه ووقع في هاية الجهالة . قرأنا أهل هذه القارات  
المرسومة في هذه الآيات من نوع الاسناد قد اتخذت كل أمة من الأمم فيها عادات وديانات وأخلاقاً بلا علم ولا  
هدى ولا كتاب منير . وتابع الأول الآخر في الضلال وقات أنت فيهم . ومن أعرض عن ذكرى فان له

معبشة ضنكا • وعشره يوم القيامة أحمى • قال رب لم حشرتني أحمى وقد كنت بسيرا • قال كذلك أنتك آياتنا فنيستها وكذلك اليوم نسي - غيرته بالتقليد وأبنت عجاية الرؤساء والمستضعفين - فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تيعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار الخ وأوضحت قيمة النفس بآراء الآباء إذ قلت - قالوا بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولئك لا يفتخرون شيئا ولا يهتدون - فطباع الانسان تكاد تنسبه طبائع الحيوان - فالحيوان بالفريزة لا يتزحزح عنها والانسان لكونه في عالم متأخر مثل هذه الأرض أخذ يشابه فدل في مدار واحد بتقليد الرؤساء والآباء كأنه إذن اختط لنفسه خطة تشابه خطة الحيوان فالحيوان بالفريزة والانسان بالتقليد - هذا هو السبب في أن الحيوان من نوع واحد يرى متشابهيا في أفعاله شرقا وغربا كالذئب والأسد - أما الانسان فلا تشابه بين عاداته بل هناك اختلاف شاسع لأن العادات التي اتبعها والتقاليد التي رسمت له غير متفقة بل هي مختلفة اختلافا بينا فزئير الأسد في الشرق والغرب واحد ومكر الثعالب في هذه القارات كلها لا يتغير لأنها جارية كلها على ما رسمت أنت لها بخلاف هذا النوع الانساني فقوم تراهم يتزوجون بناتهم وأمهاتهم وآخرون يحرمون ذلك وقوم يأكلون مرضاهم وموتاهم وآخرون يدفعونهم مع ان الغربان مثلا جميعها تدفن بجث موتاهم - فالفرق الشاسع بين أكل الآباء والأمهات عند المتوحشين في أواسط افريقيا وبين استراحتهم واعظامهم ودفعهم واجلأهم عند الأمم المتدينة ليس مثل اتحاد الأفعال عند الغربان في دفن الجثث التي لا يختلف فيه أنواعها ولا مثل اتحاد الذئب في أكل ما مرض منها ولا مثل اتحاد الغنم في السلف والراقة على ضعافها ومرضها - إذن هذا الانسان قد ضل عن فطرته لأن فطرته أن يفكر لا أن يكون ذا فريزة تسيره فهو حبس نفسه في سجن التقليد وكان من آثار هذا التقليد أن الناس أشابت كما قال شاعرهم

الناس شئني اذا ما أنت ذقتهم • لا يسترون كما لا يستوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقه • وذلك ليس له طعم ولا ثمر

وهذا وإن كان مرادا به أخلاق الفردية فهو منطبق على عاداته القومية التي طبع عليها بالتقليد فأنته ملكة العقل والتفكير فالحظ كثير من هذا النوع عن صاحب الفريزة وهو الحيوان - ومن آثار التقليد أن أهل الأرض الآن لما كان هذا دأبهم اذا اطلع غير المسلم منهم على ما كتبه الآن ورأى هذه القارات وعليها الآيات وفي داخلها الحيوان والنبات ورأى أن الطبيعة هي نفس الوحي المنزل وأن القول السجاوي موافق للعالم الطبيعية لا يستطيع أن يكتبه في كتاب ولا يرى في قلبه قبولا له ولا يجه مع أن فطرته شاهدة أن كل قول منطبق على الطبيعة مناسب لها موافق لحقائقها يكون مقبولا لأن الانسان جزء من الطبيعة والطبيعة محبوبة ومنها وبها وعليها خلق وتقضى ويجمل وحمل فهو يذكرها مفرم ولعلها محب ولكن التقليد الذي أخرجه عن دائرة عقله بمنحه من كتابة هذه الآيات أو الاستشهاد بها أو اعترته الثقافة فلا يصنع كما صنعت في هذا التفسير بل يراه جموعة ودليله التقليد - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظالما جهولا - بل كثير من المسلمين الذين تعلموا نصف تعليم يأفخون أن ينطقوا بهذا لأنهم يريدون أن يتظاهروا بأنهم أعظم من الأنبياء فيعلمون في أمين ضعفاء الأمم الشرقية الذين أخذوا الآن يقرؤون بعض العلوم فيوهمهم رؤسلاهم بأنهم صاروا كرجال الأمم الأخرى الذين غلبوا الشرقيين بللادع ولا حيلة لهم في هذا الادعاء إلا أن يتظاهروا باحتقار الدين قضاها بالعظمة أمام صفراء الأمم الشرقية - إذن أمثال ما كتبه الآن حول القارات من الآيات تختلف فيه الأمم ولا ينحون نحوهم إلا المسلمون ومن على شاكتهم وهم قليل بخلاف الشرع فان الشرع بأى لغة كان يفرح به جميع الأمم - فشاعر الشرقيين من مسلمين وبوذيين ويهود وغيرهم يسمعه كل غربي - وشاعر الغربيين من أى أمة كان يسمعه ويفرح به كل شرقي وحكام الشرق وحكام الغرب كشعرائهم كلهم محبون من مقبول كلامهم عند جميع الأمم

فهذا (شكستير) شاعر الانجليز وهذا (سينسر) فيلسوفهم . وهذا (هومبوس) شاعر اليونان . وهذا (أرسطاطاليس) وهذا ابن رشد والغزالي وابن سينا . كل هؤلاء يسمع شعرهم وفلسفتهم كل أمة سواء أكانت على دينهم أم خلافة . أما الدين فلما كان له رجال يحملونه وكان لهم في تأييده وارتقائه وشيوعه في الأرض منفعة مادية كأن يزيدهم جاهاً ومالاً لكثرة أتباعهم وكثرة الاتباع لائتم إلا باحترار كل دين سواء لتلك كانت أهل الشيانت الأخرى اذا قرؤوا ما أكتبه الآن لم يحلوا العمل الذي يحلوه الشاعر أو الفيلسوف الشرق إذن التقليد في أمم الأرض يمنعهم عن فطرم وهذا الدين الاسلامي الذي ينطبق على الفطرة كما نطقت به هذه القارات وحجواناتها وكما ستسمعه قريباً هنا في كلام فلاسفة أوروبا في تقرير كتابي (نظام العالم والأمم) أن الاسلام . بهذا التأليف ثبت انه دين الفطرة لا يصير غير المسلمين أدنى التفات مع ان فطرمهم شاهدة به والله الأمر وله الحول والقوة - ولو شاء ربك ما فعلوه - والحمد لله رب العالمين . كتب يوم السبت ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨

( الفصل الثالث في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان وأن الأرض أشبه براقة

حول الشمس بما حلت )

فاذا رأيت الأرض راقصة حول الشمس بحركتها اليومية والسوية لا تفر ولا تهدأ والنجوم حولها والكواكب كأنها تصفق لها وهي دائرة فاتها وهي في رقصها قد حليت بالناطق الموائية والسحابة والتلجبة والتبانية والحيوانية . فهي أبداً راقصة وهي أبداً عليها حليتها وحولها فضايتها وفيها قلت صباح يوم الجمعة (٧) ديسمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتي من الآيات

الأرض ترقص حول الشمس من فرح • بنورها وبنور الشهب في الظلم  
تنأى وتقرب أحياناً بما حلت • من ناضر النبت أو من باهر النسم<sup>(١)</sup>  
فالنور مؤتلق والطير محترق • والنبت مقسق يهدى الى النسم  
والحوت في لجج الأمواج يقطعها • ويقطع الليث قفراً وهو في قرقم<sup>(٢)</sup>  
والأرض أمهم طرا تسير بهم • خوفاً عليهم واشفاقاً من العدم  
في الصيف تدفئهم بالنور محترقا • وفي الشتاء يرون السحب من أم  
سوطان حرّ وبرد سبق بينهما • مافي الخلائق بين الحوت والرخم  
والريح هزمت الأشجار مائة • تشدومع الطير في الروض والاجم<sup>(٣)</sup>  
في كل أرض وفي كل البحار وفي • جزر السماء أفانين من النسم  
من كل مائسة الأغصان والهة • تختل في حلال الأزهار كالغيم<sup>(٤)</sup>

( نظرة في قوله تعالى - فمهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين - الخ فوق ما تقدم )

(١) لأن كون الحيوان يمشي على رجلين وكونه يمشي على أربع وكونه يمشي على بطنه . هذه أمور يشاهدها الجهلاء والعلماء . في الانسان مع الطير وفي ذوات الأربع وفي الحيات . وأعجب من ذكر القرآن هذه الثلاثة التي يعرفها الخاصة والعامة . الله يرشدنا الى أن الأشياء للمشاهدة غرض الناس عنها الطرف لأنهم في هذه الأرض حكم عليهم بالسجن في البحث عن أقواتهم وعن المال والولد . فاذن هم في غفلة ساهون فقال الله . كلا . أيها الناس إن باب الصلح هو التقسيم والتحليل . أما التحليل فقد جاء في (سورة البقرة) عند ذكر الطير وإبراهيم فأقرؤه هناك وهو الذي يعرفه تلاميذ المدارس النظامية في العالم كله في علم الكيمياء وأما التقسيم فهو الذي فتح بابه القرآن هنا . اللهم إنا نحمدك على العلم وعلى الحكمة . أنت الذي فتحت

(١) النسم جمع نسمة وهي كل ذى روح (٢) شدة الشهوة لأكل اللحم (٣) الشجر الملتف (٤) نبت أحر

لنا باب التقسيم . الله أيها المسلمون فتح باب التقسيم قسم الحيوان الى الأقسام المذكورة (٧) فانظر تقسيمه على المناطق في صورة (١٥) فهو (ثلاثة أقسام) قسم في المناطق الحارة . وقسم في المعتدلة . وقسم في الباردة وهكذا يقسم من حيث الأخلاق الانسانية

(٣) ان للانسان شهوة وله غضب وله حكمة وعقل فالحيوانات التي تأكل النبات تمثل فينا القوة الشهوية والحيوانات التي تأكل أمثال الفزلان والأرانب كالأسود والفور تمثل فينا القوة الغضبية والقوة للودعة في العالم حاوية وسفلية التي بها ربت هذه الأنواع وحفظت وبقيت بحيث لا تفتن أنواع الأنعام وأمثالها بأكل الحيوانات التي تقتذى منها بل يبقى الأكل يبقاء المأكول ولا يفتن المأكول مع جمادى الأكل في التغذية به . فهذه القوة المنظمة قد أودع نور يشبهها في عقول بني آدم سميانه عقلا . إذن عقولنا أشبه باللائكة وقوتنا الغضبية أشبه بالآساد ونحوها وقوتنا الشهوية أشبه بالبهائم ونحوها . فهذه ثلاث مراتب كمراتب الأرجل في الآية وكراتب المناطق فوق الأرض . فهذا يشير له القرآن ولهذا نزل الكتاب ولهذا وأمثاله جاء أمثال هذا التفسير من الكتب التي تؤلف في عصرنا . تباركت يا الله في نظامك ومعجانتك في هذه الدنيا

(٤) ويلحق بهذا أمر اللذات فهي (ثلاثة أقسام) لذات دنية سفلى ولذات وسطى ولذات عليا . فاما اللذات السفلى فهي ما يزاوله الحيوان من السفاد وضروب التزوان . فالانسان وهو يزاولها قد شارك الحيوان فيها وهي أدنى اللذات . الا ترى أن هذه اللذة عمت النبات وسائر الحيوان واللذة كلما كانت أعم كانت أدنى منزلة وكلما كانت أخص كانت أرفع منزلة . وأما اللذة الوسطى فهي لذة الغلبة والقوة والسطوة وهي التي تمتع بها الآساد والنور والصقور فلها الحكم على الحيوانات الآكلة النبات ولها عليها فضل لأنها وإن أكلت من القطيع الذي يبلغ (٥٠٠) نكحة مثلا واحدة كل جمعة أو شهر أو سنة قد كانت سببا في احداث ارتباط المجموع بروابط المحبة والاخاء والاتحاد لأن الخوف من المهاجم يجمع القطيع كله على رأى واحد فاذا آتت أسدا فرقت الجميع من وجهه ولا يقع فريسة إلا الضعيف . هكذا جعل الله في الناس من هم أولوا قوة وأولوا بأس شديد فيحفظون الأمم والردل والممالك ويساعدون في ارتباط المجموع واتحادهم بالقوانين والأوامر فهو لاء الملوك وهؤلاء الأسراء لتتسم اذا خلت من الشهوات البهيمية أرقى من لذة الغيتان بالطعام والملابس والترنؤ المقتصرين على ذلك . وانما كانت هذه وسطى لأنها خاصة بطائفة من الحيوان ولم ترتق الى المرتبة العليا وهي اللذة العلية وهي اللذة التي لا يعرفها إلا الحكماء والأنبياء والملائكة . فالانسان إذن إما بهيم وإما أسد وإما ملك

فكن رجلا رجله في الثرى • وهامة • حمته في الثريا

(٥) تقسم الحيوان على حواس الانسان وحاجاته

(١) فنه ما ينفع الانسان من حيث حاسة اللمس فيلبس الجلود والأوبار والأشعار والأصواف كالإبل

والعز والغنم

(ب) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الشم كحيوان المسك في البروحوت العنبر في البحر

(ج) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة التذوق وحصول الفنا بالاشباع واللحوم وهذا معروف

(د) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة السمع كالطيور المغردة من الفواخت ونحوها

(هـ) ومنها ما ينفعه من حيث حاسة البصر كالطيور الجلية من أمثال الطاووس وهناك منافع عقلية لأنواع

الحيوان تكسبه حكمة وعلماء وذلك كالأنوان التي شرحتها لك في أول سورة المؤمنون . فهذه تدهش عقل

العقلاء وتدعوهم للتفكير والتأمل والاعجاب بما أبدع الله فيها

(و) انظر ألوان الحيوان وصوره . هناك تر الجب الجباب . ترى الحيوان أعطى لونا خاصا لحفظه هو

فانظر هناك حشرة تعيش على (البقوس) كيف لَوْنَت بلون أزهاره حتى لا يمتاز عنها ، وانظر هناك صورة لحشرة أشبهت غصنا من نفس الشجرة قد قطع حديثا وهي بذلك قد حفظت من الهلاك وكيف يكون بعض الحشرات مشبها في الشكل زرق الطيور الأكلات لها حتى لا تقع عليها فتفترسها . وهكذا عما شرحته لك هناك ثم انظر من جهة أخرى صور أجسامها وتركيب أسنانها وجهازها الهضمي تبجدها مفصلة بحساب متقن على حسب مصلحة نفس الحيوان لاهل مقتضى الوسط فلم يكن لون سواد الفار والالوان الزاهي في الزنبورية من غير رام كما أقربه فلاسفة القرن العشرين

إذا علمت ذلك في النظرات البت للمتقنة هناك تعرف لماذا يقول الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وجر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والنبات والأشياء مختلف ألوانه كذلك انما يغشى الله من عباده العلماء - وتعرف قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - هذا هو الذي نزل له القرآن وهذه العلوم التي أظهرها الله في زماننا هي التي بها يفسر القرآن الذي جعل اختلاف الألوان لا يعرفه إلا العلماء ولا يدرك أمثال هذا إلا العلماء به لاعموم العقلاء والمجد لله رب العالمين انتهى الفصل الثالث

( الفصل الرابع في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة وفيه بيان نعيم الحرية وجم الاستعداد )  
اعلم أن الله عز وجل خلق الحيوان قبل أن يخلق الانسان وألهمه معاشه وعلمه صنائه وقسمه أقساما وكل ذلك قبل أن يخلق هذا الانسان على الارض . إن الله قد فعل مع الانسان ما فعله مع الطفل من احضار ما يحتاجه قبيل الولادة حتى اذا وضعت أمه وجد القابلة التي تساعد في وضعه والتدبير واللبان واللقايق وجميع أنواع الراحة له حتى يعيش في الأرض . هكذا الانسان كله خلق له قبل أن يخلق الحيوان وخلق للحيوان النبات كذلك حتى يدرس الانسان هذا الكتاب المفتوح فضلا عن أن يكون غذاء له ومركبا وزينة ومتاعا الى حين . ولقد مر في (سورة طه) أنواع الصناعات التي تعلمها الانسان من الحيوان في شؤون الحياة فقلده فيها فانظرها هناك فانك تجد الانسان ماصنع مركبا في البحر ولاطيارة في الهواء ولاحصنا لمدينة ولاسردابا تحت الارض فيها إلا وقد سبقه اليها الحيوان . وأقول الآن إن الحيوان على (قسمين) قسم يعيش في الغلاوات والغابات سرا طليقا سعيدا قويا معززا وقسم يذل الانسان ويستخدمه ويكون مساعدا له . فالأول كالغزلان والأساد والثاني كالكلاب والقمم فالأول بحريته صار أعز نفسا وأشرف وأجمل وأكل وأقدر على التدبير من الثاني الذي حرم قوة الحيلة والتدبير لأن الانسان قام بمحاجة وتكفل بخدماته فانحطت ملكاته وساءت حياته ففرق بين العز والزال . هكذا أتم على الأرض (قسمان) قسم اعتاد التواكل والكسل فألهم الله من هم أقوى عقولا وأحسن تدبيرا فاحتلوا بلادهم وساموهم سوء العذاب وقالوا لهم أيها الناس عليكم العمل وعلينا التدبير فبشوا كما تعيش الأنعام وكونوا خاضعين . وكما انقسم الحيوان الى ذليل وعزيز حر هكذا انقسم الى ما أعطاه الله صناعة والى ما لصنعة له . فالأول كالنحل والعنكبوت فترى النحل عز رزأنا حل في البو والحضر فهو معظم مكرم حتى ان الانسان اذا استأنسه قام له بكل خدمة وعظمه وأكرمه ذلك لصناعته الهجبة فأما العنكبوت فانه لقوته الصناعية يحتل كل مكان في الحقول والمنازل ويسطاد الحشرات

( اشارات القرآن لهذين القسمين )

إن الله عز وجل لم يسم في القرآن السورة باسم (البقرة) وهي بما استلته الانسان إلا وقد ذكر معها الذئب فقال - إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - ثم قال - فذبحوها وما كادوا يفعلون - هكذا الأمم التي تركت مواهبها وعقولها سلا الله عليها من الأمم من يتودونها ويقومون بشؤونها - سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا - فهؤلاء المسلمون المستضعفون في الأرض قد ضرب الله لهم مثلا في الأنعام أمامهم فانهم يعرفون

الفرق بين الأسد والكلب وبين الغزال والعنز فالغزالة أنثى لونا وأجل شكلا وأوفر ذكاء وأوسع حيلة من أختها العنز التي استذلها الإنسان . ذلك هو كتاب الله الذي أنزله للناس قبل أن ينزل كتابا واحدا من السماء وهكذا لم يذكر الحيوانات الصائفة في التقسيم الثاني إلا مقرونة بما يشرفها ويعظمها . ألم تره لم يذكر النمل في (سورة النمل) إلا وقد شرفها بأن سمعنا نبي من الأنبياء وهو سليمان . قسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك . وقال الله في النمل . قالت غمّة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليعلمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . كما أنه لما خاطب المهدد وهو من نوع الطيور الحرة في التقسيم الأول هنا بعد أن توعد بالنعج أو التعذيب الشديد لم يمنه ولم يذله لأنه سمع منه الجواب المحكم والعلم إذ قاله . أحطت بما لم تحيط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين . بخلاف (البقرة) فانها لم تعد العلم بالقتيل إلا بعد النعج . يقول الله تعالى . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى . قلنا لم نجبر بقائه إلا بعد ذبح البقرة وهو هدّد بالنعج ولكن لم يذبح وأتى بعلم وهو حى . ذلك فرق ما بين الحرّ وغير الحرّ . الحرّ لا يذبح فتقيد حياته وغير الحرّ يكون طعاما للأكلين فلذلك أفاد المهدد سليمان بما لا يحيط به علما . هذا تشبيه ظاهر لأهم الاسلام أن سمو الفكر والحكمة وعلاؤ القدر والعظمة كلها تابعت للحرية التي يتبعها صفاء الذهن وحضور البديهة والصدق في العمل ولم ينزل القرآن لنا للتفكّر بل نزل للحكمة ولم يختر الله المهدد في حكاية سليمان رمية من غير رام . كلا . ثم كلا . بل المهدد رمز للنفوس الصافية التي ليست تحت إمرة غيرها حتى يكتسبوا أنفسهم ويذلّوها ولو كان علماء الاسلام فكروا في هذا قبرا ماذل للمسلمون ولاضعفوا ولااستكانوا ولكن الله عز وجل هو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء . وكل شيء عنده بقدر . ولقد كان من الجائر أن يذكر الله بدل المهدد جماعة فالجماع هو المجهود لتبليغ الرسائل في السلم والحرب قديما وحديثا ولكن الله عز وجل يريد أن يعلمنا بطريق ضرب الأمثال بالحيوان فذكر المهدد لهذا وأمثاله والله هو الفتح العظيم . ثم تأمل كيف ذكر الله المهدد والنمل مع سليمان حتى يكون ذلك شاهدا على القسم الأول في هذا المقال وعلى القسم الثاني فيه حتى يكون هذا المقال كله مقتبسا من (سورة النمل) مرتبطا بأية النور هنا عند تقسيم الحيوان الى الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وهكذا . ولانجزم أن التقسيم العام هنا يدخل فيه ذلك التقسيم الخاص في (سورة النمل) التي تضمنته حديث سليمان مع المهدد وتبسمه من سماع النملة . فهنا عموما وهناك خصوص وهذا المقال خاص دخل في العام . فأنا أجدك يا الله على نعمة العلم وبديع الحكمة إنك أنت اللطيف الخبير . وهكذا لما ذكر الله العنكبوت أردفها بقوله . تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . وقال في النحل . وأوحى ربك الى النحل . فهاهوذا سبحانه أفادنا أن في ذكر العنكبوت ونحوها ضرب أمثال وأن تلك الأمثال لا يعقلها إلا العلماء وأفادنا في النحل انه وحي اليه كما أنه في (سورة المائدة) أفاد أن الغراب معلم للإنسان إذ قال سبحانه وتعالى . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواء أخيه قال يوليتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواء أخى فأصبح من النادين . وعلى مقتضاه يقول يوليتا أعجزت أن أكون مثل هذا المهدد والغراب فأكون حوا طليقا قوى الغزمية أخاطب ملكا عظيما سليمان فلاأشأه لعلى ولصدق بولقوة عقل وبقيني والحرّيتي وأبينا أعجزت أن أكون كالنحل والنمل وكالعنكبوت في الصناعات حتى أستخرج مواهي الكمامة في وهالك يلهمني الله رشدي ويزيدني علما بما أزاوله كما أوحى الى النحل لما زاولت عملها والى العنكبوت لتتنسجها والى النمل لترتي أولادها . هذا مافتح الله به صباح يوم الخميس ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

( حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان )

ولعمري - إن الانسان لفي خسر \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر -



الله يقول - إن الانسان لفي خسر - لماذا؟ لأنه جهول - قتل الانسان ما أكفره - . ويقول أيضا - وجعلنا الانسان إنه كان غلاما جهولا - . اللهم اتنا نحن سكان هذه الأرض أسرى التقليد والأوهام والجهالة أفكر يارب في هذه السن فأرى انك قويت معني وأذكر أيام شبابي فأجد الأمراض كانت تحيط بي . ولما فكرت في ذلك وجدت أن المرض في الشباب كان بالجهل يعلم الصحة وأن الصحة اليوم بسبب انك عرفتني بعض علم الصحة وعملت بشئ منه . وكلما رأيت في معني اعتدالا قليلا أو كثيرا بعد أن أكون عملت بعض ما أكتب في هذا التفسير من قوانين الصحة أقول يا سبحان الله وسع مدانه . إذن أمراض الناس بجهلهم ومرضى بجهلي وكل انحراف عقلي أو معي أو خلقى عندي الآن أو من قبل ليس له سبب إلا جهلي . إذن شقاء الناس كلهم بالجهل . ومن عجب أني أرى عظماء الأمم وكبراءهم في عصرنا يتبعجسون بالإعلان عنهم في الجرائد انهم شربوا المربطات أو الخاوي في مجالسهم العاتية وهكذا فلذا سمعت هذا الاعلان أقول في نفسي . يا عجب ما لي أرى هذا الانسان ساهيا لاهيا . شرب القوم المربطات . شربوها جميعا . هل كانوا عند الشرب جميعا مسوقين له بالعطش أم ذلك شهوة لاغير فغن شربها للعطش فيها ومن شربها للذة أورتهم مرضا دفينًا واختلالا وهكذا مرة بعد أخرى حتى يظهر أمره بعد حين . فلماذا لا ينظر الناس الى الحيوان . ذلك الذي لا يأكل إلا اذا جاع ولا يشرب إلا اذا عطش والانسان لغبائته وجهله يشرب لغير سبب إلا اللذة وهذا له عقاب عظيم في هذه الحياة . هكذا في أمر التنازل واثمة الواقع يقول الأطباء ﴿ إن حفظ هذه القوة بقوى الجسم والعقل وبسندها تميز الأشياء ﴾ ومن عجب أن الناس يشاهدون الأنعام لا يقرب الذكر أثناء مادامت حاملا كأنها قرأت نظام العالم وعرفت منه أن هذه الشهوة ليست مقصودة لذاتها لذلك حفظت قوة تلك الحيوانات . أما هذا الانسان المسكين فهو أسير شهواته يواقع كثيرا لغير ما سبب إلا الشهوة وهي تربيده . نعم أنا لست أقول اننا نقتل الواقع كما تقتل الأنعام أي عند ارادة الحل فقط ولكن أقول الأفضل أن يكون ذلك تابعا لعمل الصحة حتى تقرب من حكمة الله في أرضه التي أظهرها لنا في الأنعام التي اقتصرنا على طلب الولد والله أشأركم في (سورة البقرة) - وقسموا لأنفسكم - بعد قوله - فساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم -

اللهم إنا على الأرض أمامنا ﴿ كتابان ﴾ كتاب منظور وكتاب مسموع والكتاب المسموع الذي أوجبه وجه عقولنا الى كتابك المنظور . فلتوجه برحمتك عقول المسلمين من الآن الى نظامك في كتابك المنظور حتى يقاتروا بفقر حوا بجمالك وليتخطوا بأخلاقك العالية الشريفة وليقفوا عند حد أدبك الذي فرقته على حيواناتك في أرضك وقلت - قل انظروا - فهاتين أولاه يارب نظرا فوجدنا أن النوع الانساني حاد عن الجادة في تصرفه واتباع العادة ولم يفكر منه إلا الأقالون . يشربون وهم لم يسطشوا ويأكلون وهم لم يجوعوا والحيوان لم يفعل ذلك وأكثر ما يكون ذلك منهم في ولائهم وأقاربهم ومجتمعاتهم العاتية ويدخلون دخان (التبغ) في أفواههم يدور في دورة الدم فيؤذيهم ويهربون المولود المتخمرة التي تضر أجسامهم ويفعلون ما به يستغترون . وقد تمتحننا بلجوع الكاذب بين الأكثين أو العطش الكاذب بين المرتين من الشرب فنطيع تلك الداعة فنستضر واذا ذاك فضل القوة العقلية ويفتر الدهن وتقتصر الآجال على حسب الأقدار الجارية . ولقد قلت في كتابك - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فهذا مما كسبناه بأيدينا وقلت أيضا - وإن قطع أكثرهم في الأرض ضلوك عن سبيل الله - وسبيلك يارب في كل شئ يحسبه - إن نرى على صراط مستقيم - وقد دعت التقليد فقلت - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لا يقولون شيئا ولا يهتدون - . إن هذه الأمم يكثر فيها المفكرون في أمر هذا الحيوان والاعتباس عما جبل عليه ليرجع المسلمون الى الفطرة - فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى صباح يوم الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

## ( نداء الى أم الاسلام )

( تذكرة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ولزديد اليقين )

إن من أعجب العجب أنى بعد ما كتبت ما تقدم اطلعت على محاضرة مسيبة ألقاها الاستاذ (فينج فيشر) الأمريكي الاختصاصى في علم الصحة أظهر فيها بالبرهان الحلى المحسوس أن الناس في القرن الحادى والعشرين سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة على الأقل وقال انا الآن قهصر أعمارنا باستعمال الكحول والتبغ والشاى والقهوة فضلا عن انا نكتمن تناول الأطعمة وتقلل من ممارسة الألعاب الرياضية وتنام قليلا وترضى ملابس غير محبة وأن علم الصحة يقود الى اطالة العمر ولا يأتى الموت إلا اذا فقد الجسم النشاط الحيوى عند ما تصبح الحياة كمقرب الساعة المكسور . وختم محاضرته بقوله : ﴿ إن أحفادنا وأولادهم سيعيشون جيلا أوجيلين لأنهم سيدركون أكثر منا ويحافظون على الوسائل الصحية وينبذون استعمال المواد المهلكة لتلك الأجسام ﴾ انتهى

أقول . عجيب أن تنشر هذه المقالة في بلادنا عند كتابة هذا الموضوع ولعمر الله كم من علم ينشر والناس به يستهزئون ولعلم المسلمون أن دين الاسلام سيأتى زمانه أما هذا الزمان فاقما هو مقدمة لا غير . إن المسلمين قرؤا آيات الخمر ونحره والربا ونحره ولكن كل الخمر هو أجل ما يفرح الأمراء وروساء الدول الاسلامية فضلا عن الفساق وأصحاب الخلاعة . كل ذلك لأنهم لم يدركوا السر في هذه المحرمات ولم يعلم كثير منهم أن ذلك التحريم لاسعادهم في الحياة الدنيا قبل الموت وصار شعراؤهم يتغنون بالتمر ويقول أبو نواس شاعر العباسيين (ألم صوتهم ومحمدهم والقوم لا يزالون أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ولم يبلغ الترف منهم مبلغا عظيما) ألا فاستقنى خرا وقل لى هى الخمر \* ولا تستقنى سرا اذا أمكن الجهر

وكتاب الأغاني بما فيه من أحداث الخلاعة والفجور والمنقولة زورا عن الرشيد وأمثاله قد انتشر في دولتهم ودولة الأمويين في الأندلس فافسد أخلاق القوم فساء صباحهم وعسايمهم وخلت منهم الديار وبئست عاقبة الغافلين . فبالت شعري أى أثر يتركه أمثال ما كتبه الآن من النظرات في الحيوان وعاداته وأنه كتاب مفتوح كتبه الله بيده لنا وقال - قل انظروا - وقسمه الى زاحف وماش على رجلين وأربع وتبين لنا انه مترفع عن الدنيا في مطعمه ومشربه وملامسة أثائه . هنالك يكون الخجل من الجهل ومن المرض وقصر الأعمار القى كسبناه بأيدينا وسوء الترية والملكة . فاذا انضم الى ذلك قراءة أمثاله ألقاه (الدكتور فيشر) الأمريكي من اظهار جهل هذه الأجيال . هنالك يعلم أننا نحن ما كان لدينا علم ولادين اللهم إلا أنفاظ القرآن محفوظا تنقلها لمن بعدنا بأمانة كأن الله سخرنا لهم وهم الرابحون . أنت يا الله خلقت الحيوان وقلت - انظروا - وأنزلت القرآن وقلت افهموا وخلقتم أمما وأما ففكر الجميع فعرفت روسيا ضرا الربا وأمريكا الخمر بعقولهم فأذروا بعض ملجاء به القرآن والمستقبل أجل وأكل وسيرتقى المسلمون والحمد لله رب العالمين

أيتها الأم الاسلامية . اسمى . هذه هى حقيقة الحيوان أنزلها الله في الأرض لتدرسوها وقال لكم انه مقسم الى زاحف وماش الخ وقال لنبيه ﷺ - فذكر انما أنت مذكر \* لست عليهم بمسيطر - كفى بكم قرأتم هذه الصحيفة وأخذتم تعجبون من نظم وضما وبهجة حكمتها فتقولون ان في الحشرات كالسود والجراد والنحل والنحل لعبة وكذلك في الطيور كالحمام والغربان هكذا في الأنعام وفي الأساد والفيلة . انا نرى هذه الأنواع تجري على وتيرة واحدة فكما كانت أقص مرتبة كان عملها قاصرا وكما كانت أعلى مرتبة كان عملها متعديا . فاذا كانت الجرادة والنبابة والناموسة لا تربي ذريتها والنحل والنمل يطف الفرد منها على المجموع ويربى ذريته ويحفظ دولته هكذا نرى هذين النوعين في الطيور . فانا نرى السباحة والبطه والحمام تربي أبنائها ولكن لاعلم لها بنظم الغربان وأمثاله من كل ما لها به نظام علم يجمع طائفة ويساعد الفرد

الجميع . هكذا نرى البقرة والشاة والعز وجل لا يعرفن إلا أنفسهن وذرياتهن إلى أمد معلوم ولكن القيلة والذئب والقرد وأمثالها قد كثرت لها أمة وأقامت حكومة وانتظمت منها الجماعات ثم يقولون إن الشرف ينبع الفضل والمنفعة العامة فنحن نرى النحل والغراب والقرد أفضل وأشرف من الجراد والحمام والأنعام ثم ينظرون في هذا الانسان نظرة فيقولون ان الطفل منه والشيوخ الهرم كلاهما لضعفه يشبه البهائم والجراد إذ لا هم له لإحفظ حياته . والأقوياء من هذا الانسان يرتقون فيلدون الثرية وتكون لهم أسرات ثم جماعات ثم أنفاذ ويطون وقبائل وهؤلاء أرقى ممن يقتصر على أسراتهم وقياسا على جماعات الحيوان يكون الانسان كلها ازداد جسه ازداد شرفه . فإذا رأينا أم أوروبا كالجرمان والانجليز وأهل فرنسا . وإذا رأينا أهل الشرق الأقصى كالاليابان والصين ووجدنا أن هذه الأمم كلها يحافظ الفرد منها على المجموع قلنا قد أحسنوا وهم أعظم شرفا ممن صغرت جماعاتهم بأن حافظوا على نظام القيلة ولم يرتقوا عنه . ثم يقولون إن هذه الأمم جميعها لم

تزد من الغراب وعن القيلة وعن النحل والنحل

اللهم انك أنت الذي ألهمت النحل وألهمت النمل وألهمت القيلة وألهمت الغراب وألهمت هؤلاء جميعا نظام جماعاتهم وقلت لنا - وما من دابة في الأرض - كالقيلة والقرد - ولا طائر يطير بجناحيه - كالغراب والنحل - إلا أن أم أمثالكم - فلهم نظام ولكم نظام . انك تريد بذلك أن توجه عقولنا إلى دراستها . هاتحين أولاد درسا هذه الحيوانات باعتبار التقسيم كما قسمتها أنت هنا بلشئ على البطن وعلى الرجلين . فلما درساها ووزناها بالانسان وجدنا أننا في الشرق ارتقت كما ارتقى الحيوان ولكننا لم نرها ارتقت عنه

أيها المسلمون . هذه مبادئ التفكير عند أبنائكم في المستقبل . ثم هم سينظرون ويقولون ما بالنا نرى آباءنا ( يريسون أمثالنا وأمثال آبائنا وأجدادنا ) لم يرتقوا في الأسباب ولم يقاتلوا ماضيتهم الأمم في الشرق والغرب . لماذا نرى الأمم كلها قد أدركت هذه الحقائق من قوسها وخطت خطوات واسعة في الاجتماع وهم بقوا جامدين على القديم العتيق البالي من نظام الجاهلية الأولى حتى ان الأمم العربية مثلا متفرقة متناكسة يجهل بعضها بعضا . فهم في شمال افريقيا متقاتلون متدابررون . فالعصرى والطرابلسى والتونسي والجزائري والمرآكشي كل هؤلاء يجهلون انهم أمة واحدة كأمة الصين واليابان والألمان والانجليز . لا لا لأن آباءنا كانوا غافلين نائمين لم يدرسوا الحيوان ولم يدرسوا الأمم . فلاحهم عرفوا كيف يؤلفون أمهم كالغراب والقيلة والنحل ولا كالألمان والانجليز والصين واليابان . فهم إذن أقرب إلى طبع الصين والشيخ الهرمين الذين يحافظون على أقل أنواع الحياة

### ﴿ آراء فلاسفة المستقبل في أم الاسلام ﴾

إلى هنا تقف آراء أهل العلم ورجال السياسة في الأمم الاسلامية المستقبلية . أما فلاسفتهم وحكامهم فيرمون ﴿ لغايتين ﴾ إحداهما أبعد من الأخرى ﴿ الغاية الأولى ﴾ ان كل أمة من أم الشرق تجمعها لغة أو دين أو وطن تحافظ على مجموعها وهذه تضارع نظام أرق الحشرات والطيور وذوات الأربع وهكذا أرقى نوع الانسان الآن ﴿ الغاية الثانية ﴾ التي هي أبعد مدى أن يجعلوا أهل الشرق كله أمة واحدة بحيث يكونون متعاونين بينهم اتحادا أشبه بالمالك المتحدة في أمريكا الشمالية . وانما يرون ذلك لأنهم يقولون ان الجماعة كلها كانت أكبر كانت أشرف والشرف لاحد له والأم الحاضرة في الشرق والغرب لم يزدوا جميعا عن الحيوان شيئا . فأي فرق بين جماعات اليابان والصين والألمان ونحوهم وبين جماعات النحل والغراب . فنحل الشرق لا اجتماع له مع نحل الغرب لقصوره وغربان الشرق لاصلة بينها وبين غربان الغرب . لا لا هذه الأمم الحاضرة لم يرتقوا عن الحيوان ولكن نحن أرق وأرق منهم ومن الحيوان معا . ذلك لأننا أعطينا ﴿ نعمتين ﴾ نعمة العقل ونعمة الدين . أما نعمة العقل فانها هي الموهبة التي بها أدركنا أن آباءنا قصروا عن أعلى الحيوان وعن الأم المحيطة

بهم شرقاً وغرباً فتحن أعظم من أن نسير على منبج آياتنا الذين لم يحلوا من علمائهم من يوقظونهم ويخرجونهم من الظلمات إلى النور . من ظلمات الدّل إلى نور الحرية . من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان . من ظلمات الاقتصار على نظام الأسرار والقبايل البدوية المتفرقة إلى نظام الأمم الكبيرة والجماعات العظيمة الوفيرة ونحن سمعنا الله يسم التخليد للرؤساء والآباء إذا كانوا عظمين - إذ يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها إنا الله قدسكم بين العباد - وسمعناه يقول - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولئك لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون - فهذا البابان أقتلناهما فكل ما يضر بنا من آراء آبائنا ورؤسائنا نرفضه ولا نقبله لأنه ينزلنا عن مصاف أرقى الحيوان وأرق الإنسان في زماننا ولكننا نحافظ على كل شرف ورتبه من المتقدمين وأما نعمة الدين فانا سمعنا الله كما أنه قال لنا - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آتاكم - قال لنا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم - فها هو ذا كتابنا المقدس في الآية الأولى يحصل الإنسان أما كأم الحيوان سواء بسواء والإنسان الذي نعيش معه قد وصل لهذه المرتبة وإن لم يصل لها آباؤنا للمسلمون بعد الصور الأولى حين فرقت جموعهم وخضعت شوكتهم وملكتهم البطنة ومالوا للذة وشبهوا في المال ونسوا عيبتهم القديم وعزهم الموروث لما غرهم فتوح البلدان وحقت عليهم كلمة التفرق والهوان التي أشار لها حديث ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ ﴾ فان ما خافه نبينا ﷺ قد تمّ فعلاً وأيقنا به ووقعنا فيه تبعاً لآبائنا في نحو ألف سنة بعد الصور الأولى . وفي الآية الثانية أرانا علماً فوق علم أرق الحيوان وأرق الإنسان الحالي إن الإنسان في هذا العصر لم يرتق عن أرق الحيوان كما قررناه إذن إنسانيته ضعيفة حقيرة والقوى الإدراكية التي في أرضنا ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ فهي إما غرائز كغريزة الحشرات وغريزة الأطفال والشيوخ وسائر الحيوان وأما فكر وروية كاهوشان نوع الإنسان وأما قوة ملكية فحسية تسمو على قوى الحيوان وقوى الإنسان فهذا الإنسان اليوم بذكره لم يصل إلى أرق مما وصل له الحيوان ثم وقف فأبى الفضل له إذن إذا كنا نجده لا يزال طفلاً في هذه الأرض بالنسبة لما ينتظر منه غذا . ها هو ذا يحارب بعضه بعضاً كما يحارب النمل ويتخذ الأسرى مثلها ويسخر غيره لنفسه كنسخة النمل إذن هذا الإنسان اليوم جد جاهل فوائده لا فرق بين قبيلتين بدويتين في الصحراء فتتغركل واحدة منهما بمجد آياتها الغافلين وبين أمتين في الشرق أو الغرب تمجد كل منهما السابقين فيها وتقتصر على ذلك . إن مفاخر الآباء محمداً لأممة واتباعها شرف لانقصه ولكن الاقتصار على ذلك والوقوف عند حده صغرى النفوس وحقارة في الإنسانية . فلتحافظ على شرف أسرتك الموروث وعلى فضل أمتك للمهود ولكن الوقوف عند ذلك نقص ومذمة وعار

ثم يقولون إن ذكره الإنسان لم يرق به في النظام العام من نظام أرق الحيوان فانه يقبل موهبة أعلى أما الحيوان فلا . فغريبان الغرب لا ينتظر منهما أن تتصل غريبان الشرق ولا غلب الغرب بجل الشرق لأنه لاصلاحه في ذلك . أما أمم الغرب وأمم الشرق فمن مصالحهم جميعاً أن يكونوا بمالك كالمالك المتحدة في أمريكا الشمالية هذا هو الحق الصراح . هنالك تكون هذه هي الإنسانية الحقة . ثم يقولون علم الله أن عادات الإنسان وتقاليده تمتنع عن الارتقاء عن الحيوان فاصطفى رجلاً قديماً وحديثاً حكماً تارة وأنبياء أخرى قد كروا الناس بما قررناه الآن وقالوا لهم أيها الناس أنتم ضالون ليخدم الجميع الجميع . وقامت في الأمم الغربية جماعات الاشتراكية ومن بعدها البلشفية وكل هؤلاء يحاولون الارتقاء عن هذه الأمم التي لم ترتق عن نوع الحيوان ولكن هذه المحاولات لم نعرفها ولم نعرفها وليست منزلة برحى أما الوحي فهو الذي يؤثر في النفوس وهو الذي يكون نوراً تهتدي به العقول

إن عقول الناس في الشرق والغرب مستعدة لقبول الفكرة ولكنها تحتاج الى **(أمرين)** أمر وحي جاء من قوة فوق العقل حتى تسوقه الى هذه والى حكمة وعلم . أما الحكمة فهاتين أولاه درسنا العلوم التي عند الأمم المحيطة بنا من علوم الرياضة والطبيعة وغيرها لاسيما بعد ما نشرت كتب تحت علم العلم والحكمة كما في هذا التفسير . وأما أمر الوحي فانا سمعنا قرآنا عجبا . سمعناه يقول - فاذا قضيتم مناسكتكم فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أخذوا ذكرا - فهذه الآية القرآن يقول لنا إياكم والصبيبة النافسة بل اذكروا الله - ثم سمعناه يقول - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فلم يذكر شرقيا ولا غربيا ولا عجبا . وسمعنا نبينا ﷺ يقول **(الفضل للعربي على عجمي إلا بالتقوى)** وسمعناه يأمر بلالا وهو غير عربي أن يؤذن في الكعبة والعرب يسمعون ويعون ويرون القديم كله ينسخ مرة واحدة ويحل محله نظام جديد وهو نظام التقوى والكفاءة . إذن مستقبل الأمم سيكون هكذا كل أمة تعمل فيها استعنت له وكل قوة من قوى النفوس لابد من استخراجها والله يقول - لا تكلف نفس إلا وسعها - إذن جميع النفوس يجب توجيهها الى الأعمال التي تناسبها فلا يكون في الأرض كسل ولا بطالة . ولاتبقى في الأرض أوطواء أو الماء قوة يمكن استخراجها إلا واجب على الانسان استخراجها وهذا كله لا يتم إلا بأن جميع الأمم في المستقبل يراقب بعضها بعضا بهيئة مشككة من حكماء مصطفين منهم ويحكمون على الأمم المقصرة في استخراج المواهب العقلية والمنافع المادية من الطبيعة لأن الله يقول - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لاهين \* ما خلقتنا إلا بالحق - فاذا كان بنو آدم لا يستخرجون قوى نفوسهم ولما يمكن في المادة فهم لا يزالون يلعبون وقد خالفوا حكمة من أنتم عليهم بهذه الحياة وتكون نتيجة ذلك أن يقول أبناؤنا في نهاية مباحثهم لابد لنا من **(أمرين \* الأول)** أن نتخذ في تعليم كل ذكر وكل أنثى في بلاد الاسلام العلوم والصناعات هذا أصبح فرضا لازما ويكون شعارنا - وقل رب زدني علما - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - و - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ومتى أتممت هذه الخطوة وهي قريبة للثال لا يوزعها متى صدقت العزيمة أكثر من عشرين سنة نوجه هممتنا إذ ذاك الى نظام النوع الانساني كله وتتفاهم مع جميع الأمم ونضع معهم النظام العام لاصلاح الأمم كلها شرقا وغربا . هذا هو الذي جاء له دين الاسلام . وهذا هو المقصود من قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وقوله - وأرسلناك للناس رسولا - وقوله - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا \* وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا \* وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وقوله - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - لانه اذا جعلت الأمم كلها نظاما واحدا فأى حاجة الى رسول - إن الرسول يأتي بوحى والوحى أرقى من الفريضة ومن العقل والفكر . والوحى يحرك العقول ويخرجها من قيودها ومتى خرجت من قيود العادات وصلت الى ما ذكرناه وكان السلام العالم

### ( تذكرة )

ولقد أومأ الحديث الشريف لهذا المعنى في رواية البخارى ومسلم عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ **(لأتبين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة فلا يجد أحدا يأخذها منه)** ويرد أيضا **(تصدقوا فيوشك الرجل أن يمضى صدقته فيقول الذى يطأها لوجئت بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلا حاجة فيها فلا يجد من يقبلها منه)** روى البخارى ومسلم والنسائى فيألت شعري هل ذلك هو الزمان الذى ستظهر فيه الأمم الاسلامية بالظاهر الذى ذكرناه بحيث يقومون بنظام هذه الدنيا مع عموم التعليم وحفظ الصحة ومعرفة قدر نعمة الحياة ويكونون مع الأمم إذ ذاك في حال أحسن من هذه بحيث يقل الطمع ويعرف الناس ما المقصود من المال **(عجبة من عجائب أخبار اليوم)**

أليس من العجائب النادرة أن أقرأ اليوم عن **(البلاغ السارى)** في بباي بلهند أن المسلمين في شمال

(البرازيل) كانوا سنة ١٩٢٥ ثلاثة آلاف وهم الآن أضعافهم نحو (١٧) مرة أى (٥٠) ألفا وهم الآن يبنون جامعا كبيرا وأن الاسلام انتشر انتشارا سريعا في أمريكا وله مبشرون ما أكثرهم هناك . وقرأت أيضا أن المستر (وزر) الكاتب الانجليزى الكبير كتب يقول « كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط لأنه يضر المستسكين به وأن البياضة الحققة هي الاسلام فالقرآن كتاب دينى علمى اجتهادى تهذيبى خلقى تاريخى حتى قيام الساعة . لم يقل النبي ﷺ « نحن قوم لانا كل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » وهذا هو الأساس القوى لعم الصحة ولم يستطع الأطباء أن يأتوا بخير من هذه النصيحة وماحب للشريعة الاسلامية استطاع في ربيع قرن أن يقهر دولتين فارس والروم انتهى

وانما ذكرت هذا هنا لأبين أن الاسلام كما انتشر في أمريكا ومدحه بعض علماء أوروبا فربما كان ذلك مبدأ نهضة الأمم ورقي الاسلام فيتعلمون المسلمون في أوروبا والشرق على اصلاح الأمم كلها . واذ ذلك بحسب ما كتبناه هنا ترقى العقول والأخلاق والصحة التى يطلبها علماء العصر . وهناك لا يبعد الناس من يأخذون الصدقة . وذلك لأنهم جميعا يعملون لأن الفكرة التى هنا تؤخذ بأن الناس جميعا يعملون والمادة تستخرج منها منافعها . فاذن يكون الناس جميعا اخوانا يساعد بعضهم بعضا كما في كتابي «أبن الانسان» كل ذلك المناسبة تقسم الحيوان الذى أصبح درسنا في هذا المقال . ومن هذا الدرس شرحنا مواهبه ومن مواهبه استخلصنا درجاته في العمل لنفسه ولقرينته وانتقلنا من هذا الى أن الانسان الحالى لم يرقى عن الحيوان ثم زدنا عليه أن نبينا ﷺ يقول للدار على التقوى لا على النسب . ومن هذا كله استخلصنا زيادة المقال المصطفاه منه كله وهو استخراج جميع قوى العقول ومنافع المادة واذن يصبح الناس اخوانا في العمل والحياة بفضل الاسلام لا بفضل البلشفية والاشراكية لأن التعاون العالم اذا جاء من طريق الدين عم انتشاره واذن يكون نشر الاسلام بالافتتاح والعقل والجد لله رب العالمين

(لطيفة . صباح يوم الاربعاء ١٩ ديسبر سنة ١٩٢٨)

في الأرض أشرق (نوران) نور ظاهري ونور باطني ، أشرفت الكواكب وأشرقت أرواحنا . بنور الكواكب ازدان الأفق وبنور أرواحنا ازدهت قوائم الباطنة بالخيال والقوة المفكرة والفكرة وأمثالها . في الجوّ الذي نراه حول أرضنا صور النجوم صورت مرصعة فيه . وفي نفوسنا نفس هذه الصور . نحن نتخيلها . نتخيلها ونتخيل كل ما حولنا . كل ما رأيناه أو سمعناه أو لمسناه أو ذقناه نجد له صورة في نفوسنا إذن هناك عالم واسع في نفوسنا كالعالم الذي نراه حولنا . النور للبصر والنور الذي لا يبصر كلاهما من السماء . لا نور حول الأرض إلا من السماء بالشمس والقمر والنجوم فهكذا ما الانوار في نفسى وفي خيالى وفي قوتى للفكرة إلا من السماء . أبصرت يارب حولى صورة جيلة في جوك وفي سمائك ولكن هذه الصور لم تظهر لي إلا بأنوار أشرفت من السماء لامن الأرض . هكذا أحسست في نفسى بصورتها لها بنور آخر إذن هو حق من السماء وعلى ذلك تكون هذه النفس لها اثر عام على هذه العالم المحيطة في واذا كنت أرى نور للشرقات مسيطرا على الأرض وأهلها فهكذا نور نفسى الذى هو من السماء مسيطر على هذه الأرض وما حولها بل على سائر الكائنات هذا مخبوء في نفسى أحس به من ابان صغرى وهو ملازم لها وقد ازدراه أكثر الناس . ان أكثر الناس يحقرون ويزدرون ما لم يتعبوا في تحصيله . فهم لا يعيرون بما حولهم من هواء وماء وأنوار ولا يعتنونها نعمة هكذا لا يعتنون قواهم الباطنة نعمة ولا يحسون بأنها كرامة . إن الكرامة محصورة عند أكثر هذا الانسان فيما منع عنهم . فشرية ماء وكسرة خبز أعطيا لهم بعد المنع أعظم نعمة يحمدون الله عليها وقطار من ذهب لم يتعبوا في تحصيله ينفرونه تذبذبا - وحلما الانسان إنه كان ظالما جهولا - . والبليل على ذلك أن نفسى فيها آلاف الآلاف من الصور والقيمة لها عندى ولكنى اذا رأيت مصورا صورة عصفورا أو شجرة أو انسانا أعظمته

جدا وأخذت أنفج عليها بشغف عظيم . ذلك لأنها جاءت بكبد ونصب وجاءت بعد منع فلها قيمة عندنا ، فأما صوري المرسومة في نفسى فلاقية لها لأنها مبنوية لى وجميع الناس . ان نفسى من عوالم غير عالم الأرض نزلت اليها لتدرسها ولتدرس نفس قواها . ودراسة العوالم المحيطة فى تعبتى على درس قواى الباطنة التى هى المقصود الأعظم ، إذن هذه الأرض لوح كتبه الله وأظهره وقال اقرأ وأرق فانا أقرؤه اليوم ولكنى ماكنت أشرع فى القراءة حتى رأيت العقبات تحول بينى وبين نفسى فيها ماهى محمية ومنها ماهى متزيلة ومنها ماهى سياسية تم أمتى كلها ولكنى مع هذا كله أحس بأن نفسى ليست من هنا بل هى من السماء . ونور السماء الظاهر الذى جاء لنا من الشمس اذا حجبته سحب ساعة فانه يضىء بعدها . إذن روى لاحد لرقبها ولأمانع لاسعاعها ولانهاية لاشراقها . واذا كانت الشمس وهى النور الحسى لاحد لأنوارها فكيف تقف أنوار نفسى إذن فلا بحث فى قواها ولأستمد لاسعاعها ولأعلم علما ليس بالنظر أى واصل الى ما أريد . أما العقبات التى تقوم بين نفسى وبين مطالوبها فانا لا أبالى بها . وأهم العقبات ملء من طريق الوراثة والتقليد . ورثت بعض آباى الأولين وبعض الأشيخ الغابرين أن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه وأن أكثر من رأيهم فى بلاد الاسلام لا يتقربون الى الله إلا بالذكر وحده أو بقراءة الأوراد . ورأيت شيوعا فى كل قطر من أقطار الامم يوجبون على تلاميذهم أن يقرؤا أورادا فى أوقات خاصة وأكثرهم شغلا عن معانى القرآن . أنا لا أذم الأوراد فهى تشغل الشرير عن الشر ولكن الروح أوسع من هذا . إن حصر الفكر باب من أبواب الجهل . إن روى لاحد لها فكيف تقف عاكفة على ورد خاص فائمة بالجهل منتظرة أن يفتح لها العلم بالعوالم جميعها من غير تعلم . الاسلام أوسع من ذلك فاقرا هذا المقام فى (سورة الكهف) فيها بيان ما يقوله الشيخ الخواص والشيخ الباغ فى قيمة الأوراد وحصر التليذ فيها من صفحة (١٣٣) الى (١٣٩) فى المجلد التاسع وكذلك فى (سورة الاسراء) صفحة (٦٥) فهناك ترى هذا المقام مشروحا شرحا مستفيضا فلا يبيده هنا . وعلى ذلك أنا لأقف عند حد فى النظر والفكر ولا أحصر فكرى فى عالم واحد بل أطلق نفسى لتعرف العوالم كلها ولكن نفسى وحدها لا تستطيع أن تعرف كل شئ ولأن تعمل كل شئ . فالعلوم لاحد لها والأعمال الدنيوية كثيرة فإذا أضع إذن ؟ هنالك ظهر لى أن هنا فى الأرض مئ نفوسا أخرى فنفسى ونفوسهم أشبه بجسم واحد . والدليل على ذلك أن كل علم من العلوم أكتبه فى هذا التفسير ظهرت مساعدة الناس لى فيه فانا أستمد من الشرق والغرب وأصطفى من علوم الشرقيين وعلوم الغربيين ما أراه جسيلا وأكتبه . هنالك تبين لى أن هذه الروح المرسلة من السماء التى أمتها الله بنوره لا يتم لها هذا النور إلا باتحادها مع الأرواح المرسلة معها الى الأرض . واذن عرفت لماذا دعا الأنبياء أمهم الى العلم وهكذا العلماء والحكماء فاني رأيت كل عالم وكل حكيم وكل نبى مغربين بتعليم غيرهم لأنهم يعلمون أن النوع البشرى أشبه بجسم واحد شأوا أم أبوا بدليل أن الدول القوية تقتصب حقوق الضعيفة وتحاربها ولكن العلماء فى الأمتين ينقل بعضهم عن بعض فالتعاون طبيعة فى الانسان وليس يمنع هذا التعاون إلا تقاؤص وجهل يورث طمعا واغتيال لحقوق الضعفاء

ملخص هذا كله أن الأعمال والعلوم لابد فيها من اتحاد المجموع وتعاونهم وأن اقتصار الشيوخ على تلقين المسلمين أورادا خاصة وحجهم عن العلم وعن الأعمال العامة خسران مبين . الأرض التى نسيناها قد خبت فيها المعادن . خبأها الله عنهم فلم يعطها إلا لمن بحث عنها والانسان عاش على الأرض كما يقال ثلثة آلاف سنة ولم يزه أخرج من الأرض للناس نعمة الا بعد مجتهد عنها وذلك ليعرفوا قيمتها . فالذهب والنحاس والحديد والكهرباء والمغناطيس عرفها الناس بعد الدأب على استخراجها ونقلها لم يتركوا استعمالها مع ان أكثر العمر الذى عاشه هذا الانسان على سطح الأرض لم يستعمل إلا الحجر فالعصر الحجرى هو الاصل أما عصور المعادن

وما يعدها من الكهرباء والمناطيس فهي قليلة . ذلك لانه لا يريد أن يعطيهم الا بجهنهم ليعرفوا قيمة ما يعطيهم لأن ما أعطوه من غير نصب لا يشكرون عليه كهذه الروح وقواها الجيلة التي هي أعظم من هذا العالم المادى فهم لا يهتمون إلا بما نصبوا في تحصيله

### ﴿ القرآن والعالم المادى ﴾

وهنا نظرت في أمر القرآن وفي عالم المادة كأرضنا هذه وقلت ان الارض صنع الله وهكذا كل عالم الماداة والقرآن كلام الله والمسلمون الذين نزل القرآن لهم قد ناموا نوما حقيقيا والأثم استيقظت الآن فهل خبا الله لهم في القرآن ما يثير عزائمهم بحيث لا تقوم قائمتهم إلا اذا استخرجوه كما خبا في الأرض المعادن ولم يعطها للناس عموما إلا بعد استخراجها . واذا علمنا أن القرآن والمادة من عند الله فليكن في الكلام من الحكم الخبوءة مثل ما في المادة بل أعظم فلنبعث عنها الآن كما بحث الانسان قديما في الأرض فاستخرج المعادن فاذا نرى ؟ رأينا الله عز وجل لما أنزل القرآن ومضى له (١٣) قرنا نظرا أكثر المسلمين للقرآن نظرة متبيلة فهم قالوا ان القرآن جاء للأحكام الشرعية والأحكام الشرعية قام بها الأئمة المجتهدون ولا يجتهد بعدهم بل الذين عندهم مجتهدون كالشيعة يكون المجتهد هناك مراعيًا عادات الأمة ثلاثا يبنونه . وعليه أصبح القرآن يقرأ لمجرد التبرك والعبادة والاعظام . أما الاقتباس منه فلا والمقتبس انما يتبع صاحب مذهبه فيما يقتبسه لا غير وتلاميذ الصوفية يتبعون شيوخهم في بعض الآيات التي يسمعونها من شيوخهم مثل أن يقولوا لهم - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - ويفهمونهم أن يذكروا الله ويتركوا لمعاد الذكر ومثل أن يقولوا لهم - ليس لها من دون الله كاشفة - ويرجعونها للذكر وحده والله لم يقل ذلك وانما يقول - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فهو سبحانه جعل الذكر مقدمة للفكر ولكن الجاهل من هذه الطائفة وغيرها وقت عقولهم عند آراء شيوخهم وأكثروهم جاهلون

في القرآن قصص وفي القرآن مواضع وفي القرآن حكم . فلاذكري الآن ما فتح الله به الليلة حتى اذا قرأه العقلاء أيقنوا ايقانا تاما أن الله لما أنزل القرآن فعل فيه ما فعله في العوالم المادية لأن المادة منه والوحى منه فهو خبا في مادته معادن فبرزت فانتفع بها الناس قبل أن ينزل القرآن وخبا في القرآن حكما وسينتفع بها المسلمون بعد انتشارها في أمثال هذا التفسير . فاعلم أن أعمال الانسان في هذه الدنيا ﴿ أربعة ﴾ زراعة وتجارة وصناعة وإمارة . هذا هو النظام المادى وبه يكون نظام الأمة كلها . واثن روى بالتحداها في هذه الأعمال مع الارواح الأخرى ترقى معهم مادتها في هذه الارض فاذا فارقتها طرنا معا الى عوالم أخرى لا بشرى ماذا تفعل فيها . نرى الله في (سورة النمل) أسمع سليمان عليه السلام النملة فلما سمعها تبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

جل الله وجل العلم وجلت الحكمة . إذن أنت يا الله أسمعنا هذه القصة لمقصد أشرف ومقام أعلى مما يفهمه الجاهل في أمة الاسلام الخالية . ان هذه القصص ما تليت في القرآن لمجرد البركة أو العبادة . هذا رأى خطأ . يا الله أدركنا أن هذه القصص لأمر أعلى . غاية الأمر أن بعض أفراد الأمم الاسلامية تنظر اليها نظر الديك الى الجوهرة فان الديك يطلب الحب ولا يطلب الجوهرة . ولا جرم أن هذه الآية يراد بها العلم والمعرفة والحكمة . سليمان يقول ان سماع كلام النملة أوجب على الشكر بل قال في مسألة العرش واستقراره عنده انه من الله لأن العالم اذا أعطى الانسان ولم يفهم قيمته دل ذلك على حقارة قدره وانه ليس أهلا لها فبسلبها كما يسلب الله الملك عن ليسوا أهلا له وللدل عن ليسوا أهلا له . هكذا سمع سليمان كلام النملة فحرف قيمة هذا السماع فان هذا أدراك للحقائق وادراك الحقائق أعلى ما في هذا العالم وطلب من ربه أن يلهمه الشكر وشكر النعمة لا يتم إلا بمرضاها أولا ثم قبولها والعمل لها ثانيا كما استخرج الناس المعادن وعرفوا قيمتها واستعملوها



﴿ قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد ﴾

ولما أرسل الهدهد إلى بلقيس ثم جاءت وجاء عرشها ورآه مستقرا عنده - قال هذا من فضل ربي ليبلوني  
أ أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - فسأله الهدهد انتهت بالفوز  
السياسي كما أن مسألة الخلة كانت فوزا عليا - إذن الخلة والهدهد مع سليمان انتهيا بفوز علمي وفوز سياسي  
أوجبا الشكر وذلك بحسب أن هذه نعمة وبجهل النعمة يوجب عدم قبولها وعدم العمل بها والأساليب التي تعلى  
وتفلك لما خُطرت لى هذه المعاني كتبها اليوم خيفة أن تسلب منى إذا تركتها لأنها أعطيت لى الليلة وهذا من  
الله ليتلنى أ أشكرها بالكتابة والنشر أم أكفرها فلا أعبرها التفاتا كما أتى إبان صفى لم أعر هذه النفس  
وقوها التفاتا ولم أشكر نعمتها بالبحث عنها ولم أشكر على نعم الأنوار والجمال فى هذا العالم المحيط بى

لأن (سورة النمل) متصلة بسبأ أصلا عليا لا قرآنيا لأنها غير متجاورتين فى الترتيب - وذلك لأن مسألة  
الهدهد متعلقة بأمر للملكة بلقيس وهى من سبأ والهدهد يقول - وجئتكم من سبأ بنى يقين - إذن نظرنا  
فى (سورة سبأ) فرأينا الله يذكر أن الشياطين يملكون لسليمان ما يشاء من محارب وعمائيل وجفان كالجواب  
وقدور راسيات ثم ختم القول بهذه الآية - أعمال آل داود شكرا وقليل من عباى الشكور - ثم ذكر بعد  
ذلك أمة سبأ وقال - لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال - وأعقبه بقوله - كلوا من رزق  
ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور - فهنا ذكر الشكر فى ﴿ موضعين ﴾ فى موضع أبان فيه الصناعة  
وانقائنها وموضع أبان فيه الزراعة فى الجنتين اللتين كانتا لسبأ وسيأتى بيانها هناك - إذن شكر الله عز وجل  
جاء فى القرآن مقرونا بالعالم والسياسة فى سورة النمل وبالصناعة والزراعة فى سورة سبأ

الله أكبر - جل الله وجل العلم - أيها المسلمون - هاهى هذه أعمال الناس فى الدنيا والآخرة لا تخرج  
عن هذه الأربع العلم والزراعة والصناعة والامارة والله قد ابتلانا بالأمور السياسية والأمور العلمية والأمور  
الصناعية والأمور الزراعية - ولقد قدمت ذكر التجارة ولم يذكرها لأن التجارة ماهى إلا تقلب المال لأجل  
الربح ولكن أصول الصناعة وأصول الزراعة هما اللذان بهما حياة الأمم

أيها المسلمون - هل من سميع - هذه بعض المعادن التى خبأها الله فى القرآن وأذن باستخراجها اليوم  
وأرانا أن نفوسنا نفوس سلاوية قد جاءت الى الأرض ولن تستطيع العروج منفردة فلا بد من تعاون مع الأئمة  
التي تكون فيها والأمم كلها متعاونات وبهذا التعاون يفتهمون العلوم والزراعة والصناعة والامارة وهذه هى  
التي بها الحياة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة

أيها المسلمون - تبسم سليمان ضاحكا لما سمع كلام الخلة وطلب من الله أن يلهمه شكر هذه النعمة وانما  
طلب من الله لعله أن النوع الإنسانى محجوب بالعادات يخنق ما يصل اليه ومتى احتقره جهله ومتى جهل  
أصبح أدنى من الحيوان وعلم الخلة وعلوم الحيوان كلها من ذرات عند الأمم الإسلامية المتأخرة التى نزل لها القرآن  
فأسمعهم دعاء نبي عظيم يطلب من ربه أن يلهمه شكر نعمة معرفة خطاب الخلة ﴿ وبعبارة أصرح ﴾ ان  
أكثر هذا الانسان جاهل لايهمه أمر هذه الحيوانات ولا يدرسها وليس يعرف الانسان قيمة هذه الهجائب  
إلا اذا ألهمه الله وقد ألهم الله اليوم كثيرا من المسلمين أن يتعلموا هذه العلوم - فاذا جاء لهم أيضا من طريق  
القرآن لاسيا من قصة سليمان وسبأ كان ذلك أقوى وأوسع مدى

استقر عند سليمان عرش بلقيس فلم يفرح بالعمة ويضطرب بل قال هذا امتحان من الله فان عرفت النعمة  
وحافظت عليها كنت شاكرا ومن لم يفعل ذلك فقد كفرها - وسبأ أعطوا سد العرم وأعطوا جنتين هناك  
فأفلاوا تركوا السد فلم يحافظوا عليه ولم يدرسوا العلوم التى درسها آبائهم ولم يتحدوا للمحافظة على هذه  
العمة قبلها الله - منهم وقال - فجعلناهم أحاديث ومن قهناهم كل ممزق -

هذا بعض السر في قوله تعالى - وقليل من عبادي الشكور - وقد اتصل بآية - الله نور السموات والأرض - الخ من ﴿وجبين﴾ وجه أمر الروح التي هي نور من الله ووجه الطيور والوراب التي تشمل هدهد سليمان والخملة التي سمعها وتسمع ضاحكا والمهدهد متصل بسأ وفي هذه جاع نظام الأمم أيها المسلمون . في هذا المقال جماع العلم في الأمم التي حولنا ففيه الصناعات والعلوم والسياسة فكل من نظم سياسة أمته وإمارتها فهو قائم بشكر الله وكل من رقى صناعاتها فهو قائم بشكر الله وكل من نشر العلوم فهو قائم بشكر الله وكل من رقى زراعتها فهو قائم بشكر الله . هذه هي بعض كنوز القرآن . خباها الله لكم وأبرزها الآن لما استعذمت قيادة أهل الأرض بعد نوم آياتنا نحو (٨٠٠) سنة . فها هو ذا اليوم الموعود لاسعاد أم الإسلام واخراجهم من سجون الجهالة التي حبسهم فيها شيوخ غافلون ومنعهم من التفكير في القرآن ومن التفكير في الأمم المحيطة بنا وفي الأرض التي سخرها الله لهم . فهانئ أولاء الآن عرفنا أن مقومات الممالك من زراعة وصناعة وسياسة وعلم . كل هذه تركها كفر للنعمة وأقامتها شكرها والله يقول - وإن تشكروا يرضه لكم - ويقول - واشكروا لي ولا تكفرون - ويقول علمه الأصول ﴿شكر النعم واجب﴾ فالشكر بأنواعه المقدمة واجب على المسلمين وإن لم يشكروا حل بهم ما ذكره الله في نفس قصة بلقيس مع سليمان (التي جز إليها ذكر المهدهد التي هومن الطيور للمسبات المصليات في هذه الآيات في سورة النور) إذ يقول الله - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - إذن ذل بعض للمالك الإسلامية اليوم إنما جاء من جهلهم بشكر النعم وأجل النعم هي ممالكنا التي سلمها الله لنا كما سلم العرش لسليمان فلما رآه مستقرا عنده قال إن هذا ابتلاء من الله لي وامتحان . هكذا نحن باعطاء الملك لنا نمعنون فإن قومنا بما يلزمه (من صناعة أشارها بالصرح المرد من قول روبرو بصناعة الحار يرب والنمائل وبزراعة أشارها بالجنيتين في قصة سبأ وبسياسة تحفظ البلادو بعم أشارها لما تبسم ضاحكا بقوله - رب أوزعني أن أشكر نعمتك - الخ) أبقاه لنا وإن أهملناه وتركنا مقوماته أدخل الملوك والأجانب - استولوا على هروشنا وأفسدوا بلادنا - وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - وأنا واثق أن المسلمين اليوم ضيعهم بالأمس إذ أقبل زمن نصر الله والفتح والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في هذا المقال ﴾

( في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ )

أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والحكمة وأحمدك على الإلهام وعلى ما سرحت به صغري وما أفضته من نورك للأمم الإسلامية التي يوزعها الصدق في القول والجد في العمل . لقد ذكرت في المقال السابق أن الشكر في الإسلام يرجع إلى جميع الأعمال في هذه الحياة وإلى جميع العلوم وأقول الآن انه من أعجب الحب أن المسلم في كل صباح يحاطب ربه ويناجيه ويدعوه بنفس ما كتبه فيها تقدم . ينال المسلمون ربهم في صلواتهم بهذه العلوم التي أكتبتها في هذا التفسير . نعم يحاطبون الله العظام ولكن أكثر الناس يخاطبون ولا يعلمون بماذا يخاطبون . نعم أنا الآن في تفسير (سورة النور) وهي الآن مقدمة للطبع وطال المقال في آية - الله نور السموات والأرض - الخ وطال في مسألة تقسيم الطير إلى ماش على رجلين وعلى أربع وعلى بطنه . نعم هو طال ولكن الحمد لله لم أخرج عن الموضوع كثيرا لأن المقصد هو الهداية وبهذا التقسيم أي تقسيم الحيوان على منهج القرآن وصالحا إلى كل ما ينبت وكل ما يطير وكل ما يدب وانتهى بنا المقال إلى المهدهد والنمل وأمرهما مع سليمان عليه السلام فتعفن على حق إذا بحثنا في هذه الحادثة لأن النمل يمشي على الأرجل والمهدهد يمشي على رجلين ولها حادثة تاريخية مع نبي عظيم له ملك لا ينبت لأحد من بعده . نحن مهما طال بنا المقال لم نخرج عن نخط القرآن . لم نخرج عنه كما لم نخرج أحباب المقلات بوصفهم الناقه (التي تحملهم إلى محبو بانهم من النساء)

بأوصاف ربما تصل الى (٢٩) يتتالي بعض القصائد . هذا أسلوب العرب والقرآن كتاب عربي . فنحن اذا بحثنا في حادثة الهدهد مع سليمان عليه السلام لسنا خارجين عن سنن النظام والقرآن لاسيا بعد ماسمعهنا **عليه السلام** يقول ﴿ أوتيت جوامع الحكم واختصرى الكلام اختصارا ﴾ فالقرآن كله جوامع كلم ومختصر وهكذا الأحاديث الصحيحة وقد سمعنا الله يقول - ثم إن علينا بيانه - وسمعهنا يقول - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - فالآن أشرع في شرح مافتح الله به في هاتين البيتين . ذلك أن المسلم يقول في صباح كل يوم ﴿ اللهم اهْدني فيمن هديت وعافني فيما عافيت ﴾ فهو ليس بهداه وحده ولا معافى وحده بل مع غيره ثم يختم الدعاء بقوله ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ فإلهذا الشكر . أليس هذا هو المذكور في علم الاصول ؟ ان شكر الممنوع واجب ، أليس هو الشكر المذكور في قصة سليمان الذي ذكرته في المقال السابق . سبحانك اللهم يا الله أنت القائل ... فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتباع الذين ظلموا ما آترفوا فيه وكانوا مجرمين \* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

أنت يا الله قد ضمنيت بقاء الأمة مادامت مصلحة . فيأليت شرى ما هو الاصلاح . الاصلاح يرجع الى ما تقدم من نظام الأمة الذي اشتملت عليه قصة سليمان مع بلقيس وقصة سبأ والحفاظة على العروش أن يزول وعلى العلم وعلى الصناعة وعلى أمر الزراعة ومن لم يحفظ هذه النعم كاهل سبأ جعلهم حديثا ومن قهرهم كل عرق الله أعطى آل داود صناعا يعملون لهم ما يشاؤون من محاريب الخ . فقال لهم - اعملوا آل داود شكرا - وسليمان شكر الله على نعمة العلم إذ سمع كلام الغلة وعلى نعمة الملك في حديث الهدهد وأهل سبأ مزقوا لأنهم لم يشكروا نعمة الجنتين وذلك بعدم الحفاظة عليهما . جمع الله ذلك كله في قول المصلي صباحا كل يوم ﴿ لك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ وأنا أقول ، أيها الأمم الاسلامية . هلاككم من القرون المتأخرة من قبل عصرنا من شروحنا للخاصة والعامة معنى هذا الشكر الذي يقوله المصلي كل يوم وهو يناجي ربه . لماذا أيها العلماء لم تشرحوا للناس معنى الشكر كما شرحه الله في (سورة سبأ) وفي (سورة النحل) نعم بعض القائمين بأمر الأمم الاسلامية مترفون فكأنهم اتبعوا ما أرفوا فيه وهذه الآية التي جاءت في (يونس) خاطب الله بها المسلمين يريد بها توجيه الملم إلى النهي عن الظلم الذي يقوم في أئتنا بتوجيه النعم إلى الأمم السابقة . يقول لماذا لم يقيم فيها هادون علماء حكماء - ينهون عن الفساد في الأرض - ثم ويخ تلك الأمم قائلا ان الظالمين في تلك الأمم مترفون واتبعوا الترف وتركوا النصيحة والتعليم

الله قرن الظلم بالتلف والمترفون ظالمون . إن التمتع وجب الراحة هو الذي أضرت بأئتنا الاسلامية كما أضرت الأمم السابقة . وأنا أقول الآن الافليقم في الأمم الاسلامية من يقولون لهذا المجموع الاسلامي أيها المسلمون الشكر الذي تكرر منه كل صباح وكل مساء هو القيام بحفظ النعم التي أنعم الله بها عليكم جميعا وهي نعمة الأرض التي تسكنونها والممالك التي سلمت لكم فلا تفتلوا نعم المزارع والأشجار بترفكم وتنعيم وإعمالكم وجهلكم بالعلوم والصناعات التي تحفظ تلك الأرض بل تعلموا كل علم وكل صناعة حتى تصير بلادكم كبلاد الأمم التي تعيش معكم رقياً والافأتم ظالمون مترفون والله يعطي أرضكم لمن هم أقدر منكم على تقع عبادته بها . وأيضا هو القيام بأمر الصناعة التي لاتتم حياة إلا بها وأمر آل داود أن يشكروا الله عليها . وأيضا هو القيام بأمر النبوة التي منحكم الله إياها وعرض الملك الذي سلمت اليكم مقاليد الله وملكه هذه الممالك إلا اختار لكم خيب فان قيم به حق القيام إبقاء وان أئتم قصرتم في نظامه أخذه منكم وسلمه لغيركم . واذا كان سليمان الذي أعطى ملكا لم يعطه الله لأحد بعده وقد وعده الله بذلك يقول أنا مبتلي والله بختبرني أشكر أم أكفر فمن هو المسلم الذي ليس بنبي هو مختبر من باب أولى . لهذا نزل القرآن ولهذا أنزلت أمثال هذه الآيات بل ما ذكره الآن من أعجب

ما جاء به القرآن . يقول سليمان النبي هو موعود من الله بالملك وأن هذا الملك لا يطأه أحد بعده أنتي مبتلى هل أشكر نعمته الملك بالحفاضة عليه أم لا

فأين التراب وأين الترى • وأين معاوية من علي

فإذا كان الأبياء يخافون وهم أنبياء فما بالك بالمسلم المسكين . من هذا تعلم السر في قول المسلمين يارب نحن مسلمون وموحدون ولماذا أخذت ممالكنا وأعطينا نصيرنا وأذللتنا في بلادنا فيقال لهم لأنكم غير شاكرين ولو كنتم تفهمون ألفاظ الصلاة لمضاعت بمالككم . أغنتم أن قول المصل ( ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ) أمر بسيط وذلك أن تنطق بها وكفى . الله لا يقبل إلا الطيب . والافامنى . ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . أليست الصلاة مذكرة . أليس الشكر المذكور في دعاء الصبح هو الذي يقوله علماء الأصول وهو الذي جاء في قصة سليمان وقصة سبأ وكله راجع لحفظ البولة كلها زراعة وصناعة وإمارة الى آخر ما تقدم . هذا بعض معنى . ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . فما الفحشاء والمنكر خاصين بالذنوب الفردية . إن الذنوب العامة بترك المنافع العامة أعظم جرماً . وتجد الله يقول في (سورة هود) يعبر بلفظ . ينهون عن الفساد في الأرض . كما عبر في الصلاة بلفظ . تنهى عن الفحشاء والمنكر .

إن الصلاة ذكر فيها الجدد . والشكر والحمد لا يكونان إلا بالقيام بحق النعمة والقيام بحق العمة يوجب حفظها فلا يترك الإنسان مواهبه ولا نعم العاتية وهذا كله واضح في قول المصل ( اللهم اهديني فيمن هديت ) وفي قوله . اهتدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم . لاصراطى وحدى وفي قوله ( السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ) أنه لاسلام في بلاد الاسلام أوفى أى بلاد أخرى إذا أهمل أهلها رقيها بالعلوم والصناعات لأننا قد أوضحنا في كتاب ( أين الإنسان ) أن الأرض يجب أن تستخرج منها جميع ما يمكن من النعم ومن مواهب عقول بني آدم . فالأمة التي تهمل من أم الاسلام تهدد الأم التي حولها على اقسام أرضها . ذلك أمر لا مفر منه . فكيف يكون فيها سلام ولا سلام إلا بحفاضة الأمم الاسلامية على أن تكون بلادهم مساوية لمن حولهم في الرقي . فحتى انحطت عنهم جاء خبرهم وأخذ أرضهم . فاذن لا يسر النبي ﷺ من أمة الاسلام ولا يسر الصالحون . فقول المسلم في الصلاة ( السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ) يلزمه حفظ بلاده وريقها فان لم يتم ذلك وتزكت وضعفت عما جاورها من الأمم فلا سلام علينا ولا على عباد الله الصالحين وكيف يتم السلام إلا للشاكرين الذين حافظوا على تلك النعم الجسمية والعقلية والسياسية والمدنية حتى إن النبي ﷺ نفسه يتألم في البرزخ لأجل أمة فكيف نخطبه بالسلام عليه وأعمالنا ترفع له ناقصة لاشكر فيها للمعنى الذي ذكرناه إن المسلم يستعيز في الصلاة من فتنه الحيا وأى فتنه أعظم من فتنه الجهل التي أوقعت المسلمين في النذل وكيف يستعيز من فتنه المسيح النجس وقد أحاط النجس في السياسة وفي الدين بنا . وكيف يقرأ المسلم في القرآن . واجعلنا اليقين إماما . وهو عينه مستعد للإمامة . مع جهله ما تقدم من أنواع الشكر ونظام البولة سبحانهك اللهم وبمحمدك . أنت الذي علمت وأرشدت وأوليتنا نعماً لا تحصى فألهنا اللهم شكرها حتى تقوم بما يجب علينا ولا تجعلنا ممن قلت فيهم . أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال • وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال .

اللهم إنا نحن معاشر المؤمنين اليوم سكننا في مساكنهم أم قبلنا فيصعب علينا أن ندين ما فعلت بهم ولا يكون ذلك إلا بالعلم . فكل قطر من أنظار الاسلام اليوم حل للمسلمون فيه محل أم سقت وهذه الأمم لم تسقط إلا بالظلم والظلم مقرون بالترف كافي آية عهود . والترف والتمتع مورثان ترك العلوم والصناعات ونظام الدول . اللهم ألهنا الصواب وارشد هذه الأمم أن ندرس نظم الأمم السابقة عليها بحيث يعقلون ما صاوا اليه من الرفعة ثم ما حصل لهم

من الترف فظلموا أنفسهم فهل كوا و بناء على ذلك يعتبرون « والسعيد من وعظ بغيره »

اللهم ان الشكر لك المذكور في الصلاة وكذلك الجهد موجبان حفظ جميع النعم التي أشارت لها قصة الملهده مع سليمان وقصة سبأ وهذا الشكر لك أنت والمسلم اذا عرف ذلك وجه قصده لله وحده وعلى المسلمين جميعا أن يعلم ذلك حكماؤهم ﴿ وببارأوضح وأصرح ﴾ يجب على العلماء بعدد أن يقولوا لشعوبهم الاسلامية ان الهندسة والحساب والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض ونظام الترع والجسور . كل ذلك دين اسلامي عليه ثواب وتركه يوجب غضب الله على الناس في الدنيا والآخرة وأن قصص الأنبياء موجهة لهذا المقصد وحده وأن غضب الله على الناس في الدنيا بسبب التقصير في هذا والله هو الذي يتوجه اليه المسلمون بهذا كله كما أن صلاة الوتر (١١) ركعة وختامها ركعة واحدة اشارة الى أن جميع الأعمال ترجع الى واحد وهو الله

اذا عرف المسلمون ذلك وشاعت فيهم هذه الآراء لم يقفوا فيها وقفوا فيه في القرون الأخيرة . ذلك أن أمرادهم اذا كانوا صالحين نراهم في ناحية والشعب كله في ناحية . فالأمرء الصالحون يعملون بمصالح النولة وصغار العلماء يجهلون ما قلناه الآن فيجهلون الشعب أن هؤلاء ظلمة الجار وأنهم هم والصوفية والذين ينقطعون للصلاة والقراءة هم الصالحون وحدهم . بهذا وحده انحلت أمة الاسلام في القرون الأخيرة إذ أصبح الشعب في ناحية والأمراء في ناحية بهذا وحده ضاعت هذه الأمة

لقد ذكرت لك أيها التركي في (سورة الحجر) أن أمان الله خان ملك الأفغان قد كان في مصر وأنه سافر الى الأقطار الأخرى وأنا قلت لك هناك ما ملخصه عند آية - إن في ذلك لآيات للتوسمين - انه يريد الإصلاح وأن علماء الدين ربما يقامون إصلاحه وذكرت النسبة بين صف أم الاسلام وري أم أوروبا وأن علماء الدين اذا قاموه تأخرت الأمة

الآن تجب معي اني أنا الآن في تفسير (سورة النور) وبين طبع السورتين حوالى سنة . فانظر ماذا جرى رجوع الى بلاده بعد أن طاف أقطار العالم وعرف أن الترك قد قتل فيها بعض العلماء لأنهم يقفون في طريق الإصلاح . فانظر ماذا جرى . وقف العلماء في طريق الإصلاح الذي رآه (أمان الله خان) فقتل منهم طائفة مثل ما حصل ببلاد الترك سواء فأخاضت الجرائد في العالم والتفرقات (البرق) لله أتى بأشياء خلاف الدين وفي هذه الأيام بل في هذا اليوم نفسه أشاعوا أن الثورة قد طفت في بلاده وسمعت وأنهم قد طلبوا منه أن يتنازل عن العرش . وهاهي ذه الجرائد أمامي وفيها ما نصه

﴿ يبعث الموقف الحالي في أفغانستان على القلق في السواثر العلية في لندن . وآخر الأنباء الواردة من كابل مؤرخة بتاريخ مساء السبت وفي ذلك الحين وصل الناثرون الى ضواحي العاصمة واحتلوا موقعين وأذيع حينئذ أن الملك أمان الله والملكة نريا سالمان في قصرهما الخ ﴾

ثم جاء بنا آخر مقتضاه أن العصاة قاتلهم الحكومة ففازت عليهم فأسرفر في منهم وقتل آخر . هذا ما جاء يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وأنا أكتب هذا يوم ٢١ ديسمبر أي بعد (٣) أيام من وصول هذه الاخبار أفلا نتظر الى ما ذكرت لك في (سورة الحجر) وما توقعته إذن ظهر لك صدق قولي ان تعاليم الأمم الاسلامية غفرة خاطئة وأن هذه الطرق يجب تغييرها حالا

اللهم اني أحبك إذ وفقتي لهذا التفسير . يا الله هذا ملق طاقتي . اني ألفت هذا التفسير باعانتك وهو يساعد المصلحين في الأمم الاسلامية على رقيها . فأما القتال والحرب والضرب في هذه الأمم الجاهلة وقتل صغار العلماء فهو لا يفيد بل يضر ضررا بليغا فعل من يطلعون على هذا التفسير أن يسرعوا بترية ناشئة جديدة على هذا المشرب فأولئك يكون عانتهم وعلمائهم وملاكهم على مشرب واحد وحينئذ يرجعون لصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

إن هذه الأيام مبدأ نهضة قوم بها الأمم الإسلامية . فليطلع المسلمون ذلك الخلق وليلبسوا ملابس جديدة وهل أتاك نبأ ما ذكرته الجرائد في هذه الأيام أيضا فانه ينبا تأتي بأخبار ثورة الأمة الأفغانية وقيامها على ملكها لأجل الإصلاح نجد جوامعنا المصرية تذكر تاريخ مصر منذ مائة سنة أيام (محمد علي باشا) بمناسبة وضع الحجر الأساسي للمدرسة الطب بالجيزة للمدرسة قصر العيني لأنهم أزمعوا أن يوسعوها ولهذه المناسبة ذكروا الطب إذ ذاك وكيف قام العلماء واعترضوا على (محمد علي باشا) لأنه أجزأ للأطباء أن يكشفوا على المرضى بالطاعون وأن يكون البلاد محجرجي كما فعل الأمم كلها وكما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه . وقد روى له أبو عبيدة الحديث المال على ذلك . وقد تقدم ذلك الحديث في (سورة الحج) عند آية - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - الخ فأجابهم محمد علي باشا بأن الأمم الإسلامية عملت هذا الحجر الصحي قتل الموت بالطاعون عندهم ومن رفع صوته بعد ذلك غربته عن البلاد . فانظرلأمم الاسلام كيف يتبع السابقون لللاحقين . يفرّون قليلا من الدين ويعترضون على ما لم يعلوه من نفس الدين . فالجرح الصحي في حديث عمر وفي الاسلام وعند الأمم كلها والعالم علما ناقصا ينكره ثم الرجل الذي لا يعرف الدين وهو (محمد علي) يأتي لهم بالحقيقة الموافقة لنفس الدين - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فعلمنا مصر منذ مائة سنة هم هم علماء الأفغان في أيامنا هذه

وينشأ ناشئ الفتيان منا \* على ما كان عوده أبوه

كل هذا من سوء التقليد وضعف التعليم والجهل العام في أمة الاسلام . ومن عجب أن محمد علي باشا أرسل للعلماء خطا يقول فيه ( ان الذي <sup>يطلب</sup> قال فرّ من المجهول فراركم من الأسد ) فعرف ما لم يعرف أكثر علماء زمانه . فلقد لله على نعمة العلم وعلى أن يقض الله للأمة الإسلامية نهضة حديثة بها سيكون كلهم أمة مفكرة . وسينقرض ذلك الجيل الجاهل ويحل محله أجيال أعلى مراما وأوفى ضمما والجد لله رب العالمين

( الفصل الخامس في أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين )

سأنتي صاحبي قاتلا هذه هي العلوم التي يدرسها الناس للتلاميذ وهم صغار فهل تعتبر دينا اسلاميا وإذا قلت نعم كما هي طريقتك فهل تسمعي ما يناسب من كلام القدماء . فقلت له قال الامام الغزالي في الإحياء ( قد كان يطلق لفظ العلم على العلم بالله وبآياته وبأفعاله وخلقته حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رجة الله عليه لقد مات تسعة أضرار العلم ) فترقبه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرّفوا فيه أيضا بالتخصيص الخ ) لي أن قال ( ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته الخ )

وقال أيضا ( ان أنس بن مالك قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا . انما كنا نحمد فتذكر الإيمان وتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعدّ ثم الله علينا نفقا ) قال الامام الغزالي فسمي تدبر القرآن تفقها . فلما سمع صاحبي ذلك قال أريد من كلامهم آية من هذا بحيث تكون الطريقة التي اتبعتها أنت سلكها بعض العلماء قبلك . فقلت اسمع ما قاله الغزالي في الإحياء في (باب التفكير) قال ما منه

( ومن آياته أصناف الحيوان واقسامها إلى ما يطير وإلى ما يمشي واقسام ما يمشي إلى ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات . ثم اقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر إلى طيور الجوارح وحوش البر وإلى البهائم الأهلية فانك ترى فيها من العجائب ما لا تنسك في عظمتها خلقها وقدرتها مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستغنى ذلك بل لو أردنا

أن تذكر حجاب البقة والخلة أو النحلة أو الصنكوت وهي من صفات الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي أنفها زوجها وفي أذناها نفسها وفي حنقها هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حليتها . لم تقدر على ذلك فترى الصنكوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يتمكن أن يصل بالخط بين طرفيه ثم يتدنى ويأتي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلصق به ثم يندو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناهي هندسيا حتى إذا أحكم معاقده القمط ورب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق أو اللذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد يادر إلى أخذه وأكله فان هجر عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبنى منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه وقص خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله (أقول وستراه في سورة الصنكوت مفصلا تفصيلا) . ثم قال وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من الحجاب ما لا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو علمه أولاهدى له ولا يعلم . أفيتك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف . أفلا يشهد هو بشكته وصورته وحركته وهدايته وحجاب صنعة لفاطره الحكيم وثقله القادر العليم . قال صيرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخناق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتعجب فيه الأبواب والعقول فضلا عن سائر الحيوان وهذا الباب أيضا لا حصره فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما مقطوع بحجب القلوب منها لانها بكثرة المشاهدة ثم إذا رأى حيوانا غريبا ولودودا تجدد عجبه وقال سبحان الله ما أحبه والانسان أحب من الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي أنفها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وقوايدها من جلودها وأصوافها وأربابها وأشعارها التي جعلها الله لباسا خلقه وأكناها لهم في ظعنهم وأقامتهم وآنية لأشربهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبنائها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للثقل قاطعة للبادى والمغازات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا يعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسيحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما الخلق إلا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف برؤيته والاققرار بالجزء من معرفته جلالة وعظمته ﴿ انتهى ﴾

هذا نص كلام الامام الغزالي في هذا المقام . وقد جاء في (كتاب التفكير) الذي ذكر فيه ما تقدم مانعه أيضا ﴿ قد أتى الله على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وذكر في حديث عائشة أن النبي ﷺ بكى وهو على باليل حتى بل لحية ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد ذكر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقلد ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة آية - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها • وقيل من الحسن • تفكر ساعة خير من قيام ليلة • وقال ابراهيم • الفكر مخ العقل • • ونقل عن طائوس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقة ذكرا ودمته فكرا ونظرة عبرة فانه مثل

وقوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قل الغزالي معناه أمنع قلوبهم التفكير في أمري \* وقال عمر بن عبد العزيز « التفكير في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات » وقال الغزالي بعد ذلك « إن ذكر القلب خير من عمل الجوارح » إذن التفكير أفضل من جلة الأعمال بل هو أشرف العمل ولذلك قيل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » انتهى

فلما سمع الاستاذ ذلك قال هذا القول يدل دلالة واضحة على أن التفكير أشرف من العمل . فقلت نعم وهذا اجماع العلماء « ان العلوم أفضل من الأعمال » فقال ولكن قولهم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » مبالغة ثم حديث عائشة الذي ذكرته هل هو صحيح . فقلت له أنا الآن لست في مقام تصحيحه وتحسينه . انك طلبت مني آراء المتقنين هل كانوا يجعلون أمثال ما كتبناه الآن ورسنناه بالتصوير الشمسي في هذه الآية علوما دينية فأجبتك بما كتبوه أنفسهم وانهم يقولون إن هذا أفضل من العبادة . هذا هو لجامعهم فأما كون كلامهم فيه مبالغة أو ان الحديث صحيح أضعف فهذا ليس مقام الكلام فيه وانما ملخص ما فيه أن هذا رأى للمتقنين فأما الحديث فتشهد له الآيات كلها فإذا لم يصح فالآيات تدل عليه وعليه أصبح ما نكتبه في هذه الآية وأمثالها احتملا لما ابتدأه علماء الاسلام منذ نحو (٩٠٠) سنة فهم ابتدؤا يترقون المسلمين بهذه العلوم ثم سلط عليهم أعداء من الداخل وهم صفار العلماء وصفار المتصوفة وأعداء من الخارج كآلة التار وغيرها ثم لما أراد الله انتقاد المسلمين من ذلك وانه سيرفضهم الى العلا لم الأمم الاسلامية الحاضرة فيها هي ذه تريد ارجاع مجدها وكان من جلة نهضتها المباركة هذا التفسير الذي ليس بدعا في هذه السبيل . فاذن نحن الآن نريد اعادة مجد ذهب وعلم ترك وهذه نعمة أنعم الله عز وجل بها على أنا وعليك أنت أيها الذي وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

( موازنة بين آراء المسلمين وعلماء أوروبا في هذا المقام )

أذكرك بما مضى أيها الذي في أول (سورة المؤمنين) فاقى قلت لك هناك عند ذكر خلق الانسان عشرين قولا من أقوال علماء القرن العشرين وهو القرن الذي نحن فيه . ان أكثر علماء القرن التاسع عشر كانوا بالنسبة لعلماء القرن العشرين أطفالا في العلم فقد أثبتوا بالبرهان أن التعليلات التي عللوا بها ألوان الحيوان واختلاف أشكاله مقضى عليها بالفشل بل صرح بعضهم بأن تعليل أولئك العلماء بالانتخاب الطبيعي أو نحوه لا يعالج عن قيمة أقوال المرصعات والهجائز وأثبتوا أنبا تاما أن هؤلاء العلماء قد أثبتوا عجزهم عن تعليل الفرائز المودعة في الحيوانات . وأبانوا أن السكون حكم الوضع واحكام الوضع لا بد له من عقل يدركه وأجمع على ذلك أكابر علماء الألمان والفرنسيين والانجليز وأبطلوا آراء صفار العلماء التي انتشرت في الشرق ولم يصل لهم أمثال ما نقلناه عن العلماء المعاصرين لنا فهم مقلدون لمن ماتوا ولم يعلموا بعلوم من بعدهم من المعاصرين الذين يقولون إن الحشرات التي تنتقل من دودة الى شرقة الى فراشة وتنتقل من عالم الماء الى عالم الهواء مرة واحدة تكذب منهج القائلين بالتحويل التدريجي الذي لا مستند له إلا الوهم لأن البط خلق منسوج الأرجل أولا ثم مشى لأنه مشى على شاطئ البحر ثم خلق له الفسيح بين الأرجل فارجع اليه هناك فهو واضح أشد الوضوح . أوليس من العجب أنك ترى ما يقوله الامام الغزالي هنا وقلته لك عنه أنفا هو بنصه نفسه ما يقوله علماء أوروبا

فقل لمن يدعى علما ومعرفة \* عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

وقل لأبناء الشرق إما أن تقرأوا العلم كما واما أن تبغوا مقلدين فأما الاطلاع الناقص فهو ضار وها هو ذا أصبح علماء الشرق وعلماء الغرب على اتفاق تام في أمر نظام العالم وعجائب الخلقة وحكمة الخالق والمجد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ١٢ ديسبر سنة ١٩٢٨



## ﴿ إيضاح آتم لما تقدم ﴾

قال الامام الغزالي في الجزء الأول من الإحياء ما نصه

﴿ وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لا تليق بأفهامهم ولم يشعروا على أغوارها وأما أفعاله فكذلك خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمتي فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رأى في كل شيء فهمته وإليه وبه وله فهو السلك على التحقيق ومن لإبراه في كل ما يراه فكأنه مآثره ومن عرف أن كل ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيبطل في ثاني الحال إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يستبر وجوده من حيث أنه موجود بإقته عز وجل وبقترته فيكون له بطريق التبعية ثبات ويطريق الاستقلال بجلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الحكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله تعالى - أفرايتم ما منحون - أفرايتم الماء الذي يشربون - أفرايتم النار التي تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرب والميت بل يتأمل في المني وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية اقسامها إلى اللحم والعظم والورق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى مآثرها فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى مآثرها فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجمل والتكذيب والمجادلة فيتأمل هذه الجباب ليرقى منها إلى محب الجباب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصفة فيرى الصانع . أقول وهذا أذكرك أيها القاري بما تقدم قريبا هنا من ذكر قطرة الماء وإنها عبارة عن ذرات تعد بمقدار آلاف الآلاف وبها مسافات هائلة ثم نفس هذه الذرات عبارة عن كهرباء مضبوطة والفضاء حركات في الأثير والحركات أعراض لاغير . إذن للمادة غير موجودة بنفسها . فاعجب لقول الصوفية كالامام الغزالي ولأقوال علماء العصر الحاضر . لقد تشابه القوم وإن لم يجتمعوا زمانا ومكانا . ومن هنا تعرف تقارب العلماء في الأمم . ونرجع إلى كلام الامام الغزالي فنقول

ثم ذكر أن المانع من الفهم في القرآن قد يكون

(١) بسبب انصراف الهم إلى استخراج الحروف من مخارجها وهناك يتولاه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم

عن فهم معاني القرآن

(٢) أو بسبب أنه مقلد للمذهب سمعه بالتقليد وجعله وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للسموع من غير وصول إليه بصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يحظر بآله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حل عليه شيطان التقليد حله وقال كيف يحظر هذا بآله وهو خلاف معتقد آباءك فيرى أن ذلك ضرر من الشيطان فيتأبذ منه ويعتز عن مثله . ولهذا قالت الصوفية ﴿ إن العلم حجاب ﴾ وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حورها المتصبون للذهاب وألقوها إليهم . والتقليد قد يكون بإطلاع من يعتقد في الاستواء على العرش الاستقرار والتسكن فإن خطر له مثلا في القورس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر لا ينجح ذلك إلى كشف ثنائ وثالث وتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الولوج إلى العور الباطن قال كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن وأشار إلى أن الإصرار على الذنوب والتكبر أو اتباع الهوى كل ذلك يمنع وصول الحقائق للقلوب وذكر أن الذي

يفهم ذلك هو النبي كما قال تعالى - بصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال - وما ينذركم إلا من ينيب - وقال - إنما يتذكر أولوا الألباب -

(٣) أو بسبب أنه قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أن معاني القرآن لا تتناول إلا ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه قد تبوأ مقعده من النار . قال فهذا أيضاً من الحجب العظيمة مع أن ذم التفسير بالرأى لا ينافي قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً في القرآن ولو كان المعنى هو الظاهر المتقول ما اختلف الناس فيه ثم أثبت هذا الفهم بقوله تعالى - لعلهم الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراء السماع وذكر قول أبي الفرداء ( لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً ) وقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - يعني الفهم في القرآن ثم أعقب ذلك بالأخبار التي وردت النهي فيها عن التفسير بالرأى ثم قال ان أريد الاقتصار على المتقول والمسموع وترك الاستنباط فهو باطل لأنه يشترط أن يكون مسموعاً من رسول الله ﷺ وذلك لا يصادف إلا في قليل من القرآن وأما تفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود فهومن أنفسهم فإذا أردنا أن كل ما لم يقله النبي ﷺ فهو بالرأى وجب أن يقول الله بالرأى أيضاً لأنهم لم يسمعه من رسول الله ﷺ ولا قال به وأيضاً ان الصحابة اختلفوا في بعض الآيات بأقوال لا يمكن الجمع بينها ومحال أن يكون الجميع مسموعاً من النبي ﷺ ولو كان أحدها مسموعاً لرد الباقي . إذن تفاسيرهم باستنباط منهم كما استنبطوا في (الر) انها حروف من الرحمن أو ان الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وهكذا . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً . وأيضاً قد دعا ﷺ لابن عباس فقال ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) فان كان التأويل مسموعاً كالتزويل ومحفوظاً منه فما معنى تخصيصه بذلك . ثم بين أن النهي عن التفسير بالرأى يرجع ( لأمرين اثنين ) أولهما ( أن يقصد مبتدع التليس على خصمه وهو يعلم أن الآية لم يقصد بها المعنى أو يجعل ذلك وعلى كلا الحالتين يميل فهمه الى الفرض الذي يرمى اليه فهنا حجتا اتباع القرآن وهواه وقد يكون غير مبتدع وله غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما يريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالأشعار فيستدل بقوله ﷺ ( تسعروا فان في السحور بركة ) وزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكأنه يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى - اذهب الى فرعون انه طغي - يشير الى قلبه ويؤمى الى أنه المراد بفرعون ويستعمله الوعاظ في المقاصد الصالحة وهو ممنوع وتسمعه الباطنية في المقاصد الفاسدة لتفري الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومنهجهم على أمور يعملون قطعاً انها غير مرادة به . هذا هو الرأى الفاسد للوافق للهوى ( وثانيهما ) أن يفسر القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بفرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المهمة وما فيه من الحذف والاختصار والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلط انتهى ملخصاً

فيأبها الذي إنما أوردت لك هذا بناء على سؤالك لتطلع على طريق التكفير في التفسير عند أسلافنا الكرام وعلمائنا الفخام وما هو التفسير بالرأى وما التفسير بالفهم وما التفسير بالنقل ولست أكتب هذا لأخذ بكل ما فيه ولكن لتقف عليه وتعرف الحقائق وطرق المتقنين فيشرح صدرك وتبلغ أملك  
فقد علمت نضجاً حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

( فصل في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى آخر السورة )

وهذا الفصل مفصل الى أربع جواهر

( الجوهرة الأولى ) في تخریج قوم وتوبيخهم من قوله - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى قوله - وما عل

الرسول إلا البلاغ المبين -

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في وعد الله المؤمنين بالمسكنين في الأرض ونحو ذلك من قوله - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الى قوله - ومأواهم النار وليس المصير -

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في آداب علة كالأستئذان في الدخول وذم التبرج من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا وكالاذن بالأكل من بيوت بعض الأقارب من قوله - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله - لعلكم تتقون -

﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ الأدب مع رسول الله ﷺ فأوجب عليهم أن يستأذنه وانهم اذا دعوه فليكن ذلك بأدب خاص إلخ وذلك من قوله - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا مع على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه - إلخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - لقد أنزلنا - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - ﴾

يقول الله تعالى بعد أن أبان جلال منحه وبديع حكمه وحسن إبداعه وباهر نقشه ورقشه وأحسن خلقه من الأنوار الباهرات والمحاسن الظاهرات وأضواء السكواكب وجمال الشمس وسناء البرق وأنوار القلوب وجمال العلم وبهاء الأفتدة العامرة بالمعارف الساطع اشراقها وزيتها بالعلوم العالية وكيف كانت النفوس الانسانية مشتملة على جواهر هذه العوالم مقطعة مافيها من الحسن وكأنها قائمة مقام المادة بحيث تحمل كل ما حلت من صور وقوش وكان الناس في الأرض خلفاء ربهم قد كفهم أن يعملوا ويعلموا متخلقين بأخلاق من خلقهم . لما ذكر ذلك كله سبحانه وتعالى شرع بذكرنا بأنه أنزل هذه الآيات مينات الحقائق ودلائل الخالق وأنه يهدي من يشاء بتوفيقه للنظر فيها والتدبر في معانيها ، وكأنه عز وجل يقول إن هذا المثل المضروب للمؤمن والمضروب للكافر وجهه وهذه الجانِب في الطير والسحاب والبرق . كل ذلك ليس لكل انسان فهمه بل الناس ﴿ فريقان ﴾ فريق لا يرفع عقله الى هذا المستوى الرفيع ولا يعقل ذلك المعنى البديع وفريق استحق رتبة العلم فأعلمه الله وعلمه ( والله يهدي من يشاء ) هدايته لأنه على استعداد للهداية ( الى صراط مستقيم ) وهودين الاسلام وادراك الحقائق ثم أخذ سبحانه يوضح طائفة كثير للناس الذي خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي تتعاضدكم الى محمد ﷺ وقال للناس بل تتعاضدكم الى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فتزل قوله تعالى ( ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ) يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد ( ثم تولى فريق منهم ) أى معرض عن طاعة الله ورسوله ( من بعد ذلك ) من بعد قولهم - آمنا - وهم يذهبون الى حكم غير حكم الله قال الله تعالى ( وما أولئك بالمؤمنين ) بالمتقين ( واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ) أى ليحكم النبي ﷺ الذى حكمه في الحقيقة حكم الله ( اذا فريق منهم معرضون ) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم أنك لا تحكم إلا بالحق ( وان يكن لهم الحق يأتوا اليه متنعين ) أى متقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم ( أى قلوبهم مرض ) كفرا وميل الى الظلم ( أم ارتابوا ) أى شكوا وهذا استهزاء للنم والتوبيخ ( أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ) فالأمر يرجع في صدورهم الى النفاق أو الارب في أمر النبوة أو الخوف من الحيف ثم أبطل هذا الأخير بقوله ( بل أولئك هم الظالمون ) أى لا يخافون ظلمه ﷺ ولكنهم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم والنبي ﷺ يأبى عليهم ذلك فلذلك لا يريدون أن يتعاضدوا اليه . ثم ذكر أخلاق المؤمنين في مثل هذه الحال فقال ( انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ) - قول - خبر كان وأن يقولوا اسمها أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك ( وأولئك هم المفلحون ) وأما من قبلهم فهم ليسوا بمفلحين لأنهم ظلمون ( ومن يطع الله ورسوله ) فبما يأمران به ( ويخش الله ) لما صدر منه من الذنوب ( ويته ) فيما بقى من عمره ( فأولئك هم الفائزون ) أى بالنعيم

المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مفعول مطلق لفعل محذوف أى يجهد اليمين بهذا ثم حذف الفعل وأضيف المصدر الى المفعول فقيل جهد اليمين أى جاهددين أيمانهم فهو منصوب على الحال . يقول الله حلف المنافقون بالله جهد اليمين أى بذلوا فيه مجهودهم أى أقصى وسعهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى أقسموا لئن أمرنا محمد بالخروج الى الفز ونخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لأنه حرام انما المطلوب منكم (طاعة معروفة) لا اليمين والطاعة الكاذبة (إن الله خير بما تعملون) فلا يفتي عليه سرائركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى بقاؤكم وصدق نياتكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) على الرسول (ما حمل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما أحلتم) أى ما كلفتم به من الاجابة والطاعة (وان طيعوه تهتدوا) تصيبوا الحق في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ للذين) أى التبليغ الواضح للذين (طيفة في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - )  
 إن تبين القرآن قد ظهر اليوم أشد الظهور عند علماء الغرب ولا كشفه الآن هنا بموضوعين

### الموضوع الأول عاصرة في القرآن الكريم

( وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق )

ألقاه في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد الاستاذ محمد أحمد عبد المولى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية ومنسوب الحكومة المصرية والمؤتمركان فيه (٧٠٠) منهم (٢٠٠) تمثل الحكومات والجامعات العلمية والباقيون أعضاء والمحاضرات التي أقيمت بشأن مصر والاسلام (٤٤) عاصرة والمراد بمصر قديما وحديثا وحضر من الألمان نحو (٧٠) علما . والخطبة أقيمت في يوم الجمعة آخر أغسطس سنة ١٩٢٨ في مدينة (أكسفورد) بالانجلترا وكانت العادة أن كل محاضرة تناقش في موضوعها فكان من المبهزات انها قوبلت بالاستحسان العام إذن علماء أوروبا الراسميون أقروا ما في هذه الخطبة بالإجماع . وهالك نصها بالحرف لتعرف مقدار اعتراف علماء أوروبا بفضل الاسلام وبمظمة نبينا ﷺ وهاهي ذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين \* والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

( القرآن الكريم )

(١) وصفه (٢) محتوياته (٣) أثره في اللغة العربية (٤) أثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية (١) وصفه

القرآن الكريم - كتب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - آية الله الدائمة وحجته الخالدة - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - . - الم \* ذلك الكتاب لأرب فيه هدى للذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون \* والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون \* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون -

(٢) محتوياته

أحتوى القرآن ما يحتاج اليه الانسان في معاشه ومعاده - ما فرطنا في الكتاب من شيء - ويمكن حصر ذلك فيما يأتي

(١) العقائد وهي مبينة في الآيات التي توجب الإيمان بالله واحد وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر مثل قوله تعالى - قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفولا أحد - وقوله تعالى - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا تفرق بين أحد من

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير -

(٢) (الفرائض الدينية) وهي موصحة في الآيات التي توجب الصلاة والصوم والحج الخ مثل قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير نجعله عند الله - (البقرة)

وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون \* أيما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تظلم ظلماتا فلا جناح عليه أن يصوم يومه بغير إذن نفسه وإن كثر متظلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين -

(آل عمران)

(٣) (الأوامر والنواهي الخلقية) وهي مفصلة في الآيات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون -

(آل عمران)

وقوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ينظم لكم لعلكم تذكرون - (سورة النحل)

(٤) (الإنذار والتبشير) في الآيات التي ذكر فيها ما أعد الله للكافرين والمؤمنين مثل قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - (سورة النحل أيضا)

وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله ويعتد حدوده يدخله ناراً خالدا فيها وله عذاب مهين - (النساء)

(٥) (الجدل والتحدى) في الآيات التي دعى فيها المخالفون إلى الإيمان بآيات ولومفريات فجهزوا مثل قوله تعالى - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين - (سورة البقرة)

وقوله تعالى - أم يقولون افتراء قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين - (هود)

وقوله تعالى - قل لأن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - (الاسراء)

(٦) (القصص) كالنبي ورد في تاريخ الأنبياء والرسل وذوي القرنين وأصحاب الكهف مثل قوله تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال آوئى معه واليرى وأنا له الحديد أن اجعل ساجدات وقدّر في السرد واعمالها صالحا إلى بما تعملون بصير - (سبا)

وقوله تعالى - وإذا كرى في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا \* فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا \* قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا \* قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا \* قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشرا ولم أكن بغيا \* قال كذلك قال ربك هو على عينى ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا \* حملته فاتبلت به مكانا قصيا \* فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا \* فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا \* وهزى إليك بجذع النخلة فما قطعت عليك رطبا جنيا \* فكلى واشربى وقروى عينا فلما ترى من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا \* فأنت به قومها فجعله قالوا بامرهم

لقد جئت شيئاً فريباً • يا أخت هارون ما كان أبوك اسماً سوء وما كانت أمك بنيا • فأشارت اليه قائلوا كيف نكلم من كان في المهد صدياً • قال إني صديقه آتاني الكتاب وجعلني نبياً • وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً • وبرأ بوالذي ولم يجعلني جباراً شقياً • والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً • ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمتحنون - (مريم)

(٧) (التشريع الاجتهادي) وهو في الآيات التي توجب الزكاة وأحوالها المستحقها مثل قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم - (التوبة)

وقوله تعالى - يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلوا الذين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم - (البقرة)

(٨) (التشريع السياسي) وهو في الآيات التي توجب الطاعة لأولياء الأمور والوفاء بالعهود والمواثيق مثل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً - (النساء)

وقوله تعالى - وأوفوا بعهده إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون - (التحلل)

(٩) (التشريع الجنائي) وهو مجاهد في الآيات المبينة للحدود واقتصاص مثل قوله تعالى - وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأف بالآف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص - (المائدة)

(١٠) (التشريع المدني) وهو ما تكفلت به آيات الرضا والميراث وما أوصى الله تعالى - وما آتيتكم من رزق فجربوا أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المفسدون - (سورة الزم)

وقوله تعالى - يحق لله الرضا ويرى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم - (البقرة)

وقوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلهما النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد وإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أبائكم وأبنائكم لا يورثون أبهم أقرب لكم نعماً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً • ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو دين ولفن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو دين • وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس • فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم - (النساء)

(١١) (التشريع الحربي) وهو في الآيات التي تؤذن بالقتال وتشير بالسلم وتبين معاملة الأسرى وتوزيع الغنيمة مثل قوله تعالى - وأما تخافون من قوم خيانة فأنذرهم الله لا يحب الخائنين • ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إهم ولا يجهزون • وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لافعلونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأتم لافعلون • وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم - (الأنفال)

(١٢) (المواعظ والارشاد) وهي في الآيات المشتملة على الأمثال والحكم مثل قوله تعالى - ألم تركب من ضرب الله مثلاً كفة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون • ومثل كفة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من

قرار - (إبراهيم)

وقوله تعالى - ولا يعقنن لملكر السيء إلا بأهله - (طه)

وقوله تعالى - قل كل يعمل على شاكلته - (الاسراء)

وقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - كل نفس بما كسبت رهينة - (الذثر)

وقوله تعالى - لا يكلف الله فسا إلا وسعها - (البقرة)

وقوله تعالى - واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب - (الأنفال)

وقوله تعالى - لن نتناول البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم - (آل عمران)

وقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى - (التجم)

وقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (الرعد)

(٣) (أثره في اللغة العربية)

(١) كان لقريش عظيم لأثر وكبير الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية لأنها كانت تسكن بلاد الحجاز التي كانت محط رحال التجار فكان يجتمع فيها أكثر أشراف العرب والشعراء والخطباء من الرجال والنساء لماخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والفصاحة وغير ذلك فأخذت قريش المستعذب من لهجات العرب حتى لظفت لهجتهم وباد أساليبهم واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خبر الكلام • وكان طبعها أن ينزل القرآن بلغة قريش لأنها خلاصة اللغة العربية ولأن الرسول ﷺ قرش • ويكون هذا الكلام زعيم اللهجات كلها فقد امتازت قريش بكثير من خصائص الزعامة وأقر لهم العرب بذلك فأولى لهم أن يقرؤا مثل ذلك في كلام الله تعالى

(٢) لو نزل القرآن بغير لغة قريش التي ألهاها النبي ﷺ ما كانت تستقيم الموازنة بين أساليب القرآن

وكلام النبي ﷺ ولكان ذلك مدعاة الى أن قبائل العرب تجد كل واحدة منها مذهبا للقول فيه فتشتق الكلمة

(٣) انتقلت لغة القرآن الكريم على وجهه يستطيع العرب أن يقرؤه بلسانهم مع بقائه على فصاحته في

الوضع التركيبي وذلك سياسة لغوية جعلت العرب على منطلق واحد ليكونوا جماعة واحدة

(٤) من أجل ذلك كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في توحيد اللغة ونشرها وترتيبها من حيث أغراضها

والمفادها وأساليبها وفوق ذلك ضمن لها حياة طيبة وعمرا طويلا

(٥) قد جمع القرآن العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه اللغة فأصبح عندهم مثلا

كاملا ومن شأن المثل الكامل أن يجتمع عليه طالبيه مهما فرقت بينهم الأسباب المتباينة • وقد كانوا قبل

ذلك تتوهم كل قبيلة منهم أنها أعلم فطرة في اللغة وأوضح مذهبا في البيان لعدم وجود مقياس عام يرجعون

إليه ولم يكن في طوق انسان أن يقيس قسرة أقوام ويجزهم في أمر معنوي كاللغة إلا إذا كان بالفائدة الكامل

ولما كان الكامل لله وحده كان كلامه جل شأنه هو المثل الكامل

(٦) لولا القرآن الكريم لما وجد على الأرض أحد يعرف كيف كانت تنطق العرب بألسنتها • وكيف

تقيم أحرفها وتحقق مخارجها فتوارى أداء القرآن الكريم حفظ لنا كيفية الأداء العربي

(٧) إن الشعوب العربية في مصر وسورية وبلاد المغرب وغيرها يتكلمون باللغة العربية ولكن تختلف

لغة كل شعب منهم عن لغات الآخرين اختلافا قليلا أو كثيرا بنسبة البعد بينهم والاختلاف في أحوالهم • ولولا

القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخري فهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية

والاسبانية والطيانية وغيرها) ولكن محافظة للتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع إليها يكتبون ويخطبون جعل في لغاتهم الملوثة مرجعا يجمع لغاتهم الى أصل واحد  
(٤) ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَحْوَالِ الْاجْتَاعِيَةِ ﴾

جاء القرآن والعرب قد وقعت بينهم الفقرة ونشئت الألفة واختلعت كلتهم واضطربت أحوالهم فكانوا إخوان دبر ووبر أذل الأم دارا وأجذبهم قرارا لا يأتون الى جناح دعوة يتصمون بها ولا الى ظل ألفة يعمدون على عزها فأحوالهم مضطربة وأيديهم مختلفة وكانوا في بلاد عظيم من جهل مطبق وبنات مؤودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة . فلما استضاء بنور القرآن الكريم اجتمعت أملاؤهم وانفتحت أهواؤهم واعتدلت قلوبهم وترادفت أيديهم وتناصرت سيوفهم وعقدت طاعتهم وجع على دعوته ألتهم وأصبحوا ينعمون في ظل سلطان قاهر ثابت وصاروا حكاما على العالمين وماؤكا في أطراف الأرضين قد ملكوا الامور على من كان يملكها عليهم وأمضوا الأحكام فيمن كان يضيها فيهم  
جاء القرآن وقد تمكنت من العرب عصية الجاهلية فما عدا أن سقه آلامهم ونكس أصنامهم وذهب بجمل ما ألفوه حتى كأنما خلقهم خلقا جديدا وكأنهم على آدابهم نشؤا وهم أغفال وأحداث بل كأنهم كانوا سلافة أجيال كان القرآن في أوليتهم المتشائمة وكانوا هم الوارثين لا الموروثين مصداقا للحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم »

كان من أثره فيهم أن أذهب عنهم العصبية المبقوطة وأحل محلها التسبب لمكارم الخصال ومحامد الأفعال وعحسن الامور وخلال الحد من الحفظ للحوار والوفاء بالتمام والطاعة للبر والخصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتنب الفساد في الأرض لهذا كله انعدت عليه قلوبهم وهم يجهدون في تقضيا واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها فكانوا يفرّون منه في كل وجه ثم لا يثبتهن إلا لاله . ذلك بأنه قد جاءهم بما لا قبل لهم به مما يشبه أساليب الاستهواء في علم النفس فغلب على طباعهم وحال بينهم وبين قديمهم ولعمري لو كان القرآن غير فصيح أو كانت فصاحته غير مبجلة في أساليبها التي ألفت اليهم للامنه موضعه الذي هو فيه وكان سبيله بينهم سبيل القصاد والخطب والأفاصيص ولقنوه كلمة كلمة آية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أو تتراجع طباعهم

بين القرآن لهم أن الطبيعة مسخرة لهم فعلمهم كشف ما فيها واستخراج أسرارها - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وكأين من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - والأرض مدناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقينا كوه وما أتم له بخازنين - (الحجر)

نادى فيهم القرآن الكريم أن النبي ﷺ ابن يومه وابن عمله وعقله . فلا هو مفاخر ولاواهم ولاشاعر وخالمهم بالآية الكريمة التي هي روح الثبات في ثم العلم والعمل - وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أتم بريؤن عما أعمل وأنا بريء مما تعملون -

قد وصل العرب قبل نزول القرآن الكريم الى هاوية الانحلال الاجتماعي بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم فكانوا في جهل مطبق بأحكام دين الصحيح ومبادئ السياسة والحياة الاجتماعية ولم يكن لهم فرق يذكر أو صناعة تتشروم يكونوا يعرفون شئ من العلاقات الدولية وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفظ لشئ الغارة على جارتها . فما لبثوا أن جاءهم الكتاب الكريم حتى خالطت أحكامه قلوبهم وأيقظت أرواحهم وجعلتهم يتسلسون الحق وتصبونفسهم الى رفع مناره ونشره في أطراف الأرضين



قد بلغوا في العبادة مبلغا بذوا به أهل الرهبة والتسك وصاروا اولى قوة في دين وحزم في دين وإيمان في يقين وحزم في علم وعلم في حلم وقصد في غنى وشروع في عبادة وتجمل في فاقة وه برقى شدة وطلب في حلال ونشاط في هدى ومخرج عن طمع . ومع بلوغهم هذه المرحلة الروحية العالية لم يهجروا الدنيا وشؤونها بل عملوا لها بصدق وإخلاص فأبدهم الله العز مكان النذل والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما

وان يجب فحجب أن يتم ذلك المجد العظيم للعرب في أقل من مائة سنة . وفي هذا برهان قاطع على أن أحكام القرآن خير طريق الى تمية للملكات الانسانية واعدادها لكسب الحياتين الدنيوية والروحية فقد جعل الامة العربية نضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقا وأن تعليه مع ذلك محض ضايرها وتسلم له في تاريخها وعاداتها . إن نظرة بإمعان فيما جاء به القرآن الكريم من الآيات الدينات تدل على أنه ليس هناك في الانسان من قصص إلا والقرآن كقيل بإصلاحه فهو طبيب الانسانية وليس أذيق الأطباء من يدعى هذه الصفة لنفسه بحسب بل من يستطيع مدلوله أعظم الأدواء في أكثر الحالات وكذلك فعل القرآن فقد بلغ من أثره في العرب أنه حول طبائعهم وغيروا أخلاقهم فلم يشهد التاريخ جيلا اجتماعيا مثل الجيل الأول في صدر الاسلام حين كان القرآن هو النور الذي يهتدى به ولم تستطع الفلقة على اختلاف ضروبها في أي عصر من العصور أن تنتج جيلا من الناس كالذي أخرجه القرآن الكريم فكانوا مثلا حسنا في علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب وبراحة اليقين ومهارة الخلق وشدة الأمانة وإقامة العدل والتخضع للحق ومماثل الى ذلك من أتمات الفضائل

( محمد ﷺ أعظم مصلح ظهر )

أما وقد بان أن الكتاب الكريم أحدث أوفر قسط من الإصلاح في أقصر زمن عرفه التاريخ فلا بد أن كان الذي نزل عليه ذلك الكتاب أعظم مصلح . واليك البيان

(١) اقتضت حكمة الله أن يرسل الى كل أمة آتاه بعد أن هاديا يرشدكم . ويصلح حالهم فيديم النور الذي جاء به زمانهم بخير قليلا قليلا حتى اذا كاد ينطفئ أخذ الله هذه الامة برسول بعده يبعثها الهداية وقد تواتر للهور والأحزاب والأمم متفصلة بعضها عن بعض زائحة كل واحدة أن العالم كله فيها وأنها أفضل من سواها لأن الله خصها بالرسالة والهداية فنجم عن ذلك القول بأن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - حابي بعض الأمم وخصها بمزايا لم يمنحها غيرها

من أجل ذلك أرادت الحكمة الإلهية أن تقضي على ما خالج نفوس بعض الأمم من أنها أفضل من غيرها جنسا وخللا ودينا وأن تجعل من الانسان جسدا واحدا فنزل الله على الخلق جميعهم برسول عام معه رسالة عامة وهكذا كانت رسالته عامة لا يخصها زمان ولا مكان - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا -

كان مثل من سبقه من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم مثل المصاييح كل منها وضع في حجرة لا يضيء سواها . فلما ظهرت شمس الرحمة من البلاد العربية لم يبق هناك من حاجة الى هذه المصاييح المحبودة المدى وليس في مقدور أي نور آخر أن يخطف هذه الشمس

بعث كل رسول ممن تقبوا المصطفى ﷺ تهذيب أفراد أمة وجعلهم صالحين لتكون أمة متجانسة . ولعمري هذا عمل جليل . غير أن محمدا وهو خير المرسلين أرسل ليجمع هذه الأمم ويجعلها أمة واحدة متكافئة مرتبطة برابطة الاخاء . جاء كل رسول لتقويم خالق معين في أمة فكانت حياته أسوة للناس الذي أرسل لتقويمه . أما محمد ﷺ فقد جاء لتسمية الفطرة الانسانية جميعها واستخدام ملكاتها وتقويم غرائزها وكانت حياته العمليّة ﷺ ملائ للسل الصالحة الكفيلة بتقويم اخلاق بني الانسان جميعها ولذلك كان مثلا كاملا

للإنسانية اجتمعت فيه الفضائل التي كانت في أنبياء بني إسرائيل وغيرهم . تجمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام (٧) إن كانت العظمة تتحقق بإصلاح أمة قد وصلت إلى غاية الانحلال الاجتماعي فليس هناك من يبارى محمدا في أنه أقدم الأئمة العربية من حاوية السار وجعلها مصايح الحضارة والعرفان . وإن كانت العظمة تتحقق بجمع شمل أمة قد تأصلت فيها الفقرة وتمكنت منها العدواة والبغضاء فمن يبارى محمدا في أنه جمعهم تحت ظل الإسلام إخوانا متساندين - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها -

كل من مثل العرب في نفرتهم كمثل رمال بلادهم فلام الإسلام بينها وجعلها من القوة بحيث لا تؤثر فيها الزلازل العنيفة . إن كانت العظمة تتحقق بإقامة ملك الله في الأرض فمن يطمع إلى منافسة محمد ﷺ في أنه نكس الأصنام وأبطل عبادة الأوثان وطهر الجزيرة العربية من الشرك وملأ القلوب بالتحديد والتوحيد وإن كانت العظمة تتحقق بحسن الأخلاق فمن ذا الذي ينكر على محمد أن أعداءه وأصدقائه أجمعوا على تسميته بالأمين

إن كانت العظمة تتحقق بالفتح وبسط الملك فالتاريخ أصدق شاهد على أن أحدا غيره لم يبلغ مبلغه فقد نشأ يتيمًا لا قوة له ثم صار فاتحا عظيما أسس أعظم دولة لبنت ترء مكابد الأعداء أكثر من ثلاثة عشر قرنا إن كانت العظمة تتحقق بما لصاحبها من رفعة الاسم وانتشار الصيت فمن يبارى محمدا في ارتفاع اسمه الذي تحبه قلوب أربعمائة مليون من الناس منتشرين في أطراف الأرضين مرتبطين برابطة الإخاء مع اختلاف قوميتهم وألوانهم وألسنتهم

### ﴿ أثر القرآن الكريم في الأحوال الخلقية ﴾

لما كان المنزل هو المرئي الأول الذي يتعلم فيه الإنسان الآداب الخلقية ويألفها أوجب القرآن الكريم طاعة الوالدين - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما \* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - ولم يرض عن عصيانهما إلا إذا أربدا أن يحمله على الإشراف باقة - وإن جاهدك على أن تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا -

هذا الاحترام العظيم للوالدين هو الأساس الذي بنيت عليه فضيلة الطاعة لأولياء الأمور - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - وليس المراد بأولى الأمر الحكم فقط بل يشمل كل من أعطى سلطانا ونفوذا . يشير إلى ذلك قوله ﷺ « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته »

ومن هذا يتبين أن دين الإسلام يطالب الناس جميعهم بالطاعة لمن فوقهم ليجتنب بذلك أصول الفوضى والمخالفة ويثبت دعائم الطاعة . بنى القرآن الكريم الأخلاق على فضيلة واحدة هي التقوى وقد دلت تصفح الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الكلمة وما اتصل بها من المشتقات على أن المراد منها أن يتق الإنسان كل ما كان فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره لتكون حدود المساواة قائمة في المجتمع الإنساني لا يحصل فيها ثمة ولا يطرأ عليها وهن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - \* وقد جاء في الحديث ﴿ لأفضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ﴾ والآية صريحة في أن الغاية الاجتماعية للناس شعوبا وقبائل هي التعارف وتلك كلمة لا تنشد عنها فضيلة من فضائل الاجتماع فاطبة ولا يمكن أن تدخل في مدلولها رذيلة اجتماعية . وفي هذه الآية الكريمة أقام القرآن الأساس الخلق العظيم فجعل أكرم الناس المتساوين في الخلق الفردية والاجتماعية هو أتقاهم أي أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولا أكثرهم

رجلا ولا أتهم فكرهم ولا أعظمهم علما ولا شياً من ذلك مما ليصح أن يكون سببا للتفاضل إلا في إدار  
 الدول واضطراب الاجتماع وفساد العمران . فالحقيقة أن التقوى هي الخلق الكامل . ومن أجل ذلك كان  
 العدل في رأى القرآن أقرب شئ إلى التقوى إذ يقول الله جل شأنه - ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا  
 اعدلوا هو أقرب للتقوى - وقد ردت القرآن مظاهر التقوى إلى ( ثلاثة أشياء ) الأمر بالمعروف والنهي عن  
 المنكر والإيمان بالله . وهذه الأشياء الثلاثة هي المبدأ والنهاية لكل قوانين الأدب والاجتماع قال تعالى  
 - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - والمعروف كل ما يعرفه  
 العقل الصحيح حقا ولا يتأتى الأمر بالمعروف إلا اذا توافر استقلال الادارة ( كذا ) وقوتها، والمنكر هو ما ينكره  
 العقل الصحيح ولا يمكن النهي عن المنكر إلا باستقلال الرأى وحريته والإيمان بالله هو الاعتقاد بوجوده  
 ووحدانيته ولا يتم ذلك إلا اذا استقلت النفس من أسرار العادات والأوهام بالنظر والفكر في مصنوعات الله وهذا  
 هو الإيمان الذي يبعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بثقة إلهية لا يعترضها شئ من عوارض الاجتماع  
 التي تعترى الناس من ضعف الطباع الانسانية كالجبن والتفاني وإيثار العاجلة وماليها فان هذه الصفات لا تتعق  
 مع صحة الإيمان بل هي أنواع من العبادة للتقوى وللمستبد والشهوات والزغات وماشاهيها وذلك لا يتفق والإيمان  
 الصحيح بالله . مادبر أحد القرآن إلا واجده بمنح كل انسان ارادة اجتماعية أساسها الحرية - وقل الحق من  
 ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما  
 انا عليكم بوكيل - ولذلك لما اتخذه الجيل الأول في صدر الاسلام مثالا لهم واتخذوا آدابه الخلقية شعرا لهم  
 حقق لهم هذه الارادة الاجتماعية . ولو أن العلوم كلها والفلسفة وأهلها كانت لأولئك العرب مكان القرآن ما  
 أغنت عنه شياً لأن الفضيلة العقلية التي أساسها العلم لا توصل حتما إلى الارادة العملية

أما الفضيلة الخلقية التي جاء بها القرآن فانها تسوق إلى الارادة العملية لأن هذه الارادة مظهرها ولا سبيل  
 لظهورها غير العمل . ومتى صحت إرادة الفرد واستقامت له وجهته في الجملة فقد صار بنفسه جزءاً من عمل  
 الأمة والأمة التي تتألف من مثل هذا الفرد تشغل مكانة سامية في تاريخ الاجتماع  
 والمتأمل في القرآن الكريم يرى أن جميع آدابه وعظائمه ترمي إلى بث الروح الاجتماعية في نفوس أهله  
 فكانت هذه الروح هي السبب الأول في انتشاره حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالتتار والمغول  
 وفيهم من اشتدوا عليه ليخذلوه فكانوا بعد ذلك من أشد أهله في نصرته والفضب له . ليس للقرآن  
 طرائق الدعوة إليه إلا الأسوة - فقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فالأسوة او القدوة مظهر آدابه  
 ولذلك كان كلما وجدت طائفة من أهله وجدت الدعوة إليه وان لم ينتحلوها ويسلموا لها وما استحث أحدنا  
 بالعطاي لأنه الدين الطبيعي للإنسان تأخذ فيه النفس عن النفس بالرسطة ولا حيلة في الوسطة . وما أفسح  
 ماورد في صفة القرآن من قول رسول الله ﷺ ( فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو  
 الفصل ليس بالهزل )

### ( أثره في الحال العملية )

من يدرس تاريخ العلم الحديث لا يسه إلا أن يستنبط أن القرآن الكريم كان أصل النهضة الاسلامية  
 وأن النهضة الاسلامية هي التي لها الفضل في حفظ علوم الأولين وتهذيبها وتصفيها وهي التي أوسعت المجال  
 للعقل يبحث وينظر ويستدل . وبذلك كانت هذه النهضة أساس التاريخ العلمي في أوروبا . انفراد القرآن  
 بأنه هو الذي حرر العقول البشرية من أصفاد الجود والرق وحفز النفوس البشرية وساقها إلى قراءة مصحف  
 الكائنات وتدبر ما فيها من الصنع البديع . القرآن هو الذي ساق النفوس إلى قصي غوامض الكائنات  
 والتفتق عن دقائقها وبين لهم أهم ما يؤتوا من العلم إلا قليلا - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - ثم دلم على

مواطن التفكير والبحث وبين للناس بضرب الأمثال قيم يفكرون فقال جل شأنه - ومن كل شيء خلقنا زوجين - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون - وجعلنا من الماء كل شيء حي - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن - كل في فلك يسبحون - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر - يوم تشقق السماء بالغمام - ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج -

القرآن هو الذي أعد العقول لفهم الفلسفة الاخرى ودراسة العلوم الكونية فتصافى العلم والقرآن بضعة قرون لم يقع بينهما غفور ولا مشادة فذكرتم العلم ونوه بالعقل وذكّم الذين يطلون عقولهم ويتبعون أهواءهم إذ يقول في شأنهم - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون - إن شرّ الثواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون - ومنهم من ينظر اليك أعانت تهدي العي ولو كانوا لا يبصرون - ولا تحق ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أن لا تنصروني وأنتم لما كنتم هون - نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار - فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - إن عليك إلا البلاغ - قد بينا الآيات لقوم يعقلون - لا إكراه في الدين - إنما أنت مذكر - لست عليهم بمسيطر - القرآن هو الباب الذي خرج منه العقل الانساني الكامل بعد أن كان طفلا فقد هداه الى النظر والاعتبار والاستنباط إذ يقول - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتنّا عذاب النار - وفي خلقكم ومايت من دابة آيات لقوم يوقنون - واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أهلكم -

كانت هذه الآيات وأشباهها سببا في اطلاق الحرية العلمية للعقول البشرية فلما اقتبست منها أوروبا نهضت وأصبحت تسوس العالم وترشده الى ما فيه صلاحه - القرآن هو الذي أوجد العدد الجم من أعظم المؤلفين في العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والفلكية وغيرها - ذلك بأن العلماء لما نظروا فيه تشعبت طرق تفكيرهم فتم قوم عنوا بضط لمحاته وتحرر كلماته ومعركة مخارج حروفه وهؤلاء هم علماء القراءة وقوم عنوا بالحرب والبنى وما الى ذلك وهؤلاء هم علماء النحو - وقوم شغلوا بما فيه من الألفة العقلية وهؤلاء هم علماء الكلام وتأملت طاقة منهم معاني خطابه فأرت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد ومنها ما هو محمول الى غير ذلك وهؤلاء هم علماء الاصول وتلست طاقة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية وهؤلاء هم أهل التاريخ والقصص - وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمال والمواعظ وهؤلاء هم الخطباء والوعاظ - وأخذ قوم علم الفرائض وحسابه من آيات الموارث - ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهؤلاء هم علماء الميثاق

من هذا يتبين أن القرآن الذي نزل في البادية على أمية وقوم أميين لم يكن لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم - وكانت فنون القول التي يذهبون فيها مذاهبهم لا تتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم يمكن العلماء من أن يخرجوا من كل معنى علما برأسه وعلى ممر السنين أخرجوا من كل علم فرعا حتى وصلت العلوم الى ما وصلت اليه في الحضارة الاسلامية التي أنجبت الحضارة الحديثة

كفالك بالعلم في الأُمِّيَّ معجزة \* في الجاهلية والتأديب في اليم

لا يزال الباحثون في القرآن الكريم يستخرجون منه ما يشير الى مستحدثات الاختراع وما يعق بعض غوامض العلوم ، فمن ذلك قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - مما يؤيد ما حققه العلماء من أن الأرض انفتحت من النظام الشمسي وقوله تعالى - وألقى في الأرض رواسي أن تبتد بهم - مما يدل كما أفتت العلماء على أنه لولا الجبال لماحت الأرض ببعارها واضطربت بأمواجها ولما طاب للإنسان بها مستقر

وقوله تعالى - وجعل الشمس سراجا - وجعلنا سراجا وهابا - مما يؤيد ما حققه العلم من أن الشمس جسم مشتل تبث النور والنار من ذاتها وترسلها الى سيارتها المرتبطة بها  
وقوله تعالى - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانظروا لا تفتنوا - مما يشير الى حدوث الطيران وأنه سيكون منه نصيب للإنسان  
وقصارى القول أن العقل هو القائم على فهم القرآن واستنباط ما فيه من الأسرار على اختلاف الأقطاب والهور لأن الذي جاء بهذا القرآن كان آخر الأنبياء من الناس ولا حاجة بالكمال الانساني لفهم العقول بنبه بعضها بعضا . ولذلك يقول الله تعالى - سرفهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - فالوجه جمع العلوم الانسانية ما خرجت في معانيها من قوله تعالى - في الآفاق وفي أنفسهم . وكلما تقدم النظر وتوفرت طرائق البحث ظهرت حقائق الكائنات ناصعة وتجلت الاشارات التي انبثت في ثنيات القرآن - ولله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - اه  
هذه هي الخطة التي تضمنها قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات - فهذا هو التبيين القرآني الذي به أقره (٧٠٠) عالم من أوروبا في هذه السنة أن القرآن سبب نهضة أوروبا وأنه <sup>مصدر</sup> أعظم العلم انتهى للوضع الأول

(الموضوع الثاني) هو ما نشرته (المجلة الاسبوعية الفرنسية) من اعظام هذا الدين وقرار هؤلاء العلماء بأهدين القطرة بمناسبة تقريره ككتاني (نظام العالم والأُم) وأنا اخترت أن أثبت هنا قبولاً لنعمة الله وقياماً ببعض الشكر له سبحانه على نعمة العلم ونعمة الحكمة والتأييد العظيم . ذلك أن هذا التقرير الذي سأكتبه هنا انما كتب سنة ١٩٠٨ أي منذ عشرين سنة وفي ذلك الزمن لم يكن لي نصيب للقرآن وانما هو كتاب (نظام العالم والأُم) وهو عبارة عن ملخص للعلوم المصرية مزوج ببعض الآيات القرآنية فلقى من هؤلاء العلماء الآتية أسألوهم اعظاماً واجلالاً للقرآن وتقريراً للكتاب . أفلا أجد لله عز وجل إذ عشت حتى وفقني هو لهذا التفسير فلا ثبت مقاتلهم هنا نصيراً لقوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات - فهذا التبيين في خطبة صديقي (جادلوني بك) واجاع علماء أوروبا الراسخين على عظمة التبيين في القرآن والتبيين الذي جاء في ككتاني (نظام العالم والأُم) كلامها مصداق لقوله تعالى - ثم إن علينا يائه - وقوله - سرفهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهالك نص هذه المقالة (تقرير كتاب نظام العالم والأُم)

(الجمعية الاسبوعية الفرنسية والشيخ طنطاوي جوهرى والاسلام)

دهشت الجمعية الاسبوعية الفرنسية من ظهور الحقائق في كتاب (نظام العالم والأُم) فلذلك نشرت الجمعية المذكورة التي قدر بجمع من خول الذكارة العظام والفلاسفة الكبار من بينهم حضرات الآتي أسألوهم (١) للمسيو بوليه منار (٢) ابلرت (٣) ردياسي (٤) شاقبه (٥) كلينزون چانو (٦) هالتي (٧) هيبارت (٨) ماسيويو (٩) رينس ريفا (١٠) سيتار بمجعتها التي صدرت في شهرى يناير وقبرابر سنة ١٩٠٨ (١) مقالة شافية الذبول تحت العنوان الآتي

( الشيخ طنطاوى جوهرى أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم الأهم )  
 ( أو الحكمة الإسلامية العليا ( المجلد الأول ) وعدد صفحته ٤٣١ نشر في القاهرة سنة ١٩٠٥ م )  
 إن كتاب ( نظام العالم والأهم ) الذى ظهر للمجلد الأول منه هو أحد كتب عديدة ألقت للنشأة الحديثة  
 الإسلامية وهذه الكتب بناها المؤلف على ( نظريتين اثنتين أولاهما ) أن الدين الإسلامى دين القطرة أى  
 ملائم للعقول الإنسانية وموافق للطبع البشرية ( ثانيهما ) أن هذا الدين على مقتضى ما قرره المؤلف يسوق  
 الى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله الناطقة لعقده  
 ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله فى مؤلف صغير سماه ( الزهرة ) وأبان فيه  
 أغراض الكتاب بجزائه وهى ( تسعة مباحث ) شرحها شرحا وجيزا فى زهرته التى هى خلاصة الكتاب حتى  
 تشمل الفائدة من لم ينسج له الزمن لمراسة الكتاب وينتدئ الآن بإيراد ما فى الكتاب من للمباحث باختصار  
 فنقول ان مباحث ( تسعة الأول ) ان الانسان مسوق بفرزته للعلوم عاشق للحكمة وكيف ان هذا الميل  
 الغريب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية فى نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد  
 وإصاها الى أبعد غاية بل الى ما يتناهى مع ما أخرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتتالية ثم طبق ذلك  
 على حساب الخطوط والسطوح والأجسام وانتهى به الى الفلك حسب الأجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها  
 على النواميس الطبيعية وانتهى منه الى آفة عز وجل مبلغ الخلاقى كلها والنفس المتضمنة ذلك كله ( الثانى )  
 بحث واسع فى علم الفلك الحقيقى والمحيى ( الثالث ) درس علم الطبيعة مع إضاح قوانين ( نيوتن ) و ( كبلر )  
 ( الرابع ) مبحث واسع فى علم النبات وأعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات ( الخامس ) مبحث مسهب  
 فى الحيوان وسلسلة ارتقاءه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب ( داروين ) من علماء الافرنج فى  
 ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى انه لم يأل جهدا فى إضاح ما يسميه ( داروين )  
 بقاء الأصلح والأدق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن  
 بعض بنسبة هجيبة . وقد ذكر المؤلف أن مذهب ( داروين ) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان  
 وأنه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا ( المادّة الأثيرية . العناصر . المعن  
 النبات . الحيوان . الانسان . الملك ) والله فوق الدائرة . وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى التردد والقبل  
 والبلبل والحسان ولكنه ليس بالاشتقاق الذى يذهب اليه ( داروين ) ويقول للمؤلف ان مذهب ( داروين )  
 محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو لملك قوس من الفائرة التى شرحها العرب وأن ( داروين ) ربط ما بين  
 الانسان والحيوان بالتردد وحده فاستنتج من ذلك قصور ( داروين ) عن العرب من ( وجهين الأول )  
 ضعف الرابطة ( الثانى ) قصور البحث على قوس من الفائرة ( السادس ) علم التشريح أى تشريح الجسم  
 الانسانى ( السابع ) علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكانها وتأثيرها فى العالم فى جميع الأزمان ( الثامن )  
 الوحدة العاتقة فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الأئمة ونظام الكون بمعنى أن هيكل الأئمة منطبق تمام الانطباق  
 على هيئة نظام هذا الكون المتكتم . وقد أثبت ذلك بإيراد آيات قرآنية وإيراد أقسام الفلاسفة كفيثاغورس  
 والعلامة الفيلسوف الفارابى ( التاسع ) فى العمران الإسلامى والسعادة والخيرىة وجدول للعلوم والفنون  
 التى يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على سباط البحث والتمحيص لتنتشر فى هذا العصر الحاضر بين المسلمين  
 وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم . وأهم هذه الواجبات هو الرجوع دائما الى القرآن والسنة  
 وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى التى تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا لمراسة أحوال الأمم شرقية  
 وغربية . وقد أنشأ المؤلف نظرية فى التوحيد أى ( الوحدة العاتقة ) عجيبة بظنة وحكمة وذكا عجيبة  
 ومهارة فائقة ودراية تامة منطبعة تمام الانطباق على مبادئ القرآن وملائمة كل الملامدة لما شرحه العرب من

دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والعمدة الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقى من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقة الوحدة العامة . وكذا أن الواحد نشأ عنه جميع الأعداد التي لا تنتهي فهكذا نشأت الأنواع التي لا تنتهي من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة ٩٠ وما يليها) ولا جرم أن هذه منطقتة تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات الطبيعية والمواليد الثلاثة . وللمؤلف عناية كبرى برّد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس ولقد أحمى المؤلف على جهة من العلماء المسلمين لا المحققين (صفحة نمرة ١٨) ورامهم بمجهل مقصود القرآن وخفواه لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي إذ ظنوا أنه وحده ينجي في الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحين بنوهم في العالم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والغرض الحقيقي منه . إن القارئ لهذا الكتاب يصادف عجايبا فيه وأمرأ مدهشا غريبا . يرى أن المؤلف يقارن ما بين مهجرة خليل الله ابراهيم المذكور في القرآن وهي آية الطير و ابراهيم - وماذا قال ابراهيم رب أرني كيف يحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطعنن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عز يزحكنم - (السورة الثانية آية ٢٦٢)

يقارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماويين للماء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليؤمن قلبه ويصدق بطريق الحسن والمشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معلومة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بنداؤها فحييت باذن الله فكان ذلك اطمانا لابراهيم عليه السلام فمن مهارة المؤلف المدهشة مقارنته لهذا بالتحليل والتركيب الكيماويين . حقيقة انه لا فرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن بأمر به وبالجملة فإن المؤلف بتفسيره العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار تام لايات القرآن ثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة المصرية ومعاني القرآن ويستدل على ذلك بايات من الكتاب المقدس (القرآن) صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٦٩) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم المصرية ولم يبين للناس اتحادها ويفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشد الامم لشدة حاجة المسلمين لذلك . وأكثني (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يظنون تناق القرآن والنواميس العلمية هم أجهل الناس بالأمرين وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم تنبى المؤلف أن تفرس بدور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما أورثته المدنية الغربية لأبنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غاربها بل اجلاها يكبحها ولازاجي ردها

وقد شبه المؤلف بمجموع الأئمة بالة ميكانيكية لن تظهر نتائجها ويوم عملها إلا بصلاح كل جزء منها أولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا . فكما أن الآلة لا يدموم إلا بقوة كل جزء منها وبحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأئمة لا يدموم لها إلا بصلاح أفرادها أولا وبالنظام الشامل والمستور المنظم لأجزائها المبني على العلم والحكومة العادلة ثانيا . هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب

نحن لا يسعنا إلا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزق وحكمة وذكا . فانظر كيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبرة عالية ثمينة وبلاغة باهرة تفرق حسنا وتبيح عجايبا تكاد تسيل سلاسة ورقة كاللؤلؤ الزلال سهولة وانسجاما ملوذة حياة وحكمة . وليس اجللنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤلفي الانكليز مثل (أفبى) و (سبنسر) و (داروين) وبحث في الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجع زبدة آراء

جميع الصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعبارة جلية دقيقة كما وصفناها واتبع القائمة أبنا وجدها الشيخ منطاولي جوهرى رجل فليسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملائمة للطباع البشرية ومواءمة للحقائق العلمية والتوابع الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجسوا على الألفاظ جودا معيبا أدى إلى انحطاط المدارك الإسلامية في الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الإسلامية . فهذه المباحث يتخاطب المؤلف الأمم الإسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأمم الإسلامية وتحرير عقولهم من الجلود الخضم عليها في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى أنه لا يفتص مذهباً دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل أنه فوق ذلك يتخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نملة يبلاد للشرق لأن بحث عالم في الكائنات وفداه عالم حتى يلتحق بالشرق الأدنى بالأمم الغربية في المعارف والعالم والمدنية والحضارة . انتهى

وبعد أن انتهت الجملة من تخطيطها كتاب **(نظام العالم والأم)** كتبت كلمة عن كتاب **(التاج المرمع)** ترجمنا منها ما يأتي

هذا المؤلف أهدى إلى (الميكادو) ليقيم إلى مؤتمر الأديان الذى انعقد في سنة ١٩٠٦ م باليابان . إن أحاط المؤلف بالإشارة ولسان الحال للقارئ على كتاب **(نظام العالم والأم)** في كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتائين يرميان لفرض واحد وأن كتاب **(التاج المرمع)** كتبه **(نظام العالم والأم)** وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه إلى اللغات الأوروبية في حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا إلى اللغة التركية ونشره في فارس والروسيا وختم مقدمته بنشر صورة الجواب الذى أرسله إلى (الميكادو) وذكر موضوعه وسبب وضعه . إن القارئ لهذا الكتاب يستنتج أن من اطلع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلا من الفرض والتعصب فانه يجدها منطقاً تمام الانطباق على الدين الإسلامى . انتهى

التقرير . وقد ترجم من الفرنسية بقلم محمد أفندى عبد العزيز والمروحم صالح بك جدى جاد

**(أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة)**

اعلم أن ما تقدم من الخطبة التى أقيمت في جامعة المستشرقين وما ذكره الجمعية الآسيوية الفرنسية إنما ذلك في التبيين العام ، أما التبيين في الارشاد خاصة فانه على **(ثلاثة أقسام)** تبين هو موعظة وتبين هو مجادلة وتبين هو حكمة كما قال تعالى في (سورة النحل) - ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فهل تحب أيها القارئ أن أحدثك عن هذه الثلاثة . نعم أحدثك لأن الله اختصر الكلام في القرآن وفي حديث رسول الله ﷺ كما ورد **(أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً)** فإذا أطلت الحديث فهو جيل وبيان قال تعالى - وأزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - . أما الموعظة الحسنة فمثل - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ ومثل آية الكرسي - الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ إذ ملخصها بيان عظمة الله من حيث قدرته ومن حيث علمه فظلمت من حيث قدرته في قوله - له ما في السموات وما في الأرض - الخ وعظمته من حيث علمه في قوله تعالى - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم - الخ وهذه تكني للعموم . وأما المجادلة بالتي هي أحسن فمثل قوله بعدها - ألم ترالى الذى حاج إبراهيم في ربه - فان ملخصها حاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود بآبيل ولما كان الجدل يجب أن يكون في موضوع يقر به الخصم اذا سمعه والقوم كانوا صابئين يعبدون الكواكب ذكره له إبراهيم عليه السلام سيرا الشمس فأعجزه إذ قال له اذا قتل رجلا جرمنا وعفوت عن آخر واعتبرت أن هذين إمامة وإحياء فإذا فعل بالشمس ؟ إذ أتى الله بها من المشرق فلتأت بها أنت من المغرب . فهناك بهت



الذى كفر وهذه مجادلة والمجادلة ترجع لازام الخصم . وقد قال العلماء انها لاتكون إلا مع المعاندين وهم لبسوا في الدرجة العليا من التكفير ولم يبقوا مع العاتية يؤمنون بالتقليد . أما أهل الحكمة فالحجة تقام لهم فاجب كيف ذكر الله ذلك في (سورة الأنعام) فقال - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين - فذكر الكواكب والقمر والشمس وانتهى بقوله - إلى وجهته وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا - وانما وجهه له لأنه وجد الكوكب آفلا والقمر آفلا والشمس آفلة فقال أنا لا أحب الآفلين لأن الآفلين منتقلون ولينتقل حدث فكيف أحب من يغيب عني والله لا يصح أن يغيب عني لأنه يمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك لأن المادة كلها عبارة عن عناصر ترجع الى ذرات كهربائية والكهرباء والنور حركات في الأثير والحركات أعراض فلولا أن هناك مسكها ليدعها ويثبتها لم يكن لنا وجود - كل شيء هالك إلا وجهه - فكيف أحب محركه وانتقاله دالان على أن وراءه منه الحكمة والجمال والعلم والقدرة والتصرف والحب انما يتوجه الى القوة والجمال والعلم وأتى قدرة أعظم وعلم أحكم وجمال أبهى وغنى اوسع مع السوام في ذلك كله إلا في الله . لتلك وجهته وجهي اليه ولتلك قال تعالى - وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه رفع درجات من نشاء - إن ربك حكيم عليم - فهذه الحجة للذكورة في الأنعام هي المعبر عنها بالحكمة في (سورة النحل) ولم يقل الله في حجة الفروخ ذلك فلا ذكرانها حجة ولا قال بعدها - رفع درجات من نشاء - بل قال - فبنت الذى كفر - وهذه من أعجب وأبعد ما جاء في القرآن من اللطائف وانما لم أكتبها في (سورة البقرة) أوفى (سورة الأنعام) لأن الله لم يفتح على بها إلا الآن في هذه الآية مع انها بالبقرة والأنعام أولى وأحق والله هو الهادى القائل في هذه السورة - والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم - فلنفسر على هدايته ونكتب ما فتح الله به والجهد لله رب العالمين

ومن الحكمة التي لاتعرف إلا بعد البحث والاستقصاء والتي لم تظهر غيرها إلا في زماننا اظهارا لمعجزات القرآن الحكيم وقد كانت محجة غير مفصلة في الأزمان الغابرة ما جاء في (سورة البقرة) أيضا بعد آية الكرسي بضع آيات إذ يقول الله في ثابا الكلام على الاتفاق والتعريض عليه - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم \* يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فاجب للقرآن الذى يبين للناس أمورا دقيقة مثل هذه المسألة . ألم تر أن زماننا ظهر فيه هذا بأجل بيان (اقرأ كتابي أين الانسان) الذى أرساه لمؤمن الأجناس . ألم تر أن البرهان قام على أن سعادة الناس كلهم بأن تكون العقول كلها قد وصلت الى أقصى ما يصل اليه الامكان وبأن الأرض كلها تستخرج منافعها وأن المجموع الانساني يكون كله متعاوناً وأن التقصير في هذا ضار بالمجموع . إذن اتفاق المال للفقراء الولد في شريعتنا الفراء جزء من المساعدة العاتية للإنسانية فالشرقي والغربي يظهر آثار عقولهم وآثار منافع أرضهم يصحبون في سعادة لم يحلم بها الأولون وهناك يظهر سرّ قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وسر أنه ﷺ رحمة للعالمين وأى رحمة أعظم من أن تنزل آيات محرضات على بذل المال للنافع العاتية ثم يدخل في غشون تلك الآيات ما يفيد أن الحكمة هي الخير الكثير وأن هذه الحكمة لا يتذكرها إلا أولوا الألباب . فلحكمة أجل شيء يبتنى ولذا يذكرها الله عند التعريض على الاتفاق ولم يذكرها في موضع آخر من القرآن مع ان الصلاة أفضل من الزكاة وقد قال في الصلاة - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - ولم يذكر الحكمة بعدها كما ضم في آية الاتفاق ولم يقل ان الحكمة خير كثير ولم يمدح أولى الألباب بعدها . فلعمرك ما ذاك إلا لما اندمج في مسألة الاتفاق من المساعدة العاتية والشيطان من عادته أن يفهم الانسان أن اللدار على سعادته وحده وعلى منفعة الخاصة والله يحب منا منفعة العموم ومنفعة العموم ترجع لاسعادنا أيضا . فالنفع العام أدخل في اصلاح الأفراد من اقتصار الأفراد على النفع

الخاص . وملخص هذا أن الناس ( قسما ) قسم لا يحب الانفسه فيسبى لها وهو لا يزال بالمجموع وقسم يسمى للمجموع مع محافظته على نفسه . فالأول خال من الحكمة والثاني متصف بها . والأول تعاليمه شيطانية والثاني تعاليمه حكيمية والاسلام جاء للحكمة العاتية لا للخاصة وقد نشر في الشرق والغرب في مدة قليلة ولكن لما اعتنق الاسلام أمم لا تعرف أسرار اللغة العربية خرج منهم ملوك وعلماء قعدوا من الدين ببعضه وعكفوا على شهواتهم وسخروا الأمم لما فقال الله لهم كفوا أيها المسلمون ودعوا حكم عبادي وسأنتشر الاصلاح في الأرض على يد من أشاء فظهرت حركة الاصلاح في أوروبا وأمريكا واليابان وهناك جمعية تسمى جمعية الامم باورو بلوقد قسمت لكأن هذه لم تقم بالواجب لأنها جمعية لفظية لا معنوية وقد ذكرت هذا المعنى في أول (سورة الأنفال) وقد طابق ذلك ما أعلنه محافظ كابول من (أفغانستان) في خطبة له بمصر ذكرت عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون \* فانتظروا أضرهم بينهم زبرا - فارجع اليه في (سورة المؤمنين) . فهاهوذا الزمان قد آن أن يستدير ويرجع الأمر للمسلمين ومن معهم ويقومون باصلاح النوع الانساني هم ومن معهم من الأمم وهناك تظهر الحكمة في قوله تعالى في (سورة البقرة) - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - الخ الذي هو قسم من أقسام الحكمة المذكورة في (سورة النحل) الماخلة في قوله تعالى هنا - لقد أنزلنا آيات مبينات - . فهذا هو التبيين في القرآن . ففي القرآن تبين ولكن الله أذكرك كثيرا منه لأمم تعقله وتلك الأمم ترجع الدين حاليه في العصر الأول أولئك الذين كانوا يراعون المنفعة العاتية حتى انهم اذا حلروا أهل الكفر وقاتلوهم لم يراعوا إلا المصلحة العاتية فقتل صناديد قریش في واقعة بدر وأمثالها يرجع الى اصلاح آلاف مؤلفة بقتل أفراد قليلة كما أن نهر النيل والفرات والهواء والنار والشمس ناضات للعموم ضاررات للقليل كغراق ناسك وموت صبي بهواء فاسد واحراق عجوز وموت شيخ بضربة الشمس فهلاك هؤلاء لا يندرج في اسعاد المجموع . ومن يجب أن (بنام) الانجليزى مؤلف (أصول القوانين) قد نحنا نحو هذا لجعل القوانين مبنية على أن العموم مقدم على الخصوص وأن قتل القاتل وإن آذى أهله فقد سر الناس كلهم والمسرّة العامة خير من الخاصة . ولم يكن هذا الاهلاك مقصودا بذاته من خلق الهواء والماء والشمس . كلا . بل المقصود النفع العام . هكذا قتل بعض الكفار في بعض الحروب قصد منه الحكمة التي قصدت في خرق السفينة وقتل الغلام كلاهما لاصلاح أمم غرق السفينة لسبق في يد أصحابها الأيتام فلا يأخذها الملك غصبا وقتل الغلام لأن العلم بمصلحة أمم لتقويه أوجب قتله وقد رأى المصلحة عمر رضى الله عنه فلم يقطع اليد أيام المجاعة بالسرقة في قصة سرقة الإبل المذكورة في سورة الكهف (راجع هذا المقام كله هناك) فسترى كلام علماء الاسلام وما كتبه مع كلامهم هناك لتعلم أن دين الاسلام جاء للحكمة العاتية وأن فيه أسراراً يبينها الله في هذا الزمان وهذا هو الذى فتح الله به قلوب الجزيوم الخمس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وفى نفس صلاة الصبح عند قراءة في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيها وما أنا من المشركين - والحمد لله رب العالمين

( الجوهرية الثانية من قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - وما أوامهم النار وليس المصير - ) قال تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ) خطاب لرسول الله ﷺ ولأمة و أقسم ( ليستخلفنهم في الأرض ) أى ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم ( كما استخلف الذين من قبلهم ) مثل بنى اسرائيل إذا استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وأورثهم هم وقومهم بنى اسرائيل أرض الجبارة وديارهم ( ولما كان لهم دينهم الذى ارتضى لهم ) وهو الاسلام بالقوية والتثبيت ( وليثبتنهم من بعد خوفهم ) من الأعداء ( أمنا ) منهم ثم استأنف لبيان اللقضى للاستخلاف فقال ( يعبدونى لا يشركون بي شياً ) الجملة حاب من الواو في يعبدونى أى يعبدونى غير مشركين ( ومن كفر ) أى كفر هذه

النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم إذ كفروا تلك النعمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) في سائر ما أمركم به (عليكم تحجون) أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (لأحصين الذين كفروا معجزين في الأرض) أي لأحصين يا محمد الكفار معجزين الله عن إدراكهم واهلاكهم وفي الأرض متعلق بمعجزين (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث للمعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي المأوى الذي يسبغون إليه وهنا . (أربع لطائف)

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الخ)

قيل إن النبي ﷺ مكث بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمرؤا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبرون ويمسكون خائفين ثم أمرؤا بالمهجرة إلى المدينة وأمرؤا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال أحد منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية . ومعنى ليستخلفهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والجمجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها وقد أنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبلغهم بعد انطوف أمانا وبسطا في الأرض . وروى البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الخيرة قلت لم أرها ولقد أنبت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين اللطيفة ترحل من الخيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله . قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعا طيبي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أوفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فيقولن ألم أبشك إليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى يارب فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت اللطيفة ترحل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله . وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذبا الخ . ومن سفيهة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (الخلاقة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا ثم قال أسلك) ولقد كانت خلافة أبي بكر ستين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثني عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر فتكون خلافة الخلفاء الراشدين إذن تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وثلثين سنة بخلافة الحسن وهي ستة أشهر ثم نزل عنها لمعاوية

(اللطيفة الثانية)

قال أهل التفسير في قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - إن أول من كفر بهذه النعمة ومجدها ولم يتم بواجبها أي بواجب نعمة النصر والتكفين في الأرض والأمن الذين قتالوا عتнан . فلما قتله غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا أخوانا

(اللطيفة الثالثة)

أين وعد الله للمسلمين اليوم وهم في الأرض خائفون وجالون . لأذكر لك ما كتبت في كتاب (القرآن والعلوم العصرية) على هذه الآيات تحت العنوان الآتي

(الاسلام دين علم وعمل)

أيها المؤمنون . الاسلام دين علم وعمل . ولما ضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل فجهلت العلوم

الكونية والعقلية لم يصلحوا هداية العالم المتعلم فنبذهم الاسلام فلم ينصروا على أعدائهم من الاوروبيين وأصبح المسلمون يلتصقون العالم من الأمم الأوروبية ويستضيئون بأنوارهم ويستبدون بهديهم ويرتدون من مواردهم ويكرعون من مشاربهم . أوليس ذلك دليلا على أن الأمم الاسلامية الكبرى جهلت الحقائق وظنت أن المسلم لا يعنيه العلم والجهل كفيهما والقوت برضيه وهو غافل عما أبدع الله في الأرض والسماوات وبرأ فيها من البدائع وأحسن فيهما من صنع وأبدع وأجاد ونرا من كل زوج زوج . لهذا السبب ذهبت الأمم الاسلامية فأصبحوا لا ترى إلا آثار آبائهم لأن الجهل بالعلوم خيم فيما بينهم وضرب عليهم سرادقاته فضر بهم الدهر ضرباته فذل العزيز وهزل القليل وخضع العظيم وعظم الحقير - قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعلم من تشاء وقيل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير -

كنا الجهادة الكبار • كم قائد سلك القفار

وبجيشنا قطع البحار • وطفى على أصدانا

إنا ملكتنا للشرقيين • إنا ملكتنا للمغربيين

إنا قرأنا الحكمتين • الصلح والإيمان •

ألم أتم السواد الأعظم في الكرة الأرضية . ألم يأمركم الله أن تأخذوا حنركم وتبنوا مجدكم وترفعوا رؤسكم وتعلموا ما نشر الله في الأرض من علم وما أنتم به من صناعة

﴿ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها ﴾

ألم يقل لكم في كتابكم الكريم - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولجعلن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون -

أليس هذا كلام ربكم المنزل على نبيكم وأتم الخطابون به . فبأنه عليكم بإعاضد المسلمين في أقطار الأرض أتم اليوم أكثر عددا وأعظم مددا فإذا جرى حتى عجبنا كل العجب من أنا مسلمون وقد تنظنا هذا الوعد بأن يستخلفنا الله في الأرض ويمكن لنا في الأرض ويبدلنا من بعد خوفنا أمنا والتمكين فيها وتبديلنا من بعد خوفنا أمنا وعد من الله لنا والله لا يخلف وعده . قال تعالى - ومن أوفى بعهده من الله -

يحبب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . المسلمون الذين يبلغون ٣٥٠ مليوناً من بني آدم يحببون ويقولون نحن مسلمون ونحن نفعل الصالحات فأين استخلفنا في الأرض ؟ ونحن أبنا توجعنا فالقتل على رقابنا والذل محيط بنا وأم القرعة يطاردوننا

﴿ فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم ﴾

أقول على رسلك بإعاضد المسلمين لانتظروا أن عمل الصالحات فاصرعلى ماتمعلون فانكم ينقصكم أمران الاتحاد فيها ينقصكم عريكم وعجيبكم وأيضكم وأسودكم وأصفركم والعلم بما فرأ الله في السماوات والأرض من عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ونظام البرية وما أبدع في السماوات من كوكب ومات في الأرض من دابة ونبات . ودليلي على ذلك قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - . بهذا أُنذركم الله إذ قال - وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم - فكانه وعد بالاستخلاف المتقدم للأمة الاسلامية الناطقة في ملكوت السماوات والأرض المفكرة فيما خلق الله المتعلقة كل صناعة وحققة حتى لا يضوتها صنعة من المدفع الى الابرة ومن القطار الى المنشار ومن علم الطبيب واليطار الى صناعة الموسيقى . نعم وعدنا الله بالاستخلاف في الأرض اذا قفنا وعقلنا كلامه

أوليس من العار أننا غفلنا عن السير في الأرض والأخذ بما هو أجل وأحسن وقد عقلت الأمم وتعلمت وجهلنا وارتقوا واتحفظنا فلذلك جاء القرآن موبخاً ومنكراً على الجاهلين (بما أبدعت الأمم من الصناعات وما أنشأت من المصانع وما أحكمت من بناء وماعمت من زراعة وما أحسنت من صناعة وما أقامت من سياسة وما نظمت من طرق وما أرسلت من قطار وما أطارت من بخار وما سبرت في الجوفين طيارات ومناطيد وما بنت من مدارس وما علمت من تلاميذ وما رفعت من صروح) فقال الله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض فتسكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها -

ولما كان المسلمون كثيراً ما يسيرون في الأرض ويرجعون إلى أوطانهم يخفى حينئذ ثم هم لا ينظرون قومهم إلا قليلاً ولا يعتبرون بما رأوا ولا يرسلون جاعات منهم تتعلم إلا قليلاً أردفه الله بقوله - فلينها لاتعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور -

أيها المسلمون . انه لينقصكم ﴿أمران﴾ الاتحاد والعلوم فإذا اصفتم بهما تم وعد الله لكم في الأرض بالاستخلاف والتسكن في الأرض وأن يبذل خوفكم ﴿أمران﴾ في الآيات المتقدمة . وهذا إذا سألتمكم كيف تتحدون وكيف ينشر العلم بينكم

﴿ ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم ﴾

الآنما مثل المسلمين للمستعمرين وغيرهم كمثل جاعة سافروا في طريق طويل فأخذ جاعة يركبون الابل والبغال والخيول والجمل وأخذ جاعة آتزون يركبون القطار فتختلف الأولون وهار الآخرون وحجة الأولين انهم يتبعون ماسن أباقهم ويتفنون بجداتهم ويتفنون بأشعارهم فوق إبلهم . وحجة الآخرين أن العقل يقضى أن نأخذ بالأحسن والأقوى والأسهل ويقولون قال الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - قلته عز وجل بشر العباد الذين يتبعون أحسن القول . ولا جرم أن القول يركوب القطار أحسن من القول يركوب الابل . أفليس من العار علينا أن يسبقنا الأمم ونحن عاقلون مفكرون

﴿ معنى الجهاد ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا هل أذلكم هل تجارة تنجيكم من عذاب أليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون \* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم \* وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب -

هذه الآية ذكر فيها الله لنا تجارة ودلنا عليها وجعل تلك التجارة تنجي من عذاب أليم ؟ ما هي تلك التجارة ؟ هي أن تؤمن بالله ورسوله وتجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وضمن لنا بذلك أمرين الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . طلب الله منا أمرين وضمن لنا أمرين . طلب الإيمان والجهاد وضمن الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . أما الإيمان فعلوم وأما الجهاد فأننا أشرحه لكم . يظن الجهال أن الجهاد إنما هو حرب الكفار وحده . كلا . ان الجهاد كما نص عليه علماء الفقه لا يخص حرب العدو بل يشمل سائر الأعمال العاتية فترقية الصناعة والزراعة ونظام المدن وتهذيب الأخوس وإعلاء شأن الأمة كل ذلك جهاد لا ينقص عن توجيه البندقية والدفع إلى صدر العدو

إن الصف المجاهد المهادي للعدو لن يقدر على هذا الموقف إلا إذا كان وراءه حكومة في بلاده منظمة فيها صناعات محكمة لتصنع له المدافع والبنادق وتزرع الأرض وتسمدها وترسل له الذخيرة فمن ظن أن زارع الأرض المستخرج ماها والحداد والصانع لإدافع والقطار ولجبار المكمل لكل منها وما والخياري الخايز لها

وللجندي . من ظن أن هؤلاء أقل أجراً في الآخرة من الجندي الذي أحضرت له أعمال هؤلاء وهو في مصيعة القتال فقد جهل الدين وطاش سهمه وهو من الغافلين

لأن النبي ﷺ لما رجع من إحدى غزواته قال ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ أفليس ذلك يماشر المسلمين دليلاً على أن جهاد النفس أرقى من جهاد الطبق وجهاد النفس بترك الكسل وباحكام الصنعة وبترقية شأن الأمة وبالسباحة في الأرض وبترك الشر وتهذيب النفس . فللهذه نفسه مجاهد والمحكم لصنعت مجاهد والمسافر ليعلم المسلمين ما شاهد مجاهد والعالم مجاهد . ولقد ورد مامعناه أن مداد العلماء كدم الشهداء . ولعمري لقد عظم أمر العالم وفاق شهيد المعركة . ذلك العالم الذي يزرع العلم والبركة في نفوس آلاف من الناس هو خير من آلاف من الشهداء

هأنذا قد بينت معنى الجهاد واليمان واضح من نفسه . ولا جرم أن الله ضمن لمن جاهدوا هذا الجهاد أن يدخلهم الجنة وينصرهم على عدوهم . فليجاهد المسلمون وليعرفوا جميع العلوم والصناعات التي منها العدد الحرية والآلات الصناعية والخلق الحرية والسياسات المدنية فإن الله ضامن لهم النصر . هذه ستة الله ولن نجد لسته الله تبديلاً . ولن نجد لسته الله تحويلاً . وليس النصر مضنوناً لنا ونحن غافلون . إن الله أمرنا بالنظر والعقل والتفكير . أوليس هو سبحانه القائل للمسلمين وهم صائون صلاة الخوف في الحرب - وليأخفوا حزمهم وأسلحتهم وذات الذين كفروا لوتفعلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة - فإذا كان لله يقول لنا ونحن في الصلاة وقت الحرب خذوا حزمكم خذوا أسلحتكم فإن الكفار ربما مالوا عليكم ميلة واحدة فقتلوكم . فهل منزل هذا يرضى عن أمة تمام عن العلوم والمعارف والصناعات . هل نصر الله أمة غافلة إن الله وعدنا النصر بعد الجهاد الكامل بالعدد التي تناظر ما عند العدو التي صرح بها في قوله - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - ولقد أطلت في هذا المقام لتبين السبيل والحمد لله رب العالمين

﴿ الطليقة الرابعة . ايضاح قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ﴾

ليجب المسلمون من هذا القرآن الحكيم كيف أخبر أن الله سيمكن للمسلمين في الأرض وقد تم هذا كما تقدم وكان الخلفاء الراشدون وغير الراشدين ثم كيف ملكوا أكثر العمورة قديماً وهذا معروف مشهور ثم انظر كيف كان الأمر بالمعكس في القرون الأخيرة وكيف أخبر الله أيضاً بذلك إذ قال - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - . يخبر الله بما هو حاصل اليوم في بلاد الاسلام . ولعلك تقول هل المسلمون كفروا أقول لك هذه النعمة هي السبب في الجهل العام في الاسلام . يجعل الناس الكفر على كفر الدين . ولكن الكفر هنا كفر النعمة . ألا ترى كيف قال المفسرون رحمهم الله تعالى إن أول كفر للنعمة كان بقتل عثمان ولو أن الصحابة والتابعين رأوا في هذا العصر قالوا قد كفر المسلمون بنعمة ربهم لأنهم قدر تركوا الملك الذي أعطاه الله لهم . تركوه وما حفظوه . لم يحفظوا الملك أي لم يحفظوا النعمة أي تركوا بلاد الله فلم يصبروها وتركوا ما فيها من الكنوز والمنافع وناموا على بساط الراحة . فيا عجبا للسل . أيظن أن الله يعطيه الأرض ويملكه إياها ثم هو ينام ولا يصلحها ولا يقوى عمرانها ويبقى في يده . كلا . إن الله قيوم أي قائم بتدبير الملك فمن لم يكن متخلفاً بخلفه خلعه من ملكه وأقصاه وهذا هو معنى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - يقول جهول من الذين يفتنون للاسلام . حينئذ قد حكمت على أمة الاسلام اليوم بأنهم فاسقون أقول أنا لم أحكم وإنما أذكر أمثال هذا بما قاله علماؤنا أن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية والمسلمون اليوم عالة على أوروبا فلا كفاية لديهم من هذا القليل وفرض الكفاية متى ترك كانت الأمة كلها أئمة لهذا الترك فاذن المسلمون اليوم آمنون بترك العلوم والصناعات وهذا الاتم قد عاقبنا الله عليه باحتلال الأمم الغالبة بلادنا واذلانا

وهذا عذاب مهمل وسنكون جميعا في الآخرة مومنين . فهذا معنى كفر النعمة الذي سمي الله المتصفين به فاسقين ولم يسمهم كافرين كفرا مطلقا . فليسوا اليوم متمتعون بنعمة الإيمان الساذج وليسوا متمتعين بنعمة إصلاح الأرض وإبته عز وجل حكيم لا يعطى الشيء إلا مستحقه ومستحقه هم العاملون لارتقائه فأصبحت الآية فيها (مجهزان) فصرها مصدر الاسلام ومجورها للأثم المتأخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولكم في هذا القرآن من عجائب وغرائب وما كان ليدور بخلدى قبل كتابة هذا التفسير أن فيه كل هذه العجائب - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

وقبل أن أترك هذا المقام أشير الى أمر آخر ذلك أن الحديث أبان فيما تقدم كيف يكون الامن في الاسلام وقد تم ذلك كما تقدم وبقي هناك أمر وهو الذهب والفضة اللذان يرمضان فلا يقبلهما أحد فذلك لم يتم الى الآن ولعلنا للمستقبل كفيلا به فان النوع الانساني اذا أصبح وقد ترك التقوى كما يقول (الباشقى) وأصبح التعامل بالمبالغة فان التقوى إذن لا لزوم لوجودها . أقول ربما اضطرت الدول الحالية الى الاتحاد شرقا وغربا (قد تنبه الشرق) وتعاملوا بالاسوية وألقوا التقوى كدولة البلشفيك وهناك يتم معنى الحديث إذ لا فائدة للذهب ولا للفضة بل الرجل يعمل لمصلحة الجميع ويأخذ ما يكفيه . انتهى الكلام على الجوهرة الثانية ( الجوهرة الثالثة من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم -

الى قوله تعالى - كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون - )

وروى عن ابن عباس قال وجهه رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له مدليج بن عمرو الى عرب بن الخطاب وقت الظهيرة ليصومه فدخل فرأى عمر بجلة كره عمر رؤيته عند ذلك فأمر الله هذه الآية وروى أيضا أن أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأمر رسول الله ﷺ فقالت ان خمننا وغلماتنا يسخون علينا في حال نكرها فأمر الله هذه الآية . وملخصها أن العبيد والاماء والأحرار الذين لم يبلغوا الحلم ولكن عرفوا أمر النساء وهم في سن التمييز يجب \* وقيل يسن أن يستأذنوا لأجل الدخول في ( ثلاث أحوال ) وهي من قبل صلاة الفجر وفي منتصف النهار حين يضع الناس ثيابهم للقبولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب البقطة والالتحاف بثياب النوم . فهذه أوقات ثلاث عورات لأن كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يحتل تسره فيها . ومعنى العورة انخلل ومنها الأعور المختل العين وهذا هو قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) وهذا القول رجوع لتسميم الأحكام السابقة بعد ما ذكر من الاهيات ما يشرح الصدور ويوجب الاذعان ويفتح الأذهان والذين ملكت أيماننا هم العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الأحرار الذين ظهروا على عورات النساء ولم يبلغوا الحلم وهم في سن التمييز وبلغ الحلم يكون بالإحتلام فان لم يحتلم وبلغ خمس عشرة سنة فقد بلغ عند الشافى ولا يرى أبو حنيفة بلوغ الجارية إلا اذا بلغت سبع عشرة سنة ولا الغلام إلا اذا بلغ ثمان عشرة سنة . فأما أبو يوسف ومحمد وأحمد فقد وافقوا الشافى في أن الغلام والجارية يحكم ببلوغهما متى بلغا (١٥) سنة وقوله ( ثلاث مرات ) أى ليستأذنوا في ثلاث أوقات هي ( من قبل صلاة الفجر ) الى قوله هي ( ثلاث عورات لكم ) أى هي ثلاث أوقات يحتل تسركم فيها ( ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ) بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان ولا طعن أن هذا ناسخ لآية الاستئذان لأن هذا في الصبيان والمماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين . هم ( طوافون عليكم ) هذا مستألف لبيان العذر المخصص في ترك الاستئذان وهذا التمثيل يبين أن الأحكام تعلل (بعضكم) طاقف (على بعض) أى يطوف بعضكم على بعض (كذلك) أى مثل ذلك التبيين (بين الله لكم الآيات) أى الأحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما يشرع لكم . واعلم أن هذه الآية غير منسوخة وإن تهلون الناس بالعمل بها . ويقال ان ثلاث آيات تهاون

الناس بها وهي هذه الآية وقوله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - والناس يقولون أعظمكم بيتا وقوله تعالى - وإذا حضر القسمة أولو القربى - الآية - ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منك الحلم) أى الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) فى جميع الأوقات فى الاستئذان عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الأحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته) من الدلائل والأحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع وهذا يوجب أن يستأذن الرجل على والده وعلى جميع محارمه . ثم قال تعالى (والقواعد من النساء) أى اللاتي قعدن من الحيض والوليد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللواتي لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لكبرهن ولأن الرجال يستقروهن . فأما من كانت فيها بقية جلال فهي محل الشهوة فلا تدخل فى هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كاللحفة والجلباب الذى فوق الحمار محل كونهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق أى لا يقصدن بوضعها التبرج . والتبرج نكف اظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستغفرن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن (غيرهن والله سميع) لما يعلن (عليم) بما يقصدن \* قال سعيد بن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا الى القروم لئلا يظهروا (يعلم) وضوا مفاتيح بيوتهم عند الأعشى والمرضى والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يصرحون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزل قوله تعالى (ليس على الأعشى حرج ولا على الأعمى حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام غير ما تقدم فانه لما نزل قوله تعالى - ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله - ولا على أنفسكم - (أن تأكلوا من بيوتكم) أى لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وبناتكم ويدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيت قوله ﷺ (أنت وما لك أليك) وقوله ﷺ أيضا (إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه) (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه) عني بذلك وكيل الرجل وقيمته فى ضيعته وما شئت فلا بأس عليه أن يأكل من ثمره ضيعته ويشرب من لبن ما شئت ولا يحمل ولا يدنو وقيل بيوت للمالك والمفاتيح جمع مفتاح (أو صدقكم) أى أو بيوت صدقكم وهو الذى صدقك فى المودة وهو يقع على الواحد والجمع كالخليفة . واعلم أن هذا إنما يكون إذا دخل رضا صاحب البيت بأذن أقرنيه وخصص هؤلاء لأنهم اعتادوا التبسط بينهم فرجع الأمر فى الحقيقة الى الرضا وأذن لافرق بين هؤلاء وبين غيرهم فللدار على الرضا ولم يذكروا فى الآية إلا لأن الرضا فهم غالبا محقق . والخفية لما رأوا ملجاء فى هذه الآية حكموا بأن لا تقطع فى سرقة مال الحرم . هذا ولقد كان بنو لث بن عمرو من كنانة يصرحون أن يأكل الرجل وحده فربما قد منتظرا نهارة الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . ويقال أيضا ان قوما من الأنصار اذا نزل بهم ضيف كانوا لا يأكلون إلا معه . وأيضا قد تخرج قوم عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبع فى القزاة والهمة لذلك أنزل الله هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض . هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته \* قال قتادة (إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة ترد عليه . وقال ابن عباس (إذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته) \* وعن ابن عباس فى قوله تعالى - فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم - قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين



وقوله (بحجة من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لسنه . وصح أن يقال من عند الله متعلق بحجة التي هي منصوبة بسلمها لأنها مصدر بمعنى التسليم والتعصية في معنى طلب الحياة وهي من عند الله تعالى وقوله (مباركة) أى ترحم بها زيادة الخير والثواب وقوله (طيبة) أى يطيب بها قلب المستمع . وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه بطل محررك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم بكثير خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأبرار الأولين ﴾ وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرهه لزيد التأكيد واعظام أمر هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) الحق والخير في الأمور . انتهت الجوهرة الثالثة الجوهرة الرابعة - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه

على أمر جامع - إلى آخر السورة ﴿

كان رسول الله ﷺ إذا سعد المبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحمال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم وهذا قوله تعالى (إنما للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله) إيماناً صادقاً (وإذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والأعياد والحروب والمشاور في الأمور . وإنما وصف الأمر بأنه جامع مع أنه سبب للجمع لأنه هو الجامع للبالغة (لم يذهبوا حتى يستأذنه) أى حتى يستأذنا رسول الله ﷺ فيأذن لهم . ولما كان الاستئذان أمراً عظيماً أكده فقال (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فالاستئذان مؤمن بالجملة والمجاهد بغير إذن إذا استحل ذلك كان كافراً (فاذا استأذنتك لبعض شأنهم) أى ما يمرض لهم من المهام (فاذن لمن شئت منهم) ففوز الله الأمر إلى رأى رسول الله ﷺ فاذن يكون بعض الأحكام مقوضاً إلى رأى رسول الله ﷺ وبعضهم يقول - فاذن لمن شئت منهم - إذا وثقت بصدقه في العذر . وهكذا الناس مع أئمتهم ومقدمهم في الدين والعلم يظهرهم ولا يفترون عنهم إلا باذن . ولقد كان المناقون يوم الخندق يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان . وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير يده . قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بالاذن . وإذا استأذن الامام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن وهذا كله إذا لم يكن حدث سبب يوجب عليهم الخروج والا فلاحاجة إلى الاستئذان ثم قال تعالى (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لم يرد قصور (إن الله غفور) لفرط العباد (رحيم) بالتبشير عليهم (لا تجمعوا دعاء الرسول ينكم كدعاء بعضكم بعضاً) أى لا تجمعوا تسميت ونداءه بينهم كما يسمى بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذي ساء به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله أو يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض . وأيضاً لا يجوز الاعراض عند دعائه لكم ولا المساهلة في الاجابة ولا الرجوع بغير إذن . إذ المبادرة إلى اجابته ﷺ واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) أى يتسللون قليلاً قليلاً من الجماعة (لواذا) ملاوذة بأن يستتر بعضكم بعض حتى يخرج فيبرغ أحدكم في خفية فيذهب . وقال ابن عباس يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يقل عليهم المقام في المجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار (فليحضر الذين يخافون عن أمره) أى معرضون عن أمره . وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيهم فتنة) أى لثلا تصيهم فتنة أى بلاد في الدنيا (أو يصيهم عذاب أليم) أى وجيع في الآخرة . هذا ثم إن الله ذكر في هذه الآيات أنه يعلم الذين يتسللون ولواذا وذكر العلم هنا إبدان بالمجازاة على ما يفعلون فأعقبه الله بذكر أن علمه عام فكيف لا يعلم أحوالكم الخاصة فقال (ألا إن الله ملى السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه) من الإيمان والنفق والاخلاص وضده (ديوم يرجعون إليه) يعني يوم القيامة (فيذهب بمأملوا) من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة

### ( خامسة )

هذه هي (سورة النور) ولقد تبتى لى بعد ما أتممت الكلام عليها أن أذكر كلاما عاما يرجع لعموم هذه السورة فأقول

انظرأيها الذكر كيف ذكر الله في هذه السورة الحد والقذف ورمى المحصنات الغافلات وملامة أخلاق الطيبين للعيبات والغيثات للخبيثين والملائسة والعفة ومحريم النظر للأجانب وحله للحرم والاستئذان عند السخول وغير ذلك من الأحوال العارضة للإنسان . ولاجزم أن ذلك يدخل فيه علم القضاء فان الملاعة وحد الزنا وحد القذف وما أشبه ذلك لا يكون إلا بأمر القاضي الذي نصب الخليفة للحكم بين الناس . فانظر كيف فصل هذه الأحكام بما هو غريب عنها وأدخل في خلالها ما ليس منها وقابأ القارى بقوله - الله نور السموات والأرض - . وبين كيف يكون الكافرون وأعمالهم كظلمات البحار لما تجأت فوق موجهن سحب ثم أتبع ذلك بذكر عجائب السحاب والبرق وكيف اختلف الحيوان في عدد أرجله وفي سيره فوق الأرض وأطيرانه في الجو . أما الذي لا يصيرة له فانه يرى أن ذلك مجرد اتفاق وأن وضع هذه الآيات أمر لا يرجع الى مقصد خاص وإنما هو من الآيات التي توضع وضعا لم يقصد فيه إلا مجرد الانتقال من حال الى حال ولكني أقول لك ما أعلمه اعلم أن الله عز وجل لما خص هذه السورة بالأحكام الشرعية أراد عز وجل أن يبين لنا أن هذه الامور العادية المحيطة بنا لا ينبغي أن تكون هي المقصد الأسمى عندنا وكأنه يقول كيف تكون هي المقصد الأسمى وما هي إلا أمور يستوى فيها الكافر والمسلم والجاهل والعالم . وما الأحكام التي في القرآن إلا مهنذبات لنفوس الناس حتى يعتدلوا في شهواتهم ويقفوا فيها عند حد خاص فلا يقذفون المحصنات الغافلات ولا يرمون زوجاتهم إلا اذا تحققوا ولا يتركون أبصارهم ترتفع في شهواتها وتنظر لكل غادية ورائحة من النساء حتى تحفظ قواكم العقلية فان هذه النفوس الانسانية أشبه بشمعة قد جعل فيها فتائل كثيرة وكما زادت الفتائل فيها واقتدت كان ذلك أسرع ذهابا وأبلغ ضياعا وأقرب فسادا لها . وكما قلت السرج المتقدة منها كانت أطول عمرا . والناس اذا لجوا في طغيان شهواتهم وزادوا في غلاواتها واتبعوا خطوات الشيطان وأطلقوا لأسنتهم العنان ولعبونهم النظر وما أشبه ذلك كان ذلك أذهب لرحمان عقولهم وأضيع لنور أفتندهم وأسرع هلاكهم لأبدانهم . فليحفظ الناس الألسنة وليخضوا الطرف لئلا يغفل العقول بالصور الجليسة فتغفل القوة العاقلة الى صور مضمحلة فيقل الادراك ويذهب نور الفطنة وتضمحل القوى العاقلة . وهكذا يجب على الناس أن يستأذنوا اذا دخلوا البيوت وأن يسلموا على أهل الدار وعلى أهل منزلهم هم أنفسهم لتزول الوحشة ويدوم الأنس وتحصل الألفة فيقوم العقل بما خلقه الله له من التفكير وهكذا تزوجوا الصالحين والصالحات للنكاح أسرا وعيدا لتصرف الشهوات الى ما هو نافع وليقوم الناس بما أعطوا له من النسل واكثاره لتسعد الجليسة الانسانية . هذا هو المقصود من هذه السورة وفي أثناء ذلك قال الله تعالى إياكم أن تشغلكم هذه الامور عن العلوم والحكم والنظر في جلال وحسن صنعي فان اذكر في هذه السورة وغيرها من حفظ القروج والآداب وحفظ النظر وما أشبه ذلك انما هو لحفظ مدنهم وحسن معاشرتهم . وهذه ما هي إلا مقتدات لما هو أعلى ( وبعبارة أجي ) ان هذه آداب والآداب مقتدات للعلوم لأن العلم لا يكون إلا اذا صفت النفوس ولاصفاء النفوس والعقل مضطرب بالجدال والخطام ونفور الجيران وشقاء النظرات وفترق الخواطر بما تجلبه النواظر فاذا أنزلت عليكم ما به تهدأ الخواطر وتقر النواظر ويستتب الامن فما أسوأكم أن تنظروا فيما زينت وأبدعت وزينت ورقشت وقشت فذلك هو المقصود وما سواه فانما هو تمهيد ومقتدات والمقتدات غير المقاصد إياكم أيها الناس ان تقنوا أن القضاء وعلوم الشريعة كافيات لكم . كلا . إن هذه العلوم انما أنزلتها لحفظ النظام ولقد حفظت نظام التحل في خلياتها والزنا يربى بيوتها والقرابان في أعشاشها وطيور الكراكي

في أسرارها والأسادى أجسامها والحر الحبشية في جبالها ولم أذرف صغيرا ولا كبيرا في الخلق إلا جعلت له ناموسا معلوما وصراطا مستقيما يسير عليه - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمُّ أُمِّك - علمتها أمور معاشها وأفهمتها كيف تلد وكيف تبيض وكيف تنبي لها الأعشاش وأفهمتها كيف تكون سبل الحياة فإذا ظننتم أيها الناس انكم بمعرفة هذه الآداب قد زدتم عن هذه الحيوانات فانكم واهمون فوعزتي وجلالي لن تفوقوها كلالا ولن تعلموها علما إلا بنظركم في جلالى وإطلاعكم على بهائى وكألى

إني أنا نور السموات والأرض ولن تعرفوا تنويرى لهما إلا بأمثال ضربتها لكم وآيات يثبتها • فاتخذوا من ظلمات الحياة نورا ومن الآلام المتراكمة في دنياكم نعبا واقروا بوجوه الكائنات وصور الخلق وأفهموا من السراج المتقد في المساجد أمثلة نفعي لكم مشكلات الجنات فتعرفوا أنوارى في ملكوتى فلا تقضيا ولا لينات ولا ملاعنات ولا حدود مقصودة من حياتكم وانما هذه آداب أوجب أن تكون لتشرقوا لمعرفة آياتى في خليقتى • ومن علق أن للظلمات مقاصد فقد جنى على عقله وعلى الجنس البشرى أعظم جناية فإن الناس بهذه الشرائع لم يصابوا الى ما وصل اليه الحيوان في حسن نظامه فكيف يظن الناس أن ذلك هو مقصود الحياة • إن الانسان عليه واجب عظيم هو النظر والفكر وأن يطير بأجنحة الحكمة وطيارات العلم الى جوار من النور بهيج • انى اشتق النور من الظلمات • ألم أجعل النور البرق يلمع من خلال السحاب ذلك السحاب الذى جعلته متمما لظلمات البحار في دجنات الحياة • السحاب الذى زاد ظلمات الأمواج ظلمات قد أمرت البرق فلع من خلاله وأشرقت أرجاء الأرض بأنواره • هكذا حياتكم للملوءة بالأخطار المدلهمه في البر والبحر • انى لقد أن جعل النور يلمع من خلالها كما لمع البرق من خلال ظلمات السحاب

لما كم أن تشغلكم الأحوال المزلية والشهوات البهيمة والقضايا في المحاكم الاسلامية عن اطلاعكم على جلالى وحسن صنعى وجمال أعمالي الباهرهات في هذه الدنيا وبديع نظامها وحسن تقديرها وبهجتها فإن السحب المظلمات يلمع النور من خلالها ؟ فلم لا تشرق أفئدتكم بنور المعرفة في وسط هذه الظلمات الانسانية والحدود الشرعية والقضايا الاسلامية والعالم الفقيه

أيها الفقهاء • لماذا أجزم التأليف في الملاعة والحدود وأطلعكم تلاميذكم على حقائق القضايا وأتم أجمل الناس يعلم السحاب والحيوان واختلاف أنواعه والطير صافات في جوار السماء • فلماذا أيها الفقهاء أجزم تلك القضايا ووقفتم عندها مع أن القضاء فرض كفاية وتركتم النظر في معرفة أن - الله نور السموات والأرض - وتنوع الحيوان والطير الخ • أليس هذا كله كلام الله • أليس العلم بهذه المحائب واجبا على كل مسلم اذا كان قادرا لازدياد الايمان وللتشكر كما أوضحه الامام الغزالي وذكرته في (سورة المائدة)

ان علم القضايا ليس بواجب إلا على فئة قليلة • إن علوم الجبال الالهى غذاء للارواح والعقول وعلم الشريعة أشبه بدواء فكيف جعلتم الدواء في محل الغذاء والغذاء في محل الدواء

أما أن لمسلمين أن ينظروا فيما كتبناه • أما أن لهم أن يتدبروا ما ذكرناه • أما أن لأمة محمد ﷺ أن يرجعوا عن النهج الذى نهجوه • أما أن لهم أن يكفوا عن الجود ويوقوا الأطفال على محائب ما صنع الله في الأرض والسماء • أما أن لهم أن يقووا أنفسهم بأجنحة من العلم والحكمة ليطيرا بها في جوار السماء الصافى • إن الله قد أذن لمسلمين اليوم أن يتبوؤوا منزلتهم بين الأمم وينالوا مكاتمتهم - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -

### ﴿ الجمال والنور في سورة النور ﴾

تناسبت السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في اظهار الحقائق العلمية والبدائع الحكيمة • فيها جاء ذكر خلق الانسان وانه من نطفة فعلقة فضفة الخ • ذلك جاء في سورة الحج وفى المؤمنون • فأما في سورة

النور فقد فصل ما يحفظ حواسه وآدابه ﴿وبيناه﴾ أن هذا الانسان خلق من طين معمورا في الهواء والفضاء الأرض تحته والهواء يحيط به والفضاء فوقه فكان من الحكمة أن لا يغلو عالم من هذه العوالم من فائدة له .  
فن الأرض أغذيته وفاكهته ومن الماء شربه وطهوره والهواء تطهيره بواسطة النفس واعطاء دمه لون الحرة بما يغالطه من مادة الاكسوجين التي يجعلها النفس من الهواء وحاسة اللمس تشعر بالحرارة والبرودة اللتين يتصف بهما الهواء وحاسة الأذن قد اتخذته آلة توصل الصوت اليها من اللسان . فن اللسان حركات في الهواء والهواء وصول تلك الحركات الى الأذن . الانسان لم يترعنا بما أحاط به إلا لاتنهز الفرصة للانتفاع به فلا أرض ولا ماء ولا هواء ولا ضياء إلا كان منه له منفعة لولاها لم يكن هذا الانسان ولا الحيوان . فترى القم للغذاء وللماء فهو إذن معد لاستعمال ما يصل من الأرض والماء والأطب للهواء وهكذا الأذن للهواء أيضا من حيث حركاته بأنواع الأصوات . والعين معدة لعالم النور الوارد من الكواكب ومن الأرض . اللهم إن هذا العالم جيل ومن أعظم انعامك علينا انك أرينا هذه الجهات التي يجعلها أول ما يقربها كثير من العقلاء لأن أكثرهم غافلون . يعيش الانسان في الأرض ويرى الشمس والقمر والماء والهواء ولا يريد أن يدرس هذا الوجود ليعلم مركزه فيه وليعلم نعمك علينا في هذا الوجود العجيب . مخلوق طوله ثمانية أشبار استخدم الأرض والماء والهواء والكواكب . فرقت هذه العوالم على أعضائه حسه . ينظر الانسان الشمس اذا هي معدة للابصار في العين كما أن الهواء معد لحاسة اللمس والشم والسمع وعالم الأرض التي منه أغلب الأغذية جعلت له حاسة الذوق التي تميز الخبيث من الطيب في الطعام والشراب . هذه الحواس الخمس كانتها نوافذ وفتحات منها يطل الانسان على هذا العالم كله . كل ذلك تضمنه مجاءه في (سورة الحج) من خلقه من نقطة قطرة الخ ومجاءه في (سورة المؤمنون) كذلك وقد جاء في آخر وصف خلقه - فبارك الله أحسن الخالقين - فأحسن الخالقين هو الذي خلق الانسان على هذا الخط بحيث يجعله مستفيدا من كل ماحوله من العناصر والمركبات . ولقد كان من إحكام صنعه أن خلق له لسانا واحدا يصبر عما لديه من القوى فهو ترجان لكل ما يحسن به ويعلمه ويؤاخره ترجان السمع والبصر والذوق واللمس وكل له آلة الابصار بها يدرك كل صورة تقع عينه عليها ولكن له أداة للتناسل وهي العورة في الذكر والاناث . إن أكثر الآثام في نوع الانسان يحدثها اللسان بالشتم والذم واذاعة الفاحشة والتعيير وقذف المحصنات ويحدثها الفجور بالزنا . وما بين عليه ويدعوه طموح العين لما تراه من محاسن النساء . فكان الله يقول في أول النور أيها الناس أنا صوّرتكم على أحسن صورة وأكمل تكوين . فهذه الحواس جعلتها أدوات صالحة لأن تتخذوها وسيلة للهدى بأضواء الشمس والكواكب والقمر ولتتناولوا ما يصلح لأغذيتكم واقامة بيتكم وتشعروا بما حولكم من أصوات وصور وعوالم تحيط بكم ولم أحمكم منها كما حرمتم السود التي أزمته أن يقع بما حوله من الرطوبات . وهذا اللسان لم أجعله وسيلة للشم والتذوق بل خلقته لينشر العلم بينكم وأنواع المحبات . وهذه البنية زوّقتها وهندستها وأكملتها وجعلتها صالحة لاجتماع ذرية تبقى بعدكم حفظا لذركم وممرانا لأرضنا فليس من الحكمة أن تجعلوا الشهوة البهيمية مقاصد وكيف تجعلون الوسائل مقاصد وما هذه الشهوات مقاصد فمن فعل ذلك ذلت نفسه وباء بالوبال . فأيكم والزنا بل إياكم وكثرة تعاطي هذه الشهوات باتباع خطوات الشيطان . ولم أخلق الأعين فيكم لتقصروا على هذه الشهوة الضئيلة . انما خلقت العين لتعرفوا بها أنوارى وتذكروا جلال وبهائي ومحاسن أرضي وسماي ففضوا الطرف عن النساء واقنعوا بمن عندكم من الحلال الا اني يلدن منكم الذرية . أي عبادي أتم ﴿فريقان﴾ فريق الأضياء وفريق الأغنياء . أما فريق الأضياء فهم أولئك الذين عرفوا أن نور السموات والأرض فيهم الجبال والبهائم في مشرقها والبرقي والاصباح . أما فريق الأغنياء فهم أهل النار أولئك الذين أعطوا الأعين والعقول والأذان فظنوا اني أطلقهم في أرضي كما أطلق النواير فكفوا على جنى الذات التي لم أخلقها فيهم إلا

لغايها فسارعوا اليها ووقفوا عندها وكلما نظروا في جبال النجوم وجبال الشمس وجبال القمر وجبال القمر والأزهار والأشجار والأنهار لم يجدوها فحسبهم بأكثر مما يحسبهم الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم سائحة نحو الملا سلطت عليهم بآية العذاب الجائعين في جبتهم فحسبهم بأكثر مما يحسبهم الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم سائحة نحو الملا سلطت عليهم بآية العذاب الجائعين في جبتهم فحسبهم بأكثر مما يحسبهم الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم سائحة نحو الملا سلطت عليهم بآية العذاب الجائعين في جبتهم فحسبهم بأكثر مما يحسبهم الحيوان في البرية .

على أدبارهم وعلو لما نهوا عنه ويرجعوا بخي حنين فكانت نظراتهم لشهواتهم وألستهم عاكفة على أذى قومهم من رجال ونساء كأصحاب الإفك الذين فتوا أم المؤمنين وبعض صلحائهم . أي عبادي أنا كلمتكم بالصلاة وفي الصلاة تسبيح وتحميد والتسبيح تنزيه والتحميد ذكرى بنعمي فنعني تحيط بكم في الأرض وفي السماء . أنا نور السموات والأرض والأنوار ظاهرة لكم وباطنة في قوى الحيوان والنبات فأينما تولوا قم جبال ونور . ترون في السماء بهجة النجوم وفي الجبال قروح وفي الأرض أنواع الجبال في كل حيوان ونبات . أنا لم أحسن الصوري نوع الانسان لأجل التناسل لحسب . كلا . ألم تروا أن شهوة التناسل تفتت بعد الوقوع وعند الفتور تنصب نشوة اللذة بجمال الوجوه . إلى نصبت ذلك الفتور (الذي يتوركم بعد فراغكم من تلك اللذة) علما ليهديكم إلى المقصد الأعلى من جبال الوجوه الانسانية والجبال في العوالم العالوية والسفلية . إن بواهر الجبال في تلك العوالم داعيات تحثكم أن هلموا إلى وأقبلوا علي . هذا ما يقوله الشمس عند اشراقها والقمر عند بزوغه والجم عند طلوعه والنهر وهو يجري والطير وهو يطير . كل أولئك يا عبادي يهدونكم إلى العروج إلى العلاء . ولن ينال هذه النقية منكم إلا أناس أدركوا مقاصدا في حواسهم وغاية ما خلقت له فحسن لم تخلق العين لتعكف على النظرات الحيوانية والشهوات البهيمية . إذن لمن زينت النجوم ولن صممت الأشعة النورية ولن نصبت الجبال ومحاسنها والأنهار وجواربها والحقول وأزهرها . أنا قرنت التسبيح بالتحميد في صلاتكم لتذكروا ولتعلموا أنكم إن لم تنزهوا اللسان عن النطق بالقبائح والفرج عن الفاحشة والعين عن النظر المحرم فلا تبيل إلى أن تعرفوا وتفقهوا أن نور السموات والأرض . إن عقولكم خزنت فيها صور كثيرة لا تحصرونها فإذا أخذتم يتحدثون بكل ما لديهم شغلكم ذلك الحديث عن مواقع النجوم ومناهج القمر . هكذا إذا ظلمت تفككون بشهوة الفرج صرفتم عقولكم وأضعفتموها بسبب القص الدائم للتوافر في محبة أجسامكم بما تصرفونه لهذه الشهوة الضالة . متى ضعفت القوة العاقلة محزوت عن أن تدرك الجبال . لتلك شرعت لكم أن تقولوا في الصلاة في الجلوس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني ﴾ والمغفرة الثابتة مما تكون بحفظ الألسنة وحفظ الشهوات فلا تصرف إلا بحساب إبقاء لصحتكم وحفظا لعتولكم فتكونون متخلفين بأخلاق فأما منزلة عن الحوادث وأتم منزلة بقدر الاستطاعة عن الصيوب . هنالك تنوفا الأسباب لادراك ما يحيط بكم من النور والجبال . أنا لم أحرم عليكم النظرات المحرمات حرمانا لكم أو بجلا عليكم ولم أنسكم من مقارفة الشهوات بخلا عليكم بخزائن ملكي . كلا . أما أعطيتكم عقولا وأعطيت الحيوان البرية غرائر وأودعت في غرائره أن لا يكون لواقع إلا الولد ولم أجعل ذلك في غرائركم بل أعطيتكم عقولا وحرمت عليكم العواض ما طهر منها وما طن وأطلقكم في الأرض فيقول قائل مكم لم منع ربنا عنا لذائنا وأطلق الحيوان مجتمع بما شاء وهو يشاهد أن الحيوان ممنوع بغريزته ولولا ذلك المنع لمات وضعف وهلك بكثرة الواقع . ذلك حاصل في بعض الحيوان في البرية . فأما حرمت عليكم الفاحشة بل طلبت منكم عدم الاسراف في جميع أحوالكم وجعلت عاقبة الاسراف ضعف أبدانكم وخسران عقولكم التي لا نستطيع عند الضعف أن تدرك الجبال الأعلى الدائم . ومن حفظ جوارحه من العين واللسان والفرج المذكورات في (سورة نور) فاني أحفظه عتله وجيع قواه وأجعلها ذخيرة له في هذه الدنيا يزداد بها علما ويدبر أموره ويكون ذكي لا يؤاد قوى الفكرة . إن في افلات ما أخزته في عقولكم بلا فائدة أشبه بمن يطلق ماء النهر فيمرق لقرى ويفرطها ويغسل أشبه بمحظاء في أنهار حتى يصرف ماؤها عند الحاجة إليها . لهذا

الإنسان مسؤولاً عن عقله كما أنه مسؤول عن أهله وعما يملكه من المال وما يبلده من الولد وعما يدره من المال بل ذخيرة الإنسان المكتونة في نفسه أقرب إليه مما عداها فان هجر عن حفظها وتركها تسرب الى الخارج بلا ضابط يضبطها ولا حافظ يحفظها تركته ماوما محسورا . إن أراء الانسان والصور المخزونة في عقله إن هي إلا أجنحة يطير بها الى سماء الكمال وباحات الجلال فإذا أهملها بقي مقصورا من الجنات حتى ضائع القوي خاسر الصفة فبرئ بعيني رأسه أناسا منه قد ارتقوا في أعمال دنياهم وأعمال آخرتهم بحفظ قواهم الباطنة بترك ما لا يعني والانكماش في الجهد وحفظ القول فلا ينطق إلا بما يفيد ولا يتكلم إلا بما ينفع . هنالك يكون قوله حكمة وإشارته غنما وسكوته فكرا فلا يسكت ولا يتكلم إلا لفائدة ثابتة . إن الجنة والنار يتبعان الفكر والاعتبار كثرة وقلة . ألم تسمعوا قول الكفار - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير -

أى عبادى المسلمين . ربما يظن أحدكم أنه خارج عن هذا القانون . كلا . - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - أتم جميعا مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد . فالقلب أمانة أودعتها عندكم وما العقل إلا نور انبث من سماء الجلال وهومن نوري الذي انبث منى في السموات والأرض فإياكم أن تعطوا أو تشغلوا أنفسكم بالحديث عما خزن فيه إلا لفائدة نافعة فأتهم عنه مسؤولون والبصر جعله بابا تلج منه الصور الواردة عليكم بنور المنشآت عليكم فإذا شغلتموه فيما ضعف قواكم البدنية من الصور الحسان لمير فائدة أوفيا لفائدة فيه سومت النظرائى بهجة جالى في سمواتى وأرضى فيكون أحدكم أيها المسلمون إذ ذاك قد خسرا اللذة الدنيا وهى الحيوانية واللذة العليا وهى اللذة للملكية بالذات الرالى جالى فيصبح الغافل منكم بالنسبة للعلم أشبه بالترات (المكروبات) والحشرات التى تطوفونها بأقداسكم فهى وإن كانت تشارككم في الحياة لم تشارككم في مزاج قولكم وفصائل علومكم وبهجة نجومكم هكذا المفرطون في أسباعهم وأبصارهم وشهواتهم يبصر الناس اليوم جالى وهم لا يبصرون ويستهجون بمحاسن سائى وهم لا يهتمجون فلهم أسباع ولكن لا يفتقون ولهم أبصار ولكن لا يبصرون . فإذا ظنتم أيها المسلمون انكم بمنجاة من الحجاب وأن الحجاب إنما يسدل على الكافرين فقد أخطأتم المرمى ورجعتم بخفى حنين . ألم تقرأوا في كتابى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - . أى عبادى . أنا لم أنزل القرآن وقفا على اللعان المذكور في آية النور ولا على إقامة الحد على الرأى والزانية . إن هذه أحوال تعرض لكم مانعات من نظراتكم لجالى فإذا جاوزتموها فهناك أفتح لكم أبواب - الله نور السموات والأرض - وأعرفكم معانى ما تسمعون وما تبصرون . هنالك تفقهون تسبيح الطير في جوار السماء وتدركون عجائب الحيوان وأسراى التى أودعتها في غرائزه وبهذا تفرحون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - انتهى

هذا ما فهمته في (سورة النور) يومى الخميس والجمعة ليلة السبت قبيل آخر سنة ١٩٢٨ والحمد لله

رب العالمين

## سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

( وهي ثلاثة مقاصد )

( المقصد الأول ) في اثبات النبوة وفي جزاء المكذبين من هذه الأمة والأمم السالفة من أول السورة الى قوله - أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

( المقصد الثاني ) في الجواب الكونية من قوله تعالى - ألم تر الى ربك كيف مّد الظل - الى قوله - أو أراد شكورا -

( المقصد الثالث ) في الآداب والأخلاق من قوله - وعباد الرحمن - الى آخر السورة

### ( المقصد الأول )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا • الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ تَقْدِيرًا •  
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ إِلَّا نَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا  
نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ  
أُفْرَأَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَافِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا • وَقَالُوا أَطِيبُوا الْأَوَّلِينَ أ كُتِبَ عَلَيْهَا  
فِتْنَةٌ يُمْتَلِىٰ عَلَيْهَا بُكْرَةٌ وَأَمِيلًا • قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ  
كَانَ فَهْقُورًا رَجِيمًا • وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ  
إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا • أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ  
الظَّالِمُونَ إِنَّ تَبْيِئُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا • أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا • تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا • بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا • إِذَا  
رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيغًا وَزَفِيرًا • وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا  
هُنَاكَ ثُبُورًا • لَا تَذْهَبُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا • قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ  
جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا • لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ  
عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلًا • وَتَوْمٌ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَمْتُمْ أَضَلَّكُمْ

عِبَادِي هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي • قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ  
 مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا اللَّهَ الَّذِي وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا • فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ  
 بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَظِيمُونَ صَرَفْنَا وَجْهَكَ مِنَ الْإِنسَانِ إِلَى الْجَنَّةِ لَتَبْلُغَ أَجَلَ مُؤَدَّيْهِمْ هَٰذَا صَفْوَةٌ  
 مِنَ الْإِنسَانِ لَكِنَّكَ أَجْمَلٌ • وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا  
 أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَهَتَّاءُ عِوَا كَبِيرًا • يَوْمَ  
 يَرْوُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا عَجَبًا • وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا  
 مِنْ عَمَلٍ لَّجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا • أَفَحَسِبَ الْجَنَّةُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا • وَيَوْمَ  
 نَشَقُّقُ السَّمَاءَ بِالسَّعَابِ وَنُرْزِلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا • الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْخَلْقُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى  
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا • وَيَوْمَ يَبْغِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ  
 سَبِيلًا • يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا • لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا • وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ  
 مَهْجُورًا • وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا •  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ قُورَٰكُ وَرَزَّائِكُ  
 تَرْبِيًا • وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَسِيرًا • الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ  
 وَجْهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا  
 مَتَّعَ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا • فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَرَبْنَاهُمْ تَذْمِيرًا •  
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا  
 أَلِيمًا • وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا • وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ  
 وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا • وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْدًا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرْتَضُونَهَا  
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا • وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَحَدَّثُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ  
 رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ الْهَدْيِ لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْمُعَذِّبَ



مَنْ أَصْلُ سَيْلًا • أَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا • أَمْ تَحْسَبُ  
أَنْ أَكْذِبَهُمْ يَنْسِفُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْآتِمَامِ بَلْ مُمْ أَصْلُ سَيْلًا

### ➤ التفسير القنطري ➤

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تعالى خير الله وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ودام وكل هذا معنى (تبارك الذي نزل الفرقان) وهو القرآن مصدق لفرق بين الشيثين إذا فصل بينهما فانه نزل مفترقا وهو فصل بين الحق والباطل والحلال والحرام وتبارك لك تعظيم لم تستعمل إلا الله وحده والمستعمل منه الماضي وحده والبركة تتضمن معنى الزيادة كما تقدم ورثه على أنزاله القرآن لما فيه من كثرة الخير وأولاد الله تعالى عليه • ويقال أيضا دام كما تقدم من بركة الطير على الماء ومنه البركة لتمام الماء فيها (على عبده ليكون) أي العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والإنس (غيبا) منبرا (الذي له ملك السموات والأرض) هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) رد على الثنوية وعلى عباد الأصنام (وخلق كل شيء) أحده (فقتله تقديرا) هيا لما أراد منه من النصاص • وقد تقدم في هذا التفسير من عجائب الخلق وبدائع الحكمة ما يدهش الأبواب ومن النصاص العجيبة للإنسان والحيوان والنبات والكواكب ما يظهر به أبداع الخالق وعجائب صنعه جل جلاله وعز كماله وإله الإله • ولما أثبت التوحيد والنبوة بما تقدم أخذ برّد على منكرهما فقال في المشركين (واخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وذلك لأن العابدین لهم هم الذين يصنعونهم ويصورونهم (ولا يملكون لأنفسهم ضرا) دفع ضرر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون إمامة أحد ولا إحياءه ولا يبعثه ثانيا • وقال في منكرى النبوة (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك كذب موصوف عن وجهه) (افتراه) اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم آثرون) وهم اليهود أو عبيد بن لخصر الحبشي الكاهن أو جبريسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فقال المشركون إن محمدا ﷺ يأخذ منهم وقلمسقى في قوله تعالى - إنما يعلمه بشر - (فقد جاؤا ظلما وزورا) أي فقد جاء قائلو هذه المقالة بظلم وزور إذ سماوا كلام الله تعالى بالإفك والافتراء (وقالوا أساطير الأولين) ماسطره المقتمون (اكتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها (فهي على عليه بكرة وأصيل) ليحفظها فانه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب (قل أنزل الذي يعلم السر في السموات والأرض) ألا ترون أنه أهزكم جميعا بفصاحته وأخباره بغميات مستقبله وأشياء لا يعلمها أحد • أفهل هذا يكون أساطير الأولين • ولولا عفوه ورحمته لعاقبكم ولكنه حلم عليكم (لانه كان غفورا رحيما) ثم أخذ يذكر الرد عليهم فيما اعتراضوا به على نبينا محمد ﷺ (وقالوا مال هذا الرسول) مال هذا الذي يزعم أنه رسول (يا كل العلمام) كما نأكل (ويعش في الأسواق) كما نغنى لطلب المعاش • يقولون إن صح دعواه فما باله لا تخالف حالنا حاله (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) أي داعيا وبذلك نعرف صدقه (أو يلقى إليه كنز) فيستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) أي إذا لم يلق إليه كنز أفلا يعيش عيشة للترفين أهل اليسر في الدنيا فيكون له بستان كما لهم بساتين وهذا يستلزم أن يكون في عيش وغد وسعادة جسمية وخدم وحشم حتى يكون ممتازا ولما لم يكن متصفا بأحد هذه لم يكن ما يتبعه من النبوة صدقا فانما هو رجل سحر عقله وغلب عليه وهذا قوله تعالى (وقال الظالمون) وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا للظلم عليهم (إن تبعون) ماتبعون (إلا رجلا مسحورا) انظر كيف ضربوا لك الأمثال الأشياء التي لا فائدة منها وادعوا عليك الأحوال الشاذة النادرة (فضاؤا) عن الطريق الموصل لما يجب أن يكون عليه الأنبياء (فلا يستطيعون سبيلا) إلى التلئيل منك وإلى سبل الرشاد

(تبارك) تكلم خير (الذي إن شام جعل لك خيرا من ذلك) ذهب لك في الدنيا خيرا عما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقوله (جنات) بدل من خيرا (تجربى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) يوثق بشدة ورد أن النبي ﷺ قال «عرض على ربى ليجعل لى بطعام مكة ذهباً قلت لا يارب» وفي رواية أخرى «لو شئت لاسرت منى جبال مكة ذهباً إلخ» وهؤلاء قوم لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فقصرت أنظارهم عن الآخرة (بل كذبوا بالساعة) قصصوا أنظارهم على ما ظنوه سعادة وهي الثروة في الدنيا (وأعدت لنا كذب بالساعة سعيراً) نارا شديدة يندى في الدنيا سببها وهو قصر النظر على الأمور العاجلة فيصّبسون في سجن الأعمال والآمال المحدودة (إذا وأنهم من مكان بعيد) أى إذا قابلتهم النار وكانت برأى الناظرين في البعد (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) أى سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المتغيظ والزافر (وإذا ألقوا منها) من النار أى فيها (مكاناً) في مكان (ضيقاً) لزيادة العذاب عليهم (مقرتين) أى مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) في ذلك المكان (ثبورا) هلاكاً يمتحنون الهلاك وينادونه ويقولون يا ثبوراه أى تعال فهذا حينك ويقال لهم (لاندعوا اليوم ثبورا واحداً) هلاكاً واحداً (وادعوا ثبورا كثيراً) لأنه كلما نصحت جلودكم بدثم جلوداً غيرها ولأن أنواع العذاب كثيرة (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى الذى ذكرت من صفات النار خير إلخ (كانت لهم جزاء ومصيراً) أى كانت لهم في علم الله جنة الخلد ثواباً ومرجعاً (لهم فيها ما يشاؤون) أى إن جميع المرادات إنما تحصل في الجنة وهناك لا تشتهى طائفة إلا ما يناسب حالها حال كونهم (خالدين كلن) ما يشاؤون (على ربك وعداً مسؤولاً) موعوداً مسؤولاً سألهم الناس في دعائهم إذ قالوا - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك - والملائكة إذ قالوا - ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم - وقوله - على ربك - يفيد معنى امتناع الخلق (ويوم يحشرهم) لقلب (وما يعبدون من دون الله) وهم المعبودون من الملائكة والمسيح وعزير والأصنام وغلبها في التعبير ما وسينطقه الله الذى أنطق كل شئ كما ينطق الأبدى والأرجل (فيقول) للمعبودين (أأنتم أضلأتم عبادى هؤلاء أم هم ضلأوا السبيل) لاخلأهم بالنظر والاعتبار بالقول والأعراض عن الهداة . وقوله - ضلأوا السبيل - أى عنها وقد تركوا الجار كما تركوه في هذه الطريق والأصل إلى الطريق (قالوا سبحانه) تعجباً عما قيل لهم أو تنزيهاً لله عن الأنداد وإدانة بأنهم مسبحون إما بالقول كالملائكة والأنبياء وإما بلسان الحال كالأصنام (ما كان يصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) أى أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم (ولكن متعتهم وآباءهم) بطول العمر والصحة والنعمة في هذه الدنيا (حتى نسوا الذكر) تركوا توحيدك وطاعتك والمواظب والإيمان وغفلوا عن ذكرك (وكانوا قوما بوراً) هلأى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) أى كذبكم المعبودون أيها المشركون (بما تقولون) انهم آلهة (فأستطيعون صرفاً) دفعاً للعذاب عنكم (ولا نصراً) يعينكم عليه . ومعلوم أن المحارب تكون نجاته إما بالحرب وإما بالنصر على عدوه وهؤلاء لا نصر لهم ولا نصراف فهم معذبون لا محالة . ثم خاطب الله الناس كلهم قائلاً (ومن يظلم منكم فذق عذاباً كبيراً) وهى النار الخالدة . وهذا القول عام لكل ظالم بكفر أو فسق . ولكن العلماء يختلفون في الفاسق فمنهم من يجعله كالكافر وهم الخوارج والمعتزلة وبقية العلماء يقولون «إن الفاسق بالتوبة يغفر له بشرطها كلها وكذا بالغفر» (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) هذا جواب لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام - إلخ . يقول الله - وما أرسلنا قبلك - يا محمد إلا رسلاً - أنهم ليأكلون الطعام - إلخ - فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه أى إن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن - وما أنا إلا رسول - وما كنت بدعاً من الرسل - وهم كانوا بشرأ منى يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعينكم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء فابتلينا الفقراء بالأغنياء والمرسلين

بالمسئل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايدائهم (أتصبرون) أى وجعلنا بعنكم لبعض قننة لنعلم أىكم يصبر  
وفيه حث على الصبر على ما اقتنوا به (وكان ربك بصيرا) لمن صبر ولين جزع \* فى البخارى وسئل أن النبي  
ﷺ قال (إذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هودونه فى المال والجسم) لفظ  
البخارى وسئل (انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدردوا نعمة الله  
عليكم) (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يأملون الوصول الى جزائنا (لولا) هلا (أزل علينا الملائكة)  
رسلا دون البشر وشهودا على نبوتهم ﷺ (أوزيرى ربنا) جهرة فيحبرنا رسالته (لقد استكبروا فى أنفسهم)  
أى أضربوا الاستكبار عن الحق (وعتوا) وبجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) أى انهم بلغوا غاية الاستكبار  
إذ عابوا المجهزات الظاهرة فأعرضوا عنها وطلبوا ما تشاق اليه الأنفس القدسية . واذكر (يوم يروى  
الملائكة) وهو يوم الموت ثم أخبر فقال (لأبشرى يومئذ الجرمين) أى لهم وإنما وضع الظاهر موضع الضمير  
لوصفهم بالأجرام (ويقولون) أى الملائكة (عجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله البشرى  
حراما عليكم وإنما البشرى للمؤمنين وهذا من المصادر المنسوبة بأفعال متروكة اظهارها (وقدمننا الى ما عملوا من  
عمل) أى وعمدنا الى ما عملوا من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر (لجعلناه هباء منثورا) باطلا لا  
ثواب له . وإليه ما يرى فى الكوفة كالقبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدى ولا يرى فى الظل والمنثور  
المتفرق وكذلك ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار يقال له هباء (أنهات الجنة يومئذ خير  
مستقرا) أى خير مكانا يستقر فيه من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أى مكافا يستروح فيه  
بالأرواج والتمتع بهن وذلك مجاز من مكان القبوله وفى ذلك رمز الى ما يترتب به مقيلهم من حسن الصور وغيره  
من الحسن \* ويقال ان أهل الجنة لا يرى بهم يوم القيامة إلا قدر ما هو من أول النهار الى وقت القنالة حتى  
يسكنوا مساكنهم فى الجنة \* ويرى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب  
الشمس (ويوم تشقق السماء بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور فى قوله تعالى - هل ينظرون  
إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة - (وزل الملائكة تزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف أعمال  
العباد فتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من فى الأرض من الانس والجن . ثم تشق السماء الثانية  
فينزل أهلها وهم أكثر من فى السماء الدنيا ومن الجن والانس . ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل  
كل سماء يزبدون على أهل السماء التى تليها ، ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن)  
أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة فلذلك يقضى غيره يوم القيامة (وكان يوما على  
الكافرين صيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليمين كناية عن القبض والحسرة لأن عض  
اليدين من روادف الحشرات وآل فى الظالم للجنس فيتناول عقبه بن أبى معيط الذى كان سبب نزول الآية  
وغيره (يقول يا ليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (يا ليتنى)  
\* وقرئ - يا ليتنى - لأن الرجل ينادى ويئله وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك (ليتنى لم اتخذ  
فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام والمراد كل خليل يصد عن الهدى ويوقع صاحبه فى الردى . فكل  
من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لاحتالة لجعله كناية عنه . ومن الأخلاء الشياطين فلا فرق  
بين شياطين الانس وشياطين الجن ومن هؤلاء الأخلاء أبى بن خلف . وذلك أن عقبه بن أبى معيط كان  
يكفر بحالة النبي ﷺ فدعاه الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبى  
ابن خلف صديقه فعاتبه فقال صأب فقال لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستعيت  
منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فقطأ ففاه وتبرق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة  
ففعل ذلك فقال ﷺ لا أتفكك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأمر يومئذ فأمس عليا فقتله .

وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد . ثم قال الله تعالى ( لقد أضلني ) أي الخليل ( عن الذكر ) أي عن ذكر الله أو القرآن ( بعد إذ جاءني ) من الله ( وكان الشيطان ) أي خليفه لأنه واحد من شياطين الانس والجن ( للإنسان ) للطبع له ( خنولاً ) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينقعه ( وقال الرسول ) محمد ﷺ يوم القيامة أوفى الدنيا يثب شكواه الى الله ( يارب إن قومي ) قرشنا ( اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ) بأن تركوه وصدّوا عنه . مأخوذ من المهجران وفيه تخويف لقومه وماشكاً في قومه إلا حل بهم العذاب ثم أقبل الله عليه مسلماً فقال ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبي الخ والعدو يحتمل الواحد والجمع أي لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهذا قوله تعالى ( وكفى بربك هادياً ) الى طريق قهرهم ( وضيئاً ) لك عليهم ( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة ) أي هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت التوراة والإنجيل والزابور ( كذلك ) يقول الله لإجابة لهم أنزل كذلك أي مفزاً في ثلاث وعشرين سنة ( لنثبت به فؤادك ) لنثقي به قلبك فتحيه وتحفظه فإن الكتب السابقة نزلت على أنبياء يقرؤون ويكتبون وهذا القرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ فلا أتى عليه جلة واحدة لم يستب له فإن التلقف لا يأتي إلا شيئاً فشيئاً . وأيضاً نزل القرآن بحسب الوقائع فذلك يوجب زيادة البصيرة وغوصاً في المعاني وبزوله منجماً يعصى بكل نعيم فيجوزون عن معارضته فيزده ذلك قوة في قلبه ومن ذلك معرفة الناسخ والمنسوخ . ولقد عرفت حكمة الناسخ والمنسوخ في هذا التفسير في سورة البقرة فافقاه هناك . ثم قال تعالى ( ورتلناه ترتيلاً ) قرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تودة وتهل والترتيل للتبيين في ترسل وتثبت ويقال فرقاه تقريباً آية بعد آية ( ولا يأتونك بمثل ) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان أي يضربونه لك في إبطال أمرك ( لا اجتاك بالحق ) الدافع له في جوابه ( وأحسن تفسيراً ) وبما هو أحسن بياناً أومعنى من سؤالهم ( وقال تعالى ) الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ( أي يساقون ويحشرون على وجوههم الخ مبتدأ خبره ( أولئك شررة مكاناً ) أي منزلاً ومصيراً ( وأضل سبيلاً ) أي أخطأ طريقاً وكأنه قيل أنه ما جعلهم على هذه الأسئلة إلا تحقير مكانته ﷺ وتضليل سبيله وهم لا يعلمون حالهم فليعلموا أنهم - شر - مكاناً وأضل - سبيلاً - وقوله تعالى - يحشرون على وجوههم الى جهنم - الخ قد ورد في الحديث ما يناسب ذلك وهو قوله ﷺ ( يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على السواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاكم على أقدامكم يحشرون على وجوههم ) . ولما كان من عادة الله تعالى أن يذكر نبيه ﷺ أحوال الأمم السالفة مع أنبيائها ليكون ذلك أنساً لقلبه ونبراساً للصلحين من أمته أردف ذلك بذكر موسى ونوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وأصحاب الرس قوم شعيب وذلك لأنه ذكراته جعل - لكل نبي - عدواً من المجرمين - وأن الله يهدي الأنبياء وينصرهم . فهنا أخذ يبين كيف نصرهم الله على أعدائهم وهداهم الى ذلك النصر ولارشاد أمهم فقال ( ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة مع مشاركته له في النبوة والشريكان في النبوة متوازران فيها ( فقلنا لذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا ) وهم فرعون وقومه ( فذرناهم ندميراً ) أي فذهبنا اليه فكذبوهما فذرناهم . هكذا هؤلاء أرسلناك اليهم يا محمد فان كذبوك فاني أذرهم ندميراً وقد تم كل ذلك ( وقوم نوح لما كذبوا الرسل ) لأنهم بكذب نوح قد كذبوا سائر الرسل لأن دعوتهم واحدة ( أغرقناهم ) بالطوفان ( وجعلناهم ) أفرقامهم أوتقتهم ( للناس آية ) عبرة ( وأعدنا للظالمين ) من كل أمة ( عذاباً أليماً ) كما عذبنا هؤلاء ( و ) أهلكتنا ( عاداً وثمود وأصحاب الرس ) هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيباً فكذبوه فبينما هم حول الرس ( البئر المطوية )

انهارت نخسف بهم وبديارهم (و) أهلكنا (قرونا) أى أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لا يعلوها  
 الا الله أرسل اليهم أنبياء فكذبوهم فأهلكوا • قبل القرن سبعون سنة وقبل مائه وعشرون سنة (وكلا  
 ضربنا له الأمثال) يتنا له القصص الحكيمة من قصص الأولين انذارا وعذارا فأصروا على الاستكبار والكفر  
 فهلكوا وهذا قوله تعالى (وكلا تجربنا نبيرا) فتنا تجربنا ومنه التبرفت القهب والفضة (وقد أتوا) يعنى  
 قريشا مروا سرارا فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت مطرا السوء) وهى سدوم التى هى أعظم  
 قرى لوط وقد أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعلموا •  
 ولا جرم أن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى مجرتهم الى الشام (بل كانوا لايرون نشورا) لا يخافون  
 بئنا أولاياملون نشورا كما يأمله المؤمنون (واذا رأوك ان يتخذونك إلا هزوا) ما يتخذونك إلا موضع هزؤ  
 أو مهزؤ به إذ كان أبوجهل اذا مرّ مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا • إن كاد) أى انه  
 كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها أولولم نصبر على عبادتها  
 لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا  
 (أرايت من اتخذ إلهه هواه) أى من أطاع هواه فبإيقظ وفيما يترك فهو عابده وجاعله إلهه • يقول الله لرسوله  
 ﷺ هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى وتحفظه من متابعة هواه وعبادة  
 ما أدّى اليه هواه فتكون عليه موكلا تنصرف عن الهدى الى الهدى فباعليك إلا البلاغ وهذا قوله تعالى  
 (أفأنت تكون عليه وكيل) • يقال ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد حجرا فإذا مرّ بحجر أحسن منه  
 ترك الأول وعبد الثانى • وقال الحسن • هذه الآية فى كل من اتبع هواه • ثم قال تعالى (أم تحسب أن  
 أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أى بل أنحسب أن أكثرهم يسمعون  
 ما تقول سماع طالب الافهام أو يعقلون ما يعاينون من الحجج • وهذا الله أعظم مما تقيم فكأنهم لاسمع لم  
 ولا عقل حتى شبههم بالأنعام فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكير بل هم أضل من  
 الأنعام لأنها تهتدى لمراعيا ومشاربها ونقاد لأربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق  
 الحق ولا يسمعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم • ويقال ان الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى  
 مجمع الكل فان غلبت النفس والهوى فضلت الأنعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام • انتهى  
 التفسير اللفظى للقصد الأول من السورة وفيه لطائف

- (١) فى قوله تعالى - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الخ
- (٢) وفى قوله - وخلق كل شئ بقدره تقديرا -
- (٣) وفى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا -
- (٤) وفى قوله - وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام -
- (٥) وفى قوله - لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا -
- (٦) وفى قوله - أأنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل • قالوا سبحانه - الى قوله - ولكن  
 متهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -
- (٧) وفى قوله - وجعلنا بينهم بعض فئة أصعبون -
- (٨) وفى قوله - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -
- (٩) وفى قوله - ويوم تشقق السماء بالغمام -
- (١٠) وفى قوله - ويوم يعض الظالم على يديه - الخ
- (١١) وفى قوله - وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا -

(١٢) وفي قوله - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين -

(١٣) وفي قوله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم -

(١٤) وفي قوله - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلًا -

(١٥) وفي قوله - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

(الطيف الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا - )

تقدم أن معنى تبارك يشمل تكرار الخير والبر والنعمة والتعالى على كل شيء فهو عال في صفاته وأفعاله ودائم .

فانظر الى الصفات التي ذكرت في حيز هذا الفصل اذا هي

(١) انه نزل الفرقان على النبي ﷺ لينذر الناس

(٢) وانه له ملك السموات والأرض

(٣) ولا ولد له

(٤) ولا شريك له

(٥) وانه خلق كل شيء

(٦) وانه قدير قادر على أبهى وأتم الأوصاف

فهذه الأوصاف هي الخبر كله والبركة من نور ينزل الى الارض وهداية الناس وملك بهم سائر الكائنات

وجميع الممالك خاضعة له وليس له ضد ولا ولد لأن الولد لمن يغني فيقوم مقامه والشريك يدل على قوة مقاومة

وليس الانفراد بالملك وعدم للنزاع وعدم القضاء الذي دل عليه انه لا ولد له يخفى عن انه قادر على خلق كل شيء

فربما كان ماله كاللحم لكل شيء دائم الوجود لاضد له ومع ذلك لا يقدر على خلق كل شيء بل ربما كان هذا الملك

قد أخذه اغتصابا فقال - وخلق كل شيء - فكل ما يملكه في السموات والأرض هو خلقه لا أنه أخذه عن

غيره ولم يخلق الأشياء اعتباطا بل جعل لكل شيء قدرا مقدورا وحدًا محمدا ونظاما ثابتا وهذا هو السبب

في بقاء ملكه ودوامه لأن دولم الملك على مقتضى النظام . فكما اختلف النظام كان زوال الملك أسرع وكما

كان النظام أتم كان الملك أديم ولذلك قال « ان العدل أسس للملك » ويدل على ذلك الفاترة المشهورة

لثمثة الكلمات التي أرسلها (أرسطاطاليس) الى الاسكندر للقنوصي تلميذه لما فتح بلاد فارس ورأى أن الناس

تقدم للاسكندر الهدايا المادية والشفق الغالية والسنائر الحنية من الجواهر والأحجار الكريمة فرأى أن هدته الى

تلميذه الملك يجب أن تكون أرقى من كل شيء وذلك هو العلم فكتب له دائرة فيها ثمان كلمات يرجع آخرها

الى أولها وأولها الى آخرها كما يرجع هذا الكون كله الى دائرة يتوقف أولها على آخرها وآخرها على أولها

وهذه صورتها



### ( اعتراض على المؤلف )

لما وصلت الى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال يا عجب كل العجب نحن في مقام ان الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وانه خلق كل شيء فقدره تقديرا . فالتنا وما لأرسطاطاليس ونظام دول الأرض ونظام الفل والحشرات والطيور . يا عجب كل العجب . إن الناس يقولون فيك انك مغرم بالبحث في الحيوان وفي الكواكب . فأنت في كل مقام وبأدنى مناسبة ولأقل سبب ترجع الى ما اعتدته ويظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع الى أذهان المفسرين والمؤلفين لا الى القرآن والا فلماذا تراك دائما تخوض في مواضيع لاعلاقة لها بتفسير القرآن

فأين التريا وأين الثرى \* وأين معاوية من عثلى

سارت مشرقة وسرت مغربا \* شتان بين مشرق ومغرب

غيره

فقلت له يرجع الله لاتجمل على قبل أن أرين لك ما أريده . هاتنا ذا ذكرت لك نظام البول وانها كما كانت أقوى نظاما كانت آدم . وأقرب شاهد على ذلك كلام (أرسطاطاليس) وهذا ملكنا الصغير فانظر الى ملك الله الكبير . أليس ترى انه دائم . أولست ترى أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانسان والحيوان بين يديك . أليس تقرأ في الكتب أن هذه الدنيا كانت من أزمان قديمة مسكونة بأمر وأن هذه الشمس وهذه النجوم كانت موجودة . قال بلى . قلت فهذا اللوام ناشئ من حسن النظام وقد جعلنا اللوام راجعا لحسن النظام فلولا حسن النظام في هذا الوجود لاختل ولا نهضت الأرض والسموات كما تخرب الدولة بسوء سياستها . فكيف يمكننا أن نعرف أن نظام الله لا يضارعه نظام إلا بهذه الموازنة إذ أننا نرى دولا تسقط سريعا بسوء نظامها وأما تبقى مئات السنين لحسن نظامها والتاريخ وعلوم السياسة كافلان بذلك . ثم اننا نجد نظاما ثابتا لا يتدهور ولا يتداعى ولا يسقط فاذا هو نظام الله فقلنا ان هذا النظام بديع فوق كل نظام . اننا ونحن على هذه الأرض ضعاف . ساكنين جهال فاذا ادعينا أن نظام الله عظيم يقال لنا وكيف نحكمون بذلك وأنهم عبيده قسار الأعمار قلنحكم بالتأجيل ونوازن ملكه بملكنا ونظامه بنظامنا فاذا وجدنا دوننا تنسارع الى الفناء وملكه قائم شخ لا يتقضى ولا ينهدم ولا ينسحق ووجدنا شمس وقمر وكواكب ساطعة راجحة غادية دائرة ساهرة جاذبة لاتنام ولا تفعل عرفنا أن ذلك الملك الدائم دال على نظام فوق كل نظام وبهذا وحده نفهم هذه الآية . فاذا قيل لنا انه له ملك السموات والأرض ولولاه ولاندا له وانه خالق كل شيء فهذا كله لا يعطينا أن الملك دائم فلما قال - فقدره تقديرا - عرفنا دوامه ولا يمتين لنا ذلك إلا بما قمتناه وبهذا نعرف قوله - تبارك الذى بيده الملك - فهذا معنى تكاثر خبره ومعنى دوام خبره

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد أحسنت صنعا وأجبت معنى وأريتنا مالم نكن لتوقعه وكألك بذلك تزيينا أن مثل هذه الآية داعية الى النظر في أمور الأمة . قلت ولم لا يكون ذلك ونحن أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله وقد جاء في القرآن - إن ربي على صراط مستقيم - فهذا من صراطه المستقيم وقد أمرنا ان نقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - والسكره اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فكلنا أمرنا أن نسير على صراط الله المستقيم . ولقد صرح بذلك في آية أخرى فقال - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله - فهذه الآية تدعو حثا الى أن نحذو حذو خالق العالم في حسن النظام والتقدير واعلم أن فهم مثل هذه الآية يحتاج الى علوم الأولين والآخرين فان قوله - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - تدعو الى البحث في كل شيء . تدعو الى البحث في الأنهار . في المزارع . في أضواء الشمس . في نفس الشمس وفي القمر وفي الكواكب . انظرو . انظرو وتعب . انظرو الى الدائرة التي سبق ذكرها في كلام (أرسطاطاليس) فانظرو كيف جعل الأمة قد ارتبط بعضها ببعض وأنت متى تأملت العالم كله وجدته على مثل هذا النظام والتقدير



تري ضوء الشمس يحرك البخار من البحر ويحرك الهواء في الجو فيصير الهواء ريحا هابة ويحمل البخار ويسير به بين جبلين ليصفاه وهو جار حتى يحمل البخار الى عشرات الأميال بعيدا عن البحر فيسقط مطرا على الأرض ويكون هناك الحب فينبت . والشمس التي أثارت البخار وحركت الرياح هي بيننا تلح على الحب وعلى الأرض فتنبت ونخرج حبا آخر والشمس لاتزال تلح بأشعتها فيخرج الحب قيا كله الناس . ولا حياة للناس ولا للنبات ولا للحيوان إلا بالماء والرياح التي تهب من وقت لآخر ثم يصير الماء الذي في أرض الزرع وفي أجسام الناس بخارا يصعد الى الجو فيرجع مطرا وهكذا تلك الرياح لاتزال دائرة . ولقد تقدم أن تنفس الحيوان لا بد منه في بقاء النبات وتنفس النبات لا بد منه في بقاء الحيوان فهناك تبادل سبق ايضاحه بحيث لا يعيش الحيوان ولا يعيش النبات إلا اذا كان كل منهما موجودا على الأرض . وهكذا أيضا غذاء الحيوان لا بد من أن يكون نباتا والا هلك وساد النبات يكون من الحيوان والانسان متوقف عليهما والجميع متوقفون على الرياح والماء وهما متوقفان على الشمس والشمس لا بد من سيرها وسيرها متوقف على شمس أخرى تدور حولها والشمس الأخرى تدور حول أخرى وهنا انقطع علم الناس . فاذا قال (أرسطاطاليس) هنا ثمان كرات قلنا هناك ثمان كرات لاصحى . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا .

بمثل هذا فليدرس هذا القرآن وليدرس الناس هذا النظام العجيب والافلاقي للحياة . فبمثل هذا فليعرف الناس تقدير الله لك وكيف قال تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - فالتقدير يعرف في الكليات وفي الجزئيات . فأما الجزئيات فقد تقدم في هذا التفسير ما فيه مقنع لليب . ولقد ذكرنا فيه نظام الانسان والحيوان والكواكب وكتبنا فيه من كل فرع ولم ننزل النحل ولا النمل ولا العنكبوت إلا كتبنا في عجائبها فبعضها قد كتبناه فيما مضى وبعضها سيكتب إن شاء الله ان دامت الحياة في حينه متى وصلت اليه ومن درس الدوائر التي في الانسان من دائرة العقل الى دائرة التنفس الى الدائرة السموية الى الدائرة الغذائية رأى تعاونها بديها جدا فان العقل به يدار نظام الجسم فاذا مست البارجلد أسرع الانسان الى عجائبتها وذلك بالحواس وهي هنا حاسة الس وإذا جاع الانسان احتال في طلب الغذاء وذلك بالعقل والحواس والجوارح . ثم ان دائرة التنفس تدخل الهواء في الرئتين فيصلح الدم ثم يخرج من القم حاملا الكربون أى المادة الفعمية ليدفعها الى الهواء وهذه المادة الفعمية تذهب الى النبات فتغلبه فهي ضرر في الانسان منفعة في الحيوان . ثم ان الدائرة الدموية التي أصلها التنفس عبارة عن دم يجري في الأذين الأيمن والبطين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيسر في القلب فالقلب عبارة عن (أربع تجلويف) اثنان أعليان واثنان أدنيان ويقابل في الرئتين الهواء الجوى فيصلح ويرجع للقلب ويتفرغ للشرايين الممتدة في أعلى الجسم وفي أسفل لكل منهما عرق غليظ مفرع الى فروع تمتد وتقوى في سائر أطراف الجسم . فانظر كيف احتاجت الأعضاء الى الدم لتأخذ منه ما يعوض ما فقدته من اللوثة التي صارت غما وكيف احتاج الدم الى الهواء لينتج من المواد الفعمية وكيف احتاج الهواء في دخوله الى أن يكون في الرئتين وكيف كانت الرئتان لا يدخلهما الهواء إلا بعد مروره بالقصبة الهوائية ولا يمر بها إلا بعد دخوله في الخنجره ولا يدخل فيها إلا بعد دخوله من الخيشوم ثم إن الدم لا يكون إلا من خالص الغذاء وخالص الغذاء يكون في الامعاء وخالص الغذاء في الامعاء يكون آتيا من المعدة والغذاء في المعدة جاء من المريء والمريء أخذه من القم والقم قد مضغه بالأضراس وقد تلقاه عن الشفتين وهما عن اليد واليد تناولته من المائدة والمائدة مدينة للخباز والطباخ وهما مدينتان للفلاح والفلاح يزرع الأرض . فالزرع متوقف على الفلاح المتوقف على الطعام فصار الطعام متوقفا على الطعام والفلاح متوقفا على الفلاح وهذه الدائرة هي عين التي قالها (أرسطاطاليس) انما هذه أطول وأطول . وقد قدمنا لك أن هذه الدائرة لانهاية لها بل هي متسلسلة تسلسلا يفوق ادراك البشر . فدوائر الناس في مدنها على مقتضى دوائر الله في نظام ملكه

بهذا فلتفهم كيف قال تعالى هنا - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - الخ ثم قال - الذي له ملك السموات والأرض - كأن الله يقول لنا أنا أنزل القرآن على محمد ليقرب بين الحق والباطل والحرام والحلال وإذا كنت أنا الذي أنزل القرآن على محمد فأنا الذي قترت كل شئ تقديرا ووزنته بيزان عدل - فأنا الذي وزنت السموات والأرض فلتزنوا نظامكم على نظامي - فأنا إذا أنزل الفرقان على عبدي فاني أقصد أن يجعلوا نظامكم على وفاق نظامي أي أن يتجهدوا أن يكون نظامكم أكمل نظام على قدر الامكان - ألتست أنا القاتل - والسماء رفعا ووضع الميزان في الأتلفوا في الميزان - وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - فأنا وزنت السموات والأرض لأجل أن تسيروا على نظامي في الوزن والعدل أي لأجل الاتلفوا في الميزان أي لآزیدوا فيه وليكن وزنكم بالحق ولتلتصوه على مقتضى نظامي - هكذا هنا يقول الله تعالى أنا أنزل القرآن على عبدي ليكون للعالمين نذرا - ثم وصف نفسه سبحانه بصفات الملك الهامم الذي هو على أحسن تقدير وبهذا تجلى للمنى في أحسن زى وأسمى جلال وأبدع صلة وأوفى بيان

(حكاية عجيبه بديعه سارة شارحة للصدور في اللطيفة الثانية وهي قوله تعالى - مقتدره تقديرا - )  
لقد سبق الكلام على التقدير في اللطيفة الأولى بما لا مزيد عليه - ولأذكر لك حكاية بديعه شارحة لصدرك وإن كانت دقيقة المعنى فأقول

بيننا أنا أكتب في هذا التفسير إذ قرأت في الجرائد المصرية يوم الثلاثاء (٣) فبراير سنة ١٩٢٥ الموافق (٩) رجب سنة ١٣٤٣ هجرية خبر رجل افرنجى ألتى محاضرة في بلادنا المصرية وهو ألمانى الجنس - وتلك المحاضرة مناسبة لهذه الآية فأردت أن أثبت المقصود منها لتكون من عجائب العلم وبدائع القرآن والمصادقات التى تدهش القارئین الأذكياء فأقول

إن هذا العالم اسمه البرون (ولميراسكول) ألمانى الجنس وهو روسى المنشأ وقد ساح العالم وألف كتابا عن بلاد شتى - وقد دعاه أهل القوقاز وهم مسلمون فعاش بينهم أمدا طويلا وأعجب بهم ثم توجه الى إسوج ووقع في يده كتاب في جملة (استوكولم ولوند) عن مصر مشتمل على حكم (توت) المعروف باسم آخر هو (هرمس تريس ماجسنس) والحكم التى وردت في ذلك الكتاب جاءت في اثنتين وعشرين صورة رمزية كانت مرسومة على جدران هيكل بمغنيين متهتم ولكن بقيت أوصافه فالتى محاضرات شيقه من هذا الكتاب في إسوج وفى ألمانيا وفى المانرك وجعلها في كتاب - ولهذا الصورا اتصال بعلم الأرواح والمهم ما ذكره في إحدى محاضراته بمصرنا بما يوافق هذه الآية - قال

(إن المصريين القدماء كان عندهم من الحساب (نوعان) نوع عام يعرفه الناس ونوع خاص لا يعرفه إلا رجال الدين - أما النوع العام فهو الجع والطرح والضرب والقسمة - وأما الذى يختص برجال الدين فمما الجع المقدس والطرح المقدس - وبيان ذلك أن واحدا ليس من الأعداد وإنما هو خاص بالله تعالى لأن العدد كلمة دالة على التعدد والواحد لا تعدد فيه فهو خاص بالله تعالى وجيع الأعداد مركبة من الواحد فإذا زال الواحد زال العدد وإذا زال العدد لم يزل الواحد وهكذا الكسر لا يكون إلا بالواحد فلا نصف ولا ربع ولا جزء من (١١) ولا جزء من مئات الآلاف إلا إذا كان الواحد فالواحد هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو كل شئ - ثم اننا إذا أضفنا الى الواحد ٣ ثم ٣ على طريقة المتوالية العديدية التى تكون بزيادة ٣ فنقول (١-٣-٧-١٠-١٣-١٦-١٩)

هذه المتوالية العديدية فيها سر تكوين هذه الدنيا عند قسما المصريين بل فيها سر المبدل والمعاد - فيها سر الأولين والآخرين - فيها سر الدنيا والآخرة - فيها الرفع والخفض والموت والحياة والعمارة والحراب فيها سر الله وسر الخلق - فيها سر كل شئ - وبيانه انك إذا أضفت ٣ الى واحد بطريق الجع المقدس فان

ذلك إشارة إلى آثار الله في الطبيعة . فترى النصول الأربعة وتروى السبح والظهر والعصر والمغرب يكون من مجموعها الليل والنهار . وترى أكثر الحايوان الظاهر على أربعة أرجل . وترى هناك جهات أربعة ورياحا أصلية أربعة وهكذا من كل ماهو أربع . فإذا أضفنا (٣) أخرى صار العدد (٧) وهو الكمال في كل شيء في الفرد وفي المجموع . فأما عشرة فهو رمز إلى مستقبلات الحياة من رفع وخفض في الأفراد والأمم ورمز (١٣) إشارة إلى الموت موت الأفراد وموت الأمم ورمز (١٦) إشارة إلى السمار العام والهلاك التام ورمز (١٩) إشارة إلى الحياة التامة ورجوع جميع الأحياء إلى حياة كاملة . هذه هي الرموز التي كانوا يقولون انها تدل على هذه المعاني وكأنها صور رمزية دنيئة تقرب للمعاني البعيدة . وأما أزيدك على ما قاله ان هذه المتواليات العديدة اذا أضفنا أولا إلى آخرها صار المجموع عشرين نصفها عشرة أى ان الحد الأول والحد الأخير منها يساويان الحد الأوسط مضروبا في اثنين إن كان واحدا أو الحدين الأوسطين مجموعين معا اذا كانا اثنين كما اذا ابتدأنا بواحد وختمنا باثنين وعشرين فانك تنصف الواحد فيكونان (٢٣) وهما يساويان الحدين ١٠ و١٣ متساويين إلى بعضهما لأن الحدود في هذا عددها ثمانية فيكون الوسط حدين فأما فما قبله فان عددها سبعة ووسطها عدد (١٠) فيضرب في اثنين . ولعلك تقول وما للآية ولهذا المحاضرة ؟ أقول إن الآية أمادتنا أن الله واحد لا شريك له وأنه لا أول له . وكل هذه المعاني يرمز لها بعدد واحد لأن الواحد منه كل شيء وأما قوله - نزل الفرقان على عبده - فقد رمزوا له بآثاره في الطبيعة . ومعلوم أن الله أنزله أنزالي الخلق والتقدير وأثرا في الهداية فهذا له الرمز عندهم بعدد أربعة . وأما كونه تعالى له ملك السموات والأرض وخلق كل شيء فقدره تقديرا . فلذلك رمزوا له بالعدد سبعة كما تقدم وبالعدد (١٠) لأن الخفض والرفع من أنواع التقدير وبعد (١٣) وبعد (١٦) لأن الهلاك والسمار من نوع التقدير وأما عدد (١٩) فهو الرمز له بإعادة الخلق بعد العدم ﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - إلى قوله - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وفيه ثلاث ياقوتات الباقوت الأولى ﴾ في قوله - ليكون للعالمين نذيرا - مع قوله - ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك - ﴾ الباقوت الثانية ﴾ في نظام الآية من حيث ترتيب جملها إذ قسم تنزيل الفرقان في الذكر على خلقه للسموات والأرض مع أن الترتيب العملي يخالف ترتيب نظام الآية ﴾ الباقوت الثالثة ﴾ في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - ﴿

﴿ الباقوت الأولى في قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيرا - مع قوله - ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك - ﴾

اعلم أن الحكماء من الأمم العظيمة أجمعوا أن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وبرهنوا على ذلك بأن الزمان إنما جاء من دوران الشمس والكواكب والمكان إنما حصل بترتيب هذه العوالم . إذن الزمان يحكم علينا أما خالق العالم فالزمان حادث بفعله ولا حكم له إلا علينا . إذن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وقد تقدم هذا في بعض هذا التفسير والزمان بالنسبة للأفراد يستألف السنين وبالنسبة للأمم يعد بالقرون . إن الله يعد للطفل قبل ولادته كل ما يحتاجه حسب زمانه فلا يكاد يكمل خلقه في الرحم حتى ترى دم الأم يأخذ في التوجه لتدبيرها وهناك يأخذ ذلك الجهاز اللدني في تحويل الدم إلى لبن شيئا فشيئا وترى هناك أهل الطفل قبيل ولادته قد أعدوا له القابلات والثياب التي تكون وقاية له والحجرة التي يعيش فيها . فهنا يكمل الاستعداد لاستقبال ذلك الضيف الحبيب فاللبن يبدل والدم يصير لبنا والحكومة تعد الدفاتر لقيده . كل ذلك لطفل قادم من الرحم بهذه الأرض المباركة الطيبة . هذه أفعال الله في طفل قادم إلينا . إذن الحكمة التي دبرها هذا العالم لا تفرق إلا أحاطت برجة لاسم لها . فلننظر للأم فنقول

علم الله قبل أن يخلق هذا العالم أن هذا الإنسان الذي يخلقه على وجه الأرض لا يقدر عقله أن يفهم أن

إله العالم بعيد عن المادّة متعال عنها فأُنزل أنبياء وعلم حكماء قديما وقال لهم قولوا اني لاراني العيون ولا تحيط بي  
الظنون فقال ذلك (بوذا) و (خريستا) بالهند وقاهلا (يو) و (كونفسوس) بالصين وقاهلا موسى  
وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فما كان من الأم إلا أن اخترعت (أمرين • الأول) أنه خيل لهم أن  
الإله كالأب والمادّة كالأم وأن أحد القديسين كالابن فقالوا إن الله له ولد وولده بين ظهرائنا وقد أرسله  
وصلب لأجلنا ورفض ذلك ليسهلوا للناس أن لهم إلهًا والافكيف يكون إله لاراه ولازرى له ابنا • أليس الله  
مثلنا يلد • أليس يجب أن يرسل ابنه لنا كما يرسل الملوك أولياء العهد في البلاد التي يحكمها (الأمر الثاني)  
أنهم لم يقدروا أن يتصوروا موجودا لا يرى فعبسوا الكواكب ثم الأصنام التي ملأت السهل والوعرف العالم  
الآن • وقد تقدم هذان الأمران في (سورة البقرة) عند قوله تعالى • فلا تعجلوا لله أن دادا • وفي (سورة  
المائدة) في آخرها وفي (سورة ابراهيم) عند ذكر الأصنام وفي (سورة مريم) عند ذكر المسيح وفي (سورة  
الأنبياء) عند قوله تعالى • وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه • الخ

علم الله أن الانسان هذه ستكون حاله وعلم أن دين المسيح التي أمه توحيد سيقبله أهل الأرض  
ويجعلونه كأديان الآشوريين والبابليين وقسماء المصريين وأهل مكسيكا القدماء وهكذا إذ جعلوا أبًا وابنا  
وروح قدس • العالم الانساني كله كجكين في بطن أمه وهذا الجكين عاش في هذه الأرض إما (٥٠) ألف سنة  
وإما أكثر إلى (٣٠٠) ألف سنة • هذه الآلاف يمكن أن نحسبها شهورا بالنسبة للأدم فتقول إذن الأم لا تزال  
طفلة وهذا الطفل يريد أن يتعلم فسمع حروفا من كلمات العلم قديما وبقي جاهلا لأنه لم يستطع عقله ودخل  
معابد الأصنام النابتة عن الإله وفرحوا بما عندهم من العلم • فإذا فعل الله للناس ؟ أرسل لهم رسولا من  
أمة جاهلة وهو لم يتعلم منهم فقال لهم لأصنام ولأبناء وكسر الأصنام وذم عقيدة الأبناء ورفع سيفه أوتنه وأعلن  
السلام في الأرض ثم فرق هذه الأرض الى ربه • مضى على إرسال هذا الرسول ﷺ ١٣ قرنا فلما أن تحسب  
هذه القرون أحواما باعتبار آخر غير الاعتبار السابق وتقول إن هذا الانسان لا يزال مرهقا وأن أهل هذه  
الكرة لم يتم التواصل بينهم ولا عرفوا تمام المعرفة حقائق الأشياء وهام أولاد الآن أخذوا يدرسون • فإذا  
تم في ذلك • نقول أذكر لك (حادتين اثنتين) لا ثالث لهما (الحادثة الأولى) معابد بلاد الصين  
والاسلام المنتشر فيها (الحادثة الثانية) كيف انتشر الاسلام في جهات أفريقيا المظلمة على نهر النيجر فتقول  
هذا الطفل الذي أرسل الله له معلما بعد الأزمان السابقة قد صنع الله معه ما صنعه مع الطفل للمولود حديثا •  
فكما أن الطفل الحديث الولادة نرى الاستعداد له على ساق وقدم • هكذا هذا الانسان الذي أخرجه الله في  
هذه الأرض قد هيا له اليوم نبيا ليخرجه من جهالته لأنه علم أنه أخذ يستعد للارتقاء فقد مضى ١٣ عاما  
فقط بعد نزول القرآن باعتبار أن القرآن علم • وهذه الأعوام بالنسبة لعمر هذا الطفل قليلة جدا لأنه سيعيش كثيرا  
الآن أخذت الحقائق تظهر في أهل الأرض فانظر الى أمّة الصين • إن الصين آلهة معبودة يقدسها الشيوخ  
ويحقرها ويستعزى بها الشبان • فترى هناك فوق جبل (تايشان) في تلك البلاد القاصية معابد يحج إليها  
المتدينون بها بمشقة عظيمة لأن ارتفاع الجبل (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وترى السلم الموصل الى المعبد  
له (٧٠٠٠) درجة وترى الحاج لا يبلغ هذه القمة إلا بمشقة عظيمة وانظرك ترى هناك حالين يحملون الحجاج الى  
الأصنام فوق الجبل وفي الطريق زوايا صغيرة للآله الصغيرة وزوايا كبيرة للآله الكبيرة ويجب الحاج بيوتا  
للشاي ليستريح في الطريق من مشاق الصعود • فهذه الآلهة (التي إذا حج إليها المؤمن بها رجع بعد طول  
الشقة ووعثاء السفر والجهد والنصب قرر العين لا يخشى الموت) قد باتت معابدها اليوم معرضة للاحتراق والاستهزاء  
والسخرية من الشبان الذين قرؤوا الحكمة والعلم وتوتّر صغارهم إذ يرون أنها أبحار لا تضر ولا تنفع كما نطق  
به القرآن وتراهم يذهبون إليها لتعجيبها تعجيرا لشأنها وذلك العقل مطابق للقرآن

الحادثة الثانية . كيف ينتشر الاسلام في أفريقيا المظلمة

جاء في الأخبار المنشورة في الصحف في أيلنا هذه أن (تشارلس ريد) السائح الانجليزى يقول انه وجد زونجا (نيجيريا) يعرفون اسم (أرسطاطاليس) ويجادلون في فلسفته . وذلك بسبب ماقروه من الكتب الاسلامية التي دفعهم الاسلام الى قراءتها وأن الاسلام بدخوله بين القبائل يزول نظامها المصحف القديم والسف والظلم بسبب نظام اسلامى جيل فيه الولاة والمحاكم وكل امرئ من هؤلاء الحكام يشعر بأنه مسؤول أمام ربه . وهؤلاء الزوج في حال محبتهم ووفائهم يقيمون على عادات جاهلية فيأكلون لحم الميتة ولا يلبون بالأقنار ولا يعرفون المحرم في الزواج وقد يأكل الابن أمه اذا ماتت فاذا دخلوا في الاسلام رأيت الأمر غير ذلك فيعرفون معنى النظافة ويتفقهون في الدين ويقرؤن الكتب التي ألقها المسلمون

فهاهنا الحادستان من الحوادث الكثرة اخترتها لتنف أيها الذكى على مقدار جهل هذا الانسان اليوم . فهاهنا الصينى العريق في المدينة والصناعة والعلم لما ظهرت بوارق اشراق شمس العلم أخذ يدنس الأصنام محقرا بها معابده . وهاهنا الافريقى المتوحش لما بلغه دين الاسلام بطريق مقبول تدين به واتقرب به وهذا في آخر الدنيا شمالا وهذا في آخرها جنوبا . ثم ان هؤلاء المسلمين عند (نهر النيجر) لا يخلو اسلامهم من خرافات تبعا لعوامهم . ولقد يسمع الانسان كثيرا بمحاج يسمون (التكارنه) فهم هؤلاء أنفسهم يشنون على أقدامهم اليكة يسألون الناس تكففا ويموت أكثر من نصفهم في الطريق . ثم ان سلطان الزوج في (برمود) في (نيجيريا) الفرنسية مسلم لا قوته صلا ولا يهمل فرضا ولكنه مقيم على عواثه الافريقية فهو يأكل تحت شجرة من أشجار (النجة) ورعاياه لا ينظرون اليه ولا يخطأونه إلا اذا لاهم ظهره والجوقة الموسيقية كذلك لا تعرف إلا اذا ولت ظهرها اليه

هذا هو الاسلام يهدى الافريقى . وهاهنا في بلاد الصين الكثرة الأصنام . تلك الأم التي عند أهلها آثار من العلم وقد اتضح العلم لهم الآن فحرقوا الأصنام . فبالت شمرى ماذا يصنعون الآن . أقول ان لهم ملجأ يلجئون اليه كأن للطفل عند ولادته ملجأ يلجأ اليه . فليجأ الطفل القابلة ولبن أمه والعطف العام عليه وملجأ هذه الأم الوثنية وحشية كانت أو متدبنة إن ربه ليس يغافل عنها كما لم يغفل عن الطفل . وهؤلاء الأطفال وهم أبناء آدم في الشمال والجنوب قد أعد لهم الله اللغات قبل ظهورهم أو الألسنة قبل زمن تمييزهم غاية الأمر اننا ننقل حمل الله في الطفل لأنه أمر سهل ولنا نقل عطفه على الأم فنظف أن عطف الله على الطفل قد بلغ النهاية وعطفه على الشعوب قليل ولكننا عند النظر بالحكمة نرى عطفه على الأم أبلغ من عطفه على الطفل لأن الأمم مجموع أفراد . أفلا نرى انه أنزل القرآن وقال للمسلمين اقروه وانثروه فقرؤه ونثروه . ولما انتشر في بلاد الصين لطف هذا الدين الاسلامى بمحاجات تلك الأمم لأنهم قوم علماء وحكام حكماء قديمه غامضين وللمسلمون هناك (٧٠) مليوناً ودين الاسلام الشائع بينهم لم يخرج عن الأحكام التنرىعية التي اجتهد فيها أبو حنيفة ولذلك تجد الوثنيين الذين يحرقون هذه الأصنام يقولون للمسلمين إن دينكم لم يخرج عن كونه دين طلاق وفسخ وإجارة وعقد وما أشبه ذلك . أما الحكمة والعلم ونظام الله في الأرض ومجائب الشمس والقمر وما أشبه ذلك مما نعرف نحن فإت دينكم خال منه فلا فكر لكم معاشر المسلمين إلا في الصلاة والوضوء والغسل والخيف والنفاس والولادة وأحكام ذلك كله وأتم أيها المسلمون عن العلم محجوبون

هذا هو الذى أخبرني به العالم الصينى المسعى (وان وين كين) حينما زار مصر وقد ذكرت خبره في مواضع من هذا التفسير وقال ان أربعة قوا من قواد الجنود الصينيين المسلمين أرسلوني لأبحث في أقطار الاسلام لعل هذا الدين حقيقة عدو للعلم كما يقول علماء الصين وهم حنفية المذهب أم الأمر على خلاف ذلك ولقد قال لى د لقد وجدت في مصر حركة عظيمة وقد اطلع والهدنة على تفسير (سورة الفاتحة) وعلى تفسير (سورة البقرة)

وقد قال لي انه سيجزم الماتحة وكتب القرآن والعلوم المصرية . وسافر وأنا لأدري الآن ما فعل  
 إن هذا الدين الاسلامي لما انتشر في الأرض وأخذته أم بعد العصر الأول لم تفهم ما يراد منه فأخذوا  
 يتلوه بلا عقل وحسروا العقل الانساني في أحكام الفقه وفروعها . إذن هذه الأم التي حلت هذا الدين بعد  
 العصر الأول ليسوا كقوله لهذا الدين . ولما أدرك الحقيقة الامام الغزالي في القرن الخامس الهجري ألف كتاب  
 ﴿ الاحياء ﴾ وقال اني أريد أن أسي به عصر الصحابة أولئك الذين كانوا يفهمون من الاسلام ما لا يفهمه  
 من بعدهم . ذلك أنهم كانوا يعلمون أن معرفة الله بالنظر في الجباب والمخلوقات هي أصول هذا الدين وهكذا  
 علم الأخلاق وتهذيب النفس تهذيباً عملياً وذم أهل زمانه ذمًا شنيعاً ونقل ما قاله ابن مسعود يوم موت عمر  
 ﴿ قد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فقالوا له نحن أصحاب رسول الله نحمل العلم فقال لست أريد هذا ولكن أريد  
 العلم بالله تعالى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في معضلات هذا التفسير فقال لقد  
 أطلت المقال فما ملخصه . فقلت

- (١) ان الأم كلها أطفال
- (٢) وأن رحمة الله تشمل الأم كما تشمل الأفراد
- (٣) وأن الله مهد هؤلاء الأم بدين الاسلام كما مهد للمسيحية
- (٤) ومن ذلك انه نشر الاسلام في الصين عابدة الأصنام وفي نيجيريا الوثنية
- (٥) وأن المسلمين في الصين كبقية المسلمين ليسوا يعرفون من الدين إلا ألفاظ القرآن فهم له قراء والا  
 الأحكام الخفية والشافية الخ

(٦) وأن هذه الأم استعدادهم لحل هذا الدين ضعيف فلم يكونوا كالصحابة في العصور الأولى ولا التابعين  
 (٧) وأن الامام الغزالي رحمه الله أدرك هذه الحقيقة فنادى في الناس بكتابه الاحياء يقول « أيها الناس  
 دين الاسلام أن تعرفوا جميع العلوم في هذا الوجود وأنتم ما علمتم اليوم إلا القليل جهالة وبلاهة » وقد مضى  
 بعد قوله ما يقرب من ألف سنة والمسلمون نائمون ولذلك لم يقدروا أن يهدوا أكثر الأمم الضالة التي تعبد الأصنام  
 فقال وما دواء هذا السوء . فقلت دواءه في ﴿ الباقوة الثانية ﴾ وهي انه ذكر تنزيل الفرقان قبل قوله  
 - له ملك السموات والأرض - . فقال وأي شيء في هذا التقديم والتأخير وهل لهذا أهمية في هذا الموضوع  
 فقلت إن السوء في هذا التقديم والتأخير . فقال اذكر حادثة توافي هذه حتى نستأنس بها . فقلت قد تقدم  
 في هذا التفسير أن أبابكر رضي الله عنه وقف خطيباً في سقفة بني ساعدة وقال للأَنْصار أسلنا قبلكم وقدما  
 في القرآن عليكم فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . فهذا التقديم في الآية حكمت  
 فريش العرب وأمم الاسلام قروا وقرونا فكان منهم الصابيون والأمويون والعاوية وهكذا . كل هذا لتقديم  
 كلمة على كلمة . وهكذا ترى الامام الشافعي يقول ﴿ يجب في الوضوء تقديم الوجه على اليدين ﴾ ولماذا هذا لأن  
 الله قدمه في الذكر في آية الوضوء واستدل بالحديث ﴿ ابدؤا بما بدأ الله به ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك قال أما الآن فقد آن أن أسمع ما تقوله في هذه الآية من حيث التقديم والتأخير  
 لأن الآية قائمة . فقلت ان الله خلق السموات والأرض قبل أن ينزل القرآن . قال نعم . قلت ولذلك يقول  
 - الذي له ملك السموات والأرض - وهذه جملة اسمية تقتضي النبوت والدوام أما نزول القرآن فقد ذكره  
 بحجة فعلية تقتضي الحدوث . قال هذا حق . قلت فلماذا نظم القرآن متى على سنن آية الوضوء وعلى سنن  
 آية المهاجرين والأنصار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لو أن نظم الآية هنا اعتبر فيه مجازة ما هو موجود لكان هكذا  
 تبارك الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً

وزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الله لم يفعل ذلك هنا مع انه مقتضى الترتيب الوجودى وانما عدل الله عن ذلك بسر ظهر في عصرنا وحكمة بهرت في آياتنا . ذلك هو ما عليه المسلمون الآن . المسلمون الآن يقرؤون القرآن ولا يعرفون إلا التنزيل فهم يتكلمون بحفظه عن ظهر قلب ثم يقرؤون الأحكام الشرعية فلذلك صاروا أجهل الأمم مع أن القرآن من كلام الله وملك السموات والأرض فعله وقول القائل يضمره ويبينه فعله ونحن نسمع حديث النبي ﷺ ونسمع فعله وقوله . أفلا تعلم مع الله ما فعله مع نبينا ومع الناس . نحن ننظر لأفعال الناس أكثر مما ننظر لأقوالهم . أفلا نجد في تنبؤ أفعال الله كما قرأنا أقواله . وبناء عليه يجب في اصلاح المسلمين أن يخرج قول الله بفعله في التعليم . ان قول الله أشبه بما يحى الجسد الانسانى من الدم وهذا الدم الجارى في جسم المرأة لتغذية الجنين يفيد الجنين ولكنه لا يفيد الطفل كما قدما آتفا فاقصفت الحكمة أن يكون هناك جهاز يصنع فيه الدم فيكون لبنا ليشر به الطفل الذى كان جنينا . هكذا الأمة الاسلامية التى كان أهلها أجنسة يحيون بالقرآن حياة الجنين في رحم أمه فلذلك لم يصلحوا لقيادة الأمم العظيمة ولا تفهم الناس الحكمة حتى ان المسلمين في الصين لم يغيثوا عباد الأصنام بمعرفة حقائق الدين الحكيمه لجهلهم بها فهم يتخططون في عبادة الاصنام بالسين من دين حق في الارض

المسلمون أصبحوا اليوم غيبرهم بالأمس . فاذا كانوا بالأمس أجنسة فهم اليوم في حال الرضاع غلق لهم أن يعلوا الدين مصحوبا بالعلم وذلك هو المبر عنه بدين الفطرة وهو الوارد في الحديث إذ خير ﷺ بين الحجر واللين ليلة الإسراء فاختار اللين لأنه الفطرة وانما عبر بأنه الفطرة لأن الفطرة تقتضى التسريع في الترتيب . فقال صاحب هذا القول غاض أى تسريع تريد وكيف هذا التسريع . فقلت إن الأمة إما أن تحفظ القرآن وتعرف الأحكام وهى تجهل العلوم كلها فهذه أشبه بالجنين واما أن تعرف ذلك كله متمتزا بالعلوم . فهذه أشبه بالطفل يرضع ندى أمه وهذه ليست حالا غريبة على الطفل فقد كان بالأمس يتغذى بدم أمه فلما ولدته أخذ يتغذى بنفس اللبن الذى كان يتغذى منه بالأمس ولكنه بحال جديدة فهو لم يغير غذاءه إلا عراضا ولوانه أعطى بعد الولادة خبزا لمرض ومات . هذه حال الطفل فاذا كبر أخذ يأكل الخبز وغيره . هكذا حال الأمة

(١) حفظ عن ظهر قلب

(٢) ثم دين مع العلم

(٣) ثم دين مستقل عن العلم وهذه هى الحال الثالثة

فدين الفطرة أن يمزج العلم بالدين وهى الحال الثانية . فأما الفجرة فهى غير موافقة لمزاج الجسم فهى ضارة به . فهذه الأحوال الثلاثة أشبه بأحوال الانسان الثلاثة في التغذية . فقال صاحبى إذن أنت تقول ان قوله - له ملك السموات والأرض - بعد قوله - زل الفرقان - أشبه باللين وذلك يمزج العلم بالدين بالطريق التى اتبعها أنت في التفسير ( وبعبارة أخرى ) انك الآن تقول تنزيل الفرقان أشبه بحال المسلمين العادية ومزج العلم بالدين هى الحال التى يتناولها اليها الآن . فقلت نعم . فقال ولكن فأنك أن مصطفى كمال باشا هل تركيا من حال الى أخرى وقال ( العلم شئ والدين شئ ) أعنى انه فصل العلم عن الدين كما فعلت فرنسا ويظهر انه نجح في ذلك بدليل أن الأمم كلها تنابه الآن . فقلت هذه طريقة نافعة ولكنها خطيرة والطريقة التى أقولها الآن لا خطر فيها وما هذه الطريقة إلا كطريقة أطباء عصرنا الذين يستعملون المسهلات والمركبات فى الأدوية ولا يسبرون على النظام الطبي وأحسن الطب ما كان جاريا على التاموس الطبيعى فاذا أكل الانسان الفواكه والخضر وترك ما يضر استعماله وبرز في الهواء والشمس فان ذلك أفضل من استعمال الادوية التى تنفع مؤقتا ثم ترك أذى في النفس تنجمه آثار ثم ينتهى بالموت . وما مثل المسهلات والأدوية المركبة في المرضى إلا كمثل الانكسار في الدين على المجزئات وخوارق العادات كما تقدم في (سورة طه) فكأن الشفاء في المسهلات والمركبات وقى

يعقبه مرض آخر هكذا الاتسكال على خوارق العادات يعقبه رد فعل ويقول الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - إذن فغالهم يطلبون خوارق العادات . قال صاحبي إذن هنا ﴿ ثلاث مسائل ﴾ مسألة فصل الدين عن السياسة كما فعلت فرنسا وتركيا . ومسألة الأدوية المركبة والمسجلات . ومسألة خوارق العادات . ولقد جعلت هذه المسائل الثلاث من وأد واحد . وهنا مسائل ثلاث مقابلات لها وهي إعطاء الأمة الدين مع السياسة فهو إذن كاللبن وهو موافق للقطرة كما في الحديث وإعطاء المريض الأغذية اللطيفة بدل المسجلات وتعليم الأمة العلوم العقلية مع الدين بدل الاتسكال على خوارق العادات كالمسألة الأولى . فقلت نعم هو كذلك وأريد أن أوضح مسألة هنا وهي مسألة الطب فقد قال

(١) الدكتور (غرايشتان) الذي هو من أقطاب الطب في ألمانيا ﴿ إن الضعف في درجاته إنما هو نتيجة العلاج بالعقاقير سواء كانت رديئة أم طيبة فهي إذا استعملها الطبيب بمحذق ومهارة تقلبت على للمرض حقا ولكن قترك هناك بقايا تظهر عاجلا أو آجلا في الجسم فلا تقلل الشفاء ﴾ فهذا هو الضعف العلاجي ونسب ذلك الضعف الى المركبات مثل (حصى البروسيك) والرماس والزرنيخ والكبريت الخ  
(٢) ويقول الدكتور (كيسر) ونقله عنه الأستاذ (باز) ﴿ إن الحكمة القديمة القائلة بأن السواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شر من المرض هي صحيحة في أكثر الأحوال ﴾  
(٣) وقال نخوذك (الدكتور سميت) الذي قال ﴿ إن كل دواء يدخل الجسم يعطى الضرورة الدموية بما كما يطبها السم تماما ﴾

(٤) وهناك نحو مائتين علما من الأطباء الرسميين قل عنهم الأستاذ (وز) وقد قالوا مثل هذه الأقوال فقرر هؤلاء جميعا أن الصحة في الآصار على استخدام قوى الطبيعة كطهارة الطلاق والفضله الجيد الصحي وترك اللحم والمهيجات وأن يعمل الانسان عملا جسديا معتدلا وأن يستعمل الماء الفار والبارد وهكذا مثل ماتقدم في (سورة طه) في أواخرها

فقال صاحبي ما الذي أصاب الناس من استعمال الأدوية . فقلت يقول (كيسر) المتختم ذكره ﴿ إن الأطباء يرضون المرضى ويتبعون شهواتهم ويحققون نظرياتهم ووسوستهم فيعطونهم الأدوية ولا يقفون عند حد أبعاد المؤثرات القاتلة للمريض فلذلك تحلت أمراض مزمنة بهذا الفعل وسببها هم نفس الأطباء ﴾ فقال وما الذي يناسب ذلك من أمر سياسة الأمة إذا عزلت الدين عن السياسة . فقلت ان عزل الدين عن السياسة دواء خطر كالأدوية المركبة يستعمله المستعجل لرق أمة ولكنه يكون عرضة للاعتراض عليه وقيام طائفة وراء طائفة كلهم يريدون أن يشوروا في وجهه فن الملوك من يفوز ومنهم من لا يفوز وإذا تم الفوز فالأمر لا يزال خطرا يعقبه رد فعل بعد حين وخير السياسة ما كانت بطريق الطبيعة . فالأمة الاسلامية اليوم تقرأ الدين ولا علم عند كثير منها فليزج العلم بالدين كما فعلت في هذا التصريف يكون لنا خالصا سائفا للشاريين وبه ينتهج العلماء في أمة الاسلام ويحيون رقى أعمهم ويعاونون الملوك والأمراء ولا يشيرون الشعوب عليهم . فهذه هي الطريقة المثلى لاسيا أن علماء الاجتماع يقولون ﴿ إن الإصلاح الديني أعظم أثرا في رقى الأمة من الإصلاح السياسي ﴾ فإصلاح مصطنع كل باشا فائض ولكن هذا الإصلاح الذي اتبعناه عاقبته حيدة وهو سرع الأثر بعيد المدى يرح الملوك والأمراء ويحصل الأمة روجا واحدة . هذا هو الذي هداني الله اليه وأريد به اراحة ملوك الاسلام والمصلحين منهم بعدنا فذلك خير من الثورات والفسائس - وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب - ومن الجانب أن الأخبار وردت اليوم ١٦ يناير سنة ١٩٢٩ أن ملك الأفغان المنتقم ذكره لاسراعه في الإصلاح تنازل عن العرش . وقد قُتلت في (سورة الحجر) منذ سنة انه زار مصر إذ ذاك وإني أشعر بكرامة الشعب له لاسيا العلماء وقد حصل هذا فعلا الآن

فقال صاحبي وأنى دخل لمسألة خوارق العادات هنا . قلت إن خوارق العادات تقدم شرحها في (سورة



طه) وإن فعلها وقتي إذ عبد بنو إسرائيل الجبل بعد أن رأوا العصا والحية والله يقول - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - والتخويف إنما يكون للأطفال والقرآن يراد بنزوله أن يكون لأهم تعقل وتفهم لا أنها تخوف كالصبيان

(حكاية)

كان لي صاحب وهو مجاور لي في المنزل وهو شيخ طريقة مشهور في مصر وكنت أجلس معه في بعض الأيام وقد علمت أنه إذا توجه إلى بلاد الصعيد تلقوه أفضل مما يتقبلون الملوك ويحفلون يومه عبدا ولاعتقادهم فيه كان اللصوص بخائون منه فلا يسرقون - وقد حدثه أحد أخواني في ذلك فقال لي إذا وصلت إلى البلد فانه يأتي إلى واحد فيقول لي ياسيدي أنا أخطأت ويسرد له كل ما حصل من السرقة ويدكر جميع الذين كانوا معه فإذا حضر واحد منهم قال له أرجع لا تدخل علي فيحتقدون أنه يعلم الغيب فهذه الحال اشتهرت بخاف الناس من الشيخ لأنهم آمنوا بالله - وهذه حال لا تنبذ الأمة إلا مؤقتا وإنما هي أشبه بالهفوات أو المسيلات أو الأدوية المركبات وإنما السبيل إلى السليمة حق أن يعمل العلماء بمعنى هذه الآية فانه قال - نزل القرآن على عبده - وأنبه بذكر أنه له ملك السموات والأرض - فمزج العلم بالدين وترقى الأمة - أما الأدوية الوقية للأمة كذكر معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء حقا كانت أو باطلا كما في صاحبنا الذي ذكرناه سابقا وكلتا تأثير بالحطابة وحسن البلاغة بدون اقناع عقلي فانه لا يدوم أثره في الأمم ما لم تصح الفضيلة لها عادة ولكن يبقىون في العلوم والمعارف على الأمم فلا بد حتما مما قلناه - وإلى هذه الحال يشير قوله تعالى - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه - فسير بهم للإشارة إلى تأخر زمن البيان عن زمان التنزيل وبيان القرآن - حق البيان قد ابتدأ في هذا الزمان الذي عبر عنه بهم في الآية - وكذلك قدم الله تنزيل القرآن هنا على قوله - له ملك السموات والأرض - وعبر بالقرآن ولم يصبر بالقرآن لأن الفرقان للفرق بين الحق والباطل ولن يكون كذلك إلا لادراك الحقائق التي تعرف بملك السموات والأرض فالأهم الإسلامية السابعة أكثرها قرآنية والأم الإسلامية الملاحية أكثرها فرقانية - فاقرا هذا التفسير بعده تعرف هذه الحقائق والحمد لله رب العالمين كتب ليلة الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(الباقية الثالثة في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا -)

من الملمح على هذا التفسير أو أكثره استقر في ذهنه أن الله عز وجل مشرق نوره مطلع بعلمه على كل مادي وجلي وما مثل الحكمة والعظام والتقدير في هذا العالم إلا كمثل ضوء الشمس وإشراقه - اننا نرى كل بيت في هذه الأرض ان لم يشرق عليه النور ويشعل جميع حجراته تكون سكونا ضارة بالصحة ، فعلى مقدار إشراق نور الشمس في أركان البيت تكون صحة ساكنه . وعلى مقدار ابتعاد نورها عن الحجرات في المنزل أوعه جميعه يكون المرض والموت . وعلى قدر المرض تكون قوة العلوم والعبادات والأعمال والرفق والفلاح هذا حكم نور الشمس ، فلننظر إذن لنور الله وحكمته . الله عز وجل كما جعل نور الشمس علما وجعله محيطا بالكرة يدخل في كل منزل وقب وحبيرة . هكذا نراه في الأحكام والآفاق بل الاقناع أعم وأبعد وإذا أردنا أن نذكر هنا مثلا نواردت آلاف وآلاف من الأمثال . فأى الأمثال نضرب والعالم كله مضرب أمثال من ذراته الصغرى إلى شموه العظيمة ومن الدقائق والجواهر الفردة إلى الجرات وأنواع السدم في أقطار السماء فلاكتف (بمثليين صغيرين) مثل النحلة ومثل العنكبوت وإنما ضربت هذين للمثليين لتعجب من جبال واتقان وإبداع وحسن وجمال ونظام وما شاء الله كان في حيوانين صغيرين منبذين صغيرين قد اختلفا وصفا وتباعدا طبعاً وفيهما من دقة الصنع ما يثير العقول

(حكاية)

لنا منزعة ببلدة (البركة) في الأرض التي تقرب من الجبل الترقى المصري فافتضت الحال أن أخرج من القاهرة أنا هاتنا لأجل هذه المنزعة والنظر في أمرها . ولقد عزم يوما أن أتوجه إليها ماشيا على القدم من

بلدة المرج لأتبع بمنظر أرض واسعة خالية في طريقى الى المزرعة . فهناك آلاف من الفدادين لاتزرع وإنما  
هى مسرح البهائم ترعاها فلما توسطت تلك للزراع وجدت أرضا ذات حشائش قد عجمها كلها نسيج العنكبوت  
هناك أدهشنى هذا المنع وقلت فى نفسى اذا ترك الناس هذه الأرض فلاباء ولازرع أرسل الله لما سكنا  
نصبوا خيامهم فيها وأخذوا يصطادون أنواع الذباب وهم فى أمن ودعة وسعود . فهنا أذكر صفة العنكبوت  
وصفة النحل أجالا . أما العنكبوت فانها هى والعقارب لها ثمانية أرجل . وأما النحلة وما مثلها وهو جمع  
الحشرات كالذباب والناموس فلكل منها ٦ أرجل . إذن العنكبوت ليس من الحشرات ثم أكثر الحشرات  
غير سامة وأقلها كالنحلة والزنبور سام . ولكن العناكب والعقارب وأبو شيت كلها ذوات سم وإبرة الحشرة  
السامة تكون من خلف . أما إبرة العناكب فمن الأمام . والعنكبوت ينسج بيته متى مرت به ذبابة فكل  
معا (أمريـنـه أولهما) انه ينسج خيطه عليها ثلاث ثقل منه (ثانيهما) انه يفرغ فيها سمه بطريق الحقن  
فيخطفها أو يميته . والشيت سم قوى ولكنه غير مميته كما هو المشهور . أما النحل فوظيفته صنع العسل .  
فهنا (حيوانان) حيوان يتغذى بالذباب وهو غزال نساخ وحيوان يتغذى بالنبات وهو يطين العسل .  
هذان الحيوانان فى كل منهما مصنع . هذا العسل وهذا للنسج . وفى كل منهما مصنع آخر أيضا للادة السامة  
إذن الحيوان الصغير قد أعطى صناعة المواد السامة قبل أن يستعها الانسان فى الحرب العامة الكبرى وذلك  
لمفعله هو وكل منهما قد ألهم صناعة تنفعه فهذا له مصنع للعسل وهذا له مصنع للفرل والنسج . إذن الحيوان  
سبق الانسان الذى استخرج العسل والسكر من القصب والبنجر وأوجد مصانع للفرل وأخرى للنسج . كل  
ذلك فى حشرات حقيرات ملأت بيوتنا وحقولنا . هذه العنكبوت التى رآها فى المنزل متى قل كنهه وتنظيفه  
ورأيتها فى الحقول التى فى ضواحي القاهرة أعطيت هذه الصناعات قبل الانسان . رآها الجاهل فلانهمه ولكن  
الحكيم المستبصر يرى فيها جالا كالفى يراه فى الشمس والقمر والزهر والشجر بل يرى الحكمة هنا واضحة  
بعد الدراسة . فلنحل (مصنعان) مصنع لجلب المنافع ومصنع لدفع المضار وهكذا العنكبوت . ولاجرم  
أن الأرض اليوم امتلأت بالمصانع وهى إما لدفع المضار وهى مصانع التخيرة والآلات الحربية من مدفع  
وسفينة حربية وطيارة وسواكل أوغزات ضارة وما أشبه ذلك . وهل هذا كله إلا لتكرار لصنع السم فى النحلة  
والعنكبوت . وأما لجلب نافع كمصانع للنسج والفرل والخبز وما أشبه ذلك . وهل هذا إلا لتكرار لصنع العسل  
والنسج فى النحل والعنكبوت . فهل لك أن ترى رسم لإبرة النحلة مكبرة وجهاز الفرل فى العنكبوت مكبرا  
كذلك (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) و (شكل ٢٩)



( شكل ٢٧ - رسم جهاز الفرل فى جسم العنكبوت مكبرا )



( شكل ٢٨ - رسم إبرة النحل مكبرة جدا )



( شكل ٢٩ - رسم العنكبوت وله إرثان في طرف رأسه يسلم بهما وتحت إبرة مكبرة والى يمينها الفدة التى تفرز السم )

انظرالى هذين المصنعين . مصنع السم فى جسم النحلة ومصنع الغزل فى جسم العنكبوت وأعجب مخزون النحلة الذى امتلأ بها وللأنايب التى تفرز السم وترسله اليه ثم لإبرة دقيقة منها يخرج السم . أنايب خمسة خارجت من الجهات الثلاث وهى تفرز السم ثم ترسله الى المخزون والمخزون يوصله الى الإبرة . الإبرة تسخره الجسم عمل والله عظيم وأحكامه وتدير ليس له نظير . وأى فرق بين هذا المخزون ومعداته وبين مخازن النخيرة ومصانعها إن هذا والله أدق وأدق وأعجب . فان هذا كله لا يشاهده البصر ولا تصل اليه آلاتنا مع دقتها ورقيها وانتظامها وانظرالى جهاز الغزل ؟ ماذا فى جسم العنكبوت من الإبداع الذى حول الغذاء الى غزل ينسج ؟ وما الذى فى هذا الجهاز حتى قلب الغذاء لجعله خيوطا بديعة . ثم ماذا فى مصنع السم الذى تشاهده الآن فى جسم النحلة وما هذا الذى جعله يحول الغذاء الى سم . فانظر لصنعين أمامك . مصنع سم ومصنع لغزل . هذا مهلك وهذا معين على الحياة بها يسطاد الذباب . فيا ليت شعري ماذا جرى فى أجسام تلك الحيوانات وما هذا التدبير ؟ ذلك التدبير الذى به قدرت النحلة أن تؤذى عدوها وقدرت العنكبوت أن تنسج بيتها وكيف ألهمت كل منهما أن تفعل على مقتضى ما وهبت من المصانع . فهذه ألهمت اللبغ . وهذه ألهمت النسج . ومثل هذا يقال فى مصنع العسل فى النحلة ومصنع السم فى العنكبوت . هذا شرح الحكمة الالهية للمعدة فى هذين الحيوانين ( الحكمة العملية )

علمت بما تقدم معنى قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فهذا هو التقدير . هأنت ذا باصديقي أصبحت تراه بعينك . هأنت ذا تراه فافرح بالعلم . إن الأمم حولنا درست هذه العوالم ونحن نزل القرآن بلساننا فقرأناه وقد كنا عند قراءته كسائر الأمم عند نظركم العنكبوت والنحل فكنا نقرأ - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - ونمر عليها مرور الجاهلين على أمثال الحقل التى قلت لك انه ملوّه عناكب . فاذا كنا نحن نمر على هذه الجلة مرور الجاهلين فكيفذا نحن وجميع الأمم كل أكثرنا يمر على العناكب وأمانها غافلين . ولكن هذا هو الزمان الذى فيه ظهرت أنوار الله - وأشرقت الأرض بنور ربها - ونشرت العالوم . فالآن تفهم أى القرآن على قس الامكان وترى حكمة بديعة وآيات جليلة جليلة . هذا ملخص الحكمة العملية

أما الحكمة العملية التي عقدنا لها هذا الفصل فاعلم أن أعظم الأمم هي التي تقتدى بالله عز وجل . فإذا كان الله قد علم العنكبوت النسج فلم تتكل على نبات ولا حيوان بل كانت منها من نفسها هكذا يجب أن يكون الإنسان . وأعظم الأمم اليوم هي التي تستغني بصناعتها وإنتاجها . فهم يكونون في نوع الإنسان كنوع الإنسان في سائر الحيوان . والأمم الصانعة تستعبد الأمم التي لاصناعة عندها وقد اكتفت بالزراعة . إن الحرير اليوم يصنع من الخشب ويباع في القاهرة أنسجة حربية رخيصة مصنوعة من خشب الثوت والقطن وهي أرخص من الأنسجة المصنوعة من دود القز . وإذا دامت هذه الحال اقترضت دودة القز من الدنيا . إذن الإنسان يقدر أن يستغني من دود القز بصناعاته . والناس عادة يصبغون (بالنيلة) وهي مادة تستخرج من نبات في الهند يزرع في مليون فدان فابتدع الألمان طريقة بها استخرجوا مادة الصباغة من الفمغ ونحوه فبارت تلك الأرض . إذن الصناعة أغنت عن الزراعة وكأن الله يقول أيها الناس إن رقيكم يكون بصلكم لا بما أودعته أنا في الطبيعة . وإذا قام قائم واستخرج مادة قطنية كالقطن المصري أصبح قطننا لا فائدة منه الله الآن يسوق الناس إلى استخراج ما يحتاجون إليه بالصناعة ويقول لهم افعلوا ما يفعل الحيوان يستخرج منافعه بمصانفه فأنا فعلت ذلك له فلتفعلوا ذلك أتم بجهتكم . أنا قترت كل شيء تقديرا وإذا تشبه في الناس في التقدير والنظام كان قريبهم مني . مقدار ما نالوا من دقة في العمل وإتقان في الصنع وفي الأثر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الصَّانِعَ الْمُتَّقِنَ ﴾ وفي القرآن - إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ - وفيه أيضا - وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستدّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - وإذا كان الله يرى عملنا فهو لا يجب إلّا ما كان متقنا

﴿ بماذا يشير الله للناس إذ أرادهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما ﴾  
قلت لك إنني شاهدت آلافا من الأقدنة في ضواحي القاهرة ليس فيها من السكان إلّا تلك العناكب قد نصبت خيامها لأنها لما خلت من عمل الإنسان شغلها الله بمجنوده فنبصوا خيامهم واستعدوا لاصطياد القباب . علم الله العنكبوت صناعة الصيد وأعطاه جهازا يستخرج منه الخيوط وأعطاهها فكرا به تدبر ما فيه من صناعة ولم يهمل ذلك كله بل خلق له الذباب . هذا القباب انما خلق ليظهر الأرض من القاذورات والرطوبات والعفونات فتخال تلك في جسمه من حال الضرر إلى حال لا تضر وهذا الذباب ضرره على الإنسان أقلّ من ضرر الرطوبات التي تحال فيما بعد إلى جسمه ولكن لازال بعض المضار عاقلة بتلك الحشرات . ألم تر أنها هي التي تنقل العدوى من المريض إلى الصحيح . ولقد قمت شرح هذا في (سورة الأعراف) وأن القباب ينقل جراثيم (البرد الصديدي) من العين المريضة إلى الصحيحه وجراثيم الاسهال و(الحصى التيفوذية) و(الطاعون) و(السل) و(السودة الوحيدة) . إذن الذباب وإن منع ضررا كثيرا وهلاكاً عاماً هو والحشرات بأحالة الرطوبات والعفونات إلى جسمه بقي حافظاً لأصله مقلداً للرب فسلط الله عليه أمثال العنكبوت ليقصمه . إذن العنكبوت نعمة لأنه أزال عناشرا وبلاا والذباب نعمة لأنه أزال عناشرا كثيرا . إذن العنكبوت مساعد للإنسان في حياته الله أكبر . يا الله أنت جعلت هذه الدنيا جنة للفكرين ونارا على الجاهلين . اللهم اني وأنا أكتب هذا أسس بأن قضى في جنة عرضها السموات والأرض . وكيف لا يكون كذلك وأنا أنظر الجبال واضحا في الحشرات الحقيرات فنلا عن الكواكب في السموات . يا الله هاأنذا وهام أولاه قراء هذا التفسير معي ها نحن أولاه نشاهد التقدير والابداع فيها يزدريه الناس ويحقرونه ولا يهابون له

يعني الطالب حلقا العلم ويرى خشوعا وكبلا وأدبا عند المستمعين . ولكن العجب أن يكون طلب العلم في مضرة هذه الحشرات النبوذات عند المفكرين أعظم آثرا وأبجى حكمة وأقوى تصديقا . وكأنهم يشاهدون المبدع في ابداعه ويرون الحكيم في حكمته . يضحك الناس منهم وهم ينظرون - وإذا مرّوا بهم

يتعلمون • وإذا اقبلوا الى أهلهم اقبلوا فكيف • وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون • • كلا • كلا • نظام حكم وإبداع متقن • ذئب يحيل الرطوبات • وعنكبوت تقتل القباب وخيام فيها آلات صيد القباب • بهذا يخاطب الله الناس وكأنه يقول أيها الناس كل امرئ منكم له (حالان • الحال الأولى) وهو طفل يرضع ندى أمه (الحال الثانية) الاستقلال في طلب الرزق وأكل الحلال وآخروها خبرها هكذا للأمر (حالان) حال الارضاع من أمداء الطبيعة • فمن الزرع يلبسون ومنه يأكلون • وحال الاستكمال في الصناعة إذ يكون الانسان في تمام كله كالحيوان في نشأة حاله

هاهم أولاد أهل الأرض الآن (فريقان) فريق عرف الصناعة وفريق بقي على الزراعة والمواد الأولية وقد غلب الفريق الأول الثاني • انى أنا الذى سلطت الأولين على الآخرين فغلبوهم وأمرتهم فقهرتهم • هاهي ذه الأمة المصرية وأمتالها من الأم الزراعية التى لاعلاقة لها بالصناعة إلا قليلا • هذه أمة بقيت في حضانة الطبيعة كما تحضن الأم ولدها ولكنى أيها الناس لأريد منكم أن تكونوا أطفالا بل أريد أن تكونوا رجالا وذلك بالصناعات • لذلك أنزلت لكم في القرآن • وخلق كل شئ فقتله تقديرا • • فكل من كان أقدر على النظام والاحكام وكان أقرب الى العمل بهذه الآية فهو منظم مقترع حكم عمله وأنا أحب المتقن عمله وأسلطه على من بقي في حضن الطبيعة لا يرحها • لذلك غلبت الأم الصناعية الأم الزراعية • وبما مثل الأم الصناعية إلا اكمل العنكبوت اتخذت بيتا • وهذا البيت وإن كان أوهن البيوت وأضعف الحصون قد علمكم درسا متقنا • إن أهل الصناعة يظلون من لصناعة عندهم • فتكت العنكبوت بالقباب • هكذا فتكت الأم الصناعية بالأم التى لصناعة عندها • أفلا تعقلون

ليس كل من كان موفور الغذاء مكرما • وليس كل مكشود منهمك في العمل شقيا • كلا • بل الأمر بالعكس • إن القباب موفور الغذاء في كل مكان ولكنه مهان • القباب لا يعوزه صناعة ولا زراعة ولا تجارة • يأكل من رطوبات الأرض ولكنه ذليل • والعنكبوت حكم عليها أن لاتأكل إلا من كذبها وأن لاتعيش إلا من صناعتها لذلك مدت الشباك فاصطادت القباب

ان الله (كتابان) كتاب مسموع بالوصى وآثر مشاهد بالبر والكتاب المسموع يوحى للانبياء على مقدار عقول الأمم فيكون فيه السكينة والجزا والايجاز • وأما الكتاب المشاهد فهو نص صريح يشهده المقربون فيقولون عن النحل والقباب والنمل من العلم ما تحفه له العقلاء سجدا وهم موقنون

لله أكبر • إن الأمم التى أضحت في خفض العيش ودعت موفورة الرزق تصبح ذليلة كما ذكرناه سابقا في خطاب أرسطاطاليس والاسكندر • والأم التى تألب عليها الأعداء وذات أنواع النصب والتعب يظهر فيها المخترعون والمفكرون • أولئك الذين لا ينفغون إلا حيث تكون الأحوال مضطربة والأجواء مكهربة وقد أحيط بالأمة من كل جانب وبهذا يظهر سر قوله تعالى • فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن • وأما اذا ما ابتلاه ففسر عليه رزقه فيقول ربي أهان • كلا • فالقباب ابتلاه ربه بنعمه ولكنه مهان والعنكبوت اضطرت الى صنع البيت لصيد القباب وهى أرقى من القباب • القباب لا صنعت له والعنكبوت صانع ماهر وآخروها أرقى • هكذا فتكت الأمة الاسلامية أمة صناعية زراعية تجارية والا ذلت للصانين وخضعت للفاشين

لقد عرف هذه الحقيقة (السلطان سليم) لما حلّ بمصر فاغتصب منها رجال الصناعة وهم نحو ألفين وأخذهم منها كرها بللاد الترك فوجعت الأمة المصرية زراعية لاتعرف الصناعة • ذلك لتبقى ذليلة للترك كذل القباب للعنكبوت

أيها المسلمون • ألم تقرأ نأ إبراهيم عليه السلام إذ وجع قومه على ما يعبدون فاحتجوا بأنهم وجدوا

آباءهم لها عابدين فكسر الأصنام احقاقا للحق ونبذا لأراء الآباء . هكذا فليقبل الجيل المقبل من أم الاسلام فاذا وجدوا آباءهم عكفوا على جهالة أونبذوا أمرا نافعا أظلموا هم عن الضلال . فاذا بعد الحق إلا الضلال . هذه مجانب العلم والحكمة في حشرات ثلاث النحل والذباب والعنكبوت . علم الله ذلك قبل أن ينزل القرآن . وعلم أن المسلمين ستضى عليهم قرون وهم مغمضون عيونهم عن هذه الهجائب . في هذه الحشرات فقال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابوضه فما فوقها فأما الذين آمنوا فليطهون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين . وقال في (سورة العنكبوت) - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر الهمزة ودا على الكفار الذين كانوا يقولون ماذا أراد الله بذلك الذباب والعنكبوت . يشير بذلك الى مآراه في هذه الهجائب في النحل والعنكبوت فإن هذه لا يعقلها إلا العلماء المراسون لهذه الدنيا العارفون بنظامها . ومن ههنا انه سبحانه سعى سورتين باسم النحل والعنكبوت ولم يسم سورة باسم النمل مع ذكره في القرآن تذكيرا على أن المسلمين يجب أن يكونوا أمة ذات صناعة وذات بأس وقوة فان كلا من النحل والعنكبوت لهما قوة بأس كما تقتضيهما ولهما صناعتان قد علمتهما فيها ذكرناه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . هذا ما فهمته اليوم من قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - انتهى ليلة الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨

( نورعلى نورى قوله تعالى أيضا - وخلق كل شئ فقدره تقديرا )

هذا تقدير الله وخلق فوق الأرض بالعنكبوت وفي الجوّ بالنحل . ويقول الله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فالتقدير الذى نراه على وجه البسيطة هو بعينه الذى نراه في قاع البحار وعلى سطح الماء وفي الجوّ . فهناك أمثلة ثلاثة حتى تكون لنا نموجا ودليلا على غيرها فنقول كما نرى النحل قد أعطى قوتين قوة للنفع وقوة للدفع أى العسل والسّم وكذا العنكبوت الغزل والسّم . وهكذا نرى الخيتان في قاع البحار أوتى بضعها قوة الكهر باء بحيث يهجم على فريسته فيقتلها بها وذلك مخلوق فيه قبل أن يعرف الناس الكهر باء على وجه الأرض وأوتى قوة الجرى حتى يفرّ من عدوّه اذا فاجأه . وهكذا ترى هناك حكمة وعلمها بهما ظهر التدبير والنظام على وجه الماء في الحيوان (صاحب السفينة) المسمى (نوتيلوس)

ها هو ذا صاحب السفينة الذى يديرها على وجه الماء كما تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - هل ر بنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فقد ذكرت لك هناك نحو (٤٠) نوعا من أنواع الحيوان قد أعطيت صناعات تعلمها الانسان ومنها هذا الحيوان الذى اتخذ له سفينة في البحر قبل أن يصنع نوح عليه السلام سفينة . ولكن القول هناك كان بالرسم فلأرشد هنا شكل السمك الذى جعل سلاحه الكهر باء وشكل الحيوان صاحب السفينة (انظر شكل ٣٠) و (شكل ٣١)

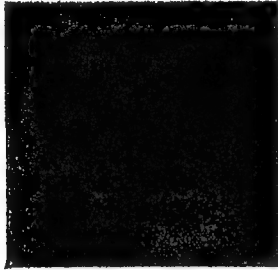


( شكل ٣٠ وشكل ٣١ - هذان الشكلا من قلا من الشف )

سمك كهر بائی من نهر الكنمو      سمك كهر بائی يكون في البراريل ويشه الاسكليس

اعلم أن السمك الرعاد قليل جدا ومنه ما يسمى عند الفرنجة بالتريد وهو كثير في بحر الروم والافقيانوس الهندي واللاتيني وهو قد صرع الاسان قوته الكهر بائية . ومنه ما يسمى (الاسكليس الكهر بائی) وهو أقوى السمك الكهر بائی ويكون في البرازيل وغينا ويقتل السمك والحيوان الصغير بكهر بائيه . ومنه سمك القط الكهر بائی وهو في النيل ويكثر في بحيرات افريقية . والكهر باء المذكورة في السمك تتولد من صفائح عضلية مشورية الشكل أشبه بخلايا الحل كالساطر المستسة الأضلاع بعضها منضم الى بعض بينها نسج ليفي وأوعية دموية وأعصاب وهذه القوة أعدت لقتل الحيوان الصغير لانه هذا السمك . وتذكر ما تقدم في سورة الرعد فقد شرحت لك هالك البطارية الكهر بائية . فانطوكيف ترى هالك شكل البطارية وانها طبقات بعضها فوق بعض مرسومه هالك أنه هذه الطبقات التي في هذا السمك . فانظر وتجب كيف رمل الاسان بعد

الجهد الجهد في العلم الى ما أعدّ السمك فان البطارية هناك تراها مشروحة كالبطارية هنا طبقات بينها مواد موصلات كما هنا سواء بسواء . واجب كيف يعطى كل حيوان سلاحا يوافقه . - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . فالتسكيبوت شبكته المناسبة لاصطياد القباب ولكن السمك الرعاد لا تنفعه الشبكة فأعطى قوة الكهر بآء ذات البطارية المتقدمة . أليس هذا من العجب أن يظهر سرّ قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - في سمكة في البحر وفي نحلة في الجو وعنكبوت فوق الأرض . وترى الأمر غير ذلك في صاحب السفينة (انظر شكل ٣٢)



( شكل ٣٢ - صورة التوتيلوس أو صاحب السفينة )

هذا الحيوان المرسوم أمامك من الحيوانات التي لا فقرات لها . إن الفقرات تكون في الانسان وفي البهائم والسباع والأنعام والسمك والزحافات . والتي لا فقرات لها كالحوام والورد والحيوانات الرخوة . وهذه الأخيرة لها كساء من الخارج وهذا الكساء قد يكون جاليا متصل به ضلالت الحركة ونحوها وقد يكون غضروفا وقد يكون (كسليا) أصلب من العظم . فهذه هي الحيوانات ذوات الصدف ومنها الاخطبوط والتفواقع التي منها الحلزون الصغير والقوق العظم الهائل . فن ذوات الصدف (صاحب السفينة) المرسوم أمامك فيه استقر الحيوان المتقدم المسمى باليونانية (بيوتس) أى سفينة . ومعلوم أن صاحب السفينة بالربية يسمى (توتى) فهما مترادفان يونانية وعربية . وهذا الحيوان يستخدم هذه الصدفة كالتوتى سواء بسواء . فيها يعم على سطح الماء ويديرها بأصابعه الست فيرسلها الى الجانبين كالجاذب وقد استعمل الضوئين العشائين كأشعاع شراع السفينة . ففى أراد السير جندف بأصابعه هذه وأدار السفينة يمينا وشمالا وحول الشراعين نحو الريح كما يفعل الربان سواء بسواء فإذا أحرق به الخطر بأن أتاه الودم متلاقض أصابعه وشراعيه ودخل الصدفة وغاص في قاع البحر فينجو من الخطر . ومن العجب أن يكون جسمه غير ملتصق ببيته . وهذا الحيوان يكون في مجرأ الهند بالقرب من (جزيرة ملقا)

فانظر كيف كانت سفينة فعلا له في أسفاره ودرأ للخطر عنه وهذا قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - فلم يعط صاحب السفينة نسج العسكون لأنه لا ينفعه ولا الكهر بآء كالسمك ولا العسل لأن هذا كله لا يلائمه بل أعطاه ما يناسب سطح الماء وما هو إند ؟ هو السفينة - إن ربك هو الخالق العليم - وكما رأيت في البحر ماله سفينة فان فيه ماهو طيار حتى تم الحكمة فله في جنبيه زعائف كالأجنحة وهو



أشبه بشكل أسفل السفينة وزعافه كالشراع وطوله يزيد على نصف مترو وهو في البحار الجنوبية من أوروبا وفي البحر الأحمر وعلى شواطئ البرازيل والولايات المتحدة وبعضه لونه زاه بين أزرق سماوي وفضي وتطير أسراباً ثم تخوض الماء وتعود فتطير ولها لذيذ وصيده سهل لأنه كثيراً ما يطير ويقع في المراكب أفليس هذا من العجب أن يكون النظام في قاع البحر وفوق سطح الماء وفي الجو . ومن العجب أن العنكبوت كما ينصب بعضها غليظاً على الأرض فتقتنص الذباب هكذا ترى مئات منها في يوم العواصف طائرات في الجو في طيارات من غزلها قد صنعتها كما تصنع الشبكات على الأرض . ومنها ما تتخذ من الورق ومن غزلها سفناً تجرى بها على وجه الماء ومتى نحت حشرة فوق سطح الماء أسرع لتلقاها وجعلتها في سفيتها وأكلتها بهدوء وسكينة

هذا هو التدبير والنظام العجيب . فاعجب لسماك يطير ولا يصنع السفن والعنكبوت كذلك صنع السفن وصنع الطيارات قبل أن يعرفهما الإنسان . والعنكبوت شأن عجيب استعملت سفن الصيد في البحر قبل أن يصنع الإنسان سفن صيده . فإذا رأينا نحن الصيادين بجوار الاسكندرية قد أخذوا سفنهم وجعلوا بها في الصيد فقد سبقهم بها العنكبوت . وهكذا إذا رأينا الأمم الحاضرة تصنع القواصات لإهلاك سفن العدو فقد سبقها السمك فصنع ذلك وأخضع فريسته

فهذه نذرة يسيرة جيلة في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - فافرقها واقرأ ما تقدم في قوله تعالى - الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وانظر مواضع أخرى تناسب هذا المقام كالذي تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - ونظيره في آخر (آل عمران) في نفس هذه الآية هناك وهكذا في (آل عمران) أيضاً عند قوله تعالى - ونزق من تشاء بغير حساب - وفي (سورة الأنعام) عند قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمأناكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - وفيها أيضاً عند قوله تعالى - انظروا إلى ثمرة إذا أثمر وينعه - وفي (سورة هود) عند قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي سور أخرى . كل ذلك مناسب لما كتبناه هنا في آية - وخلق كل شيء فقدره تقديراً -

ولما اطلع صاحبي على هذا المقام قال لقد أثبت في هذا المقام الخلق والتقدير في قاع البحر وفوق سطح الماء وفوق الأرض وفي الجو واستبان السمك ذوالكهرباء والحیوان صاحب السفينة والعنكبوت وشبكتها في البر وسفنها في البحر وطياراتها في الجو والنحل وما أودع فيه من عسل وسم زعاف . وهذه المجموعة التي كتبناها هنا بديهة وصورها مشوقات للباحث العلمية فهل خطر لك هنا خواطر تدعو إلى هدى أو ترد عن ردى فاقى أرى هذه سطورا سطرت في لوح الطبيعة والله إنني ليخيل إلى تلك الطيارات التي طارت بها العنكبوت وتلك السفن التي أدارها بأصابعه الست صاحب السفينة وبالشرعين الذين بهما تجرى في البحر وذلك السمك الطيار في الجو بلونه الزاهي الزاهر الفضي . أقول انه ليخيل إلى أنها تحمل حكمة تلوح لأولى الألباب فهل خطرت لك خطرات في هذا الجلال . فقلت نعم هنا

﴿ بهجة العالم المسطورة في لوح الطبيعة ﴾

وهي ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في خطاب الله للأمم ﴾ (الفصل الثاني) في خطابه تعالى للمسلمين (الفصل الثالث) في خطابه تعالى للأمم الإسلامية المتعبرين في خوارق العادات فلا يفارقون بين الأولياء والكهان . فلما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن في مقلم جلال العلم والحكمة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ في علم اليقين لاقى ظنون وأوهام . فقلت ما الذي رابك في قولي هذا . قال رأيت أنك قلت خطاب الله للأمم وخطاب الله للمسلمين وخطاب الله لمن لا يفارقون بين الأولياء والكهان . فهذا التعيير يوهم أن الله يتخاطب الناس مع

أن هذه أفعال الله وأفعال الله ليست خطايا . فهذا التعبير من أول وهلة يشعر بخروج عن المألوف . قاله إنما يخاطب بالكلام الموحى به على الأنبياء ولا ريب هنا . فقلت خير لك أن تصبر حتى أتم هذه الفصول الثلاثة ثم أبرهن لك على أن ما أقول مأخوذ من القرآن . فقال - سجدنى إن شاء الله صابرا - حتى تم هذه الفصول الثلاثة . فقلت

### ( الفصل الأول في خطاب الله للأسم )

الله خلق الحيوانات الفقيرة كالسمك والانسان والزواحف وما أشبهها وخلق الحيوانات الصدفية التي منها (صاحب السفينة) وخلق النحل والعنكبوت . كل هذه في هذه المقالة . وهذه جمعت أنواع الخلق ان الناس اعتادوا أن يبنوا بيوتهم محاطة بحائطين قويين يدفع عنهم الطوارئ والحيوانات المفترسة وأقرب الحيوانات التي بناء منازلها ذوات الأصداف فكان القياس أن يكون على هذا النمل كل حيوان ولكن الله بحكمته خاطب الناس قائلا أيها الناس « اتقوا لا يحكم على نظام ولا حال فانكم اذا فكرتم يقولكم وجدتم أن الحيوان إما أن يشتمل جسمه على جسم صلب أو لا يشتمل فان لم يشتمل على جسم صلب فهو الحشرات ونحوها فكذلك أجسامها مخلفة لا عظم لها من داخلها ولا من خارجها جسم صلب والنمل له عظم إما أن يكون من داخله وإما أن يكون من خارجه فأنى عظمه من داخله هي ذوات الفقرات كالانسان والسمك وذوات الأربع والطيور وهكذا . والتي يكون جسمه الصلب من خارجه فهي ذوات الأصداف ومنها ذوات السفينة المتقدم ذكره وهذه قسمة عقلية . فلذا ظن الناس أن حياة الحيوان تتوقف على جسم صلب قلنا لهم كلا فهذه النحل ونحوها لا صلبة لها فان قالوا إن الجسم الصلب يكون من خارج كافي منازلنا قلنا لا فهذه عظام ذوات الأربع فانها من الداخل واللحم والجلد من الخارج والحكمة العليا هي التي قضت عكس ما صنع في بيوتنا وقيل لنا انظروا هذه بيوتكم وبلدانكم يحيط بها حوائط وأسوار مبنية البناء لحفظها من الخارج ولكن أجسام الانسان وذوات الأربع ونحوها جعل الجسم اللطيف خارجا وحافظنا عليه بالحواس والحفاظة عليه مع ان القياس كان يقتضى أن يكون محيط الجسم صلبا كهيئة ذوات الصدف حتى ينسى للجسم أن يقاوم الجوع والطوارئ وهذا هو السر في قوله تعالى - فخلقنا المغصة عظاما فكسونا العظام لحما - الخ ثم أعقب بقوله - فتبارك الله أحسن الخالقين - وإنما قال - فتبارك الله أحسن الخالقين - بعد قوله - فكسونا العظام لحما - الخ لأن كسوة العظام باللحم يخالف المألوف من أعمال الخلق لأنه أشبه بمن يبنى منزله ويحمل مخزن الطعام والملابس وسائر النعم خارج سور المنزل . فالعظام الصلبة يجب أن توضع محيطة بالجسم لتعطفه الحيوانات الصدفية لأن يحمل اللحم الطرى والجلد الرقيق حافظين للعظام . كلا فلما كان هذا الوضع خلاف للمألوف المتعارف وكان مع ذلك متقنا وأفضل من العكس علم أن هذه الصنعة أكثر اقتانا من صنعة البنايين في الأرض فلذلك جاء في القرآن - فتبارك الله أحسن الخالقين - وبهذا نبين أن الأحوال الثلاثة للخلق قد ظهرت في عالم الخلق وكان الله عز وجل يقول أى عبادى أنا لم يعنى عن الخلق شئ فلا عظم العظام منخى عن الخلق ولا وضعها داخل الجسم مع لطافت وصلابتها . ولقد فعلت في أجسامكم وأجسام الحيوانات هذه الترتيبات كلها كما فعلت في ثمرات الشجر فثارة أجعل الشحمة في الثمرة وهي طرية خارجا والنواة الصلبة داخل الخلق السمك والانسان . وثمرة أعكس فأجعل الصلب خارجا واللطيف داخل كاللوز والجوز فأن لا ينجبني شئ . وهذا درس لكم لتعلموا أن سعادتكم لا تتوقف على حال . فإذا كانت الحياة لم تتوقف على وضع ما بل جميع الأوضاع ظهرت فيها الحياة فهكذا سعادتكم لا تتوقف على حال واحدة فكسونا ماؤا أو سوقا وكونوا فقراء أو أغنياء أو أوفياء أو أضعفاء فكسونا كما تشاؤون . فهذه الأحوال لا تحجب السعادة عنكم كما لا يحجب الحياة نوع من أنواع الصور والأوضاع . انتهى الفصل الأول

### ( الفصل الثاني في خطاب الله للمسلمين )

يقول الله للمسلمين ها أنتم أولاء رأيتم العنكبوت قد صنعت لها طائرة في الهولاء وسفينة في البحر ورأيتم السمك يطير في الحق والصدف يمر سفينة في البحر . قيا أيها المسلمون أنا لم أرسل رسولا إلا ليرشد عبادي إلى الأعمال الصالحة وإلى سنة أعظم من سنتي ورأي سبيل أهدى من سبيلي . إن سبيلي تنوع العمل وإبراز أجل الصناعات وأبدع الحكم فإذا رأيتم لطفي في إبداع الحرير في جسم العنكبوت وتعليقها أن تعليق به وفي جسم النحل في إبداع العسل وفي جسم السمك في اظهار الكهرمان وفي حيوان السفينة في اعطائه سفينة فضاه انكم يجب أن تبرعوا في الصناعات لاسيا إذا رأيتم الأمم حولكم قد برعت فيها فأنت نبى من أنبيائي يأمر أو يبيح لعبادي أن يجرموا على أنفسهم اتباعي في الإبداع وفي اتقان الصنعة . فليلبس المسلمون لكل حال لبوسها وليرزوا للناس صناعات تناسب أزمانهم والافهم الأخسرون أهمالا . الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

برعت الأمم في غزل المنسوجات وفي تدوير الحبوب وفي نظام الحياة . فعلى المسلمين أن يكونوا أرقى في سائر الصناعات . انتهى الفصل الثاني

### ( الفصل الثالث في خطاب الله للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات )

#### فلا يفرقون بين الأولياء والكهان

إن الله يتعاطب المسلمين بهذه الخوارق وصنعها . يقول أيها المسلمون ليس امتياز طائفة من أهل دينكم بالاختيار بالغيب فرضا أو بظهور بعض الخوارق على أيديهم تفضيلا لهم عن سواهم . إن الاخبار ببعض الغيب مشوب بالكذب لم تخل منه أمة . ألم تروا المؤمنين تنويعا معنطيسيا . ألم يثبت بقينا انهم يخبرون ببعض الغيب ألم تظهر بعض الخوارق للعادات في مجالس تحضير الأرواح (اقرأ في كتاب الأرواح تأليف) وتقدم بعضه في (سورة البقرة) وفي سور أخرى وأن غلاما صيرفيا جاهلا أتم رواية ديكنس بعد وفاته والانشاء هو هو لم يتغير وهذا الغلام غبي لا يعقل شيئا عما كتبه ، فهل هؤلاء الوسطاء في التتويج المغنطيسي أفضل من أنبيائكم وعلمائكم . كلا . ثم كلا . ومماثل هؤلاء إلا كمثل الهند إذ قال لسليمان . أحلت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبا يقين . فهل هذا الهند أفضل من سليمان ، أو كمثل المضر مع موسى فالحضر عرف حال السفينة وأمر السلام والجدار وعلم موسى ولكن موسى أفضل من الحضر وهكذا محمد ﷺ يقول الله على لسانه . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . . إذن الأنبياء لا يعلمون الغيب وعلمهم بالغيب في مثل هذا نقص وكيف لا يكون تقصا وهم إذا علموا الغيب أصعبوا ولا عمل لهم ولا فكر . إذن كيف يقتدى الناس بمن لا فكر لهم ولا تدبير وأبن العقلاء إذن . فالأنبياء مكلفون وهم لا يعلمون الغيب وأما بوحى إليهم الشرائع والتوحيد وماعدا ذلك هم فيه مجتدون . ومماثل الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وجرت على أيديهم بعض الخوارق فرضا أو أخبروا ببعض الحوادث (إن صح) إلا كمثل العنكبوت طارت في الحق بلا أجنحة . فهل أدعش هذا سائر الحيوانات فعندتها سيدتها جميعا . كلا . إن امتياز بعض السمك بأن يطير أو بأن يكون فيه كهرباء وبعض العنكبوت بأن تطير وأن تجرى المراكب يشابه امتياز بعض المسلمين بخوارق العادات إن صح ذلك فليس لمن خوّفت له العادات فضل إلا كفضل العنكبوت على سائر الحيوانات مثلا . فهذه صناعات وخواص لا أثر لها في الفضل . وكأن الله يقول أيها المسلمون لما علمت انكم تركتم سبيلي وجهنم فدرى ولم تعقلوا قولي . وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة . سلطت عليكم شيوفا جاللين لعلوا الذين شركا واتخذنكم ذبلا واصطادكم بهذا الشرك فهم عنكبوت وأنتم صيدهم أيها المسلمون مادمتم جهالا فاني أرسل هؤلاء ليمتصوا دماءكم لأنكم نسيتموني فأنا أيضا أنساكم وأترككم

في أيدي الجبال منكم وهم لكم أعداء وجعلتهم قناطر عير عليها المستعمرون لبلاد الاسلام فيكون أولئك الشيوخ سلما يصل عليه المستعمرون رقاب أهل البلاد واستعبادهم . ألا سمعتم هؤلاء المنفلون الجاهلون (اقرأ ماتقدم في سورة الحج عند قوله تعالى - وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا أتى - الخ من كلام الشيخ الخواص والشيخ السباع)

إن من فتح عليه بسبب العبادة ثم نصب نفسه لقيادة الناس وجعل هذه الخوارق بابا للرزق فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهو عند المستعمرين لبلاد الاسلام أشبه بالثعلب المشهور (أكل بيد القط) وسببه أن القرد استعمل يد القط في أخذ الفاكهة المسماة (فروة) من الثائر المتلذذ فصرخ القط فسمع صاحبه الصراخ والولولة فجاء فوجد هذه الحال فذهبت مثلا أفرنجيا . فهو لاء الشيوخ استعملهم القناطون لبلاد بعض أمم الاسلام ويأمرهم بالآرداد لبلاد دنهارا ولا يأمرهم بالتفكير والتأمل ليطالوا لهم خاضعين . هنالك قال صاحبى لقد تمّ القول الآن في الفصول الثلاثة فأرجو اجابتي على ما سألت من قولى لك كيف تقول قال الله مع ان القائل أنت . قلت قد آت أن أجيبك عليه . اعلم أن الله عز وجل يقول - ووضعت الميزان \* ألا تظفوا في الميزان - فانه وضع النظم في السماء والأرض المعبر عنه بالميزان لئلا ينحى بالصدق بلا زيادة ولا نقص وقد وضع هذا في أول (سورة يونس) فارجع اليه فانك ترى هناك حساب هرم مصر الأكبر وكيف كان حسابه على مقتضى حساب الدائرة الشمسية السنوية وهذا الحساب على مقتضاه بنى الهرم وعلى مقتضى الهرم عرفنا الوزن والكيل والمساحة بالذرة . إذن الناس يقلدون ربهم في فعله ولولا هذا ما عرفوا رطلا ولا قدانا ولا أربدا . قال صاحبى هذا حسن ولكنى أريد أقرب من هذا . قلت في موضوعنا . قال نعم . قلت قال الله تعالى في (سورة هود) - مامن دابة إلا أنا أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فهنا هو سبحانه بعد أن ذكر تربته لكل حيوان وأنه أخذ بناصيته أبان أن هذه التربة في غاية النظم ولم يبق عند هذا الحد بل أمرنا في (سورة الفاتحة) أن ندعوه فنقول - اهدنا الصراط المستقيم - والنسكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فهو يقول اهدنا صراط الله المستقيم المعروف وكيف نهدي الى طريقه إلا بدراسة نظامه في خلقه . فكما درسنا نظام الأفلاك وسرنا في سفننا على مقتضاه في البحر وفي القطارات على وجه الأرض ووزنا ومسحنا وكنا . هكذا ندرس نظام الحيوان لتسع عقولنا لنظام حياتنا . إن الحياة الحيوانية مقدمة للحياة الانسانية ومن جهل المقدمة جهل النتيجة إن العلامة (سينسر) يقول (إن الناس قرؤا قبل أن يكتبوا) فليعلم الأساتذة التلاميذ القراءة قبل الكتابة مشاكهة للطبيعة ليكون النجاح . فصل للمعلمين أن يتدثروا بالقراءة ثم بعد ذلك يكتبون . هكذا نرى الله خلق الحيوان قبل الانسان . فليدرس الناس الحيوان وتشرح الانسان وتاريخ حياة الأمم وتاريخ أهم أفسها . فن جهل تاريخ أى علم فقد جهل نفس العلم ومن جهل علم الحيوان وعلم النبات فقد جهل نظام الانسان لأن دراستهما أسهل من دراسة الانسان ومتى درسهما الانسان استعق أن يفهم عالم الانسان إذن الله تعالى بخلق هذه العوالم يخاطبنا كما قلت لك لأنه أمر أن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهو شبه على صراط مستقيم في خلق عالم الحيوان وغيره فلا بد من دراسة هذا الصراط ثم ندعوا أن نسير عليه . إذن ظهر لك أن قولى إن الله يخاطبنا بمصنوعاته حق فكيف ندعو الى صراط مستقيم نجهل بعضه وصراط الله المستقيم يتبع

فلما سمع صاحبى ذلك قال أنا لا أجادك في هذا القول بل أقول انك أنت بحجة وقطعت بصدق وقول حق فان قوله تعالى - والسماء رفعا ووضع الميزان - الخ وقوله - مامن دابة إلا أنا أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - بعد هذا البيان دلانا على أن هذه العوالم كلها طرق ذلت لتنهجنا وسبل لنسير عليها

ولكن هذا كله كلام اجالى فان مسألة العنكبوت والنحل والسمك والكهرباء وكل ما ذكر فيها كلام علم واستنتاج اجالى فاذا ذكرت لنا مثلا بعض هذه العوالم وتشرحه شرحا جيدا من العلم ثم نجد القرآن نص عليه نصا فان ذلك يكون نموذجيا لجميع العلوم ويصبح المسلمون بعد قراءة ذلك مسرعين الى أن يتخصصوا في العلوم ويوقتوا ايقاناً تاماً بأنهم في قراءة الحشرات والقرات في أجلّ عبادة ويحفظون على أعمال التجربة في الأعمال الكتابية والأعمال التشريعية وهكذا . فقلت ان الله تعالى يقول في قوم فرعون - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع . والسم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين -

انظر العجب . انظر كيف يقول الله في الطوفان وفي الجراد وفي القمل وفي الضفادع . لماذا يقول ؟ يقول - آيات مفصلات - فجعل الماء الذي يفرق أرض مصر وغير أرض مصر آية مفصلة وجعل الحشرات التي منها الجراد والقمل - آيات مفصلات - وجعل الضفادع من الحيوانات الازاحقة ذوات اللقرات - آيات مفصلات - ألا تعجب من كيف جعل المسلمون هذا الدين . الله يقول - كتب فصلت آياته قرآننا عرييا يقوم يعلمون - فهو كتاب مفصل الآيات باللغة العربية ولكنه انما يفهمه أهل العلم والله هو نفسه يجعل الماء والحشرات والضفادع - آيات مفصلات . - إذن الآيات للمفصلات كما تكون قولاً تكون فعلاً ومن الفعل الحشرات والماء وهكذا ولم يكف الله تعالى بذلك بل قال عند الكلام على العنكبوت - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - ( بكسر اللام ) فالعالمون جمع عالم . إذن الله يقول ان القرآن وآياته المفصلة نزل لأولى العلم ويقول ان العنكبوت وأمثلة الحشرات أمثالا لأولى العلم . إذن ظهر الأمر واتضح وأصبحت الحشرات وأمثلة الحشرات آيات كما ان القرآن آيات . فقال صاحبى هذا أمر عجيب وبديع . إن الناس يشاهدون الجراد والقمل والضفادع ويحسون بالسم في أجسامهم ويشاهدونه في ذبائحهم فلا يهابون لها ولا يقيمون لها وزناً وغاية الأمر أن يدفعوا الجراد والقمل عن زرعهم وأجسامهم . أما كونها تحتاج الى علم وأنه لا يفهمها إلا العلماء فهو غريب على المسلمين وهكذا الآيات القروآت للتحققات فاذا سمع المسلم قوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ مر عليها كما يمر على أكثر القصص يحترمها احتراماً دينياً . أما أنها تحتاج الى تفكير وفكر فهذا بعيد وغريب سل عاتمة المسلمين من علماء وجهال وقل لهم ؟ هل الجراد والقمل والضفادع والسم المذكورة في القرآن تحتاجون في فهمها الى عقل وعلم ؟ هل نفس هذه الحيوانات يحتاج الناس في فهمها الى علم وعقل فانهم جميعاً يجهلون بلسان واحد . هذا أمر معقول مفهوم نحن نعرفه ونفهمه ولا يحتاج الى علم ولا تفكير . فقلت سترى الآن كيف يحتاج ذلك كله الى علم وأن أكثر المسلمين غشوعون وأن مثلهم مع أمثال هذه المباحث كمثل رجل سار في أرض هراء فلمح جبلاً فظن انه صله في عسرة فائق ولكن الجبل المرتفع يوهم الانسان انه قريب وهو بعيد كما يرى الناس أن الشمس قريبة ورأى العين وهي بعيدة فيظن المسكين سائراً أكثر يومه حتى يصل اليه بعد طول المشقة . فالعلماء قد أبرزها الله للناس وجعلها تحيط بهم فظنوها معلومة كما ظنوا انهم عرفوا حقيقة الشمس بالنظر الى ظاهرها ولكنهم عند الامتحان يتحققون انهم جاهلون وأن هذه أمثال والأمثال لا يعقلها إلا أولوا العلم

فهذا الطوفان المذكور في الآية . يقول الله في قصة موسى اني أرسلت الطوفان على أهل مصر ؟ لماذا ليخافوا الله ويؤمنوا . فهنا ( أسران ) اعظام الله بسبب ظهور جبروته وسطوته والإيمان به فالرسال الطوفان يهلك الأمم فهذا القهر يورث القلوب اعظاماً واجلالاً لله وينتج منه الإيمان به والتصديق وهذا مثل من الأمثال التي لا يعرفها إلا العلماء فلم ينزل الله القرآن إلا لنا نحن ونحن نتظرف نقول ان للماء ينزل من السماء في خط الاستواء ويجرى في النيل سائراً الى البحر الأبيض المتوسط فاذا زاد زيادة فوق العادة أغرق البلاد فكان آية مفصلة . هذا ظاهر الآية ولكن الحقيقة أن هذا النيل وأمثاله كسجلة والقرات وسيحون وجيحون والتيجر

في السودان وأمثالها وكالطوفه وقلجها والتميس في أوروبا . كل هذه اذا تركت وشأنها أهلكت الحرب والنسل في كل ستة قولا أن الناس يعملون لها جسورا وقناطر لكثافت وبالا عليهم ففترقهم تارة وتجعل أرضهم قفراء تارة أخرى . **والدليل على ذلك \* أولا** ان نهر النيل الذي يجري في بلادنا المصرية ما كان ليعيش به قبل أيام محمد علي باشا أى نحو سنة (١٨٠٠) ميلادية وما قبلها الا نحو أنفي ألف انسان (مليونين) لا غير ذلك بسبب اعمال الحكام وجهلهم إذ ذاك أيام انحطاط الأمم الاسلاميه فكان هذا النيل يفرق البلاد تارة ويتركها أرضا قفراء تارة أخرى . فأما في هذه الأيام (سنة ١٩٢٨ م) فان البلاد تعدداها نحو (١٤) مليوناً وماء النيل لا يزال قابلا لسقي أرض أوسع مما يسقى الآن فيفتدى بالزراع عشرة ملايين أخرى على طول الزمان . إذن الله عز وجل ذكر الطوفان في الآية وقال انه آية مفصلة وقال انه لا يفهمه إلا العلماء هذه الحكيم الجببة

اليس من العجب أن تكون أرض الجن ملك أمة اسلامية وقد سمي الله سورة باسمها وقال انه كان فيها سد العرم وانه كان فيه جنتان . فبالت شعري أين ذهبت الجنتان الآن . وأين السدود الأخرى هناك . إن هذه البلاد وبلاد حضرموت وغيرها قد أنزل الله لأهلها مطرا في فصول السنة وهم لا يحتفظونه فيترك الأرض قاعا مصفيا لانبت نباتا . اليس من العجب ومن المؤلم أن تكون هذه الأمة الاسلاميه لم تصل في عمران بلادها الى ما وصل اليه أمة قبلهم عباد أوثان في الجن وفي حضرموت وفي غيرها والله يذكر الطوفان في الآيات ويدكر سد العرم ويقول - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - وما الاعراض المذكور إلا جهل العالم التي بها اصلاح السد كما حصل في مصر قبل أيام محمد علي باشا كما تقدم . فهل يعمركو المسلمون حتى يكونوا من الذين قال الله فيهم - وما يعقلها إلا العالمون - . اللهم انك أنت العلم والهادي وعلى من اطلع على هذا أن يرشد الأمة الى سواء الصراط **(ثانيا)** ان الحشرات التي ذكر منها الجراد والقمل في الآية ليس يعرف الناس منها إلا أن الأول يهلك الزرع والناس يطاردونه \* ويقول شاعرهم

مر الجراد على زرعى فقلت له \* لا تأكلن ولا تشغل بافساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة \* اما على سفر لا يد من زاد

وأن الثاني يؤذى الناس في فراشهم فينظفون ثيابهم ليعصوه عن أبدانهم لأجل صحتها . ويقرؤون في كتاب **(كلىة ودمتة)** أن البرغوث حل صيفا عند القملة في فراش رجل غني فلدغه البرغوث ليلا ففتر البرغوث وبحث الرجل فلم يجد إلا القملة فقتلها وجعلوه مثلا لمعلمة الرجل المجهول فانها ترجع على الانسان بالوبال هذا ما يعرفه الناس في القمل واخوانها البراغيث ولكن الآية لا تنقف عند هذا الحد فان هناك فرا بين الخيال والحقيقة . فالذي في **(كلىة ودمتة)** ضرب مثل خيالى والقرآن يقول إن هذه حقائق علمية أى انه لا يعرف هذه الا العلماء . وأما هذه فهي أسال سهلة يعرفها العلماء والجهال متى أقيت اليهم . فقال لما علم هذا عندك . فقلت ان البراغيث المذكورة يظن الناس ايذاها قاصرا على لدغهم في الفراش ولكن العلم اليوم أثبت بعد البحث والتنقيب أن البراغيث تجلب الطاعون والأمراض العاتية . ولا جرم أن القمل المذكور في الآية لا يبراد بها خصوصها بل المراد هي وأمثالها من مؤذيات الحشرات وأقر بها اليها البراغيث التي قرنت بها في كتاب **(كلىة ودمتة)** فأمثال القمل كالطوفان سواء بسواء . فكما أن الطوفان يهلك آلافا دفعة واحدة هكذا البراغيث تفعل ذلك . وكما أن ماء النيل وأمثاله معرض في كل وقت اذا أهمل أن يكون اهلا كة علما وأن يكون طوفانا هكذا نحو البراغيث تفعل ذلك اذا تركت وشأنها . قال فاذكر لي برهان ذلك من العلم . قلت اهم أن الله عز وجل قد أمث هذا التفسير بالعلم وأيدى فيه تأييدا لم يكن ليخطر لي . ومن عجب انى لا أنتكف ما أكتبه بل تساق الى الجهانب من حيث لا أحسب . فانظر كيف أصدرت مصلحة الصحة المصرية نشرة في هذه الأيام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء كتابة هذا للقال وفيها أن البراغيث رسل الموت إذ تنقل

الأمراض المهلكة من القيран الى الانسان تبينا لما قلناه وهذا نصها

### ﴿ خطر القيран ﴾

#### ( تاريخ حياتها )

تعيش القارة سنتين قريبا وتبلغ سنّ الحبل قبل أن تصل الى الشهر الثالث من عمرها ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلحق بعد بضعة ساعات من الولادة والفأريول عاريا من الشعر وأحمى وأذاته مغلفة ويستمر كذلك مدة أسبوعين ويكبر حجمه في الأسبوع الرابع من عمره . وتعمل القارة من ثلاث الى خمس مرات في السنة وفي كل مرة تلد من ٦ الى ٩ قيран وقد يصل عدد ما تلده في المرة الواحدة الى ٢٣ فأرا ويتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعندما تضع في كل مرة

#### ﴿ طبائع القيран ﴾

الفأري لا يخرج من جحره إلا بالليل ويقضي معظم يومه نائما داخله . والقيران تخزن ما كولاتها داخل جحورها حتى اذا وجدت صعوبة في الحصول على قوتها في وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت . وهي تحفر جحورها قريبا من الجهات التي تحصل منها على طعامها ولكنها في بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتقيم في رحلتها طريقا خاصا لا تحيد عنه عادة . ومن طبائعها التنقل في فصول السنة المختلفة فقد تهجر المنازل في الربيع الى الفيضان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده في المنازل في ذلك الوقت ثم تعود الى المنازل في الخريف لتقضي فيها مدة الشتاء . وهي كثيرة البكاء وشديدة الاحتراس من وقوعها في المصائد وتصبح أحيانا مفترسة سبا اذا قلّ مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها وقد تهجم في بعض الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا اذا كان نائما وتهش الجثث في مقابرها وتهجم على بعض الحيوانات فتفترس لحمها . وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتضرب أرجلها ومع الخنازير فتأكل من أذنانها وأذنانها . وهي تقتل صغار الأرانب في جحورها وتستولي على بيض وصغار الطيور لتأكلها ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت السجاجة بدون أن تشعر بها

#### ﴿ الخسائر التي تسببها القيран ﴾

ان الأضرار المادية التي تسببها القيран لا تحصى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأري الواحد في اليوم يقترب ربع مليم فقط وأن عدد القيран الموجودة بالقطر المصري (١٤) مليوناً أى بنسبة فأري لكل شخص (وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع) بلغ مقدار ما يضيع سنويا في غذاء القيран فقط مليون ونصف مليون جنيه تقريبا . هذا فضلا عما تسببه من الخسائر والأضرار بحفر جحورها في جدران المنازل وبين السقوف فقد تداعت مبان كبيرة الى السقوط لهذا السبب وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث خطيرة . ومن أضرارها انها تحمل عيذان الكبريت الى جحورها وقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة

#### ﴿ القيран والأمراض ﴾

فضلا عما تسببه القيран من الخسائر والأضرار والحوادث الخطيرة تحصل جوائح عدة أمراض فتاكة تنتقل الى الانسان بواسطتها . وأهم تلك الأمراض الطاعون وهو الأصل يصيب القيран ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منها الى الانسان بواسطة لسع البعوض . وداء الاسيرونيتا المصحوب بيرقان ونزيف والتولاريميا والمرض بالبوذة المحيطية وعدة ديدان معوية أخرى والحمى المتسببة من عضة الفأري

#### ﴿ طرق إبادةها ﴾

(١) يجب احراق القمامة (الزباله) والنفايات المنزلية يوميا أو وضعها في وعاء له غطاء محكم

(٧) يجب بناء المحلات التي تخزن فيها المأكولات والتي تشاها القيران عادة من مادة تمنع دخولها إليها كالأسمنت

(٨) يجب سد الجور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الطيارة والأسمنت حتى لا تقوى القيران على قفها  
(٩) يجب سد نوافذ البورتات السفلى والفتحات الصغيرة التي تدخل منها القيران بقطع السلك أو الزنك  
(١٠) استعمل مصائد القيران في المحال التي تشاها هذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعد كل مرة وتغيير الطعم يوميا

(١١) استعمل طرق التسميم للقيران وأحسنها خلط ملح كربونات الباريوم بقطع من الخبز أو البق أو السردين أو البيض أو البطيخ أو الطماطم . ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم الى الحيوانات والطيور أو الأطفال

(١٢) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيد القيران وأهمها الكلاب والقطط فانها تقتل عددا كبيرا منها  
(١٣) انشر قطعاً من التفالين أو مسحوق الكبريت في الأماكن التي تشاها هذه الحيوانات فان القيران تكره رائحة هذه المواد ولا تقرب من الأماكن الموجودة بها انتهى

فانظر الى مرض البرقان والزيغ ومرض السودة الخبيثة واليدان الملوية والطاعون فهذه كلها أمراض مهلكة تنقلها البراغيث الى الانسان . فالبراغيث من الحشرات ذوات الأرجل الستة كالجراد والقميل والقيران من ذوات الفقرات والدم والعظام . فانظر كيف انحلت كلها على اهلاك الانسان

ألا ترى أن هذا لا يعقله غير العلماء به . كلا . وهل تظن أن الناس وهم على حالم بدون قراءة العلوم يعرفون خطر القيران وخطر البراغيث . كلا . إذن هذا هو الزمان الذي تظهر فيه حقائق القرآن ويعلم الناس لماذا ذكر الله الجراد والقميل والطوفان والعنكبوت والذباب ثم لماذا يقول ان هذه الأمثال لا يعقلها إلا العلماء إن هذه الأسرار هذا زمان ظهورها . والفضل كل الفضل لظهور هذه الأسرار في زماننا انتشار العلوم في الأمم حولنا . فهذا هو الزمان الذي يظهر فيه معنى . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . فهذه من مبادئ العلوم التي سيرفها المسلمون بعدنا وهم الذين يدرسون هذه الدنيا ويعرفون أن هذه المخلوقات آيات مفصلات . فإذا درسوا حشرة كالفيلة أو النحلة أو الجراد أو أمثالها تبينوا (أمريين الأول) أنهم يتقون الخطر الناشئ من الحشرة بسبب دراستها كما يتقون عذاب الله بالإيمان فلا يفرقون بالطوفان في الآية ولا تسلط عليهم الحشرات (الثاني) أنهم بسبب هذه الدراسة قد وقفوا على الحقائق وأدركوا عجائب الحكمة فعرفوا ربهم وبهذه المعرفة غرسوا لهم روضات في جنات العلم والحكمة وعاشوا في سعادة علمية لا يحظى بها سواهم . فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قوة أعين جزاء بما كانوا يعملون . وهاك مثالا آخر وهو

### مرض النجس

( أعراضه . جوئوة المرض . أسباب انتشاره . وصف التيجوميا . أدولرحياتها . مقاومة النجس )

( بقلم الدكتور سامي بك كمال )

لم نعر على وصف لهذا المرض قبل (الشيخ الجبرتي) الذي ذكره في تاريخه المشهور وما دققا حيث قال بالحرف الواحد ما يأتي

( في منتصف شهر رجب سنة ١١٩٣ هجرية الموافق سنة ١٧٧٩ ميلادية ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه (بأبي الركب) وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال وهو عبارة عن حي ومقدار شدته ثلاثة أيام وقدير يد



على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ويحدث وجعا في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض يرم ويقي أثره أكثر من شهر ويأتي الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه وركبه ويذهب بالعرق والحام وهومن الحوادث الغريبة ) انتهى  
وكلة الدنج هذه لا يعرف أصلها وكل ما قيل فيها تخمين . ويغاب عن الظن أن وطنه الأصلي (عدن) وملايوها . وربما سموه الدنج بحرقا واشتقاقا من عدن . ثم انتشر هذا الوباء الى جميع العالم في المناطق الحارة والدافئة ولم تحمل قارة منه . لذا سمي باسماء كثيرة وجعلوا له في كل بلد اسما . أما في مصر فسموه (بأبي الركب) ومن بعدها (بحمى البلح) حيث يتفشى في أوانه واستوطن بممالك مختلفة ويمكن اعتبار مصر موطنه . ومن خواص هذا الوباء سرعة انتشاره وتطيله في أسابيع قليلة لحركة الناس وأعمال الشركات والجماعات والحكومات ويأتي زمن لا يتجاوز منه يت فيه مريض أو ناقة من مرض

### ( أعراضه )

آلام بالرأس والمفاصل وإرتعاش الجسم ثم حمى مرتفعة مصحوبة بطفح أو باحمرار في الوجه ومن خواص تلك الحمى انها لا تسير على وتيرة واحدة ولذا يمكن اعتبارها منقطعة ومدتها أسبوع يظهر على الجسم في خامس أو سادس يوم منه طفح ثان عبارة عن قطعة رقيقة حراء على الأيدي والزعان والساقين وقد ينتشر على كل الجسم وقد يصحبه تخيل وحكة . وقد تختلف هذه الأعراض من مريض الى آخر اختلافا جوهريا فلا يرى الطفح مثلا وقد لا تظهر الحمى مطلقا أو تكون مدتها بسيطة أولا تبدأ بإرتعاش الجسم وتفتقد شهية الطعام وتضعف العقد اللغوية أو يعترى المريض أرق أو زيف وقد تتورم المفاصل . انما الذي لا يختلف في جميع الحالات هو شدة الآلام في المفاصل والعنات . يعقب كل هذا انحطاط في القوى في الاسبوع الثاني للرض وقد تشبه شهية الطعام يدخل بعدها المريض في دور النقاهة الصحيحة

### ( جرثومة المرض )

لم يثر لآن على جرثومة هذا الوباء وهي موجودة بالفعل حيث أخذ دم المريض وحقق به الصحيح فأحدث المرض (تجارب كرمج) وهذه الجرثومة دقيقة جدا لدرجة انها تمر بالمرشحات الدقيقة التي تعجز غالب الميكروبات حتى الدقيقة منها . وقد اتضح ذلك بإمكان إحداث المرض بعد ترشيح دم المريض وحققه الى السليم بواسطة (الدكتور كرمج)

### ( أسباب انتشاره )

برهن بعض العلماء على أن البعوض هو ناقل المرض وقد أظهر ذلك بوضوح الدكتور (كلياند) الذي لقمع أنواعا مختلفة من البعوض بتقنيته من دم المرضى ثم اطعمها من أحماء فنجحت العملية ونقل مرض الدنج بواسطة النوع المسمى (سيتيجوميا فاسيانا) وهو كثير الانتشار في مصر . والبعوض الملقح يحدث الدنج بعد خمسة الى تسعة أيام من اطعامه دم المريض به . وتظهر على المصاب علامات الدنج في مدة تتراوح بين خمسة وعثمانية عشر يوما ووجد أيضا أن دم المصاب يجري فيه جوائيم الدنج مدة أسبوعين كاملين من ابتداء المرض يمكن البعوض أثناءه أن ينقل مرض الدنج الى الأحماء

### ( وصف السيتيجوميا وحياتها )

هو بعوض أسود أرجله بيضاء مسكنه البيوت ويعيش من دم الانسان وفي حالة سكونه يوجد في مواضع الظلام خلف ستار أو باب أو تحت الاسرة . يمضي حياته بقرب من المياه وفي درجة حرارة تزيد على (٢٣) سنتيجراد ولا تقل عن ١٧° وله طيران قوى بدون أزيز ويقع بقتة على فريسته ويحدث ألما أخذ من الألم الذي يحدث من البعوض العادي . لا يطارده الريح . يعيش على الفاكهة وقد ينقل بواسطتها الى مسافات

بعيدة فينتقل معه المرض . يتعدى هذا البعوض من دم الانسان في الصباح وقت شروق الشمس وفي النهار داخل المنازل وأخارجها اذا احتجبت أشعة الشمس وليلا في النور . والستيجوميا تتعاطى طعامها كل ثلاثة أيام تقريبا من دم الانسان والا فن دم الحيوان

### ﴿ أدوار حياتها ﴾

لاتبيض الستيجوميا بعد تلقيحها إلا اذا تفطت بالدم وتضع بويضاتها في أى آنية أوحوض فوق سطح الماء بقليل فإذا علا الماء فقس البيض . ويوجد البيض في الآبار والبراهيل وفي أى شئ ملقى كعلبة صفيح أوغلاف فاكهة وفي دورالمياه والمراحيض وفي بقايا الزجاج أوفى أواني الأزهار ونجويشات الأشجار وبجوار الأنهار وفي نجويشات الأرض بعد الأمطار . وعدد البيض يتراوح من ٧٠ الى ١٥٠ بيضة لكل بعوضة ويمكنه أن يعيش ثمانية أشهر كاملة أوأزيد . وقد يقاوم البيض مدة الشتاء فيقفس في الريح وربما كان الفقس حاملا جراثيم المرض فينقلها بدوره الى الانسان . أما مدة حياة العلق (قفس البعوض) الى أن يصير بعوضا كاملا فتتراوح بين ١١ الى ١٨ يوما في درجة ٣٦ سنتيجراد وهذا العلق يعيش في الماء ولايموت اذا نزل الى قاعه . أما حياة البعوضة فتزيد على خمسة أشهر وربما كانت حاملة جرثومة المرض أثناءها

### ﴿ مقاومة الدنج ﴾

ذكرنا حياة البعوض بالتفصيل لتقدير مقاومتها فالاتحياطات التي تتخذ لمنع انتشار الدنج هي منع انتشار ذلك البعوض . وحيث ان هذا المرض صار مهتدا للمصر في كل عام فيجب على مصلحة الصحة اصدار تعليمات خاصة بحياة وعادات ذلك البعوض بعد درس عميق ثم استصدار قانون يجب اتباعه في جميع المنازل لإبادة نهائيا وتقرير غرامات لمن يخالف تلك القوانين ويوجد البعوض في منزله بعد التقبش الدقيق . انتهى وقد نشرت مصلحة الصحة العمومية المصرية بلاغا عن حى الدنج وهاهوذا

### ﴿ بلاغ من حى الدنج المعروفة للجمهور بأبى الركب ﴾

ليكن في علم الجمهور أن البلاد مهتدة بمرض الدنج وأن معاونة الأهالى لمصلحة الصحة هي من أفضل الوسائل في مقاومة هذا المرض . فعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يسترشد بالتعليمات الآتية في أداء واجبه نحو نفسه ومواطنيه

﴿ مرض الدنج ﴾ إن مرض الدنج هو من الأمراض المعدية وهو ينتشر بسرعة فائقة وربما كان أسرع الأمراض المعدية كلها انتشارا

﴿ الأعراض ﴾ وأعراض هذا المرض تظهر فجأة وهي وجع في الرأس وقشعريرة وآلام حادة في المفاصل والعضلات والظهر مع ارتفاع في الحرارة ووسع في اللسان وقد الشبهة للطعام واحتقان في العينين وآلام شديدة في حثبيهما وفي بعض الأحيان يحصل نزيف من الأنف أو من فتحات الجسم الأخرى . وتستمر هذه الأعراض مدة تتراوح بين يومين وأربعة أيام ثم تنخفض الحرارة ويبتدىء المريض في التحسن مدة يومين أو ثلاثة . و بعد ذلك تعثره نكسة فتعود اليه أعراض المرض ثانيا وتستمر يومين أو ثلاثة ويظهر على الجسم في بعض الحالات طفح يشبه طفح الحصبة . ومتوسط مدة الإصابة بهذا المرض هو نحو أسبوع و بعد زوال أعراضه يظل المريض مدة طويلة ضعيف البنية منهوك القوى الجسمية

﴿ طريقة نقل العدوى ﴾ ينقل عدوى المرض نوع خاص من البعوض المنتشر بكثرة في أنحاء القطر المصري ﴿ طرق الوقاية ﴾ لما كان نقل عدوى المرض لا يحصل إلا بواسطة البعوض فانه من الواجب توجيحه جميع الجهود لمقاومته وإزالة أماكن توالده . وهو يتوالد في الماء الزاكد كاله البرك والمستنقعات وخزانات المراحيض ونحوها ولكي نقي قسك شر هذا المرض يجب عليك اتباع الارشادات الآتية

(أ) أبذل كل الجهد في علم تمكين الناموس من الدخول في منزلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك دقيق أو بشاش رفيع

(ب) وجه كل غنايتك لإعدام جميع الناموس التي يدخل منزلك

(ج) غطس برك بناموسية كلما أمكنك ذلك وضع أطراف الناموسية تحت القرائش بإحكام

(د) لاتترك مياه راكدة في البراميل أو الأزيار أو الأواني الأخرى دون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع

**(العلاج)** إذا أصبت بالأعراض السابق وصفها فلصالحك أن تستشير أحد الأطباء . ويجب أن يعول المريض في غرفة خاصة متوفرة فيها شروط التهوية والضوء مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع وصول الناموس اليه وذلك بتغطية النوافذ بسلك دقيق أو شاش رفيع كما سبق القول . وبقاء المريض على الدوام داخل ناموسية حتى تيسر وقاية الأشخاص الذين يقيمون معه في منزل واحد من تسرب عدوى المرض اليهم وانما نقلت لك كلام الأطباء ونصائح الحكومة للوقوف على إبداع الله وحكمته . أفلا تعجب من حيوانات لاراهنا تدخل في أجسامنا لاعدد لها ولاراهنا العيون والذي ينقلها هو البعوض (الناموس) فهذا الناموس انما هو الذي ينقل تلك الحيوانات من جسم الى جسم . ولا ينجي من خطر الحامل ومحموله إلا بالدراسة وبالرعاية الطب ولارتيقاء للطب إلا بدراسة كل علم ومنه علم الحشرات الذي لا ارتقاء له إلا بالآلات دقيقة والآلات السليقة لا بد لها من صناع يصنعونها وهكذا . فالعلوم والصناعات دائرة واحدة والأمة التي يجب عليها الدراسة والصناعة أمة واحدة والناس أشبه بجسم واحد على الأرض . وقل أعمالا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وبهذا تم الكلام على الطليقة الثانية

**(الطليقة الثالثة في قوله تعالى - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا -)**

قد علمت في تفسير الآيات أن الله ذم الكفار لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة لم يخلقوا شيئا بل هم مخافون ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا يجلبون نفعا ولا ينجون ولا يموتون ولا يعيدون الأموات لبعث فهذه سبع صفات جردتهم من كل كمال يليق بالألوهية . فالإله يكون خالقا لا مخلوقا ولا يضره أحد ويحيي ويميت وإذا أمات أحدا أعاده هذا هو الإله وهذه الأصنام لا قوة لها على ذلك والذي يهيم في هذا المقام قوله - ولا نشورا - ومثل هذا القول يمر على أكثر الناس وهم ناثمون كأنهم لا يعلمون . يذم الله الكافرين لأنهم عبدوا أصناما اتصفت بصفات لا تليق بالألوهية ومنها أنهم لا ينجون ما مات من المخاوف . ولعمري إن هذه هي بيت القصيد انظر وتعجب كيف يذكر ذلك في هذه الآيات . ذكر الله ذلك ليفتح لنا باب الفسوف في الألوهية . لا يثبت إله في العالم يخلق ما لم يكن حكما والحكيم لا يفعل العيب . ومن العيب العظيم أن يخلق خلقا ثم يعدهم بلا فائدة فهذه فسوة ولا حكمة فيه . وأي حكمة في عمل لا قيمة له . يخلق مخلوقات ثم يهلكها ويتركها ولا فائدة منها إلا أنها تعذب وتهان لغير ذنب جنته ولا ظلم اقترفته فان لم يكن لهذا العالم وجود بعد العدم وكان العدم هو النهاية فلا إله للعالم وانما هو تركيب وتحليل لا غير يأتي بالمصادفات . فالألوهية تستلزم البعث فينبى الألوهية وبين البعث تلازم إذا ثبت الإله ثبت البعث لأنه يكون حكما وإذا لم يثبت فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب ولاجنة ولا نار ولا حكمة في وجود العالم ولذلك تعجب القرآن يقرن فيه الله باليوم الآخر قس مع فيه - الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر - في آيات متعددة وسور كثيرة من القرآن . فانظر إذن في عدد (١٩) التي مر ذكره في الطليقة السابقة إذ جعله قدماء المصريين رمزا للبعث . فانظر كيف جعلوا مبدأ العالم والعهة الأولى مرموزا له بالوحيد وجعلوا بقية الأعداد ما بين ارتقاء للعالم وموت وفناء ثم رجوع وهذا الرمز بعينه هو ملخص هذه الآيات

قوله - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - الى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - فالتى له ملك السموات والأرض الخ

كل هذا قد اوضح في هذه المقالات و - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - فانظر إليها الذكى كيف جاء عند قدماء المصريين نفس ما جاء في الفلسفة القديمة والحديثة والبيانات جميعها أن الموت يتبعه البعث والقيامة وللمحدثون على هذا متصنون . انتهت الطليقة الثالثة

﴿ الطليقة الرابعة - وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - الخ ﴾

اعلم أن النوع الانساني درج على هذه الطريقة وسار على هذا التاموس فلا يعظم إلا من كثر ماله وحشمه وخدمه ولا يعلم من أمر هذه الحياة أعظم خطرا إلا ما كان نادر الوقوع مخالفا للعادة وذلك لقلة فطنة هذا الانسان الساكن هذه الكرة . تراه لغفته وعدم فطنه لا يأبه بالامور المعتادة ولا يعقل إلا ما هو غارق للعادة إذ أتاه الله لم أنبياء فأثروا لهم بالغرائب والنجائب . ولما دار الزمان دورته وأراد الله أن يخلق أمة حديثة العهد عظيمة النفع عالية القدر مفكرة أرسل محمدا ﷺ فطلب القوم منه أن لا يكون كالمجوس من الناس فلا يأكل كل الطعام ولا يمسي في الأسواق أو يأتي لهم ملك من السماء فيقول للناس هذا نبي الله وينذر الناس معه أو يعثر على كنز حتى يكون غنيا غنى غير معتاد حتى يقول الناس إن الله حبه له ونظيمه وتقريبه منه أمده بهذا الكنز فلا يحوجه الى معالجة التجارة ولا يضطره الى مزاوله الأعمال مع الناس وهذا من تلك الشئنة المعروفة في الانسان إذ رأى أن نعم الله على عباده تكون على مقتضى المال والولد والغنى من الله على مقتضى قلة المال والولد والنعم . ومن أتى للناس بحال معروضة لهم ولم يكن معه أمر نادر حقره وقالوا أنت مثنا . وذلك لأنهم يتركون مواهبهم وأراهم وهذا الأمر اليوم هو السارى في نوع الانسان . فالتاس على وجه هذه الكرة كلهم على هذه الحال لا يستمعون القول إلا عن يروه بحال ندهشهم فان كانوا من العاقبة صدقوا بالمجاذيب وأمثالهم وإن كانوا من الخاصة لا يثقون الا لرجل أوروبى معه السلاح والحرب والظفر على الأعداء . ولذلك قرر ابن خلدون ان الناس تابعون ليهن ملوكهم وهم أبدا مولعون بالغالب لأن الغالب بهر عقولهم بالجيش الجرماء . فلذلك ترى المصريين أهل بلادى أى المتعلمين منهم لا يبالون بالعبادات ولا الامور الدينية إلا قليلا منهم لأنهم ينظرون الى الدين وللمتدين نظر كفار قرىش الى رسول الله ﷺ فيقول الرجل منهم لو كان هذا الدين حقا لم يدخل الفرنج بلادنا وهم لا يستفون هذا الدين . فتراهم بهذا البرهان العالى الجاهلى السفطائى يلاون وجوههم عن الدين ويفرون منه فرارهم من الأسد ويصبح في نظرهم كما كان صاحب الشرع ﷺ في نظر كفار قرىش . فهم يقولون اليس الشيوخ الذين يقرؤن هذا الدين بين ظهرائنا . ألسنا نحن القاطنين بأمر هذه البلاد . فما شأن هؤلاء وما شأن دينهم يمثل هذه القضايا السكاذبة . يترك التعلم أعمال دينه جهلا وغشاة لأن أهل دينه لاسلاح بأيديهم ولا قوة عندهم فكان الدين لما كان أهله أقوياء كان حقا فلما ضعفوا صار باطلا . وهذه هى القضايا التى ضل بها نوع الانسان وعلى ذلك يسمى ﴿ السيف في يد الحبان عصا وفي يد الشجاع سيف ﴾ وهذا القول لا يعقل ولكنه يقوله الجهلاء الذين لا يعقلون . ولقد أجاب الله على ذلك هنا بإجابة عامة فقال - انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - فوسفهم بأنهم ضالون وهذا وصف عام يشمل الخلل في القضية التى احتجوا بها كما قمتنا وانما لم يذكر خلل هذه الحجة لأن الضلال كما يشملها يشمل غيرها كما سيأتى في هذه السورة إذ يقول الله للأصنام - أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكروا وكانوا قوما بورا -

فانظر كيف قال الله للمجوسين - أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل - فتراهم المعبودون وأسندوا

الضلال لما تمتعوا بهم وآبأهم من قبلهم - حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - هلكي . فانظروا وتجب كيف جعل المعبودون الضلال ناشئا من الفتن الحاصل لهم ولآبائهم من قبلهم حتى أنساهم ذكر الله وهذا الفتن هو الذي دمه الله في قوله - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفين فسحقنا فيها حقن عليها القول فدمرناها تدميرا - فالفتن يورث الفسوق والهلاك في هذه الآية ويورث الهلاك في آياتنا التي نحن بصدها مع الضلال ونسيان الذكر فيكون الأمر هكذا نسيان ذكر فضلال وهلاك وفسوق وهلاك وهذا هو قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرم من \* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهان \* كلا - الخ - وقوله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون -

فانظروا وتجب من أي القرآن وهما تها وارجع الى ما نحن بسدده من الآيات فان قوله تعالى - فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - لم يعين فيه الضلال بفساد الحق يظهر عند النقد بل ترك الأمر لفظة القارئ ثم أعاد ذكر الضلال لما سأل الأتنام فقالوا له نحن ما أضلناهم بل هم ضلوا وذلك الضلال لفتنهم بظلمات وغفلتهم والغفلة متى استحكمت بكثرة الذات والشهوات أوقعت الناس في المهالك . فاتباع الناس لأهوائهم وجهالاتهم ناشئ من الترف والتمتع . فترجع الى الأنبياء فلأنهم كانوا مترفين منعين لكانوا ضالين وحينئذ يقال انه لو أنزل على الأنبياء كنز أو استغنوا عن الأسواق وكانوا أغنى من كثير من البشر لم يكن ذلك دليلا على رفعة قدرهم بل هذه الأمور تورث الغفلة فهي ان لم تدنسهم بالغفلة فليست برافعة لهم شأنًا وليس أكثر الأنبياء بأصحاب ملك كدود وسليمان بل أكثرهم كانوا يزاولون الحرف والصنائع ويعرون الغنى تنشيطا لهم وتقوية لأبدانهم وتغرييا لهم على الأعمال القوية للبدن المنشطة للفكر للبعدة عن الكسل المترتبة على المشاق حتى إذا سادوا الناس أزمهم العمل وساسوهم سياسة تحفظ جمعتهم . فانظروا وتجب من بدائع القرآن كيف يقول الله تعالى بعد ذلك بآية واحدة - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - ثم قال - وجعلنا بضمك لبعض فتنة أصبرون وكان ربك بصيرا -

فانظر كيف أتى الله أولا بالاجابة على قولهم بأنهم ضالون ثم أتبعه بفصول انتهت بالجواب الثاني وتلك الفصول ان الله قادر أن يعطيه جنت وقصورا وانهم كذبوا بالساعة وأن لهم السعير وأن جهنم تنقيط وأن لها زفيرا وانهم إذا ألقوا في مكان ضيق منها دعوا بهلاك وانهم من اللاتي لهم أن يدعوا هلاكا كثيرا ثم وازن بين الجنة والنار وأن الجنة للذين لهم فيها ما يشاءون ثم عشرين المعبودين والعابدين ويسألهم ما سبب ضلال العابدين ؟ فهذه أحد عشر فصلا ختمت بفصل هو الاجابة الثانية لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - وكان ينبغي أن يزل اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فقال لهم هنا إن الفتن بالذات ينسى الذكر ويورث الهلاك فليس في ذلك معجزة ولنا قال بعد آية كما تقدم - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - وأما قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - الخ فهو في

### ( اللطيفة الخامسة )

وذلك أن قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - أجاب عنه بقوله تعالى - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - الخ فانظر كيف كانت الاجابة على للنبي في الأسواق وأكل الطعام وانزال الكنز وأن يكون له بستان بأنهم ضالون وبأن التمتع ينسى الرب فليس من شأن الأنبياء . وكيف كانت الاجابة على انزال الملك بقوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الخ وقوله تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - معناه انهم ليسوا أهلا لمقابلة الملك ولا لمقابلة الله وهل يقدر الناس وهم في أجسامهم وفي شهواتهم وفي أضوائهم أن يلاقوا الملائكة فضلا عن الله تعالى . إن الملائكة

منزهون عن المادّة والناس في الأجسام فكيف يقترون أن يقابلهم والمقابلة بين العالمين اللطيف والكثيف متضمنة مالم يصبح الكثيف لطيفا فإذا لُفّ أمكنت المقابلة وذلك لا يكون إلا حيث يصبح الناس مسلوخين من البشرية عارين عن أحوال الجسمية . ويقول علماء الأرواح في كتبهم ﴿ إن الأرواح العلوية لا يفسى لها أن تكلم إلا نفوسا تنزهت عن المادّة وتعالّت عن أحوال هذه الأرض وصارت علوية النزعة ميالة للأمور العالية الشريفة . شفقها علته وروحها علته وشهواتها متنوعة ولذاتها مفقودة لامطمع لها ولا مطمح إلا في الأمور القدسية والمعارف الإلهية ومقابلة ربّ البرية ﴾ فهذه هي التي تشاقق إليها الأرواح العالية وتنزل عليها في المنام تارة وفي اليقظة أخرى وترى علماء الأرواح يحتلون على محادثة الأرواح بطرق منها المائدة بحيث يجلس جاعة واضعين أيديهم عليها فتطرق طرقات على حسب المصطلح عليه بين الروح الحاضرة وبين الحاضرين من الانس . ومنها أن تكتب الحروف المحجّاة في ورقة وتوضع كأنها إطلار أو دائرة محيطه بالمائدة أي فوق دائرتها ويضعون أيديهم على فنجال وذلك الفنجال يمرّ على هذه الحروف متحركا بالسيال الذي ينزل من الأيدي وأصحابها لا يعلمون من الروح الحاضر ويتمزج السيال الحيواني الآتي من الأحياء بالسيال الآتي من الروح وبهذا الامتزاج يدور الفنجان ويمرّ على الحروف وباجتماعها تكون كلمات ذات معنى كما رأيت بعيني رأسي . ومنها أن يضع الإنسان قلما في يده ويستمر ريع ساعة كل يوم حتى تحضر روح وتكون سببا في انتقال يده بالكتابة فيكتب جملا مفيدة وهكذا من الطرق التي تقدم بعضها أو أكثرها في الذي مضى من الطرق طريقة التوريم للغناطيسى بحيث ينزوم (يفتح الوار) انسان وتأتي روح فتتكلم بلسانه وهذه كلها تقدمت في (سورة الاسراء)

هذه هي نموذج الطرق التي يكلم بها الناس عالم الأرواح وهذا علم منتشر في الأرض ولكن كلام الناس معهم ظهوراته يدخل فيه الصدق والكذب والحق والباطل والصحيح والفساد فبين حقانه لأفئدة إلا في علو الأخلاق وكلما علت الأخلاق اقترب الناس من الملائكة والملائكة - إذن يقتربون من الناس بالألهام مثلا . أما أكثر هذه الأرواح التي يخاطبها الناس خطايا مصنعا فانما هي أرواح سفلية قريية عقولها من عقول البشر فيكذبون كما يكذب البشر ويضحكون كما يضحكون وهكذا . فأما الأرواح العالية فانما ملئت الفسكرة لا تحب إلا ما كان عاليا شريفا ولا تخاطب إلا نفوسا بعيدة عن الشهوات قدسية النزعة . ولا سبيل لهذه الصفة إلا بمحاسن الأخلاق والآداب والمقاصد النبيلة وحب العلم وحب الانسانية . فالتفوس المنتصفة بهذه الصفات هي التي تستأهل للتكلم مع الملائكة ومن سواهم منهم ليسوا أهلا لهؤلاء وهذا هو معنى قوله تعالى هنا - لقد استلبوا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - فلقاء الملائكة لهم لاهلاكهم لا لارشادهم

﴿ اللطيفة السادسة في قوله تعالى - أأنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل - ﴾

قد تقدم شرحها في اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنه أنصرون - الخ ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلقنا في الأرض ليرينا . ولقد جعل الترتية ﴿ بأمرين ﴾ نعمة وحنمة فلا يرى نعمة إلا كان معها حكمة وقد جعل الضدين يتسابقان لخبرنا سؤالا أعلننا أم لم نعلم وفهمنا أم لم نفهم . فانظر كيف جعل الضدين في كل شئ الليل والنهار والصيف والشتاء والشباب والشيب والموت والحياة والايقان والكفر وترى الزرع يصلحه الانسان والماء والشمس ويضده الآفات العارضة . وترى الانسان يعتره المرض والصحة والفقر والغنى والعلم والجهل . وهكذا ترى له العدو والصدیق ويظنّ أكثر الناس أن العداوة ضرر عرض وماعلموا أن الآفات والعوارض مقويات لمن ترد عليه جسما أو عقلا وروحا . فكذلك من مريض كان المرض

سبب توبته أو سبب إقامته لكل الضارة فعاش سعيداً قري العين . وكَم من فقير صار الفقير من أهم أسباب  
 ثروته وغناه أو تهذيبه أو تقوية عضلاته أو تقوية ملكاته الفكرية أو ما أشبه ذلك . وترى الأرض تنبت  
 حشائش مملكة للزروع تنكث في الهواء والماء والأرض وتكون وبالا على القمح والقطن والذرة فيفسد الناس  
 في أزالتها تنبغ وشغاف وذلك دلالة على أن كل ما فيه نقصاً لا يتم كله إلا بعد الشغاف والتبغ في المحافظة عليه  
 والدأب في حفظه وإقامته سالماً . ومن عجب أن المزارع التي تحتاج إليها ضيقة يهوزها قياماً عليها وحفظها  
 وتسميدها وسقيها . فأما التي هي ضلوة فإنها لا يهوزها شيء من ذلك بل هي قوية متينة . هكذا نرى  
 أجسامنا فيها حيوانات صغيرة في الكرات الدموية الجراء والكرات البيضاء . وهذه الحيوانات التي تعدّ  
 بالآلاف الآلاف حافظة لأجسامنا معنة لمقاومة كل حيوان داخل لأجسامنا من حيوان لوباء والجندري والحصباء  
 والتهيفوس والقيود وأنواع الحمى الكثيرة . فإذا دخلت تلك الحيوانات الضارة لهذه الأمراض لتسكن  
 أجسامنا وتخربها وتلفها وتهدمها فأيتها تلك الجيوش الجرارة خارجها فحصل في أثناء العراك والصدام واشتداد  
 الوبليس والتقاء الجيوش واحتدام الوضئ أن ترتفع الحرارة في الجسم من ذلك الصراع فيقال إن المريض  
 ارتفعت حرارته . فإذا غلبت الجيوش المهلكة مات المريض وإن غلبت الحيوانات التي في كرات الدم  
 الجراء والكرات البيضاء شفي المريض . ولذلك يجادل الأطباء يمدون إلى الأطفال وإلى بعض الرجال والحيوان  
 فيلقحونهم . ومعنى التلقيح أن يؤتوا بمادة تشتمل على حيوانات صغيرة تعدّ بالآلاف فيدخلونها بالبر في  
 الأجسام كاللادة التي فيها حيوان الجندري . فإذا سرت تلك المادة في جسم الطفل أخذت تلك الحيوانات  
 تخارب ما في الجسم من الحيوانات الذرية في الكرات الدموية فتززع الحرارة ويموت بعض تلك الحيوانات  
 أو أكثرها فتقوم ذريتها حافظة ما كان لأبائها من قوة على النضال وجراءة على القتال وشدة في الحرب حتى  
 إذا جاء مرض الجندري حقيقة كانت ذرية تلك الحيوانات واقفة له بالمرصاد لأن أجسامها قوية بمحاربة  
 الأعداء وقد ورثت تلك القوة عن الأجداد وأجداد الأجداد

هنا ما يقوله العلماء في الحيوانات الذرية في أجسامنا وفي حيوان المرض الذي يفتك بنا . فانظركم  
 أصبح العدو هو النافع المقوى وكيف كانت الراحة هي السبب الأقوى في الضعف والتمول وانظركم يقول  
 الشاعر الحكيم

عدائي لهم فضل على ومنّة \* فلا أبعد الرحمن عن الأعداء  
 هم يحضون من زلي فاجتنبها \* وهم نافسون فاجتنبت الماليا  
 فلست بهياب لمن لا يهابني \* ولست أرى لمرء ما لا يرى ليا  
 كلما غي عن أخيه حياته \* ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

وقد خست هذه الآيات وذكرتها في سابق التفسير . فانظري الطير في جوار السماء فيه الصائد والمصيد  
 فالصقر يصطاد الخفاف والخطاف يصطاد العصفور والصغور والسرود والسرود يأكل الإنسان والإنسان  
 يأكل الأنعام . فالعالم كأنه دائرة يأكل بعضها بعضاً والعداوة متواصلة والصدقة كذلك . فانظركم خلق  
 الله الضدين وخلق بينهما عداوة وصدقة في كل شيء . فالعداوة كنار محرقة والنار مهيمته لكل شيء فزاهات طبع  
 اللبائن فتجعلها أجراً هكذا العداوات مكملات لنوع الإنسان فهو إن قام جسمه باللين والغذاء وتربية الوالدين  
 فانه قوى عضلاته ويقوى بالخصائص والصبغى المشاحنات والمنافسات . فعلى الرحمة انشاق وعلى القوة الضمية  
 الثارية بالتنافس والعداوات تقوية ملكاته . هذا هو السر في قوله تعالى . وجعلنا بضعكم لبعض فتنة  
 أنصبرون . فانظركم أمرنا بالصبر فالصبر هو المطلوب من هذه كلها وهذا هو السر في قوله تعالى . وكذلك  
 جعلنا لكل نبي عدواً من الجرمين . لأن عداوة الجرم للنبي تقوى نفسه وترقى أخلاقه بالاحتمال والصبر

ولذلك سمي بعض الأنبياء أولى العزم . وهذا هو الجواب الثالث عن قولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - الخ فقد أجابهم بأنهم ضالون وبأن التبع بالخير يبدو إلى الهلاك كما تقدم وختمها بقوله ان المهتدين فتنه للضالين والضالين فتنه للمهتدين فكلها امتحان للآخر . فأنتم أيها الكفار قد فتنتم بمحمد ونبوته وامتنعتم لتنظر هل تصبرون في التفكير والتعقل فتعرفون أن المشي في الأسواق وأكل الطعام لا يخل بالنبوة وفتن محمد وامتنع ليصبر على شدايدكم وكفركم وايدانكم هذا هو قوله تعالى - وجعلنا بعضهم فتنة لبعضهم - فأنتم أيها الصبر على أذاهم وهم مأمورون بالصبر على التعقل والتفكير وعلى أن يعلمهم من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . انتهت اللطيفة السابعة

﴿ اللطيفة الثامنة في قوله تعالى - وقسمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - ﴾

يقول الله ان الكافرين يعدم سبحانه إلى عملهم فلا يقيم له وزنا ويجعله مفزقا لآلئمه . وسبب ذلك أن كل شيء لا ينع في إلا بالبرزخ ولا يزيح إلا حيث يكون الصبر وحفظ القوى النفسية ﴿ ويانه ﴾ أن الذي لا عقيدة له في إله لهذا العالم تكون أعماله موزعة على حسب المرامي التي يرمى إليها فيكون عمله تارة رياء وتارة خوفا وتارة شهوة وتارة لغضب وتارة لأنه جبان وتارة لأنه متبع للعادة وهكذا . فأما إذا جعل الاتجاه لأمر واحد فان جميع أعماله توجه إلى وجهة واحدة فان نال خيرا صرفه لله أو قوفا صرفها في عمل نافع أو خاف التجأ إلى الله وهو يجتهد في عمله وهكذا في كل أطوار حياته ولهذه القوى النفسية الانسانية إلا كنفه الشمس فانه يكون في الجحيم متفرقا مشتتا لا ظهور له في الهواء ولا ضوء له في الأجواء والطبقات العليا فإذا مالامس الأرض اجتمعت ذراته وقويت حرارته وأعش الانسان والحيوان والماء . ذلك شأن ضوء الشمس . فلو لا اجتماع ذراته الضوئية على الكرة الأرضية ما أثمر ولا أزهو زرع ولا درت ضرع ولا كانت فيه منافع . هكذا نيات الانسان إذا تركت وشأنها وهكذا كل ما يصتربه إذا لم توجه رغائب الانسان ومقاصده فيها إلى وجهة واحدة تطايرت وزهدت كل مذهب ولم يبق لها منفعة ولا خير ولذلك يقول علماء النفس وعلماء الأرواح ﴿ إن الإنسان إذا وجه فكره إلى الأمور التي يقصدها بهمة فإن همه تستيق إلى المقاصد متى كانت على ثقة بقصدها ﴾ ولذلك كان أشراف الأنبياء يسمون أولى العزم لأنهم يجتهدون للعرض الذي يقصدهونه ويسمون بأنفسهم إلى ما يقصدهون . وهكذا يقولون ﴿ إن الانسان متى وضع صورة ما أمام عينه واتجه بقلبه إليه فان تلك الهمة تتحرك من صاحب تلك الصورة همه تتجه إلى من قصدها ﴾ وعلى هذه الطريقة بنى فن من العلوم السحرية ويقول الله تعالى - يعجبهم ويعبونه - ويقول ﴿ من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ﴾ ويقول - فاذكروني أذكركم - فأصبحت القاعدة واحدة في تضاهيهم أنجه بقلبه للخلق فينت صادقة فيما اتجه إليه . وهكذا من توجه لله كان الله عون له . وعليه يكون التوجه لله حافظا للأعمال من التفرق والتشتت . فأما ترك الآراء والأعمال بلا اعتنان يسكنها فذلك ضياع لها والله هو الولي الحميد

﴿ جوهره في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا - ﴾

كنت على شاطئ النيل الشرق يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٩ فرأيت شابا بيده كراسة فيها دروس يقرأها فسلم علي وأخبرني انه من مدرسة (دار العلوم) وأخذ يسألني في أمور يشك فيها وأهمها ﴿ مسائلتان ﴾ المسألة الأولى ﴿ إن الله خلق العالم وكيف تنصّر وجوده ونقولنا لا تنقل كيف كان هذا الوجود ﴾ (الثانية) كيف يدتنا وهو المقتدر لجميع ماضيه . فقلت أما سؤالك الأول ففي الحديث « تفكروا في خالق الله ولا تفكروا في ذات الله » . فقلت نعم ولكن أدرك أن أكون حرا ملك فلا تدينني الحديث لأن عقلي لم يقف عند الحديث وعوطي الثاني فأنا أطلب منك إيضاح هذه الحركة الفكرية . فقلت له ما نتائج ضرب ه في ه قال ٢٥ فقلت و ٢٤ ليس حاصل ضرب ه في ه قال . كلا . بل هو مستحيل قلت إذن هنا ﴿ أمران ﴾ واجب وهو



٢٥. ومستحيل وهو ٢٤ وغيره من جميع الأعداد فكيف يستحيل أن تكون حاصل ضرب هـ في هـ قال نعم قلت ما الذى تساويه زوايا المثلث الثلاث . فقال زوايا المثلث الثلاث تساوى قائمتين . قلت أيقين هذا . قال نعم . قلت ما تقول فى الأمور الهندسية ؟ أياقنه تقوم أم تقوم بالخارج . قال باليقين . قلت هل أنت فاهم ما تقول . فقال أفهمه اجالا . قلت اعلم أن علماء الهندسة يقولون ان الأشكال الهندسية تقوم بجسم معنى ينطبق على الجسم المشاهد فى صورى النفس تظهر آثارها فى الخارج وهكذا جميع العلوم الرياضية ترجع فى تصورها الى القهن ولا تتوقف على الخارج بخلاف العلوم الطبيعية كهذا النبات وهذا الحيوان فهذا لا تتصوره إلا فى مادة خاصة . أما المثلث والمربع والكرة فهى لا تحتاج الى مادة خاصة فأى مادة تصورناها أدركنا بها تلك الأشكال . إذن العلوم الرياضية تحتاج فى تصورها الى مادة تقوم بها فى القهن لافى الخارج لأننا تصور الأشكال ولاهمننا من أى نوع تكون صورة الشكل بخلاف نبات القطن أو القمح أو هذا المعدن فانا لا نتصوره إلا بعادة خاصة نحضرها فى أذهاننا . أما المسائل الإلهية فهى لا تتوقف على مادة أصلا لافى القهن ولا فى الخارج . فقال هذا كلام الفلاسفة وهو عسر الفهم وان كنت أنت أوضحته فالى لم أستقد قائمة فى موضوعي . قلت هذه مقدمة لموضوعك . ألم ترى سألكت فى زوايا المثلث . قال بلى . قلت هذا المثلث أنت تصوره فى ذهنك وانه يجب أن يكون مساويا لقائمتين . قال نعم . قلت هل هذه النظرية موجودة . قال نعم قائما ان لم تكن موجودة كيف تتصورها . ثم قلت أواجبه هى أم جائزة أم مستحيلة . قال بل واجبة . قلت إذن هناك أمور واجبة فى ذاتها تقضيا الحساب والهندسة والجبرهى قضيا صادقة فى ذاتها ولذلك يقولون حقائق الأشياء ثابتة ، فهذه أشياء ثابتة فى أنفسها . فاذا كانت أمثال القضايا العلمية ثابتة فى أنفسها أفلا تكون هذه مقربة لموضوعنا أى اذا تصورنا نوعا من الوجود للقضايا العلمية وقلنا ان هذه القضايا ثابتة فى أنفسها ؟ أغليس هذا يسهل لنا أن نفهم وجود الله بدون موجد . ثم انى أذكرك ( ياأمرين هـ الأول ) ان عقولنا بالنسبة لهذا العالم أشبه بالعلم بالنسبة للوجود . ألا ترى رعاك الله أن أرضا أصبحت اليوم بعد الكشف الحديث ماهى إلا كجوهرفرد اذا نسبت الى جميع العوالم ( وبعبارة أخرى ) أن الأرض لوصفت الى جوهرفرد وصغر العالم كله على نسبتها لوجودنا الكواكب والشموس التى تصور وجودها العلماء تساوى (ألف مليون أرض) إذن أرضا أشبه بالعلم ونحن جزء صغير على هذا العلم ؟ فاذا تصور فى عقول قوم أمثالا ؟ هل يعقل أن هذه العقول تقدر أن تحيط علما بهذا الكون فضلا عن خالقه . إن هذا غير معقول فاذا كانت أرضنا ماهى إلا أشبه بالصغر ونحن (جزئ) صغير جدا على هذا الصغر فكيف يقف عقل هذا الخالق المعلوم على خالق هذه العوالم كلها . قال حقيقة أنا مقتنع بما تقول وحقا ان العقل يقضى أن هذا الضعيف وهو الانسان لن يقدر أن يعرف حقيقة الله . قلت هذا قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - وقوله **تعالى** ( تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فان التفكر فى ذات الله إشرارك ) وقوله تعالى - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - فاذا كان هولم يشهدنا خلق أنفسنا فهل أشهدنا وجود ذاته . إن هذا مستحيل ومستحيل لعدم الاستعداد والضعف المستر فى الانسان هذا هو الأمر الأول ( الأمر الثانى ) إن هذه الدنيا التى نكنها لم نعرف فيها عدما البتة فأين هذا العلم . إن هذا العالم كله وجود لاعدم فان كل نبات وكل حيوان وكل معدن وكل كوكب اذا تحلت أجزاءها رجعت فى نبات آخر وحيوان آخر وكوكب آخر وهكذا كما هو معلوم فى العلوم التى ترقوها اليوم . فالنبات والحيوان ترجع أجزاءهما الى مخلوق آخر منها والشمس والقمر ولنجوم كلها اذا انحلت ترجع الى كواكب أخرى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ويرزوا لله الواحد القهار - . يموت الميت فيكون عليه ولم يكن الميت عند الناس وهو حى إلا بالصورة الجسمية الممكرة فاذا مات لجسمه موجود لم يخرج من ملك الله . إذن هو موجود لاعدم

وبكأنهم عليه لأنهم لا يشاهدونه بعد ذلك والبكافي الحقيقة على روحه التي لم يشاهدوا إلا أفضالها وأقوالها بواسطة هذا الجسم والروح أيضا موجودة فأين العلم إذن . فقال لقد قلت أنت عن العلماء في هذا التفسير أن المادة تعدل منها وأنها ترجع إلى عالم الأثير . فقلت وعالم الأثير موجود في نفسه وإن لم تره حواسنا إذ رؤية حواسنا ليست شرطاً في الوجود فليس العلم مالم تشاهده حواسنا ولا الوجود موقوفاً على رؤية حواسنا وإذا حكمنا بأن عالم الأثير موجود ونحن لم نشاهده بل عرفناه استنتاجاً في زماننا بسبب آثار الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة القائمة به فلم يصعب علينا فهم أن القضايا العلمية والنظريات الرياضية موجودة في أنفسها وكيف يصعب علينا بعد ذلك أن نعلم بأن هاتك موجوداً قائماً بنفسه هو موجود هذه الحقائق وإن كنا نحن ضعفاء في الأرض . فقال حقاً انه قد نلج صغرى وانشرح لهذا البيان المحكم في المسألة الأولى . فقلت إذن أجيبك على المسألة الثانية وهي كيف يحد بنا الله وهو يعلم أفعالنا . أولاً تذكر أنه رحيم ولكن هذا التذكرة لا يعني فيه أن تقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم ، لأن القراءة شيء والعلم شيء آخر . القراءة مبذولة للعالم والجاهل واللغبي والتذكرة والله قبل أن ينزل القرآن خلق هذه الأرض ومن عليها والسماوات العلوية فلا تخفى القراءة بل لا يخفى معنى اللفظ وحده بل لا بد من التفكير ولا تفكر في أمثال هذا إلا بدراسة نفس الأجسام الإنسانية التي هي أقرب إلينا من السماوات والأرض . إذا درسنا أجسامنا أدركنا لماذا كرر الله الرحمة في أول كل سورة ولماذا كررت الرحمة في ثانيا القرآن ولماذا يقول - كتب ربكم على نفسه الرحمة - ففهم الرحمة في أجسامنا هو الذي به نقل معنى بسم الله الرحمن الرحيم . وأقرب شيء لما قوله الآن نظام العين المركبة من (٧) طبقات ومن ثلاث رطبوبات موضوعات كلها وضعاً منظماً . فترى القرنية محبة الشكل وترى العنسية محبة الوجهين وكتاتهما مطبوعة على جمع النور . ذلك النور الذي يعبر من الكواكب إلى الأرض وأقربها إلينا الشمس التي يحتاج نورها إلى (٨) دقائق و (١٨) ثانية حتى يصل إلينا وهناك كواكب اطلمنا عليها بالنظار العظيم وصلت في تباعدها عنا إلى أن نور بعضها لن يصل إلينا أمينا إلا بعد مضي (١٠٠) ألف ألف سنة يسير النور وهذا الكشف جاء في سنة ١٩٢٨ م قبيل كتابة هذه المقالة . أقول فإذا وجدنا أن طبقات العين وضعت بهذه الدقة والحكمة والوضع البديع الذي به تحسنا من رؤية الشمس التي تبعد عنا بسيرة بلدفع (١٢) سنة و بسيرة القطار (٣٦٠) سنة و بسيرة النور (٨) دقائق وتحسنا من رؤية كواكب متباعدة بحيث يصل بعدها إلى (١٠٠) مليون سنة بواسطة الآلات العلمية على الابصار . إذا ثبت هذا فقد دلّ على رحمة لاحد لها . فأى رحمة وأى رافة من أم وأب وحبيب وصديق تولى هذه الرحمة . هذه رحمة فوق الوصف . قال أنا الآن موقن بهذه الرحمة ولست أشك فيها بعقل لا بمجرد السماع ولا بفهم المعنى بل بدراسة جسي . قلت فالآن أتتكم معك على الجنة والنار والثواب والعقاب فأقول الله خلق فينا اللذة والألم والمحبة والمكرهه فلكمروه مهاديسوقنا إلى فعل المحبوب . وما مثل الناس مع ربهم إلا كمثل المعدن في أيدي أرباب الصناعة من حداد وصائغ . هؤلاء يذنبونها في النار لتكون طوع أيديهم فيها يقصصون منها . انظر رعاك الله إلى ما سيمر عليك في آخر (سورة النحل) عند قوله تعالى - وكل الحمد لله سريكم فتمرفوننا - فهناك ستري أن الناس من قبل لم يكن عندهم إلا نار القمع وبنار القمع تصرفتوا في المعدن إلى حد ما . أما الآن فإن الكبرياء قد مكنتهم من أن يصنعوا فرناً يسمى (الفرن الكهربائي) والفرن الكهربائي تصل درجة الحرارة فيه إلى (١٤٠٠٠) درجة وقد رأى (فرنبيت) أن درجة الصفر تقف عند الدرجة التي وصل لها بمزج الملح مع الثلج وهي (٣٢) درجة تحت درجة الثلج وهو الذي كشف ذلك . ولكن ستري هناك أن الفرن الكهربائي قد صرف القوم به في المواد فنزلت درجة حرارتها في أرادوا عن البرجة التي وصل إليها (فرنبيت) نحو (٤٤٩) تحت الصفر الذي عنه هو وهذه

السرجات الواسعة البالغة (١٤٠٠) ونحو نصف ألف أصبحت المأذة في أيدي الناس أشبه بالشمع يصفون بها ما يشاؤون حتى أنهم أمكنهم فصل (الاوروت) وهو (اليتروجين) من الهواء ثم جعلوه متحدا مع (الهيدروجين) فحصل لهم نشادر كما اتحد الأكسجين مع الاودروجين فصارا ماء هونا بأن لنا مجال الله ورحته . هواء محض به آدمع جزؤه يتصرف الناس فيها بالحرارة . فجاء نجعله نشادر بالتحديد مع عنصر آخر وهذا النشادر يدخل في السباد فينمو الزرع وتكون المفرعات والمهلكات الخريية . من أين هذا ؟ من نفس الهواء . إذن الهواء أمكننا أن نفعل فيه ما فعلت البرودة بلقاء إذ حوّلته الى نلج . فهكذا هذا الهواء جعلناه جامدا واستعملناه سبادا لزرعنا واهلا كالقري وللدن

هذه هي الحرارة وهذه هي العناصر والمعادن . الحرارة أرقت والعناصر ذلت وخضعت بسببها وبهذا كانت قدرتنا على ارتقاتها أوسع وأعظم . فقلنا عز وجل خلقنا في الأرض وخلق فينا ( غريزتين ) لئلا وألما وحبا وكراهة واستعمل الأبوالهذه لسوقنا الى الكمال . فقال إذن كل صائر من الكمال لجميع أهل الأرض صائر من السعادة . فقلت لماذا تريد بهذه الجلبة . فقال إذن الله هو الذي يتصرف كما قلت لك ونحن في يده كالصن في يد الصانع في القرن الكهر باني وهو بهذه الآلام وأزديادها يهت بنا ليعتدنا الى أحوال أخرى وعوالم لا ندريها ، إذن فلماذا يعتد بنا يوم القيامة ، إذن فلنتشكل . قلت له هذه المسألة لم تقب عن أصحاب رسول الله ﷺ فانه قال لهم ﷺ (جف القلم بما هو كائن أو كان) قالوا له يا رسول الله إذن نتشكل فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وأيضا ما دخل الكلام على القضاء والقدر في أمة إلا كان سببا في هدمها وخوابها . وقد قال ﷺ (إذا ذكر القدر فأمسكوا) الخ فكان يتحاشى ما تقوله أنت الآن . فقال ولكن أنا بدأت حديثي معك بأن أكون حرا والحديث معك مع طوله أرجو أني ما كنت فيه . قلت سنسمع الساعة ما هو أقرب الى الطمأنينة وسرور النفس . قال نعم . قلت يقول ﷺ (كل ميسر لما خلق له) قال نعم . قلت (ويانه) أننا في هذه الأرض بالبيع عرفنا أن كل مخلوق قد أعطى كل ما هو في حاجة اليه فالطيور والحشرات والانسان سواء في هذه القضية (وقراء هذا التفسير موقوفون بهذا) قال نعم . قلت والأمنه كثيرة على ذلك . قال نعم قرأتها في تفسيرك وفي غيره . قلت وأنت موقن به . قال نعم . قلت الحمد لله إذن ندخل في المقصود أن مما يحتاج اليه هذا الانسان أن يكون معه حيطان سوط من الجنة وسوط من النار (وبعبارة أخرى) أن يكون مع كل انسان جنة ونار فالجنة والنار العاتتان يمتد منهما فرعان لكل احدهما في هذه الدنيا فيخرج الجنة بهتون وبغري النار يمدتون . فقال وكيف يعقل هذا ، أنا والله لم أر الجنة ولم أحسن بالنار . فقلت له لا تحلف ستر الآن حلا فاصبر ولا تهمل . قال اذا ثبت هذا يكون عجا . فقلت أليس أنت بمدرسة دارالعلوم . قال بلى ولكني أدرس في الخارج . قلت أفلم تری أن لك أصداء وأخوانا . قال بلى . قلت فلماذا كنت وتأخرت فلماذا ترى . قال أسرون ويعجزون أهلي وأشباه . قلت ح من ، إذن عندك شيء موجود يغريك ويعجزك على تصديقك . قال نعم . قلت أرايت لو أنك لعبت وكسبت طول السنة ثم سعت في آخر السنة ثم رأيت ضميرك يزعمك ويوبخك فهل بدت منك أن تحببه بقول ان الله قضى على بذلك أفلم تستمع بكلمك بالاحرف ولاصوت بكلام مستمد من كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولاصوت فيقول لك لماذا نمت عن دروسك وأتبعت شهواتك وقد سبقك اخوانك ولم يحجبوا بالقضاء والقدر كما احتجبت أنت أليست لك قدرة وذلكة . ألم ير لك والدك القود . قال بلى والله يحصل ذلك كله ولا تدع الخلق ولا الأقوال ولا الاحتجاج ولا الاتكال على القضاء والقدر . وهذا التائب والتوبيع لن يحصل لمن هو بايد ولان هو لا مال عنده يتفرغ به لطلب العلم . قلت إذن عرفت أن الدباد مقدر بقدر الذب فكل من قدر مكلف بما قدر عليه لا يكلف الله فسا إلا وسعها وهذا هو قوله تعالى جوابا على احتجاج المشركين على القضاء والقدر

كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - فهذه المسائل فرغ منها القرآن ولم يتركها مشركوا العرب الينا بل تكلموا فيها فأجيبوا بما سمعت - فقله ﷺ ( كل ميسر لما خلق له ) معناه ما يحسن به في نفوسنا فهأى ذه ضائرنا توبخنا وتضنى أفئدتنا اذا قصصنا . قال نعم قلت فمن أئمة البلاد أئمة . قال من مديرية أسبوط . قلت قوم أهل شهامة ومروءة وكرم . أفرايت ان وقعت في فعل فاحشة وشاعت عنك هذه في قريكم وأنت شاب ومن أسرة شريفة ومن أهل العلم فاذا ترى من أمرك إذن . قال آتني الموت وأختني هن أعين الناس اذا قدرت . قلت فاذا صمك الله من هذا العار جنة ثم رفعك بالعلم وجعلك من عظماء بلادنا . قال أجد في نفسي سرورا وغبطة وأسرة أهلى بذلك . قلت فهل تحسن بذلك الخوى الذى تحسن به النفس في الحال الأولى . قال لا ومن أين يأتي . قلت هذان هما الفرعان المتندان من النار والجنة في عقول الناس الآن . وهذا التوبيخ وهذه العترات على الخيبة وعلى التراجع بالاحوف ولا صوت هما للمستندان من كلام الله الذى ليس بحرف ولا صوت . يكلم كل امرئ بكلام خفى - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم يبينهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم -

### ( غرائب تكييت الضمير )

كان خياط اسمه (شيوارد) في مدينة (نورويتش) بالبحر قتل زوجته (وكانت تكبره بأعوام كثيرة) بأحدى آلات مهنته سنة ١٨٥٦ ثم فرق ما بين لهما وعظما ودفن الرفات الباقي في مكان بضاحية البلدة وبعد ذلك ببضعة اشهر صادف أن كلبا نبش مكان الرفات واستخرج منه عظمة آدمية ظهرت على أثرها بقية العظام فذاغت الاشاعات في البلدة عن أن رفات زوجة (شيوارد) قد كشف . ولكن أحد أطباء البلدة وكان على شئ من الشهرة صرح مؤكدا بعد فحصه العظام أنها ليست من رفات المسز (شيوارد) في شئ بل هي لامرأة في ميعة الشباب قد لاتجاوز العشرين من عمرها فذهب هذا الرأي القطعي بكل الشكوك التي حامت حول (شيوارد) واقتضت عشرون سنة كان (شيوارد) قد أفرى في خلاها وأصبح في بلهية من العيش وقد تزوج مرة ثانية بعد تلك الأعوام الطوال فصادف انه ذهب الى مدينة لندن لقضاء بضعة أيام وفيها هو يطوف بها في إحدى الليالى ولاغرض له يرمى اليه إذ تصادف انه مر بالشارع الذى كان قد تعارف فيه لأول مرة منذ ثلاثين سنة بزوجه التي قتلها ومثل مجئها أشنع تمثيل فاستولى عليه تأنيب الضمير فجأة ولم يستطع له دفعا ولا عليه تقبلا وفي نفس تلك اللحظة أبصرت عيناه أحد رجال البوليس واقفا في الجانب الآخر من الشارع فهرع اليه واعترف له بمجرمته اعترافا مفصلا فقادته الجندی الى مخفر البوليس ولكن (شيوارد) بعد اعترافه هناك أيضا بساعات قلائل أراد أن يجهد اعترافه بيد أن الوقت قد فات إذ أن الاستعلامات التي قام بها البوليس في خلال تلك الساعات كانت قد أثبتت لرجاله أن لابد في الأمر من شئ . وعلى الأثر استخرج رفات زوجته الأولى وخضع جهابذة الأطباء بكل وسائلهم الطبية المستطاعة وكان تقريرهم يقضى بادانة (شيوارد) بالجريمة إدانة لا افلات له منها . وكان لابد من أن يدفع ثمن الجناية فأعصم شقايوم ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٠ م فقال حسن جدا ولكن هندی سؤال واحد لي به للموضوع . قلت قل . فقال إن الله جعل العذاب في الآخرة ولم يجعله في الدنيا . فقلت . كلا . العذاب في الدارين معا وهذه غفلة دخلت على المسلمين أدخلها الجهل وقلة العلم . قال أفى كتاب الله تعالى . قلت نعم بل كتاب الله هو انشئ وأوضحها . ألم ترالى قوله تعالى - فلا تنجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليذهبهم في الحياة الدنيا ويتركهم وهم كافرون - انظر أفليس التعذيب في الدنيا بعضه هو انشئ قررت مدك . قال نعم . قلت ان لسان منى كانت وجهته المال والولد

وليس لنفسه سوى المال والولد كانا سبب ذل نفسه في الدنيا وهذا عذاب آخر غير العذاب التي تكلمنا فيه .  
 إن نفس الانسان خلقت في الأرض لتعلم وتعمل ولكن الجبل يغمم المرء أن الحياة في الدنيا للتعيش بالشهوات  
 وهذه الشهوات نفسها تؤذيه لأنه سجن نفسه فيها مع لها من السماء أى من عالم أوسع فاحتصارها في المال  
 والولد ذل لها فيسلطان عليها فتذل بهما كما ذلت بالسكس في سدنى ملك . قل ثم ماذا . قلت ان جميع  
 قصص القرآن أمت بالعذاب في الدنيا أولاً مثل - أغرقوا فأدخلوا نارا - ومثل - لهم عذاب الخزي في الحياة  
 الدنيا ولعذاب الآخرة - وهم لا ينصرون - ومثل - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -  
 وجميع الخلف والفرق وإرسال الخاص بالذكور في القرآن عذاب دينوى وهكذا قال في الثواب - وآتيناه  
 أجره في الدنيا واه في الآخرة لمن الصالحين - والقرآن كله طافح بذلك ، وكفى دليلاً على ذلك أنه ﷺ  
 وقف على قلب بدر ونادى قائلاً يا أياها الجهل يا فلان يا فلان - لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد  
 ربكم حقاً - فقال الصحابة له ﷺ كيف تكلمهم وهم قد جيفوا (بتشديد الياء) فقال انهم لم يسمع لما  
 أقول منكم ولكنهم لا يمتنعون . فهذا منه ﷺ ليعلم لنا باب العلم في هذا الزمان لأن هذه آية في القرآن  
 - ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قلوا نعم  
 فأذن مؤذن بينهم - الحق وهذا الآية مسوقة للآخرة لا للدنيا . فوقوه ﷺ على قلب بدر ومنادته لقتل  
 قريش تعليم منه لنا أن الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة والمادة في الدارين بدليل انه ﷺ ناداهم وهو  
 في الدنيا وأصحاب معه . ذلك كله دليل على أن الثواب والعقاب يتبدلان من الدنيا بالعقل والنقل والتبوء هي  
 التي وضعت ذلك . ومن ذلك مسرات المجتهدين باجتهادهم وسؤن المقصرين من أجل تقصيرهم ومن ذلك  
 بواصت الجدة والاجتهاد بما في الأئمة من الولوع والخوف من التعير والذم والجعل أمام الناس في هذه الدار  
 كما أوضحناه هنا . ولذلك يقولون اليوم كما قمتنا في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ثم لبثوا أشد كمومكم  
 من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر - أن النابغين في الأمم تحدث لهم صفة تورثهم الضعة فيجتنون في العلم  
 والعمل حيزاً يولوا تلك الوصمة فذلك إنما هو خزي وضع لهم في أفئدتهم امتد لهم في أنفسهم فخرهم للرق والسعادة  
 فقال أريد إيضاح مسألة الخزي على شريطة أن تكون من نفس القرآن بما هو أوضح مما تقدم . قلت  
 يقول الله تعالى في (سورة آل عمران) - ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فحقاً عذاب النار - فذكر عذاب  
 النار بعد بيان أن هذا العالم ليس مخلوقاً باطلاً بل بحكمة وذلك يستدعي أن تقف النفس على محاببه وبدائمه  
 فأردفه بطلهم من الله أن يعقوب عذاب النار . وقد قال علماءنا كما أوضحته هناك في تفسير هذه الآيات ان  
 عذاب الخزي أشد على النفس من عذاب النار . ولذلك تسمع العامة يقولون في أمثالهم ﴿ النار والعار ﴾  
 وتقول مرهم - يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً - فالجاءه بلاشرف يكون العدم أفضل منها والجهل  
 أقيح شئ عند الناس وهذا واضح هناك فافهمه . فأنك ستجد أن فوضنا خلقت لتعرف هذا الوجود وتدرسه  
 وأن الجهل عار عليها ولا تزال مضطربة للجهل به حتى تعرف والا فهم في عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولهذا  
 قال بعدها - ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجته - فكأنه أبان أن عذاب الخزي أشد من عذاب النار  
 ثم أظهر الحقيقة واضحة بعد ذلك فقال - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف  
 الميعاد - وهذا كقوله - لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة - كما ذكرنا عذاب الخزي  
 الآن ظاهر في أم الاسلام . أحاط بها الخزي لأنها بهلت ما خلق الله في السموات والأرض فلم تعلم ما أبدع في  
 الكائنات ففهم الشيرات الخبوء في أرضه لأنه تعالى لا يرضى أن يعطى النعمة إلا لمن يطلبها باستحقاق ويشاق  
 إليها . فانظر كيف تلازم العذابان عذاب الخزي وعذاب الأجسام ، فقلوبنا نحن المسلمين خزي أمام الأروى  
 بسبب الجهالة وبسبب أنهم يتفكرون اليه فنترك الى الحيوان لجهلنا وأجسامنا متعبة معذبة لأهم أحاطوا بأبناء

العرب من كل ناحية يرسلون اليهم طياراتهم ومدافعهم ويقولون لنا في مصر إياكم أن تحمّلوا سلاحا إياكم أن تصعدوا المانعكم به ولاضر بناكم السلاح وقد قتلنا منا قوما وأخذوا منا ألف ألف أيام الحرب العاتية فمروضهم للنار وقتلوا منهم كثيرا فقتل هذا عداب جسمي مصاف لعذاب الخزي بهجل ما أبدع الله في السموات والأرض فلما أتممت هذا القول رأيت هذا الشاب ظهرت عليه أمارات السرور والانتفال وقال الحمد لله قد نلج صدري وأسأل الله أن يجلل حياتك ومن ذا الذي كان يخيل له أن مانسمعه سماعا سنصبح ونحن نحس به في أنفسنا عملا كأنه جسم أمامنا . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩

### ﴿ جوهره باهرة في ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح ﴾

الهم لك الحمد . قد تجل نورك في الآفاق وظهر وجهه في حسنه واشراقه وجهه . ضربت لنا الأمثال في أنفسنا وفي الآفاق وأبدعت عالم الصور وعالم الأرواح على وفاق ونظام ابتهجت به القلوب وأشرقت به النفوس فلاح له بحر الفلاح في عالم الأشباح ونحت من ظواهر الأنوار خوافي الأسرار

#### ﴿ البنائن والجوهريون ﴾

يا ربنا يا الله أن فلوتا تجلت لها مواهب من لندك ففرت كيف تضع الأشياء مواضعها . نظرت في الجبال فرأت في ظواهرها الاحجار وأنواع الجير والكلس وإلى الأرض فوجدت فيها الطين والرمل فألهتها أن تجمع هذا وذاك وأن تبني بها المساكن والحصون لحفظها من الحر والبرد والعدو والوحش في القفار . ثم هي نظرت نظرا أدق فوجهت نظرها إلى ماني بواطن الجبال وأعمق البحار فاستخرجت الأحجار الكريمة والمعادن الطريفة من الماس والياقوت والزبرجد والذهب والفضة والبر والبرجان فرأتها جيلة بهية وعلمت أنها قليلة الوجود لانتانها إلا بمسقة فأدركت هذه الأنفس التي أنزمتها بنورك وأفضت عليها من سنائك وشموس اشراقك لأنك نور السموات والأرض أن هذا الجبال لا يناسبه إلا الجبال وأن ما يهزه العناء والنصب في الجدة والطلب عزيز ثمين فلم تضع تلك الأنفس هذه النفائس إلا فيما يوافقها ولم تهدها إلا لما نفعها . فإذا صنعت ؟ أهدها للقوافي وزينت به الجوارى الحسان . هذه أفصال البنائين وأعمال الجوهريين كل اصطنع ما يوافق مشربه ويوافق صنعته فوضعه في موضعه وقرأ - وكل شيء عنده بمقدار -

#### ﴿ رجال السياسة ونظام المدن ﴾

ثم رأى رجال السياسة وعلماء البيانات من سائر الأمم والأجناس أن بناء الأمم وحفظ كيانتها واستقامة أمرها لا يتم إلا بظواهر التشابه والتشاكل فأمرها الجمهور أن يتباعد عن الزنا والسرقة والنم والقتل والإيذاء والإضرار بالناس وأن يكون الجميع على مشرب واحد ورأى متناصب فكان مثلهم كمثل البنائين الذين يصفون الأحجار مع ما يناسبها والطين والأجور كذلك غير ناظرين إلى ماني بواطن الجبال من الجواهر ولا إلى ماني أعمق البحار من البر والبرجان فيسجنون السارقين ويقتلون القتاتلين ويقيمون الحق ويسدلون بالقسط ويفعلون مع الشعوب فعل البناء مع الأبنية بحيث إذا اختل حجر من أحجار البناء أولتة من لبناته أو ملدة أو أجرة من حائطه أسرع في إصلاحه وضبطه أوربي به وكسره وأتى بأسخر خلل محله . هنالك يقوم الحائط وهكذا يقوم نظام الأمة وتبقى إلى حين حتى إذا غفل الحكماء ونام الوعاظ وعلماء الدين فداعت الأمم إلى السقوط وهوت إلى الخفيض كما يتداعى البناء إلى الانهيار ويسقط إذا أهملها أهملون بأمره وهم ساهون لاهون

#### ﴿ حكماء الأمم والجوهريون ﴾

وهنا جاء دور الحكماء والمفكرين من الأمم الذين نسبهم إلى علماء ظواهر البيانات ورجال القضاء والفقهاء ورجال السياسة كنسبة الجوهريين إلى البنائين . فكما أن البنائين يكفون في بنائهم بوضع أحجارهم

وتناسبها وضبطها بالملاط أو بانتظام اللبنة بضبطها بالطين المتخاطب بالطين الحافظ لها من الاختلال والسقوط هكذا رجال النرائع الدينية ورجال السياسة المدنية يكتفون من أهمهم التي هم قوامون عليها بطواهر الأخلاق وبوادر الأحوال وحسن المعاشرات وترك المنازعات والقتل والسرقة وهتك الأعراض وما أشبه ذلك وأن يروههم قد اجتمعوا في الأعياد والمواسم وللواكب والصاوت والجماعات فيكتفون منهم بذلك ولا يطلبنهم بأكرمته ولا يغشون عن قلوبهم ولا يسألونهم عما في ضمائرهم يقولون ﴿ لنا الظواهر والله يتولى السرائر ﴾

أما الحكماء والمفكرين فأنهم يقولون أيها الناس نحن لانكتفي منكم بالظواهر ولكننا نذكركم بأن الجواهر غير الأجسام ومن ذا الذي يقيس الصفد بالجواهر أو القشر باللب أو الحجر بالمعدن والأجسام الكريمة . فكما لاتناسب بين الجواهر التي تتحلل بها الحسان وأجسام الأجسام هكذا لاتناسب بين عالم أرواحكم وظواهر أخلاقكم لأن اكتفى البناء بتناسب الأجسام وضبطها والرجل السياسي والقاضي بطواهر المدنية والمعاشرة ليطلبن الحكميم مطلباً أسى من هذه النفوس الإنسانية وليقولن لكم ماصوره ﴿ إن عالم الأرواح بعد مفارقة الأبدان أشبه بالأجسام الكريمة والمعادن النفيسة فهذه لها مقام أجل وأسمى ويحفل في أجل مكان وكل من كان منكم ثم يقولون لهم ستغزون فرزا ويصطنى كل من كان أجل وأسمى ويحفل في أجل مكان وكل من كان منكم غير مصطنى ولا متنى ولا بهاء فيه ولا جمال يربح التفكرى إذ لاتناسب بين البهرج والتعب العرف

وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟ والجمال هنا والصفاء ﴿ بأمرين ﴾ اثنين ﴿ لاناك لهما ﴾ أحدهما ﴿ العلم ﴾ وثانيها ﴿ العمل ﴾ فالأرواح التي جلت بالعلم وصفت بالقلم وانتظمت بالحكمة وأشرقت بنور ربها ونجلى لها هذا العالم على قسوطاتها فهذه تكون شموساً متحركة تجاور الملائكة والنبين للشاشمة والمناسبة - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الخ - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - ويشترط مع ذلك أن تكون أعمالها مطابقة لذلك العلم قائمة بواجبها . فالعمل مطابق للعلم والظاهر للباطن فهؤلاء هم الذين يصطفون ليكونوا أرباباً ويعيشون مع الملأ الأعلى - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - ﴿ هذا هو الذي نجلى لنفسى وانشرح له صبرى يوم الثلاثاء ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

ولقد رأيت مقاماً يناسبه في كلام (عماثوئيل) الذي حدثتك عنه أيها الذكر في سورة التوبة وأسمعتك تاريخ حياته وإن أباه كان أسقفاً في الدين المسيحي وأنه هو كانت له منزلة رفيعة في الدين وفي الدولة ولكنه لما اطلع على عالم الأرواح تغيرت عقيدته في نظام هذا الوجود وأخذ بهمهم ما بهذه الجهل في أوروبا بأيدي صغار رجال الدين الذين شوهوه فقال يقوم والله لاتتليت والى رأيت المسيحي بعد الموت يبحث عن إله ثان وثالث فلا يجد اليهما سبيلاً . ولقد تقدم ذلك في (سورة التوبة) وفي غيرها فارجع اليه إن شئت . ثم انظر ما قوله في كتابه المسمى ﴿ السبأ والعالم ﴾ مما يناسب هذا المقام فقد ياء في صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب وما بعدها ما ملخصه أن الإنسان يجب أن يعرف العلوم الإلهية والعلوم الدينية وعلى مقدار ذلك يعرف ذلكوه وحكمته وقسم الذكاء ﴿ قسمين ﴾ قسم كاذب وقسم صادق فالتى أدرك الحقائق ادراكاً نفسياً لاتقليدياً وأحب واستلأت به نفسه وأشرقت بها اشراقاً وصارت من جواهرها فهذه أرواح حكيمة تكون مع الأرواح العالية أما الأرواح التي قرأت ظواهر العلوم وإن كثرت - ورونها أوفهمتها ونكتت - لم تتأثر بها ولم تشقها ولم تخرج بها نفوسها فهؤلاء وإن اشتهروا بالحكمة فهم ليسوا من الصلابة ويكونون كالعاقلة ويوضعون في منازل الجهلاء وهكذا أولئك الذين يغفلون الخبير لا نفس الخبير بل لأجل الصب والذكر أو من خوف التضيعة والعار أو الخوف على المال ونحوه ولو خالوا وأنفسهم لأهلكوا الحزن ولذل . ولا يرومون هناك في المنازل التي تناسب نفوسهم لظواهرهم لأن الدليل على المواطن لا الظواهر فالعلم بهذه الدنيا وجعلها وعمل الخبير أن يهتونا محو بين حبا حقيقياً متجزيين بالنفس بحيث يصعبان صفة لها من صاحبها لا يتأون من المتزين

ولما اطلعت على هذا القول وجدته يناسب ما في ﴿احياء علوم الدين﴾ للامام الغزالي من حيث سخاؤه وتذكرت ما قاله في الإحياء ان عليين لأولى الألباب وهم الذين هذا وصفهم . آمال الحية المحسوسة فانها تكون لتقوم ظهورها بالصالح وبراطنهم مشغولة فهو لا بدخلون الجنة ولكن أولئك يرفعون الى الملأ الأعلى وقد قسم في (سورة البقرة) في أولها عند ذكر الجنة والنار فقد نقلت النص هناك فارجع اليه ان شئت

فلما سمع صاحي ذلك قال ان هذا القول وان كان في ذاته حسنا وجيلا فقد ذكرت العلم والعمل وأبشمتها ولكن مقام الكلام انما هو أمر الضمير قد جله الرجل الانجليزي قاتل زوجته الذي أرجمه ضميره فقلت ان ما كتبه الآن انما هو مقتمة لما سيأتي . اعلم أن هذا الانسان حين تضعه أمه من بطنها لا يحب إلا نفسه فهو يطلب كل شيء لنفسه وكما شدا قليلا أدرك أن غيره له حقوق . فكل ما تراه في نوع الانسان من حقد وغضب وطمع فهو راجع الى حال الطفل الأولى (وبعبارة أخرى) هذا النوع الانساني كله فيه أخلاق الأطفال وعلى مقدار الترقى في العلم الحقيقي لا المؤثر يعرف الانسان هذا العالم ويجب الانسانية . هذا أول الأمر وآخوه . هذا النوع الانساني لو كشف الغطاء عن عقول أفرادها لأدركوا أن الذي غرس السكراة والطعم انما هو الجهل وأن الذي ينتقدهم انما هو العلم الحقيقي إذ لا ساعدة لهم إلا بأن تستخرج ثمرات قواهم وعقولهم . فانظر الى رزق الانسان لماذا لم يكن من الأرض وحدها ولماذا نراه مأخوذا من السماء والأرض معا - قل من رزقكم من السماء والأرض - ولماذا ترى له عينين بهما يبصر السماء والمطر حتى يعرف أن رزقه اشتركت فيه السماء والأرض - آمن بملك السمع والأبصار - . أقول أيضا لماذا كان رزقه منهما وحواسه ترى ذلك فأذنه تسمع الرعد المؤذن للمطر وعينه ترى نفس المطر والزرع . نحن علمنا علما لاشك فيه مما ذكر في هذا التفسير أن صانع هذا العالم حكيم متقن . فانظر الى شجرة التين المرسومة في سورة الحجر وتأمل فيها وفيما شرحت هناك . ألم تر أن كل خمس ورقات كوّنت دائرة وبين كل ورقتين (٧٢) درجة من الدائرة ؟ فلماذا لم يحصل خطأ في هذه الهندسة ولو في درجة واحدة من درجات تلك الدائرة المشتملة على دائرتين حازونيتين . هذا هو فعل صانع الكون في أمر نراه أمانا في نبات ؟ فهل يكون حكما متقنا في هذا ثم هو يفسل عن الاتقان في رزق الانسان . أي لماذا لم يجعل رزق الانسان من الأرض وحدها على قدر طاقة الانسان كما فعل في (حشرة الأرض) المرسومة المتروحة في (سورة النحل) فيما قسم . ألم تر أنها خلقت عبياء فللملكة والرعيا جميعا عى العيون وهن مع ذلك يعملن أعمالا تجوز العقول وجعل الله قوتهم من داخل بيوتهم ولهن قفرة أن يستخرجن الماء بحيث يستنبطن من الاكسوجين المنديج في المواد الغذائية مع الاذروجين السكامن فيها ماء فلا احتياج الى ماء السماء قالوا بدليل انها تعيش في الصحراء والجندباء التي لا نبات فيها ولا حيوان ولا ماء ولا مطر وتبنى أماكن تعاوى الأرض نحو (٨) أمتار وتمتد أسيالا لا يقطعها إلا الديناميت . فهذه رزق مما بين يديها فلا تحتاج الى مطر من السماء ولا الى أعين بها تبصر المطر . إذن فلماذا رزق الانسان من السماء والأرض معا ولماذا أعطى الأعين التي بها يبصر الانسان السماء والأرض . عجبا ليس نفس هذا الخلق وهذا التقدير في جسم الانسان وحواسه ورزقه دليلا على أن هذا الانسان خلق ليعرف العوالم كلها . وأيضا يرى الانسان انه كما استفاد رزقه من السماء والأرض لن يتم له ذلك إلا بمساعدة الانسانية كلها لاسيما في هذا العصر الذي ظهرت فيه الطيارات والطرق الحديدية والكهرباء والتلفون (البرق) والتلفون وهكذا . إذن خلق الانسان وتركيب العالم الذي خلق فيه يوجب أن يعرف العالم الذي هو فيه وأن يحب الانسانية كلها والا فهو مذهب ظالم فهذه حكمة قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض آمن بملك السمع والأبصار - كما كتبت . ههنا تنظر الى جزء هذا الانسان . جزؤه أن يعطى على الخبر خيرا ويعطى على الشر شرا وكما أعطى قوة بها يتناول الغذاء وينظر السماء والأرض أعطى قوة كلمة فيه تؤنبه على التقصير



وتحته على العمل الصالح وهذه القوة مستمدة من عوالم أخرى يعبر عنها بالجنة والنار . فهذه القوة الكامنة فيه تظهر آثارها في الحياة الدنيا وفي الآخرة . أما في الحياة الدنيا فالتأنيص بوحس الضمير وباللذة على جهلنا بما حولنا وعلى تقصيرنا وهذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير . وأما فيما بعد الموت فاهب كيف ترى في كتاب ( السماء وبعثهم ) الذي حدثتك عنه هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير فان مؤلفه رجس من علماء الأرواح قتره يقول ( إن الانسان إما أن يكون متصفا بالعلم والعمل المطابق له وإما أن يكون خاليا منهما وإما أن يكون عمله مطابقا لعلمه كثيرا أو قليلا ) وهذه الصور جامعة لكل أحوال الانسان فان كان عالما بالخير عاملا بالفضيلة فانه بعد الموت يرفع الى الجنة ولا يسأل . وان كان مولعا بالشر ولا يعمل سواه أخذته الملائكة الى جهنم بلا سؤال . فان كان على هيئة الصورتين الآخرين بحيث يعلم ولا يعمل ( وبعبارة أخرى ) تكون أقواله وعطاؤه خلاف باطنه فينتقل بالحكمة ويضمر الشر فهذا يمتحن ويبقى في عالم البرزخ مدة حتى تعرف أخلاقه وهناك تطلق له الحرية في الكلام فتغلب عليه الحقائق التي في نفسه فيستكمل أولا قليلا بما في باطنه ثم يزداد تسكبه بحقائق نفسه قليلا قليلا تدريجا بحيث يكون ذلك كالجنون المتقطع في الدنيا . فمن الأحوال التي هي أشبه بالجنون بين كل مافي نفسه ومتى أفاق ندم وحنن وهب كيف يفضح نفسه وهكذا يزيد حاله حتى يعرف باطنه تماما وحينئذ يحكم عليه للمفتشون من الملائكة الذين يمتحنونه ومتى تم الامتحان جازوه فيها غلب عليه إما في جنة إن غلبت على قلبه الفضائل أو في نار إن غلبت عليه الشرور والامتحان يكون من دقيقة الى شهر الى سنة الى ثلاث سنين الى ثلاثين سنة . ويقول انه لا روح هناك يزيد امتحانها عن ٣٠ سنة وطول الامتحان راجع الى الخبيث المستكن في النفس فكل مقدار المكافاة والسكان تبقى الروح بعيدا عن الجنة والنار . هذا مايقوله ذلك العالم الروحاني ومدار الكتاب كله على ذلك . ويقول في صفحة ٢٧٦ ما نصه

( إن أعمال الانسان متى كشفت له بعد موته فان الملائكة التي أعطيت وظيفة التفتيش تنظر الى وجهه وتفحص وتفش جميع جسده وتجد الأعمال مرسومة على جميع الجسد وأوائلها مرسومة على السماغ . قال وهناك يظهر كل شئ في ذاكرة الانسان وليس المرسوم هناك الامور العائمة فقط بل الامور الخاصة أيضا فكل فكرة وكل حكمة تسطر في دماغ الانسان وعلى جسده ) انتهى ما أردت تلخيصه من هذا الكتاب فقال صاحبى وهل كلام هذا الروحاني الافرنجى منطبق على ديننا . فقلت انه مجهزة للقرآن أرسلها الله في آسوان زمان . يقول الله تعالى - خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون - وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فانه عز وجل يرينا الآيات في كل شئ . قال وما الآيات هنا . قلت انظر الى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض آمن بعلك السمع والأبصار - فانظر كيف عاتب على عدم التبصر في النظر وفي العمل في الدنيا وفي الآخرة . أما في الدنيا فانه يقول - فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وهم لا ينصرون - وقال في الثواب - وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين - فهاهو ذا كتاب الله أرانا أن عذاب الناس في الدنيا راجع لجهلهم وتقصيرهم وهذا العذاب الدنيوي يحسن به المسجون ويحسن به الفريضة وأهل الأرض اليوم طامة لأن أهل الأرض الغالب والغالب كلهم جهلاء بالحقائق وعلى قدر الجهل هم جميعا مذهبون عذابا دنيويا ثم انظر الى الانسان بعد الموت فهذا علم الأرواح يحدثنا بما جاء به القرآن . ألم ترى الى قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون \* ولقد جثثونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الى قوله - وضل عنكم ما كنتم تزعمون . - فانظر أليس معنى هذا أن العذاب

كما يقع في الدنيا يقع بعد الموت مباشرة والملائكة هم الذين يتولون هذا العذاب الذي قاله ذلك العالم الروحاني الأوروبي . ثم ان هذا الانجليزى الذى قتل زوجته قد وقعت له حال نادرة فأقر بقتلها لما وصل الى المكان الذى رآها فيه أول مرة وأحبها فانتقل الى عالم الروح ونسى الجسد كما يحصل بعد الموت إذ يظهر الانسان خفاياه شيئا فشيئا وإذا فطن بعد الاظهار ينكر ما قاله ويجب كيف جن بهذه البرجة . فهكذا هذا الانجليزى القاتل لزوجته بعدما أقر أمام الشرطة رجوع وقال أنا لم أقتل وذلك كما يحصل بعد الموت في أول الأمر إذ ينكر الانسان بعد الاقرار ثم يزايد الأمر وبعد ذلك يقصد الظاهر مع الباطن . إذن ضايرنا في هذه الحياة محاولة بالآراء المخزونة فيها وقد ختمت بخاتم وطبع على القلوب حتى يأتي يوم تظهر فيه الحقائق وهذا نفسه قوله تعالى - فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يضاد صغيرة ولا كبيرة إلا أوصافا ووجدوا أمعاءها حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة \* ولوالئى معاذرة - وقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون \* يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق - الخ

الله أكبر . إذن هذه العلوم الروحانية أصبحت في هذا الزمان تفسيرا للقرآن . إذن هذا هو الزمان الذى أخبر به القرآن إذ قال - نعيمهم آياتنا - الخ وقال - سأوريكم آياتى - الخ . وإذا قال قائل من الفرجة ومن المسلمين ان هذا القول من هذا الاقرن حقا . قول له انظر بعقلك هذه الهندسة والنظام فكيف يزرق الانسان من السماء والأرض وكيف يسقى العقل والحكمة ؟ فهل هذا الصانع العالم يتقن الحشرة وحواسها ويجعل كل حاسة محكمة ثم هو يجعل رزق الأرض على النهج المتقن وحواسها ويزق الانسان على ما ذكرناه من السماء والأرض وهكذا حواسه أقدر وأجدر ولا تكون هناك نتائج لما على مقدار حالهما . إذن الانسان تحيط به عوامل وفي داخله غرائز كلها متصدة على انه ملازم أن يرقى رقىا متواصلا وأن تقصيره يرد به ويهلكه في كل مرحلة من مراحل حياته . هذا ما فتح الله به صباح يوم الأربعاء ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين

### ﴿ المقال الذى ألقته على مسامع ذلك الطالب ﴾

فقال لقد قرأت عيني بما سمعت منك في أمر الجنة والدار عقلا وقللا ولكنى لا أزال أطلب الافاضة في أمر الله سبحانه وتعالى فأنت قلت في أول الحديث ان الله عز وجل ثابت وحق واستدللت بأن القضايا ثابتة مثل القضايا الهندسية مثلا . وأيضا قلت في ان الانسان والأرض التى هو عليها عالم ضئيل . كل هذا حسن ولكن لماذا يباودنى الفكر فى كل حين للبحث ؟ ولماذا أجد عقلى لا يقف عند حد ولا عند ماسمعه منك . فقلت ان هذا رسول من الله تعالى قلبك أن يستمر في البحث حتى يقتنع . هال ولكن ليس عندى اقتناع الآن . فقلت فاسمع إذن . لقد علمت كما قلتمنا في (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - في مسألة فطرة الماء التى وجد العلماء انها تحوى من الذرات عدد (٥) على بينه (٢٠) صفرا تقريبا وأن هذه الذرات متباعدات جدا ويكون مكان الذرات خاليا فيها أعاد كأبعاد ما بين الشمس والأرض أى بالنسبة لأحجامها وقد تقم هذا هناك وأن هذه الأعداد تقرب من أعداد كواكب السماء التى عدت بقر (٢) على بينه (٢٤) صفرا . إن هذا العالم كله يجمع للجواهر الفردة والجواهر الفردة ترجع لأنوار كبر بائية فاهى إلا ذرات ضوئية تدور منهن واحدة حول الأخرى كما تدور السيارات حول الشمس والذرة الضوئية الدائرة يسمونها كهر بائية سالبة والذرة الضوئية البائية يسمونها موجبة وهذه الدائرة تجري في الثانية (٦) ملايين مرة حول الثابتة . وباختلاف مقادير هذه الثرات مع اختلاف مقادير الحركات في الثانية تختلف العناصر المركبات منها وهذه العناصر بينها نسب عجيبة متراها في (سورة العنكبوت) قريبا

وهذه العناصر منها هذه المركبات من شمس وسيارات وأرضين وأقمار وانسان وحيوان ونبات ومعادن فكل ما نشاهده حولنا ويحيط بنا يرجع لأنوار تجري في أماكن خاليات وكأنا نعيش في خيال وكأن الوجود الحقيقي ماهو إلا موجود لآراء لأن مآثره ظهر لنا من كلام علماء المادة أنفسهم أنه لامضى لوجوده بل هو فقط ضوئية في أماكن خاوية خالية وماهو الضوء ؟ الضوء ليس شأ سوى حركات في شئ سموه (الأثير) وماهو الأثير ؟ هو عالم عرقه الناس بمقوله لاغير . أما حواسهم فأنهم لم تقدر على تصوّره . إذن اجتمع علماء العصر الحاضر أظهروا أن كل مآثره ونسمة ونذوقه ونلمسه ان هو إلا حركات لعالم لا ندركه وأن أسباب هذه الحركات وراء عقولنا . إذن الموجود الحقيقي غير ما أدركناه بحواسنا . إذن هناك وجود حقيقي أورث وجوداً ظاهرياً وهو الموجود الحقيقي . وهنا نقول أبهما هو الأصل العدم أم الوجود . فقال العدم هو الأصل قتلت الناس اعتبروا التفريق عدماً فإذا رأوا انساناً مات وتفرقت أجزاؤه أو رأوا حيواناً هلك وأكله غيره سموه معدوماً وماهو معدوم بل هو مفرق الأجزاء والأجزاء موجودة لاعدومة . وإذا كنا على حسب اصطلاح الناس بمقتضى حواسهم قد حكمنا بخطئهم في عددهم ما تفرقت أجزاؤه معدوماً فليكن كذلك حكمنا على حكمهم على الموجود الحقيقي الذي هو السبب في الوجود الظاهري المجازي . فإذا أخطأوا في قولهم ان الميت معدوم وجوابه أن يقولوا مفرق الأجزاء فقد أخطأوا في حكمهم على الموجود الحقيقي بأن وجوده من الأزل يحتاج الى البرهان لأن العدم هو الأصل . فقال نحن إذا حكمنا بخطأ الناس في قولهم عدم الميت لان حكمنا بخطئهم في قولهم وجود الانسان بعد العدم فإنه كان معدوماً فإذا حكموا بأن الأصل هو العدم فقد حكموا بما يشاهدونه فإذا قالوا إن الموجود الحقيقي الأصل فيه هو العدم والوجود يحوجه دليل فهم على حق . فقلت هذا الظن أيضاً منهم خطأ فإن الذي وجد بعد العدم كالانسان والحيوان والكلوكا وبكالشمس فهو لا شيء جميعاً كانوا موجودين وإنما الأجزاء كانت مفرقة فاجتمعت . فأجزاء الطفل التي زارها كانت موجودة قبل وجوده فهذا اجتماع فقط بعد التفرق . ففضية أن العدم سابق على الوجود ناشئ من اشتباه الناس في الأمر يظنون اجتماع الأجزاء وجوداً وتفرقها عدماً . والوجود والعدم راجعان للأوصاف والأوصاف أعراض . فقال إذن أنت تحكم أن العدم لا يسبق الوجود . فقلت نعم . فقال وماذا تقول في أن العلم حادث . إذن في رأيك هو قديم . قلت له قد نسيت ما قلناه في هذا المقال . ألم أقل لك ان التحقيق في عصرنا الحاضر انه لا عالم موجود وإنما هذا العالم عبارة عن صفات لعالم يسمى الأثير إذ هو نور وما النور إلا حركات في الأثير فالعالم حركات لاغير إذن العالم وجوده تبع لغيره وهو الموجود الذي عرفناه بقولنا فرجع الأمر الى مذهب أفلاطون القائل بعالم المثال أو هو الذي يسمى اليوم (عالم الأثير) وهو يقول ان كل ماهو حاصل الآن في علنا ماهو إلا ضرب أمثال لعالم المثال (اقرأ جمهوريته فإن هذا واضح فيها) . فقال اذا لم يكن العالم له وجود فكيف تقول ان النبات أو الحيوان كانت أجزاؤه موجودة قبل وجوده هو . فقلت ذلك باعتبار مرتبة الحواس ومرتبة الحواس مرتبة غير حقيقية فهذا التعبير راجع للوجود المجازي كما قدمته لك . فقال إذن أنت ترى أن العالم اليوم وجوده باعتبار آراء علماء العصر الحاضر راجع لحركات لعالم لا زاره . فقلت نعم ولوجودنا الذي لا زاره الأصل فيه الوجود لا العدم لأنه لا دليل على عسبه فإذا كان موجوداً من الأزل فهذا هو الأصل . قال ولكن أنت قلت ان العالم حركات لعالم لا زاره . إذن الله متحرك وهذا كفر . فقلت الله لا يتحرك وإنما هو خالق للحركة في الأثير . فقال إذن الأثير عالم قديم . قلت هنا يفت عقلي فقل لا يدري ذلك العالم وإذا كان ذلك الأمر موجوداً فلا أدري كيف يوجد وكيف هو وأنا لا أنعتي طوري ولكن أقول الذي ثبت من أقوال علماء عصرنا الحاضر أن علنا لا وجود له باستقلال والأثير الذي قالوه أنا لا أعرفه ولاهم يعرفونه فلترجع الى نفوسنا ولنشهد عليها بالجزر (الجزر عن الإدراك ادراك) لا يعرف الله إلا الله فالأولى أن نعتبر بعجزنا . قال فاضرب لي مثلاً إذ

محزت عن الحقيقة . قلت نعم أضرب لك مثلا لله في خلقه بنا فلقد ضرب الله مثلا لنوره بالتقديس والمشيئة . اعلم أن الانسان منا في كل وقت يتصور صوراً بحيث يغفل له السماء والأرض والشمس والأقمار . قال نعم وهذا خيال . قلت نعم هو خيال ولكن أهدأ الخيال موجود . قال . كلا . قلت بل هو موجود . ألم يكن للخيال نتيجة في الظاهر . أليس كل ما فعله لا تتحرك له إلا بعد الصور التي أبرزتها نفوسنا في خيالاتنا . قال بلى . قلت وهذه الصور على مقتضاها نعمل فتنى بيوتنا وتقن صناعتنا . قال نعم . قلت فهل المصنوع ينتج للوجود . قال لا . قلت إذن هذه صور موجودة ولكن وجودها ضعيف لسرعة زوالها . قال إني وري انه لحنق . قلت إذن ثبت لك بالبرهان أن الخيال صور لها وجود بدليل ظهور آثارها . قال نعم ولكن قد حكمت بأن علنا لا وجود له . قلت نعم الآن في الوجود المجازي فلا تخطأ أحدهما بالآخر . إذن فلنعمل نفوسنا مع خيالها ضرب مثل وضرب الأمثال جائز شرعا وعقلا ونقول إن هذا العالم هوفضة من فصحات الله تعالى وقبسة من نوره ففسبتها اليه تعالى . والله المثل الأعلى . كنسبة خيالاتنا الى نفوسنا . فإذا كانت نفوسنا الضئيلة أمكنها أن تحدث صوراً ثبتت بالبرهان أن لها نوعاً من الوجود المجازي وهي إنما ضعفت لضعف سببها القريب في نفوسنا . فهكذا تكون نسبة العالم الى الله تعالى فإذا قدرت نفوسنا على صور خيالية لآثارها حواسنا فأنه لظمت وحكمت الثاقمة وقدرته العظيمة يخلق صوراً عظيمة زارها حواسنا وتطمع عندها فضعف خيالاتنا نسبت الى قوة صور السموات والأرض كنسبة ضعف نفوسنا الى عظمة الله خالقنا وهذا المثال ينتج لنا أن العالم موجود وجوداً مجازياً وأنه مستمد من الله كل حين وأنه اذا تركه الله لحظة لم يبق له وجود كما أن صورنا الخيالية اذا غفلنا عنها طرفة عين لم يبق لها وجود . إذن العالم العلوي والسفلي والجنان والنبيران عوالم لا استقلال لها وهي بيد الله فنحن الآن موجودون وجوداً كوجود الخيال للتخيل . وهذا يوضح لنا قوله تعالى . لا تأخذه سنة ولا نوم . لأن من تصور صورة وأخذته سنة أو نوم ذهب تلك الصورة ويوضح لنا أيضاً . ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أسكهما من أحد من بعده . أي كأننا نتخيل صوراً خيالية لا وجود لها إلا باستحضارنا فإذا تركنا هذه الصور أو غفلنا عنها فلا يمسك لها بعدنا (وهذا التخييل جائز كما مثل الله لنوره بالمشكاة والمصباح كما سبق) ويضرب لنا هذا أيضاً قوله تعالى . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم . ويضرب لنا قوله تعالى . وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون . ويضرب لنا . وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين . إذن العلم الحديث وفق ما بين المذاهب كلها وأصبحت الفلسفة والتصوف وعلوم الطبيعة كلها علماً واحداً . فنحن الآن موجودون في وجود مجازي وهذا الوجود المجازي نحن فيه مأمورون بالجد والاجتهاد والوصول الى الوجود الحقيقي لا إذا كنا نضربنا ونعبثنا وحصلنا كل علم وكل فن واتخذنا وسخرنا كل ما أمامنا من الوجود المجازي وأصبحت الأمم انخوانا فاتخذوا ولوا اتحاداً مجازياً هنالك يرجعون الى ربهم ويشاهدونه وما داموا ناقصين يحجبون في هذا الوجود المجازي ويذهبون ويذلون وهم في جهنم خالدين وجهنم في قبضته والنار في قبضته وهو لا ينام ولا يغفل . هذا ما فتح الله به يوم السبت ٢٦ يناير سنة ١٩٢٩ م

هذا وسأنتج هذا المقام ايضاحاً في آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى . وقال الحمد لله سببريك آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون . فهناك سأذكر (مسألتين الأولى) تاريخ الفلسفة الذي اعتاد الناس في زماننا أن يدرسوه أي اني أذكر المفوض الذي كتبه الأستاذ (سنلته التلياني) في كتاب (تاريخ الفلسفة) وأبين فيه مذهب أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس وكيف كان سقراط يرى أن العلم لا يتم إلا بالصديد والتعريف وأن السعادة للانسان لا تتم إلا بالعلم وأن الشقاوة لا تكون إلا بالجهل . إذن لابد من العلم الصحيح والعلم الصحيح بشدة العناية بالاعراف . ثم أذكر أن أفلاطون تلميذه قال (لا يعقل العلم إلا بأمر ثابت

والحدود والتعاريف لا تباين لها في ذواتها ﴿ فهناك قال لا بد من عالم يسمى عالم المثال فيه جميع صور الموجودات وعلما  
أنشئ على منوال ذلك العالم وحيث يمكن أن نفهم كيف ثبت العلم لأننا وجدنا له شيئا ثبت فيه . ثم نذكر  
مذهب (أرسطوالماليس) بعد (أفلاطون) واعتراضه على مذهب أستاذه وأن ذلك العالم المثالي لا يصح أن  
يكون محلا للعلم لأنه لا وجود له ولكن الذي يركن إليه ويستند العلم عليه هي الصورة القائمة بالملكة كصورة  
الكرسی والميزان والشجرة والحیوان فهذه الصورة هي المحل الثابت للعلم وأبين بعد ذلك كيف كان هذا الرأي  
أدخل في الضعف والصف من سابقه ثم أذكر الحقيقة واضحة إن شاء الله بالعقل ثم أعرض عليها المذاهب  
بحيث يكون الرأي السائد في زماننا ثابتا على قراره يمكن من العقل في هذا الزمان

هذا ماسأذكره في المسألة الأولى هناك إن شاء الله ﴿ للمسألة الثانية ﴾ تقسيم العلوم المعروفة في القرون  
الوسطى بحيث تمت إلى العلوم المستحدثة بسبب وهناك يكون أمام الأذكىاء صفحة من العلم تبدو ظاهرة قسيرا  
لقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهذا العلم مما في أنفسنا وقد أبرزه الله في زماننا وأدخلنا  
في تفسير الآية والله هو الولي الجيد انتهى

﴿ الطيفة الثالثة في قوله تعالى - ويوم تشق السماء بالغمام - ﴾

لقد علمت فيما سبق من هذا التفسير أن الكواكب التي تبلغ مئات الملايين لها فيها فطن له البشر  
ويظهر في العلوم سيارات حولها والسيارات لها أفعال كما هي حال شمسنا وسياراتها وأقمارها وأن هذه الشمس  
العظيمة التي هي أعظم من شمسنا كانت قديما عبارة عن غمام طائر في الجو يعبرون عنه بالسديم جهه سدم  
وأن هذه الشمس يوما ما ترجع إلى سيرتها الأولى أي أنها تهدم وتحلل وترجع إلى الجو كما كانت وتخلق بعد  
الملايين من السنين خلقا جديدا وتكون بهيمة كواكب جديدة تخلق الله فيها خلقا جديدا . ولقد سبق في  
بعض السور السابقة دليل العلماء على ذلك أنهم شاهدوا في هذا العصر ستين ألف كوكب تتخلق من جديد  
فبعضها قارب أن يتم تكوينه وبعضها مبتدأ في تكوينه وبعضها بين بين وكلها تجهز لتكون عوالم كما  
نرى عالم شمسنا وسياراتها وأقمارها . فهذا هو الذي دل العلماء على أن هذه الشمس ومحولها كانت قديما  
عبارة عن غمام طائر دائر كما يرون ذلك اليوم . ولقد ذكرت ذلك في (سورة إبراهيم) عليه السلام عند قوله  
تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - وكذلك في (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى - أولم ير  
الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - فهكذا هنا يقول الله - ويوم تشق السماء بالغمام -  
أي أن شمسنا وكواكبها وبعض الشمس الأخرى وسياراتها تصبح أشبه بالغمام لأنها صارت نارا متفرقة في  
الجو . والسماهي التي نشاهده من هذه العوالم الطيفة التي تنتهي بالون الأزرق الذي نشاهده . ومستحيل  
أن يكون اللون إلا في المتلون والمتلون هو هذا العالم المسمى بالآثير الذي شرحناه في (سورة البقرة) وقلنا إن  
من ينكر السماء قائما هو جاهل بجمل عوالم المتقدمين وعلوم المتأخرين فإن المتقدمين والمتأخرين جميعا  
يشكرون وجود الخلاء بل هم جميعا يقولون إن الفضاء مستحيل بل هو ملأ بما يسمى بالآثير وهو الذي  
يحمل ضوء الكواكب إلينا فارجع إليه هناك ترابهم القدماء والحديث عند قوله تعالى - ثم استوى إلى  
السماء وهي دخان - الخ فأنظر وتجب كيف سماها دخانا وغماما وقال أنها كانتا رتقا ففتقهما وكل ذلك دأب  
على هذا المعنى فتجب من القرآن وسكبه ومجابه وأنظر كيف يقول هنا - ويوم تشق السماء بالغمام ونزل  
الملائكة نزيلا ﴿ الملك يومئذ الحق الرحمن - الخ

﴿ الطيفة العاشرة في قوله تعالى - ويوم بعض الظالم على يديه - الخ ﴾

هذه الآية مقابلة للآية المتقدمة في الطيفة السابعة إذ جعل هناك سبحانه الناس بعضهم لبعض فتنه وأن  
العدو فتنه وامتحان لعدوه . فأما هنا فانه يقول - ويوم بعض الظالم على يديه يقول باليتي اتخذت مع

الرسول سبيلا \* يوليئى ليتنى لم أتعذ فلانا خليلا - وهذا القول ينطق به الشاعر العربي إذ يقول  
عدوك من صديقك مستفاد \* فلا تستكثر من الصحاب  
فان الداء أكثر ما يكون \* تراه من الطعام أو الشراب

وفى المثل « عدو عاقل خير من صديق جاهل » واعلم أن الانسان اذا كانت فتنه بعده عظيمة فهي  
بصديقه أعظم وترى الناس مولعين بالأصدقاء جاذين فى مرضاتهم فيقعون فى التهلكة والأصحاب هم الذين بهم  
ينشبه الانسان فى عادته وأخلاقه وأحواله وأعماله وطباعه فالأصحاب هم جنة الانسان وناره . ولا ترى لما  
ولا زانيا ولا فاسقا إلا وهو منسب بصاحبه أو صديقه قد تخلف بأخلاقه وسار على منواله . وترى الأصدقاء  
اذا وقعت الواقعة وتظهر الحقائق يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا كالصوص والقتلة وما أشبه ذلك  
فكل هؤلاء يصبحون أعداء متى وقعوا فى الضيق وهذا قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو  
إلا المتقين -

الصداقة على ( أربعة أقسام ) صداقة تأتى سرىا وتذهب سرىا وهى التى سببها الشهوات فان الشهوة  
سريعة الانتفاء فاذا ما انقضى أمرها ذهبت حرارتها وانطفأت فلا صداقة إذن كما زناه فى الزناة والسراق وقطاع  
الطرق . وصداقة تأتى سرىا وتذهب بطىا وهى الصداقة العقلية فانك تحب العالم أول ما يهيجك قوله ولا تذهب  
الصداقة إلا بعد أمد طويل وأسباب كثيرة . وصداقة تأتى بطىا وتذهب سرىا كالصداقة مع التجار  
فان الانسان لا يثق إلا بعد معاملة واختبار ولكن متى ظهر الغش حصل التافس سرىا . وصداقة تأتى بطىا  
وتذهب بطىا كالصداقة للركبة أسبابها من أشياء مختلفة فانها تأتى يطة وتذهب يطة فاذا أحب امرأة لأمور  
كثيرة كالجناء والمال والجمال وكان لكل واحد من ذلك حظ من الحب قلن يذهب الحب إلا بطىا  
فتبين من ذلك أن صداقة الشهوة تذهب وأن الغش متى ظهر بين الأصدقاء فرقههم وذلك كله فى الدنيا  
وأحوال الآخرة تنضارع أحوال الدنيا فى أمور كثيرة . وعلى ذلك ترى الناس يتبع بعضهم بعضا فى الأخلاق  
والأعمال واذا ماتوا وعرفوا الحقائق أصبحوا كالصوص اذا وقفوا أمام القضاء فى الدنيا فان كلا يجعل الذنب  
على صاحبه فيصبح الأخلاء أعداء . أما المخلصون الصادقون فلا ذنب ولا لوم فيقول الظالم الذى ظلم نفسه ترك  
التعقل واتباع صاحبه - ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا \* يوليئى ليتنى لم أتعذ فلانا خليلا - وهذه الحال  
كحال الرؤساء والرؤسين التى مرت فى ( سورة البقرة ) - إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب  
وتقطع بهم الأسباب - . فهنا يقول الله تعالى إن الصداقة تنقلب شقاوة وحزنا وأسفا كما تنقلب اللذات  
آلاما . وترى الانسان اذا مات اتعنت فى قلبه نار الحسرات على فوات الشهوات التى اعتاد عليها فانقلبت  
الشهوات آلاما هكذا هنا انقلبت اللذات والمجات شقاوة وحسرة وندامة لأنها ضلال والضلال يتبعه الحسران  
والهلاك فلارؤساء يوم القيامة بنافعين ولا أصدقاء بنافعين بل كل مؤول عن نفسه

( ضعف السياسة فى الأمة الاسلامية اليوم )

واعلم أن قوله تعالى - ويومئذ ينفخ الصور - ويومئذ ينفخ الصور على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا - الخ هى الحاصلة  
اليوم فان لم يكن لفظها فمعناها ( ويانه ) أن أم أوروبا أصبحت عريقة فى اصطنام السلاح والكرام  
والأعمال الحربية وأضافت الى ذلك قوة دهائها ومكرها وخداعها فلما رأت أم الاسلام نائمة جاهلة استعملوا  
الصداقة خبر سلاح لهم فترسل البولة سفيرها الى الأمير المسلم فيوحى اليه أن قائد جيشك خائن وترسل رجلا  
آخر الى القائد فيفهمه أن أميرك خائن ولا يزال الفريقان يحترقان ويحتالان حتى يفرقا بينهما ثم تتدخل البولة  
الأجنبية بالسلاح وتحتل البلاد فاذا تم الأمر ظهر الحق وعلم الأمير والقائد أنهما كانا خدوعين فيعرض الظالم أى  
الأمير والقائد على يديه يقول ياليتنى تعقلت ونظرت فى الأمر بدقة يوليئى ليتنى لم أتعذ فلانا القريحي خليلا

## ﴿ حكاية ﴾

لقد جاء في الجواهر المصرية أن الأمير عبدالكريم بيلاذ المغرب الذي يحارب الأسيان قد سلب الأسيان عليه رجلا من أمته يسمى الرسول له شوكة وقوة فقام الأمير عبدالكريم على الرسول وحل به وغلبه وأمره فوقف وزير الأسيان في قومه خطيبا وقال نحن لا بهننا الرسول ولا هو له قيمة عندنا فسواء خذل أم نصر فلانالي . هذا كلام الوزير الاسباني فكأنه لما كان قويا انتفع به فلما سقط في حومة الوغى خذله ولم يبال به وهذا هو تفسير قوله تعالى - وكان الشيطان للإنسان خذولا - فهذا نوع الخذلان وهذا المثل يكفيك فقد ساقه الله لتفسره هذه الآية والله هو الولي الجيد

ولكن بعد ذلك سلم الأمير عبد الكريم نفسه لفرنسا لما عرف أن قومه قد أحيط بهم من كل جانب والله الأمر من قبل ومن بعد

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ﴾ ومعنى هجره تركه وانصد عنه • وجاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه ﴾ هذا ما ذكره علماء التفسير رحمهم الله

ومن معاني المعجزات العظيمة إذا سمعوا أوزعوا أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أمه مهجورا فيه والمعنى الأول أليق بحال المسلمين اليوم وما بعده أليق بحال الكفار . والمهم اليوم أن أحدثك أيها الذكي في حال المسلمين وكيف هجروا القرآن . واعلم أن المصحف قد شكا فعلا إلى الله وقد تعلق بالمسلم وشكالي ربه وقال اقض بيني وبينه وبالفعل قد قضى الله بين المصحف وبين المسلمين وجعل العذاب لكثير من الأمم الإسلامية هذا هو العذاب المجهل . سلب القرينة علينا وأخرنا في مصاف الأمم وسيكون هذا من أسباب عذابنا في الآخرة وتأخرنا هناك عن دخول الجنة لأن المسلم اليوم محروم من القيام بشعائر دينه على الوجه الأكمل • محروم من التكبير • محروم من العلم وذلك لأنه لم يعقل ما في المصحف وزاد الطين بلة دخول أهل أوربا في بلاد الإسلام واستيلاؤهم على الأوقاف وعلى الامور الدينية فضعف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهذا عقاب مهمل قبل المؤمل . إن الأنبياء إذا شكوا أو أهمهم إلى ربهم عاقبهم وهذه شكوى من رسول الله ﷺ شكوا أولا أهل مكة فعوقبوا بغزوة بدر وأسلم أبناؤهم وانتهى الأمر وشكنا نحن وإيماننا التفكير في معاني المصحف . ولأذكر لك ﴿ مسألتين اثنتين ﴾ مما أهمله المسلمون قبل إضاح المقام فأقول

لماذا لا ينظر المسلمون في أول سورة نزلت • أول سورة نزلت - اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم • كلا إن الإنسان ليطغى • أن رآه استغنى • إن إلى ربك الرجعى • أرايت الذي ينهى • عبدا إذا صلى • أرايت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى - الخ

أفلم ينظر المسلمون إلى ابتداء كيف كان • ألم تكن أول كلمة بعد البسملة - اقرأ - فكان أول مطلوب لنبي هذه الأمة ﷺ ولأمت القرامنة • وبماذا يقرأ • يقرأ باسم الرب والرب فيه معنى الترية المذكورة في أول الفاتحة ثم أوضح الترية فابتدأ بقوله - الذي خلق - فالخلق كلهم في تربة الله تعالى والخلق إما بمعنى التقدير وإما بمعنى الإيجاد وهذا يعم سائر المخلوقين من ملك وانس وجنّ وسماوات وأرضين ثم خصص فقال - خلق الإنسان من علق - وخلق الإنسان نتيجة عوالم تقدمته أي نتيجة عوالم الشمس والقمر والأرض والسيارات والنبات والحيوان والماء والأرض والجبال والأنهار • كل ذلك مقتضات لخلق الإنسان . والتعبير بخلق إشارة إلى ما ذكرنا في هذا التفسير من سلسلة الحيوانات الممتدة من أدنى مخلوق حتى إلى الإنسان وإلى

الكشف الذى أظهر أن أصل الجنين علقه صغيرة جدا . وقد تقدم إضاحها وإيضاح تكوين الجنين وعلاقته بسلسلة الحيوانات وأن علم الجنين من العلوم الطبيعية الجبية التى حصّ الله عليها فقال سبحانه - وفى أنفسكم أفلا تبصرون - والنظر فى النفس يتقدمه النظر فى الجسم والنظر فى جسم الانسان هو العلم العجيب والحكمة البديعة والآية الربانية والحكمة الصمدانية . إن جسم الانسان هو لوحه المقروء وآياته اليبينات فإذا عاش المسلمون واتوا ولقوا ربهم وهم على عن أجسامهم جهلاء بربهم فكيف يلقونه وقد أنزل عليهم أوّل ما أنزل - اقرأ باسم ربك الذى خلق \* خلق الانسان من علق - وذلك يجرّ الى علوم الطبيعة كلها . علوم الطبيعة التى يقرؤها أهل أوروبا كلهم فى المدارس التحضيرية والمسلمون ثائمون . علوم الطبيعة التى أنشأها الله بيده ونظمها بحكمته وألقاها لنا كتابا لمقرؤوا وأنزل كتابه اللغزى مصداقا لكتابه العلمى

يا محبا للمسلمين كيف يكون أوّل ما أنزل على نبينا ﷺ طلب القراءة وفهم الترتيب والبحث فى الخلائق كلها والبحث فى الانسان ثم يعقب ذلك بقوله - اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم - فانه كريم لأنه خلق الخلق ورباه كما قال تعالى - يا أيها الانسان ما غرّك ربك الكريم \* الذى خلقك فسواك فعدلك \* فى أى صورة ما شاء ركبك - ولكنه أكرم لأنه - علم بالقلم - فكرم الله علمه على الانسان والحيوان فنعمة الشمس والقمر والنبات والحيوان وتسوية خلقنا ونظامنا . كل ذلك منه كرم ولكن الكرم الدائم هو نعمة العلم والحكمة لأن نعمة العلم والحكمة غذاء للأرواح وغذاء الأرواح أبقي من غذاء الأجسام والعلوم والمعارف عبارة عن جنات وأهانب وفواكه مما ننشهى وفوق كل لغة فى عالم الأجسام فبقاها العلوم بقاء الأرواح فى هناء وبكرمتها قربنا من الله وهذا هو مقصود قوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم - فخلق الله العالم كرم ولكن القراءة والكتابة والعلم من الله زيادة فى الكرم فالمسلمون اليوم رضوان الله بكرمه ولكنهم أبوا أن يتجاوزوا زيادة الكرم وزيادة الكرم بالعلوم . فقوله - علم بالقلم - اشارة الى أن القراءة والكتابة يبنى أن تعلم وقوله - علم الانسان ما لم يعلم - اشارة الى تسميم العلوم فإذا كان أهل أوروبا يعلمون أبناءهم جميعا تعليما اجباريا الى سن (١٤) سنة فالمسلمون أولى بهذه المكرمة وأحق بهذه النعمة وأولى بهذه المنة . وكيف نام المسلمون آمادا طويلا وكيف نسوا القرآن وهجره وكيف غنوا أن القرآن أغفل العلوم

### ( القرآن وتقصير المسلمين فيه )

اعلم أن المسلمين فى غابر الأزمان أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم نظروا فى أحوال العصر الذى هم فيه فوجدوا الأرض يعوزها العدل والأخلاق والسيرة الحسنة فنظموا النول وأقاموا للمالك وبيتوا العدل وبنوا حسن المعاملة بين الناس بقدر امكانهم ففتحوا باب الحرية فى البيانات ونظموا الأمم وفضلوا ما لم يكن فعله فنشط علمائهم للتأليف وحكمائهم للتدوين وقام الأئمة رضوان الله عليهم لتصنيف والتأليف وكان هناك مذاهب ومذاهب فى الاحكام الشرعية والعلوم الفقهية وساروا شوطا بعيدا فى العدل الى أن اقرضت النول الحرية وجاءت الحروب الصليبية . فى أثناء ذلك فرت الحرية من الشرق الى الغرب واسينقت أوروبا من حرقها وهذبت تعاليم المسلمين الذين المسيحي فرجعوا الى عقولهم ونظموا مدنهم وانتقل العلم من الشرق الى الغرب وهنا رجعوا الى الطبيعة وقرؤوها والمسلمون فى انحطاط

كانت فى العصور الأولى ( دولتان ) فارس والروم وقد دالت الدولتان وانحلتا وحلّ الاسلام محلها وأظهر العدل ونام الناس فى عدلته وأمنوا . فالقرآن إذن أقام العدل الذى وجد بهد أن أراد أن ينقش أقام الاسلام جدار العدل الذى أراد أن ينقش فى الدولتين العظيمتين فارس والروم . أقامه وقضى أبدا طويلا وفتح باب الحرية كما قلنا فستيقظ الأمم الشرقية والغربية فقرأت العلوم . فعلى الاسلام اليوم بهد تأليف هذا التفسير أن يقوم بسطوته ويذهب الأمم ويعلمها العلوم الطبيعية . فكما أقام العدل أيام الصحابة



والتابعين فليقم الاسلام العلم اليوم . فاذا قرأ العلوم أهل أوروبا على أنها واجبات فليقرأها المسلم اليوم على أنها قرى الى الله وليكن عدل المسلمين في الصور الأولى نبراسا لهم في العلم اليوم . إن الاسلام مهذب للآدم هذبهم في إقامة العدل سابقا فليهبهم اليوم في نظام العلوم وليقم المسلمون بما عليهم ولتتم أمة العرب قبل الأمم بالحكمة ولتدرس الوجود حبا في ربها وأنسابها وقرى الى الله

ألا يقيم المسلمون بما عليهم وليسمعوا قول الله - اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم - فقله - علم الانسان ما لم يعلم - كلام علم يقتضى البحث والتنقيب وترقية العقول بالعلوم ثم أتبعه بقوله - كلا إن الانسان ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن الى ربك الرجعى \* أرأيت انى ينهى عبدا اذا صلى - فانظر كيف ذكر الصلاة بعد أن شرح العلوم . انظروا أيها المسلمون كيف جعل الاسلام مؤخرا عن الايمان . لم يذكر الصلاة إلا بعد ما استوفى العلوم . سيقول جاهل وما هذا التقديم والتأخير . أقول انه لم يعل هذا القول إلا لجهالة السكتاء . واذا كنا نرى الأئمة رضوان الله عليهم يذكرون في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قم الى الصلاة فأمسكوا وجوهكم وأيديكم - أن ما قبله الله يقدم وما أخره الله يؤخر ويرجعون في ذلك الى ما ورد في بعض الأحاديث فأوجب بعض الأئمة كالشافعى رضى الله عنه الترتيب فكيف صح التدقيق في غسل الأعضاء وأيها يقتل ولا يصح التدقيق هنا وأن قراءة علوم الطبيعة مقدمة على غيرها وتعليم القراءة والكتابة له القسح المعلى في الاسلام على غيرها . إن العدلون عن مثل هذا جله من اعراض العلماء في الاسلام عن هذه المباحث . ومن عجب أن تكون هذه السورة أول ما أنزل على رسول الله ﷺ فكيف يكون هذا أول ما أنزل على نبينا ﷺ ولا نذكر فيه

### ( سورة الفاتحة )

واعلم أن هذا النظام بعينه هو الذى جاء في (سورة الفاتحة) فانه بدأ بالحمد لله لأنه رب العالمين لأنه خلق العالم ورباه وهو كما قال - خلق \* خلق الانسان من علق - وخلق من علق ثم الترقى شيئا فشيئا هو معنى الترية فكانت هذه السورة تفسر معنى الترية المذكورة في الفاتحة والمذكورة في هذه السورة ولم يذكر العبادة ولا الهداية للصراط المستقيم ولا الاستعانة بالله في ذلك إلا بعد ما ذكر الترية ونظام العالم . فالفاتحة سار القول فيها على نظام يشبه نظام أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ وكان الله أمر بقراءة الفاتحة في كل صلاة لتذكرنا بأول سورة نزلت إذ أمرنا فيها بالقراءة والقراءة منصب على أن نعرف ما ربه الله من المخافات وكما أخوت أحوال العبادات في الفاتحة أخوت أيضا في (سورة اقرأ) وملخص هذا كله تعمم التعليم

فيا ليت شعري كيف نام المسلمون عن قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - . لقد علمت أن آيادنا هذبوا الأمم يعلم الفقه وأقاموا العدل وذلك من مائة وخمسين آية من القرآن ونحن اليوم رأينا الأمم تقرأ العلوم كلها وتنظم دولها فلتنم النظام الأرضى ولتقم بتعليم العلوم بنظام أشرف وهو أن يكون ذلك تابعا لأمر الدين أى أن يكون العلم عندنا أرقى مما عندهم كما قال ﷺ ( اذكر الله عند كل حجر وشجر ) فليعمم المسلمون العلوم اليوم وليكن لهم نظام أشرف من نظام أوروبا وليقم فيهم علماء يهذبون الأمم في علومها كما هذبوها في عدلها وأن تأخير المسلمين اليوم عن الأمم في العلوم لحكمة انهم هم المهذبون للأمم . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين رحم الله به الناس في العلوم الفقهية وإقامة العدل وسيرجهم بالنظام العلمى الأعلى الذى سيكون على أبدى المسلمين . سيقرأ المسلمون هذا التفسير وسيعملون بوصايا القرآن في سبعمائة آية وخمسين فصريحا وفي غيرها تلويحا أن يقرؤا علوم العالم كله . سيقروا ذلك كله وسيقومون بما عليهم من نظام هذه الأرض ويحققون - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

## ﴿ القرآن كالبهر الملمح ﴾

القرآن أشبه بالبحر فيه الماء وفيه السمك وفيه الدر والمرجان وفيه غلوقات بديعة عجبية وقد أخذ منه أسلافنا علم الفقه وهو بعض ما فيه وما علم الفقه إلا كالسمك . فأما الدر والمرجان والماء الذي به حياة كل شيء فيسكون في المستقبل . إن في البحر جوهرها وإن في البحر دراهم . إن في البحر ما يكون بخارا بحرارة الشمس فيرتفع البخر فيصير سحبا مطرا فيحيى به الله الأرض بعد موتها ويصنع من الحيوان والنبات والإنسان . هذا هو البحر وهذا هو القرآن . فليفتكر المسلمون بمقولم وليستخرجن العلوم من مكانها كما استخرجت الحرارة الشمسية القطرات المائية من البحر المحيط فصارت أنهارا سقت كل شيء . أخذ أسلافنا السمك منه وهو علم الفقه فلنأخذ نحن من العلوم التي بها حياة العقول كما أن ماء المطر به حياة كل شيء ولننص على الدر والمرجان كما نأخذ أكبر آياتنا ولكن يبقى ذلك مدفونا في الكتب بعيدا عن الأمة فليُنشر ذلك للأمة ولتتم الأمة بما عليها لنفسها وللاطم وللقراءة . وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا . انتهت الطيفة الحادية عشر

﴿ الطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين - ﴾

قد تقدم شرحها في الطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض عداوة -

﴿ الطيفة الثالثة عشرة في قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ ﴾

اعلم أن الناس أشجار مقاربة فروعنا مرفوعة إلى أعلى تتطلى بها الطعام والشراب ورؤس النبات إلى أسفل ورؤس الحيوان متجهة إلى الجهات الأربعة وإنما كنا على هذا الخط لأن النبات لا حظه من الاستقلال إلا كقطعة من الانفصال عن الأرض فأسسه ملازم الطين لاحتكاكه ظاهرا . فأما الحيوان فإنه يتحرك إلى سائر الجهات ويختلف في قبول الفرائض اختلافا عظيما وهو في ارتقاء درجاته على أقسام كثيرة يتبدى من أدناه إلى أعلاه . فانظر إلى خلق الله وعجائب منعه وتفكر في حكمته سبحانه وتعالى وانظر كيف خلق وكيف صور خلق النبات لازما للأرض وخلق الحيوان على أنواع كثيرة وكلما ازداد غرارا وقوى كان أبعد عن الاتساع على الأرض وكان أقدر على السعي وترى السباع والطيور أرقى من الطيأ والغزلان فهي تأكلها وترى القردة أرقى من الجميع لما لها من الذكاء والفهم والتقليد للإنسان وترى الإنسان انتصب قائما فكانت رأسه أعلى وبداه ورجلاه لأسفل يمس كل نبات فصدق قولنا إن الإنسان نبات معكوس وهذا معنى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فنحن نبات ارتقى ارتقاء تاما ولكن نظرنا معنى الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وهي - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - فالحشر على الوجوه إلى جهنم يراد به ميل النفوس إلى الأمور الأرضية وذلك أن الإنسان يعيش في هذه الأرض ويصادف فيها نباتا وآلاما فإذا عاش ومات وهو لم يفهم منها إلا لذاتها وجهل الذات العالية وهي حب هذا النظام العام وتكميل النفس الإنسانية فإن مثل هذا يوضع بعد الموت في عوالم منسقة على قدر عقله لأن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون فمثل هذا يحشر على وجهه فليس من الذين ترتفع رؤسهم إلى أعلى لأن ميلهم حيواني وشهوتهم نباتية فكانه ما فهم الإنسانية ولا عقل لنباتها العالية وعكف على الشهوات المتادة عند الحيوان والنبات فترى من الحيوان ما يحب على الأرض حيا فهو لا تكون نفوسهم راجعة منكوسة إلى أسفل . والأخلاق الشهوية النباتية ترجع إلى الماء واللبس والسكن والزينة والنساء والمال وجميع ما هو من هذا القبيل والأخلاق السبعة ترجع إلى القوة الفضية من الحسد والكبر والظلم وما أشبه ذلك . فهذه الصفات كلها التي تبلغ ما يقارب المائة كلتي علم الأخلاق تحيط بقيمة المرء في الآخرة ويرى نفسه متعلقة بتلك الأخلاق فتبقى محبوبة فيها عن ربها كما قال تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون \* كلا إنهم عن ربهم يومئذ مُحْجُوبُونَ - وكل امرئ يعرف

من نفسه اذا فكر هل نفسه متأهية للقاء الله فان عرف أن هذه الدنيا ولذاتها تهبجه وتنسيه ذكر الله فليعلم أنه بعد الموت يكون معلقا بما كان معلقا به في الدنيا ويبقى محجوبا عن ربه طالما لنفسه وذلك جزاء الجاهلين وهذا من نتائج قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - اى انهم يملأون الى أسفل الامور فلا يزالون أعلاها ومحجبون عن ربهم وهم الذين خسروا أنفسهم لأن النفوس الانسانية عالية الرأس مرفوعة لا خبيسة منحلة منخفضة وانما وجوههم - يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - وأما الآخرون فليست وجوههم ناضرة ولا الى ربها ناظرة لأنهم يحشرون عليها وتلتصق بالأرض كما يلتصق النبات لأنهم يملأون الى العوالم الأرضية محجوبون على حبها لم يشفقوا ما أدركت العقول من الجلال

﴿ جوهرة في قوله تعالى - وكلا ضربا له الأمثال وكلا تبرا تقيرا - ﴾

اعلم أن الله ضرب الأمثال لهذه الأمة والأمم السابقة . فأما ضربه الأمثال للأمم السابقة فهو المذكور في هذه الآية . وأما ضربه الأمثال لهذه الأمة فدخل قوله تعالى - مثل الذين اتخفوا من دون الله أولياءهم يكتفل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - الى أنت قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون -

يقول الله في الأمثال لا يعقلها إلا العلماء ويقول في اختلاف الألسنة والألوان لا يعقلها إلا العلماء كاسيأتي في (سورة الروم) إذ يقول تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - (بكرس اللام) ويقول في سورة أخرى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض - الى قوله - انما يحشى الله من عباده العلماء - إذن الذين يعرفون اختلاف الألوان والألسنة ونحو ذلك هم الذين يعرفون آيات الله وهم الذين يحشون الله فهكذا لا يعرف الأمثال إلا العلماء بها . واعلم أن الأمثال كثيرة في كل لغة وعند كل أمة ولها مقاصد قال لأجلها ألف لها (الميداني) كتابه ﴿ الأمثال ﴾ ولأذكر لك مثلا سهلا لتقيس عليه ونشرح هذا المقام شرحا بقدر الطاقة وبما يفتح الله فأقول

(١) من الأمثال قولهم « قال الحافظ لولدت لم تشقني قال سل من يدقني فان من ورائي لم يتركني ورائي » ومعلوم أن الحافظ لم يقل لولدت شيئا ولا الولد رد عليه شيئا وانما هذه جملة يراد بها اظهار الجزم من اقترب ذنبا با كراه غيره عليه . إذن المثل هو قول منقول من معناه الى معنى آخر وهو في علم البيان استعارة تمثيلية وهذا معلوم لمن درسوا ذلك العلم ولذلك كان هذا العلم وأمثاله من العلوم التي لا بد منها لمن يريد تفسير القرآن

(٢) وقولهم « الصيف ضيعت اللبن » فهذا قول نطق به رجل كبير السن لامرأة كانت زوجته فأحببت شابا وترقيته في زمن الصيف وجاءت لهذا الشيخ تطلب اللبن على عادتها في زمن الشتاء فأفادها انك ضيعت اللبن في زمن الصيف . ولكن هذا القول نطقه نحن الآن على من ضيع فرمة فاته فأق ليطلبها بعد أن فاته . فإذا طلبنا من رجل أن يشاركنا في أرض يزرعها أو في تجارة يديرها ثم تنحى عن ذلك وشاركنا غيره ثم جاء وقال أريد ما كنت طلبته فانا قول له ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾ نحاطبه بهذا وهو لم يطلب لبنا ولم يكن ذلك التضضيع في زمن الصيف بل مرادنا انك أضعت الفرمة فعليك وسدك يكون اليوم لاعلينا . اذا فهمت هذه المقصة فاسمع لما ألقى عليك الآن . اعلم أن الأمم السابقة كانت تضرب الأمثال بالقصص والأحاديث المستملحة وتعطي أبناءها الحكم تارة على ألسنة الحيوانات وآونة على ألسنة الأنبياء وأخرى على ألسنة الملائكة وطورا على ألسنة الملوك وهكذا فترى

(١) كتاب ﴿ كلية ودمية ﴾ يجعلها على لسان الحيوانات

(٢) وكتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ على ألسنة الملوك والجن والفتيات

(٣) وكتب اليهود على ألثة الملائكة تارة والأنيبه تارة أخرى

وهكذا أهل بابل وأهل الهند وأهل أوروبا يجعلون الأمثال على ألثة الشياطين كما في كتاب (ألف ليلة وليلة) ومن عجب أن الأمم كلها توغلت في القدم كانت أمثالها غالباً ترجع إلى الملائكة أو الآلهة التي اخترعوها على مقدار تلك العقول وليس عندهم في ذلك مضى وكلما اقترب زمان الأمم كانت أمثالها أقرب إلى العالم الأرضي كالأنبياء والملوك وأهل زماننا لما أصبحوا أقرب إلى (الديمقراطية) جعلوا الأمثال على ألثة الشياطين فلم يدر في كل عصر على ما غلب على أهله فإن كانوا صابئين أو ما أشبههم كالأمة القديمة ذكروا الملائكة والآلهة المحترمة وإن كانوا شديدي الخسوع للملوك أو متعلقين بالأنبياء ضربوا بهم الأمثال وهكذا وسأين ذلك واضعاً الآن . وإعلم أن ضرب الأمثال منهج عجيب ومقام عزيز يظنه العامة طريقاً مبعداً وأمرها سهلاً وما هو بعيد ولا سهل ولكنه يحتاج إلى إعمال الروية والفكر والنظر وليس يفرحه إلا أهل العلم والبراعة والحكمة وسأريك برهان ما أقول الآن فهناك أسمك (ثلاثة أمثال) تجمع أهم أمثال الأمم الشرقية والغربية لتطلع على الأمثال التي ضربت لتلك الأمم حتى تعرف كيف كانت عظمتهم ولتفهم بنوع ما قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرأ تنزيهاً - ولأقتصر لك من أمثال الهند على (مثلين) ضربوها ليضموا النوع الإنساني كيف تخدعنا الشهوات وتضلنا اللذات وتقوينا الأهواء وتسحر عقولنا فنون الجبال وزينة الحياة الدنيا ثم ألقى على ذلك بمثل ضربه أهل (بابل) وقوله اليهود عنهم . وهذه الأمثال ضربت على نمط القدماء في توجيه النصيح على ألثة الملائكة كما هو دأب تلك الأمم لأنهم لا يجنون في هذا ذنباً ولا خروجاً عن الأدب بخلاف ديننا القويم فانه فيه لا يجوز وإن كان القول مجازاً وإني أردت بهذا

(١) أن أين حقيقة الأمثال

(٢) وأن يفتح للسم مجال اتساع دائرة العقل

(٣) وأن يفهم المقصود من الكتب القديمة إذا طلع عليها

(٤) وأن يعرف أن الاسلام يتفق في المعنى مع العلوم ومع كل دين وإن اختلفت الظواهر

(٥) وأن يكون المسلم مستأنساً بكل علم فلا يأتى من قراءة العلوم القديمة التي نقلت عن الأمم لأن حصر

العقول يصنع مجد الأمم ويذهبا

واعلم أن الله عز وجل طبع هذا الإنسان على خصلة لا تتركه وهي أنه لا يتعلق إلا بما بعد عنه ولا يجب إلا ما تمنع عليه وهو يحترق لمبذول له ولا يرغب فيما عنده . ألا ترى رعاك الله أنه قد بذلت له نجوم السماء كي ينظرها كل ليلة وهي أجل وأبهى من الجواهر والحلل ولكنك تراه يفضل قطعة (الماس) على هذه النجوم الجلية . لماذا هذا ؟ لأن النجوم له مبذولة ولو أنها كانت غير مبذولة لدفع عن النظر إليها غالباً ولكانت النظرة إليها تشتري بمال وفيه . ومن هذا ما نشاهده من تهافت التجار على الآثار القديمة المدفونة تحت الثرى فما ذلك إلا لثمنها . ومن ذلك انني في هذا اليوم أحتفي يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ زرت (دار الآثار العربية) بمصر فأخبروني هناك بأنه يؤمها كل يوم من الساعين (٤٠٠) نفس كل واحد يدفع (١٠) قروش . لماذا هذا ؟ لأجل أن يشاهدوا شيئاً ممنوعاً عنهم ولو كان مبذولاً لهم لا حترقوه . من ذلك أني رأيت (سجادة) تاريخها (٥٠٠) سنة لشراها أحد أغنياء مصر بثمانية آلاف جنيه . ومنه أيضاً فقه قاش من ثوب ابن هارون الرشيد رأيتها بعيني وأبصرها بأبصارها (٣) آلاف جنيه . وهكذا اناء من العقيق رأيت هناك كل ما يكل فيه بعض ملوك الممالك في مصر فدفع فيه الحاكم الإنجليزي (١٦) ألف جنيه فلم ترض الحكومة المصرية . هكذا أخبرني العمال في المصلحة . فهذا التغالي في الأثمان للفرابة لا غير إذا عرفت هذا فلتنظر في الأمثال انها إنما جعلت أدلة للتعليم لغرابتها وبدائع تنوعها والتصرف فيها

حتى ان الانسان اذا سمعها وفكر في أصل المعنى وفي المتصود منه كان لهذا أثرًا في نفسه . ففرق بين قول القائل فلان كريم وبين قوله كثير الزماد وبيان السكب وحب الذراع وهكذا فاضرب الأمثال أبلغ من الحقائق هذا أهم الأسباب في قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وذلك لأن الجهال من سائر الأمم اذا سمعوا أى قصة صدقوا لفظها ووقفوا عنده ولكن العقلاء هم الذين يفهمون الحقائق وما يقصد من الكلام

الآن سلغ لي أن أقص عليك قصص الهنود لتعلم كيف كانوا يضربون الأمثال لتعليم شعوبهم وكيف يحترسون من خداع الدنيا . ولأذكر لك قبل ذلك كما تقدم في هذا التفسير وشرحه في غير ما موضع أن الأمم القديمة كلها موحدة بالله بلطنا وسرا ومشركة أمام الشعب فعند الهنود كما عند قدماء المصريين كان التسند من طبع العامة وهكذا جيع الأمم السالفة

فما وصلت الى هذا المقام قال لي ذلك الصالح العالم الذي اعتاد أن يحادثني في التفسير فيما مضى ؟ لم كل هذه المقتمة . الأمثال جعلتها ولم تريد ضرب ثلاثة أمثال من أمثال الأمم القديمة في هذه الآية . فقلت أردت بذلك إزالة تلك الغشاوة التي طست على عقول كثير من الأمم الاسلامية إذ حرموا من العلم الذي طبق آفاق الشرق والغرب والناس جميعا انتهلوا منه . فقال ما هذا العلم الذي تزعم أن الناس انتهلوا منه وحرم منه المسلمون فقلت عالم الأمم القديمة والحديثة في رواياتهم التي أودعوا فيها علومهم . ألا ترى رعاك الله أن بني اسرائيل ذكروا قصصا أودعوا فيها حكمهم وضمنوها علومهم ومواعظهم وهكذا اليونان وأهل الهند أودعوا قصصهم الحكمة وحشوها في حكاياتهم فلما قرأها العلماء أنكروها وقالوا هذه خرافات . واني لأعجب كل العجب من أمة تقرأ علم البيان ولا تعييه . قال وكيف ذلك ؟ فهل علم البيان يعلم الناس الخرافات . إن الخرافات ضلال العقول . فقلت على رسلك إن علم البيان فيه الاستعارة التخييلية كما تقدم والاستعارة يقصد منها المعنى المنقول اليه اللفظا لا غير فوجب كل العجب من أم فهم قول القائل ﴿ السيف ضيقت اللين ﴾ وتخطأ به بجماعة الرجال ولا ترى فيه بأسا ثم تراهم يهللون ويجزعون اذا سمعوا ما أسأفهم من قصة هاروت وماروت التي وضعت بهيمة مثل أو رواية لم يقصد منها إلا مغزاها على طريقة الاستعارة التخييلية والخرافة إنما تكون فيها اذا قصد لفظها فأما المعنى المنقول اليه اللفظ فليس خرافة بل هو موعظة حسنة . اللهم إن هذا هو الذي قصده النبي ﷺ في قوله ﴿ حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ﴾ كما في البخاري وقال الشراح لأن سند أحاديثهم منقطع فتحدثت بلا سند . ولعمري لم يقصد ﷺ أن يعلنا الخرافة بل قصد أن يجعلنا أمة تعرف أحوال الأمم ومواعظها فترقى . إن الأمم جميعا لم تقدر أن تصور الفضيلة والريضة إلا بهذه الوسيلة وهي تشويق القراء بطريق القصص بهيمة تأخذ بلب القارئ والله يقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطرا سوء أفلم يكونوا يرونها - وهذا في هذه السورة ويقول سبحانه في آية أخرى - أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تصنى الأبصار ولكن تصنى القلوب التي في الصدور -

ولاجرم أن علم الآثار والحديث الذي عرفه العالم المتمدن وقرأوا كتب الأمم القديمة أفادهم وعزتهم وساعد في رقي أعمهم والمسلمون بقوا مكتوفي الأيدي أمام الأمم فالأمم يسمعون ويعقلون والمسلمون لا يردون أن يسمعوا أو يعقلوا ويقولون قد استغنىنا بالقرآن ويقول الله لهم في القرآن . كلا . ان قرأ القرآن فليعزم على العمل بالعلم كهيئة الحمار يحمل أسفارا بشئ مثل القوم ؟ فهل يجبكم أيها المسلمون أن تعرفوا القرآن كله وتشكروا قوله - أفلم يسيروا في الأرض - فصل السير في الأرض ونظركم عوالم الأمم من كتبها وآثارها والاستعانة بما وقعوا فيه والأخذ بالأحسن من أعمالهم مخالف للقرآن وهو الذي حض عليه بنفس هذه الآية ووجه التاركين له ؟ فهل النظر في الأرض وتقل أحوال أهل الأرض والنظر في السموات . كل ذلك

لا يجبركم مع ان القرآن يأمر به . فقال صاحي هذا عجب ثم عجب كفى كفى \* إن من البيان لسحرا \* فاذكر لي المثل الأول من أمثال الهنود حتى أعرف كيف كانوا يظنون فقلت عندهم قصة تسمى ( قصة العابد المتون ) وملخصها أن عبدا يسمى ( كنندو ) على شاطئ نهر جاماني اشتهر بالعبادة في غابة كثيرة الأشجار تغلف أبواب السماء ( للملائكة ) أن يشاركهم في العظمة عند الله ويسكن معهم السماء فأوهوا الى واحدة من الحور العين وهي ( برامونتيا ) أن تظهر جلالها فنزلت الى الأرض وفي طاعتها الريح والشمس فلما رآها العابد بهره جلالها وبقيت معه ليالي وأياما تعد بللثات فاستيقظ قبل الفجر ليلة فقال اني لم أصل الليلة والفجر قرب فسخرت منه وقالت أنت متى منذ مئات الليالي فدهش وقد كان ينتظرا ليلة واحدة فعرف أن المرأة خدعته وفرح للملائكة الذين حصلوه بذلك

فلما سمع صاحي هذه القصة قال كيف يقرأ هذا المسلمون وكه كفر صراح مثل المعبودات الثانوية ومثل الأرباب الهندية . ولا جرم أن ذلك يفيد ( أسرين اثنين \* الأول ) ان الآلهة الصغيرة معبودة ( وثانيا ) ان اتصافهم بالالهية فيه تعدد للآلهة والأمر ظاهر بالطلان . وأيضا الآلهة كما اتصفت بحسد العابد اتصفت بالاحتيال في الافساد فهؤلاء شياطين لا آلهة . فقلت له قد قمت في هذا التفسير مرارا أن العلماء منهم موحدون واستباحوا التعدد على حسب زمانهم وهذا عندنا كفر وأما كونهم آلهة فهذا مجاز يراد به للملائكة وأما كونهم محسودين ويخادعون ويقتنون العابدین فخا هذه صفات الشياطين ولعم هذه الشعوب بأنها صفات الشياطين قبلوها على أنها ضرب أمثال وكان هذا مباه عندهم . ولا جرم أن هذا الحسد موجود بين الناس وماضروا الأمثال للملائكة إلا ليضعم ذلك الناس لاغير فقراءتها ومعرفة مغزاها شيء والاعتقاد والكفر شيء آخر . ولا جرم أن هذه الأمثال ليست الأمثال التي ضربها الله لهم . كلا . بل هي أمثال تبعت أخلاق القوم وأزلت آهتهم الصغيرة فجعلتهم في مصافهم فلذلك صار للحرب والخداع في عموم النوع البشري علما تقليدا للآلهة التي ضربوا بها الأمثال وهذه طرق أبطلها القرآن فهذه أمثالهم لا أمثال الله وكل دين زل من السماء خلطه الناس بأهوائهم كما سأوضحه قريبا في هذا المقام . ثم قلت وفي هذه القصة مصداق القرآن ، ألا ترى رعاك الله أن القرآن ذكر أن هذا الدين تلتزمه أديان . قال بلى . قلت أفلا ترى أن هذا من أقدم الأديان وقد ذكر الزهد في الدنيا والعبادة بالليل واضلال الشهوات للناس وخداع الهوى لهم وذلك كله شرحه القرآن شرحا وافيا . إذن كان الناس من قديم يصلون بالليل وتجنأ جنوبهم عن المضاجع وكانوا يقولون إن تارك الدنيا يقرب من الملائكة ويحب في السماء ، إذن هذه القصة مصداق لعين الاسلام فاقه يقول - قلما كنت بدعا من الرسل - ويقول - كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم - إذن القصة أفهمتنا أن هذا القرآن لم ينزل فيه مالبس من طبع الهيات التي تناسب أهل الأرض وإن ضاير في التعبير فقد كان قبلنا أم يصلون ويتركون الشهوات . إذن هذه أمور عامة لخاصة وهذا من أجل البراهين على صدق النبوة

فلما سمع ذلك صاحي قال حسن فما القصة الثانية . فقلت كما أن القصة الأولى مثلت فتنة العابدین بالنساء الجليات . ولا جرم أن الدنيا كلها فتنة تمثل بالمرأة . هكذا القصة الثانية الآتية جعلها مظهرة مضار لميل الفرد ( الطاولة ) ان طاوله الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية ( نال ودانان الهندية ) وهي من فصول كتاب ( مهابارته ) الشهير أحد أسفار الهنود المقتسة عند الهنود وقد وضعه قبل الميلاد بعشرين قرنا . وذلك أن الناسك ( فياسا ) التقى عاش آلاف السنين على الأرض في زعمهم نظم ديوانه ( مهابارته ) وهو ٢٢٠٠٠ بيتا وهو من أشهر المؤلفات في فصاحته وقصصه ونواجره وانباء الحروب والمعارك اشترك فيها الآلهة مع الناس وهو مثل ( الايلياده ) لهوميروس وهذا الكتاب ( ١٩ ) فصلا وفي الفصل الثالث منه رواية ( نال ودانان ) وهي ترى الى تقييح لب القمار وهي ( ٥٠٠ ) بيت وذلك أنه

كان وراء نهر الكنج في بلاد الهند ملكة (نيساواه) وملكة (فيدونه) وملك الأولى يدعى (نال) والثانية يدعى (فيم) وابنته جميلة فتاة اسمها (دامان) اشتهرت بالجمال حتى خطبها الآلهة في السماء وعلم بها ملك (نيساواه) وعرف جمالها غلغ قلب (نال) فيها ولما صر به سرب من الأوز اصطاد منه واحدة فقالت له ان أطلقتني اذهب الى (دامان) الجبلية لتزوج بها ففرح نال وبات صريح غرامها فذهبت الأوزة الى فيدونه ورائتها (دامان) الجبلية فقبضت عليها فقالت لها انا جئت لأعرض عليك زواج (نال) فاطليه فباتت دامان موهلة وممرضة وأخبرت أباه بذلك فدعا (نال) فتزوجها . وكان لال أخ اسمه (بوسكار) فأوحى اليه أن يلعب مع أخيه الزهر وإله النثر يساعده فذهب مع أخيه نفس (نال) كل مملكته ثم زوجته فاستولى بوسكار على الملك وطرده هو وزوجته لأنها أبت أن تكون مع (بوسكار) فسارا في البرية يأكلان العشب ثم لقيا ركباً أولاهما الى (ملكة فيدونه) فعاش مع صهره هناك ثم أعطاه صهره جندا فتوجه به الى مملكته فسلم أخوه له بلا حوب وتولى الملك ثانيا وأصدر أمره بعدم لعب الزهر (الطولة) على مال وإنما يكون ذلك للتسلية فلما سمع صاحبي ذلك قال فاذكر لي القصة الثالثة التي ذكرها أهل (بابل) وقتلها بنو اسرائيل في رواياتهم فقلت تلك القصة على طراز روایات الهند (وما يخصها) أن الملائكة في زمن ادریس عليه السلام لما رأوا ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا هؤلاء غيبتا فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين لأزلهما الى الأرض فأركب فيهما الشهوة وأنا أقول لكم انهما لن يصبرا عن الشهوات فاختارا (هاروت وماروت) فزلا وصارا قاضيين يحكان بالعدل وعند المساء يصعدان الى السماء وحضرت لهما امرأة فارسية يقال لها زهرة تشكو زوجها فأعجبها بها وطلبا منها شيئا فقالت لا حتى تنسرا لنثر لأنها خيرتهما بين النثر وعبادة الصنم فزحيا بالنثر لأنه أهون فوقعوا في الزنا ولما رأهما رجل قتله خوف القضية فلم يقدرا بعد ذلك على الصعود الى السماء وعذبهما الله الى يوم القيامة في (بابل)

هذه الرواية مشمل سابقتيها لاسباب الأولى . فانظر كيف كانت هذه الروايات كلها ترجع الى أن الملائكة أو الآلهة في عرفهم هي التي تغتن بالنساء ويحصل وقائع للملائكة أو للآلهة كوقائع الملوك الأرضية مع الرعية ونسائهم الجيلات

هذه (ثلاثة أمثال) من أمثال الأمم التي أشار لها الله وهي في خواها كالقرآن من حيث تحريم النثر والانصراف الى اللعب وان اختلطت بأهواء القوم من حيث العقائد الزائفة كما سأوضحه قريبا وإنما ذكرت هنا مناسبة قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - فالذكور هنا يدلنا على نوع الأمثال وسرها وكلها راجعات الى تقويم الأخلاق واصلاح النفوس البشرية وان كانت محرقة فان الانسان اذا سمع أن العابد في القصة الأولى فتنت حوراء حرسه له من الجنة ثم نعم بعد معاشرتها مئات الأيام وهو في حال الاسترقاق في جبالها ثم نعم بعد ذلك . واذا علم أن لعب (النثر) قد أزال ملك ملك من ملوك الهند ولم يرجع له ذلك إلا بعد العناء . واذا علم أن نفس الملائكة الطاهرين قد فتنتهم الدنيا فانه إذ ذاك يعتبر ويحترس . هذه من نوع الأمثال التي كان يضربها الناس اتباعا لما جاء في دياناتهم وان أزرغ عقائدهم وكانوا بها يصلحون أنهم . أما عندنا فهذا ممنوع منعا باتا . ذلك لأن ديننا يستد طريق الفساد . ذلك أن هذه وإن كانت أمثالا قد يظنها الجهلة انها حقائق ويتبادى الزمان تصير عقائد للعموم فيقولون إن الملائكة يصون الله وهو كافر أو أن هناك في السماء آلهة وهذا كفر فسدت الله هذا الباب منعا للنثر والجهل في العقائد . ولما كانت الأمثال لا يعقلها جميع الناس قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكرس اللام) اشارة الى أن أكثر الناس جهال لا يعقلون أن هذا ضرب أمثال وحقيقته متممة والنبي يعرف المقصود منها إنما هم العلماء ودين الاسلام للعلماء والجهلاء . فاذا رأيت بعض المفسرين تقل أمثال هذا في تفسيره فاعلم انه اتبع في ذلك الحديث

الشريف (حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج) ولما كان الناس يحملون هذا على الحقيقة لاهل الجحاز أخذوا يثبتون تلك الروايات ونسوا للفسرين التخرif في القرآن ومعلم بمخترفين إلا اذا اعتقدوا صحة هذه الروايات على لفظها فأما المغزى فهو التهذيب واجب ثم يجب هذه الروايات الثلاث كيف دللتنا على آراء الأمم الهندية والصينية والبابلية وأن آراءها متشابهة . فهذا تعرف سير تلك الأمم وأمثالها وتعلم معنى قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنيرا - وأما تبرهم لأنهم حرفوا في نفس الأمثال . ومن عجب أن يوجب الله أهل مكة وأمثالهم فيقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مغار السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا - يوجب الله أمة اللعوة ناعيا عليهم عدم اعتبارهم بتلك القرية التي أهلكت وهي بطريقهم هكذا ينهى الله على المسلمين الحاليين ما يرون من الأمم التي خربت بذنوب أهلها وتقسيرهم كأهل الأندلس من المسلمين وكأهل أمريكا الأصليين وكأ يرون من النذل في مصر والشام وبعض بلاد العرب فهؤلاء مكبلون في النذل أفلا يعتبرون فيحترسوا من التقصير ؟ فإذا قال قائل نحن مؤمنون فنقول له - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون -

وعما يؤسف له أن الأمم الغربية اتخذت الروايات الأدبية بابا لرقبها كما فعل الأمثال إذ أنف أحدهم في القرن التاسع عشر (رواية وردة) التي تعرف آداب قسواء المصريين وحريتهم قبل ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح فكانت هذه الرواية سبب النهوض الأدبي في (ألمانيا) والمسلمون لا يفتكرون في الأمم ولا الدول ولا الممالك ولا يثبتون العوائم والمهم ولا يفتكرون في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - أليست هذه هي أيام الله تعالى وهي ماصتعة بالأمم أمة بعد أمة . اللهم إن القرآن نزل لرقى الأمم . وإذا رأينا الله يذكر لقمان عليه السلام ويسمى سورة باسمه ويقول - ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله - فليس معنى هذا أن الحكمة خاصة بلقمان فلا تقرأ إلا حكمته . كلا . فإن الله يقول - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ولم يخص القول بقول علماء الاسلام ولا لقمان . وقال في آية أخرى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الأبواب - فالحكمة ليست خاصة بلقمان بل هي نور من الله نستضيء به من أي حكيم فالمسلم يقرأ كل حكمة وكل علم . هذا تمام المقال في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ . انتهى صباح الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨

(الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقه إلا المفكرون - )

لقد خيل إلى هذا الانسان وهيكه للمنصوب وقد أشرقت النجوم ليلا والشمس نهارة على الأرض وأضاءتها وازدهرت بالمزارع والأنهار والحايوان وانتظمت الأحوال وعمرت الأرض وأشرقت بنورها فبرز هذا الكتاب ليقرأه المفكرون ويدرسه المستبصرون . هذا الهيكل أمره عجيب . نراه قد جعل منار الحكمة والعلم والفضائل والردائل . فانظر ماذا ترى

(١) ترى طعاما يزدره فيهضمه فيكون الدم فينتظم الجسم انتظاما

(٢) وما يبقى من هذا الطعام بعد الذي حوّل الى دم يصير فضلة غليظة أورقية فينزل على الارض فيكون سببا للزرعنا ونحيا به أرضنا فتبارك الله الذي لم يضع من الوجود شيئا فالتى بقي ولا منقصة له في أجسامنا بعد الدم رجع الى الأرض حتى يحوّل فيها الى طعام آخر نهضمه مرة أخرى فما أنبه هذا الطعام الذي لم يصلح دما في أجسامنا ونزل سببا بالتليذ بقي في فصله سنة أخرى حتى يعقل دروسه ثم يرتقى الى أعلى في السراة العلمية ثم إن هذه الفضلة منزلتها أسفل فلذلك خرجت من السبيلين أسفل هذا الهيكل المنصوب

(٣) أما الدم الذى استخرج من هذا الطعام المهضوم فانه يدور دورته في الجسم كما تراه مرسوما موضعا في (سورة المؤمنين) عند قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -



هو يدور في الجسم كما يدور الماء سواء بسواء فهو يخرج من البحر بخارا ثم يكون سحابا ثم مطرا فأنهارا ثم يجرى الى البحر مرة أخرى وذلك ليحدث في البحر على طول الأزمان والآماد وآلاف السنين قارة أخرى ينشأ في قاع البحر ستة فسة حتى تظهر تلك القارة بعد مئات آلاف السنين . هذه حال الماء فهو يدور ليحدث قارة على أقل تقدير اذا ترك مهمل . وهذه القارة لا تظهر إلا بعد الآماد الطوال لا في الحال ولكن هذه الأنهار في حال دورتها كدورة الدم في الجسم لها أكثر أخرى حالا فهي تسقي الزرع وتغمر الضرع ويكون الانسان والحيوان وأنواع النبات ويكون ذلك أتم اذا جعلت للنهر سدود وحبوس فهناك ترى العمران أتم والنظام أكمل كما نرى في نيل مصر وغيره من الأنهار التي نظمها نوع الانسان

(٤) فلننظر إذن في دم الانسان ماذا فعل ؟ رأينا يدور كما يدور الماء في الجوف والأرض وفي أثناء دورانه في الجسم ينفذ الأعضاء المختلفة كما يفعل مثل ذلك الماء في الأرض ثم ترى الدم من جهة أخرى قد حصلت منه فصلة وتلك الفصلة أعدت لإيجاد هيكل آخر كهذا الهيكل الانساني ومنه أكثر الحيوان في ذلك . إن الانسان يكون من دمه تلك الفصلة المنوبة ليكون منها انسان آخر كما أكثر الحيوان كما رأينا الأنهار تخلف منها في البحر طبقات ستكون قارة على مدى الزمان تشبه القارة التي يجري فيها الماء أو تخلفها بعد حين اذا استدار الزمان وتغيرت الأحوال

(٥) لم تكن الذكورة والانوثة في الانسان والحيوان شرطا لبقاء النوع . كلا . إن بقاء النوع قد يكون بالانقسام أو بغيره وقد تكون الولادة بلا أب كما تقدم في (الحمار) في البحار وذلك مشروح في أول (سورة مريم) بمناسبة ذكرها وذكر عيسى . لعمرك لم يكن الذكران والاناث شرطا في الترية . كلا ، فهما هي ذمساءة المسيح التي قصت لنا باب (الحمار) فرأينا الأتي تلد الآلاف بلا ذكر وهكذا تلك الحشرة التي رأيتها بعيني تضرر بالأشجار وقد ذكرتها في أول (سورة الأنفال) موضحة أيما إيضاح فهذه قد تقوم الأتي فيها مقام الذكر فلا تحتاج اليه وتبيض آلاف البيض التي لا يرى إلا بالنظر المعظم فانقسام الانسان وأكثر الحيوان الى ذكر وأتي ليس ضروريا للتناسل ولكن هي الحكمة العظمى والآية الكبرى في التكوين قصت الارتقاء فكان الذكران وكافئانات

(٦) هنالك تجل لنا هذا الانسان بمنظر بهيج فظهرت الذكورة والانوثة على مسرح الوجود وهنا تجل العمل الإلهي والابداع والجمال فكان الشق والنقش والتصوير والشعر والموسيقى وتفيد الطير وعوام القضاء في سائر الأمم بين النساء والرجال وأحكام العقد والطلاق والنفقات وقصائد الشعر وروايات الحب والغرام وكثير وعزة وقيس ولبنى وآوبة ولبنى . ثم كان هناك الزهاد والرهبان والمجاهدة لكبح جراح هذه الشهوة حفظت فذكت العقول وحفظت العلوم وظهر العباد وهنالك علوم أيضا وعلوم فهذه الشهوة بارسالها كانت علوم في الفقه والحب ونحوهما وبحبسها كانت علوم التصوف والعبادة وهكذا

لا يكاد الانسان يشعر بقوة الشباب حتى يشعر كل من الصنفين الذكور والاناث بالحاجة للآخر فإذا يحصل تبتهج النفوس وتشرق الوجوه وتحاط اللابس وتنفق تجارتها وتغمر الأسواق ويكثر الشارون والبايعون وتنصب الزينات ويعتني الذكران والنساء بأجسامهما وينسقون ملابسهما ويفقهون دروسهما وينظمون الأشعار ويؤلفون الروايات ويتصفون بالفضائل وتقام المراسم وما أمل هذا كله إلا أمر واحد هو الترية أصل هذا الحب وهذا الغرام وهذا الجمال وهذا النقش وهذا التصوير وهذا الغناء وهذه الموسيقى وهذا الشعر . كل ذلك لأصل واحد هو التناسل

فاجب لتناسل جاء بغير أب ولا حب في (الحمار) قد أصبح في نحو الانسان مبدأ لكل زينة وجمال وشعر وتصوير . له ألفت كتب الفقه في النفقات وضبت المحاكم وبنيت السجون للذنين من الرجال الذين لا ينفقون

وقام القضاء في البيانات من مسيحيين ووثنيين ويهود ومسلمين وقد ألفوا كتباً لذلك

عجب لهذا الانسان ولهذا الوجود . نرى له نفساً داخلاً وخارجاً لاصلاح السم ثم هو نفسه يكون في أثنائه ذلك مبدأ الكلام . النفس إنما جعل لاصلاح السم ولكن الحكمة عظيمة جداً فقد جعلت له حكمة أخرى وهي الكلام وفهم العالم هكذا هنا التناسل أمره سهل لا يحتاج لذكور ولكن بخلق الذكور والاناث ظهرت علوم وصناعات وقضاة وحج وغرام وشرائع وديانات . جلّ الله وجلّ العلم . أصل تفرعت منه فروع شتى كما تفرعت المادة الى كواكب وشموس وأقمار وهي عناصر محدودة معلومة

(٧) بعد ذلك تعالى الانسان وتعالى وأخذ يبحث في العالم العلوي ونظر في أمر الملائكة وأخذ يتخيل الملائكة والأرباب وأنزلهم جميعاً الى حظيرة الانسانية ؟ فإذا قال . قال انهم جميعاً بأكلوت ويشربون ويتزوجون ويعشقون ويحاربون ويهلكون الأعداء

الانسان يقبس كل شيء على نفسه فلما رأى أنه هو أحب وعشقى وحارب قال ان الآلهة تحب وتعشقى وتحارب هذا هو السبب في ضرب الأمثال في الروايات الهندية السابقة والبابلية . إن الانسان قديماً لم يعقل الإله إلا كما يعقل نفسه . إن العشق الذي بين الذكور والاناث الذي خلق لأجل التناسل قد جعل وسيلة لتوسع دائرة الوجدان والعقل ولارتقاء الانسان من هذا المستوى الحيواني . ولذلك قال العلماء ( الحب ثلاث درجات دنيا وهو الحب للعتاد ووسطى وهو حب العالم وحب الله تعالى ) إذن الذكورة والانوثة في الحيوان التي ليست ضرورية للتناسل قد جعلت سبباً لارتقاء الانسان درجات بعضها فوق بعض في العلم وفي حب الله (٨) قلنا ان الانسان الأول لم يعقل الله إلا على مقدار عقله وعواطفه حباً وعشقا وحرماً واستعباداً ولذلك لا نجد أمة من الأمم السالفة إلا والحرب من طباع دينها . الآلهة عندهم يحاربون آكلون شاربون متزوجون عاشقون والبون فيقولون الأب والابن ولكن جاء الاسلام فقال . كلا . ثم كلا

أيتها الانسانية قفي قفي يا محمد قل لهم - الله أحد - فلا كثرة في الالهية - الله الصمد - فلا جوف له فإذن لادم له وبناء عليه لا يلد كما قال - لم يلد ولم يولد - فلا زوجة ولا حب ولا عشق ولا غرام - إياكم أن تقبسوه عليكم . فاما الحرب فإنه لا يحارب - ولم يكن له - أي وليس له - كفوا أحد - فهذه السورة ضاعت الروايات المتقدمة وغيرها وتجلت الرحمة واستعد الانسان حديثاً الى التعاون تدريجاً . وهناك يظهر انسان جديد لا يمجّد ذلك الإله العاشق المحارب الذي يلد ويشارك البشر فيلد عيسى كما يلد ملوك اليابان ونحوهم ولا يحارب بل هو رحيم رحيم . فإذا لم يكن الإله محارباً فمن الذي يقلده الانسان . إن الناس قديماً أغرموا بالحرب لأن أرباب الديانات القديمة وصفوا أربابهم بالمحاربة والقرآن أمر بالحرب حتى تضع أوزارها ومتى وضعت أوزارها يكف المسلم عن الحرب وهناك لا يمجّد ذلك الإله المحارب بل الإله الرحمن الرحيم الموصوف بالقدس والسلام . اختفت تلك الروايات الحربية الغرامية وسهل محلها الروايات التي تحدث عواطف الرحمة وانتشال الضعفاء وارتقاء الشعوب . إن القرآن جاء في مقدمة أمم ستكون أرقى من هذه الأمم يجدون لهم رباً لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج ولا يلد ولا يغلبه أحد بل هو الغالب وإذن يكف الناس عن الحرب والضرب لأنهم سيكونون أمة واحدة وأسرة واحدة يرعى بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض وهذا قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - على ألسنة الأنبياء فزين للقوم الشيطان أعمالهم فأتوا بأمثال غير أمثال أنبيائهم وأنزلوا الدين على حسب عقولهم ففترعاهم تفتيراً \* والدليل على ذلك تلك القرية التي أمطرت مطر السوء وهم يمرّون عليها ولا يتعجبون بها كأنهم لم يروها وإذا رأوك استهزؤا بك لأن ما جئت به لا يلائم ما تلقفوه عن آبائهم فاعتبروا الحق ضلالاً وتمادوا في غوايتهم وجروا عليها . إن هؤلاء لم يعبسوا إلا أهواءهم . ان أكثر هؤلاء عطلوا أسماعهم وأبطلوا عقولهم بل ما هم إلا كالأنعام بل الأنعام خير منهم . انظر الى الظلال كيف نمتها وكيف تقبضها وكيف

كانت آثارا للشمس المشرقة المنظمة المسير التي جعلناها دليلا على الظل - فأينما أضاءت بنورها تركت آثارا من الظلال تابعة لها مداما واتقباضا وطولا وقصرا بحيث يتبع حساب الظل حساب سير الشمس صباحا ومساء ثم اتنا نسلخ النهار من الليل فيكون الظلام وذلك ان أضواء الشمس تفسد الجو ووجه الأرض بنورها فلما مالت إلى الغروب سلبنا ذلك وبقى الظلام على حاله فنام الناس وكان الليل لباسهم ساترا لأجسامهم واستراحوا بنومهم فاذا طلع النهار نشرناهم في الأرض لطلب الرزق الخ

هذا ملخص المعنى من قوله تعالى هنا - وكلا ضربنا له الأمثال - الى قوله - وجعل النهار نشورا - ذكرته بمناسبة ضرب أمثال القدماء الذين أنزلوا البيانات على حسب عقولهم وجاء الاسلام مغيرا وجهة نظر الإنسانية الى سبيل تؤدي الى المحبة والاخاء واتحاد الأمم والصفاء العام والرحمة التي اتصف بها الخالق وسيتخذها الناس لهم نبراسا قائلة واحد ورحم والناس سيتحدون ويتراحون و - الحمد لله رب العالمين \* الرحمن الرحيم - الذي لا يعارب ولا يعشق - مالك يوم الدين - وحده - إذن فن ذا يعاربه ؟ فله العبادة وبه الاستمانة والهداية

ومن الأمثال عند القدماء ما جاء من الحكم في فصائح (بتاح حنب) من علماء المصريين القدماء فيها ولا يحملك عليك على التكبر واستقم مع الجاهل والعالم لأن الباب لم يخلق دون الفن ولأن أستاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه ومنها « ما أعظم العدل الثابت الأركان الذي لم يكثر صفوه منذ أمد قديم »

ومن ذلك ما ظهر من الروايات أيام ارتقاء هؤلاء القدماء منهم في الأسرة الثانية عشرة واتصلهم بالأمم المجاورة لهم مثل لبنان وسوريا والصومال والنوبة وجزيرة كريد - فقد كانت إذ ذاك عندهم هذه القصة (قصة البحري الغريق) ذلك انه ركب سفينة كبيرة فيها (١٥٠) ملحا من نخبة المصريين الذين امتازوا بالشجاعة كالأسود فبينما هم جاذون في الاقتراب من البر إذ اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج من كل جانب ففرقت السفينة وهلك من فيها أما هو فألقته موجة على جزيرة فوجد فيها ما يقتات به وسمع صوتا كصوت الرعد اذا هو فعبان ميين يقترب منه طوله (٣٠) ذراعا وطول لحية ذراعا ون جسيمه كالذهب وبعد محادثة قص عليه البحري قصته فأكرمه الثعبان وبقى معه مدة مكرما ثم حضرت سفينة حمله الى بلاده ثم إن الجزيرة بدران غادرها رجعت لجة بحر - وأعجب من أن هذه القصة أشبه بقصة (السندباد البحري) التي نخسنتها لك في أول (سورة يوسف) وكذلك تشبه قصة (حى بن يقظان) التي ذكرتها في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تعبدونى - وما قبلها من الآيات - وتشبه أيضا رواية (روبنسون كروزو) الانجليزية التي نسجت على منوال رواية (حى بن يقظان) وتشبه ما جاء في كتاب (ألف ليلة وليلة) من أن ابن ملك مصرى قد لئزر له أبوه حلة فيها صورة فتاة جميلة وجعلها في خزانة وأقفلها ولم يأذن بأن ابنه يراها ابصره ونه ولكن هذا الابن اطلع عليها بواسطة الخازن سرا فوجد صورة الفتاة مرسومة في حلة من الحرير الأخضر جميلة جلالا فاقتا وانها صورة بنت ملك الجان فأغذى يسى وسافر مع جند من جنده إلى ساروا في السفن في البحار وهلكوا إلا هو ودخل جزائر كثيرة وقاسى أنواع العذاب ثم وجد ابنة ملك الجان ونال مراده ورجع بها الى أبيه سالما غائما بعد ما قارب الموت

فهذه الروايات والقصص يتبع بعضها بعضا وقد ألقاها الله على قلوب الأمم - فانظر كيف اتصلت القصص من أيام قدماء المصريين وتشابهت الأمثال عند قدماء المصريين وعند الأمم الاسلامية والانجليزية - إذن الله مع كل الأمم ومع كل أحد - ما يكون من تحوى ثلاثة إلا هو رايعهم - فهو لم يدع أمة إلا ألهمها وعظماها على السنة أنبيائها وعلمائها ولم يهلك أمة إلا بعد ما أبان لها سبيل الرشاد

ومن الأمثال المصروبة للأمم ما جاء عن الملك (جورجى) عامسة (٢١٠٠) ق م في مدينة (بابل) الذى

هزم أهل (عيلام) سنة (٢١٠٠) ق م في تلك المملكة ومالك البلاد وقد عثر المؤرخون في زماننا على خمس وخسين رسالة من رسائل مله وأهم ما عثروا عليه القوانين التي سنه في زمانه وقد جمعها من قوانين أسلافه وسطرها على لوح من الحجر ورسم صورته فوقها وكأنه يسلطها من الشمس التي كانوا يقرّبون إليها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم . وإعلم أن الكشف الحديث كله مصداق لهذه الآية فقله ضرب الأمثال لكل أمة من الأمم . وما كنا عن الخلق غافلين . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادهم ولا أمّ من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم . ألا ترى أنه علم أن الفأر مضطهد من الناس فقلّقه بالسواد لينبأه سواد الليل حتى لا يقع فريسة لأعدائه من آدميين وغيرهم . وهو الذي لما أعطى الزناير لونا براقاً أعطاهم سلاحاً تدافع به عن نفسها ما يفاجئها من الطيور فقلّقه صارت أكلة . وهو الذي أعطى السمك الذي في قاع البحار هيئة جيلة عبقريّة بهجة أشبه بما في قاع البحار من الحشائش والأشجار البهجة والأزهار البهية ليحتجني عن قاصديه بالأذى . أنظر هذه الجوانب في أوّل (سورة المؤمنون) عند آية . وما كنا عن الخلق غافلين . هذه هي العناية الإلهية بالحيوانات فهكذا عناية بالإنسان فهو سبحانه عدل وعمله شامل لم يترك أمة بدون مرشدين . وإن من أمة إلا خلا فيها نذير . وهذا معنى اسمه الهادي ومعنى . إن ربي على صراط مستقيم . وبهذا تفهم آية . ألا تذكر الله تملكن القلوب . فإن الإنسان ربما يخطئه أن الهداية خاصة بأمة فيقول في نفسه إن تلك الأمم لا هداية عندها فيظنّ سوء العاملة فيذكر الله ومعرفة نظامه تملكن النفس وتعلم أن العدل جار مجراه في كل أمة من الأمم وكل جيل من الأجيال وحيوان ونبات . فتبارك الله أحسن الخالقين .

(اللطيفة الرابعة عشرة في قوله تعالى . أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا .) لك عرفت أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مرّ بجسم أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثاني . وإعلمت فهمت ما ذكرناه عن الحسن أن الآية واردة في كل متبع هواه . وقال ابن عباس في معنى الآية « أفرأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عنده » ويقال أيضاً « الهوى إله معبود » أفلا ترى أن أكثر الناس يعبدون هواهم . أفلا ترى أن الناس مضمورون في هذا العالم الموزون المنظم الذي صنع بحكمة وهم في أنفسهم لم يصلوا إلى تلك الحكمة في أنفسهم بل هم للهوى عابدون أما صنع العالم من حكمة فانهم يرون الأديجار والأوراق والأزهار والكواكب والنجوم والأقمار وأجسام الإنسان والحيوان كلها مركبات بحكمة . أفلا يرون هذا كله ثم هم عن أنفسهم غافلون . نعم نظم الإنسان ما حوله وما أحاط به اتبع في أكثره العقل والحكمة وهم عن أنفسهم في غفلة جاهلون . أنظر كيف وزن سير الشمس وحسبه يعلم الفلك والجداول الحسابية واتخذ له من المعادن ما يمثل له سيرها وبعض الناس صنع ساعة تبين سير الكواكب جميعها والساعات والساعات والثواني والسنين . كل ذلك حسن . وقد كمال الناس الأبحار ووزنوا الأثقال وقاسوا الأطوال وضبطوا حساب ذلك كله بل انهم فوق ذلك قاسوا علوماء الأهمار وتقسمها وحسبوا الضغط الجوي والرياح وسرعتها والأمطار ومقدارها على وجه الأرض ومقدار ما بها من الوزن طول السنة أو الأشهر وقوتها سرعة القطرات الجارية على وجه الأرض وعرفوا مقدار الحرارة في القطرات والكهرباء والنور والماء ووزنوا ذلك كله بما لا يفلت منه غير ولا قطمير ولا كثير ولا قليل فالوزن عمّ كل شئ عند الناس مما قلّ وجلّ وعظم وصغر فلم يفر الحرارة والنور اللطيفهما ولا الفحم والحجر الثقيلهما ولا الشمس والقمر لعظمهما بل تراهم ضبطوا أبعاد كل كوكب عرفوه وحجمه ووزنه والعناصر التي تركب منها بما رأوا بالماظير العظيمة من ضرب أنوارها وفوتن أشعتها التي تتماثل الأشعة الناشئة من المعادن التي على الأرض والعناصر المعروفة بهذه الأشعة الواردة إلى الأرض مع ضوء الشمس والكواكب أمكنهم معرفة العناصر ودرّوا كل شعاع إلى عنصره وبذلك عرفوا أن عناصر الأرض من عناصر الشمس بل انهم أدركوا أن عنصرنا في الأرض كشفوه في

عناصر الشمس قبل أن يكشفوه في الأرض ثم وجدوه . كل ذلك عرفه الانسان وعلمه وضبطه ولكنه مع هذا كله جهول في أمر نفسه فهو مضيق لقواها وملكاها مطير لذلك في الآفاق ظانا انه لا وزن لأقواله والآراء ولا لخطراته ولا لآثاره ولا لثمراته ولا لمن فلق الحب والنوى لا - يعزب عن ربك من مقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - . فإذا كنت أيها الانسان قدوزنت الضوء وحسبت ووزنت الحرارة الجوفية وحرارة جسمك بدرجات فعرفت الصحة والمرض بها وعرفت كل طائر يطير وحيوان يسير وكوكب يجرى ورسمت ذلك في جداولك ؟ فهل تظن أن نفسك التي هي أرق وأعلى من كل ما ترى وما تسمع مهمة الحساب ليس لها كتاب . وإذا كنت ترى أن لكل شئ ميزانا فلنفسك ميزان في داخل جسمك كما للكهرباء وللضوء وللحرارة وللماء ميزان يزنها وأنت لا تشعر وهذا الميزان بين جوازحك تظهر لك ثمراته ولا تعرف إلا علاماته . فكل كلمة تقولها ونظرة تنظرها وفكرة لك خاطرة ترفع نفسك أو تخفضها والتجارب تعلمك والتهديب يريك . ألم تر أنك إذا أمسكت عن الكلام فيها لا يبتسك ألياما وغادرت ما تعاهده من ذلك أمدا طويلا وجدت النفوس اليك مائة والعقول تحوكم منجيه لأن ميزان عقلك ارتقي درجات فأحست قروهم بما لديك وشعرت بما ارتقيت وما ذلك إلا أنك أعرضت عن كل ما لا فائدة منه ولم تطلع هواك وترك القول الذي فيه الافتخار والحديث عن نفسك خففت في النفس آثارها وأقيمت فيها أنوارها جذبت النفوس إليها وأزمنتها العطف عليها فحت إليها وهي ساكنة وعطفت عليها وهي ساكنة وأصبحت نفسك أشبه ببرج الحمام خففت فيه آراءه كادت تطير لجذبت سواها من أمثالها وهي تسير كما قمتنا في هذا التفسير . ولا يملك صدق هذا القول إلا التجارب فاحفظ لنفسك آراءها وأكرم فيها أخبارها بضعة أيام ولا تظهر بما لديك من الفاخر تجذب النفوس حنت اليك والقلوب عطف عليك . فأما إذا مزنت حجباها وهتكت ستارها وأزحت خجلها فان كل امرئ يقول ما لها فتصبح العوبة في يد الجاهل

هذا مثل ضربته لك في اتباع الهوى وعبادته وكيف يصبح الناس عبيده إذا أطاعوه . وإذا كانوا عبيدا للهوى فاتهم اليه بخلون . فأما من ملك هوا فقد علمت ماذا من العزجته . أفلمست ترى أن هذا يفهمنا قوله تعالى في أول السورة - وخلق كل شئ بقدره تقديرا - وقوله - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

أفلمست ترى أن الذي أطلق العنان لسانه أولبصره أولجناحه فتكلم بلا استبصار ونظر لغير اختبار وتفكر فيما ليس له اعتبار قد عبد هواه وأي فرق في العبادة بين هذا وبين من منع الخيال فالتخذ معبودا فالأول سلم حواسه وعقله لهواه والثاني أبرز من هواه صورة وسلم لها قياده في العبادة فسمينا الأول فاسقا وسمينا الثاني كافرا وهما في شرعة الجهل سيان صنوان لا يفرقان غاية الأمر أن الأول ضل في الفروع والثاني ضل في الأصول ولكن الضلال عههما والجهل لزمهما . كل ذلك لأن أعمال النفس اليوم موزونة كما وزنت الأمور المحيطة بها وتتأرجح الزنة ترسم على جيئها وتظهر في أحوالها وأخلاقها وآدابها ومعاشرتها - ومن لم يجعل الله له نورا له نور فإله من نور -

﴿ الانسان اليوم أكثره في جهالة كما قال تعالى - إن الانسان لظالم كفا - ﴾

إذا أردت أن تعرف ما عليه الانسان اليوم في السكرة الأرضية وتفهم حقيقة الناس في الأمم الشرقية والغربية فافرا كتابي ﴿ ابن الانسان ﴾ الذي ألفت وأرسلته الى مؤتمر الأجناس في انكلترا وجعل في جلة المقررات الرسمية وهذا الكتاب قدّم لها في سنة ١٩١١ قبل الحرب العاتية بنحو (٣) سنين وأثبت فيه أن البول كلها يغالب بعضها بعضا وقد ضاعت قواها العقلية كما أضاعت الأنهار ماءها في البحر الملح لا يلاوي ماؤها على المزراع والرياض والناسين إلا قليلا وأكثرها ينصب في البحر بلا فائدة هكذا عقول الناس تذهب هباء

منشورا في الهباء مع الهواء وجهل الناس انهم اعضاء جسم واحد وانهم لو اتحدوا لاستخرجوا ما في الطبيعة من علم وما في الأرض من حكمة وما في البحار من عجائب ولكهم خائبون خائنون بعضهم فهم يدبرون المكائد لبعضهم فتضيع القوى والممتلكات فيما لا فائدة فيه وهم بذلك ضالون تأبون صم بك عمى فهم لا يفهمون انما مثل القوى الانسانية والعقول البشرية اليوم كتل البخار وكتل الكهر باء . كان الناس قديما يرونها ولا يلتفتون اليهما فقلقا اليوم فاندتهما واتفقوا بهما . فأما العقل الانساني اليوم فانه مهجور متروك متبذو محمول يضيئه الناس في الحيل السياسية والأخلاق الأسدية والحروب البولية ولوانهم اجتمعوا لخاربوا به الطبيعة وكانت تلك الحيل لاستخراج كنوز الأرض لأصبح الناس في نعمة وهم سعداء . ذلك هو تضيير قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وأمثاله من الآيات . فهداه هي عبادة الهوى وكيف يكون الهوى إلهام معبودا ويظهر أن أهل الأرض مخلوقون ليرتقوا في العالم التي بعده لأن أمواتهم اليوم غالبة والعقول سيكون لها السلطان شيئا فشيئا كما نرى الشيوع أقرب الى العقل من الشبان لغلبة الهوى على الآخرين . انتهى

( اللطيفة الخامسة عشرة في قوله تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - )  
 هذه اللطيفة مفهومة من سوابقها . انتهى الكلام على المقصد الأول من (سورة الفرقان)

### ( المقصد الثاني )

أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا \* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا \* لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسَخِّبَهُ بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيًا كَثِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا \* وَلَوْ شِئْنَا لَئَمَّسْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا \* وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْءُ نَوْبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا \* الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا \* تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَتَحَلَّ فِيهَا سِرْجًا وَقَرَأَ مُبِيرًا • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

### ﴿ التفسير القلبي ﴾

قال تعالى (ألم تر إلى ربك) ألم تنظر إلى صنعه (كيف مد الظل) بسطه فمد الأرض من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فلا هو ظلمة الليل ولا هو وقت اشراق الشمس (ولو شاء لجعله ساكنًا) دائماً لا يزول ولا تنهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) فإن الأشياء تستبين بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه اليان) أخذنا ذلك الظل الممدود إلى حيث أردنا (قبضاً يسيراً) سهلاً غير صعب أو قليلاً قليلاً جزءاً جزءاً بسبب ضوء الشمس التي ينسخه (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) جعل الظلام كاللباس فإن كلا منهما ساتر لما أحاط به (والنوم سباتاً) راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم وأهل السبت القطع ويطلق على الموت لأنه يشبه قطع الحياة ومنه المسبوت ليل وقال تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل - (وجعل النهار نشوراً) وهو في مقابلة الموت للذكور في أحد المعنيين السابقين فكأنه سبحانه يقول جعلنا سباتكم أي موتكم بالنوم في الليل وجعلنا نشوركم أي انبعاثكم من النوم الذي يشبه الموت بالنهار ففيه ينشر الخلق للعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب • قال لقمان لابنه « كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشأ » فالنوم واليقظة نموذج لموت والنشور (وهو الذي أرسل الرياح بشاراً بين يدي رحمته) البشر جمع مخفف بشر بالفهم جمع بشور بمعنى مبشر أي مبشرات بأقدام المطر • وقرئ - نشرا - أي ناشرات للسحاب جمع نشور وهو إمام على وزن فصل مخففاً وإما على وزن سحب جمع سحب (وأنزلتنا من السماء ماء طهوراً) أي بليغاً في طهارته وهو في اللغة إما اسم لما يظهر به كالوضوء لما يتوضأ به والوقود لما توقد به النار وإما صفة كما ذكرناه هنا وإما مصدر بمعنى التطهر تقول تطهرت طهوراً حسناً • وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ لا صلاة إلا بطهور ﴾ يفتح الطاء أي بطهارة • وأما قول ثعلب « أنه ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره » وهو مذهب الشافعي فذلك زيادة بيان للطهارة وليس هذا معنى الطهور لأنه لازم وصفة المبالغة من اللازم لازمه فطهور لا يفيد التطهر لأن اللازم لا يفيد معنى التعدى (لنحجي به بلدة ميتاً) أي لنحجي بالمطر بلداً أو مكاناً لا نبات فيه فنحمله مزداداً بالشجر والنبات والأزهار والأثمار وذلك للأرض أشبه بالحياة للإنسان والحيوان (ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وإناساً كثيراً) أي ونسقي الماء أنعاماً وهي البهائم وأما نبي مما خلقنا وسقي وأسقي لقنان • قال الشاعر

سقي قومي بنبي نجد وأسقي • نجيراً والقبال من هلال

والإمسي جمع أنسي كالكرامسي جمع كرمي أو جمع إنسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياءً وأدغمت الياء في الياء • يقول الله أنزلنا الماء فأحيينا به الأرض للنبات وخلقنا الأنعام لتأكل كل النبات وتشرب الماء وخلقناكم لتشربوا الماء وتأكلوا النبات والأنعام وهذا المعنى يفيد ترتيب الذكر فقدم الأرض ثم الأنعام ثم أحوال الإنسان لاحتياجه إلى ما تقتضيه (ولقد صرفناه بينهم) أي صرفنا المطرين الناس مرة ببلدة ومرة بأخرى وجهه تلجأ أوبردا ومطرًا أو عذرونا في باطن الجبال ينزل شيئاً فشيئاً لئلا يندثر على طول السنة وجرياً في نهر وتزلاً في بحر وبحاراً مرتفعاً من البحر للملح وغيره وسحاباً تصرفه الرياح وإذا صار تلجأ كبر حجمه وإذا كبر اعظم كان سبباً لتكسير الأحجار القائمة فوقه فيكون من ذلك العيون النابتات ويفتح الماء لنفسه طريقاً إلى الخارج ويكون في مجارى تحت الأرض إما في غورها البعيد كالسيل الباطني الذي يخرج من جبال القمر وراء خط الاستواء ويمر في مجارى تحت الأرض المصرية جارية إلى البحر الأبيض وهذا النيل

صالح للشرب لصفاء مائه وأما في غورها القريب كلما المديني الذي يستخرجه الناس لسقي أرضهم بالنواوير والسواقي والآلات الرافعة فإن ذلك الماء مخلوط بمعادن قد تصف بأوصافها كالكبريت والملح والقنص والنواذر وما أشبه ذلك والناس يسقون منه زرعهم ويستشفون به وبحود ذلك . أما الذي في الغور البعيد فهو بعيد المنال جدا يحتاج الى عتق يصل الى (١٠٠) متر أو (١٥٠) أو نحو ذلك وماؤه يرتفع أكثر من القسم الثاني لأنه ينزل من مكان أعلى وراء خط الاستواء في مكان ينزل منه النيل الظاهر الذي لا يصح شرب مائه إلا بتصفيته وفي بعض الأيام يجب عليه لقتل ما فيه من الملوحة العنارة . فهذا كله داخل في قوله تعالى - ولقد صرفناه بينهم - فهو جامد يشبه الحجر وسائل يشبه الزيت وسائر المالحات ويحس بخار يشبه الهواء وهو غادر رائح في الجوف وفي النهر وفي القدران وفي أجسام الحيوان والبهات والانسان ومنفصل عنها سائر الجوف طائر السحاب وهكذا دواليك وهو مع ذلك في البحار صقيل يظهر فيه كل كوكب من شمس وقر والناس يتطهرون ويشربون وهم غافلون عن حاله فيتركون قلوبهم حجيرة وهم يتطهرون كل يوم من المياه الحسنة الأشكال البهجة الزينة والمنظر العطية للأجسام حياة وطهارة . يقول الله ولقد صرفنا المطر بين الناس على أنحاء شتى فلا يبر ساعة ولا ليل ولا نهار إلا كان لنا فيه آثار فنزله على قوم ونحجبه عن آخرين بحيث يتبع أحوال الجوف والشمس التي تجري بحسب ما يرى في الحس ويكون هناك صيف وشتاء وريبع وخريف وفي كل ذلك أطوار شتى للمطر والشتاء عند قوم صيف عند آخرين وهكذا الريح والخريف نصفي الكرة الشمالي والجنوبي فنحن صرفنا المطر بينهم كما صرفنا الليل والنهار فالشمس جارية من عند قوم ذاهبة لآخرين . هكذا المطر والسحاب - صنع الله الذي أتقن كل شيء - . فعلنا كل ذلك التصريف (ليذكروا) ليشكروا ويفكروا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أو صرفناه بينهم ليعتبروا أو يعرفوا حق النعمة فيشكروا فأبى أكثرهم إلا كفر النعمة وبجودها وقلة الأكرات لها (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها تنخف عليك أعباء النبوة ولكن بعثناك الى القرى كلها وحماكتا قبل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعدنا لك من الكرامة والسرعة الرفيعة (فلا تطلع الكافرين) فبأي عذونك اليمن موافقتهم ومداهمتهم (وجاهدكم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا (وهو الذي صرح البحرين) فلاهما مجاورين متلاصقين بحيث لا يتأخران من مرج دابة اذا خلاها (هذا عذب فرات) قاطع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أباج) شديد الملوحة أومر ملح زعاق لا يصلح لقطع العطش بالشرب منه (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) وتنافرا بلبغا أوسترا منوعا فلا ينفى أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء بشرا) جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويساس ويقبل الأشكال والهيئات بسهولة أو من النطفة (بجعل نسبنا وصهرا) أي جعله ذا نسب وصهر والنسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه وقد حرم بالذبح سبعا والسبب سبعا ويجمعهما قوله تعالى - حرمت عليكم أمهاتكم - الآية فارجع اليها في سورة النساء أوقسمه (قسمين) ذوى نسب وهم الذكور ينسبون اليه وذوات صهر أي انا صاهرهن كقوله تعالى - لجعل من الزوجين الذكر والأنثى - (وكلت ربك قديرا) إذ خلق من مادة واحدة بشرا عجيب الصنع بديع الخلق (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) يعني الأندام وكل ما عبده فليست تنفعهم أن عبدها ولا تضرهم إن تركوها (وكان الكافر على ربه ظهيرا) مظاهرا ومعينا على معصية ربه فهو يماون الشيطان على معصية الرحمن (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة المأخوذ من قوله - مبشرا ونذيرا - (من أجر إلا من شاء) إلا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعات وهذا من أحسن الأساليب التي جاءت في علم البديع كقول الشاعر ولا لعب فيهم غير أن سيوفهم \* بهن فلول من قراع الكتائب



يصف الشاعر المذبحين بأنهم لاعيب فيهم إلا عيبا واحدا وهو أن سيوفهم مغالوة من مقارعة الأبطال هكذا يقول لأسالكُم عليه أجرا إلا شيئا واحدا وهو أنكم تتقربون إلى الله فهذا هو أجرى وإذا كان هذا هو أجره فهو دليل على غاية الاخلاص والصدق في الدعوى وذلك دليل على أن السعادة القصوى أن يكون العمل محبوبا لذاته لا لغاية أخرى فكانه جبال . وإذا كان الجبال مطوبا لذاته فهو خير مطلوب فالنبوة لتكميل الخلق فأجرها لا يكون عرضا دنيويا بل سعادة النبوة في نفس النبوة أي في نتائجها . والأنبياء بالنسبة للناس كالآباء بالنسبة للأبناء فالأب لا يطلب من تعليم ابنه إلا رقي ابنه وسعادته هكذا لا يطلب الملائكة من الناس والأنبياء من الأمم ولا الحكماء ولا العلماء المتفلسون إلا هداية الناس ويرون في نفوسهم لذة لا تضارعها لذة ولا يفرحون بمال ولا بقصر . ومن هذا الحديث الشريف ﴿لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم﴾ وهذا كلام إذا سمعه صغار أهل العلم ظنوا أن المقصود ثواب الآخرة وحده ومادروا أن قائل ذلك يستلذ بإيمان رجل أكثر مما يستلذ بحمر النعم فلا تنتظر يا محمد إلى ما عندهم من مال يعطوك أجرا ولا تخف من شرهم فلا هم رازقوك ولا هم مؤذوك مادمت قائما بهدایتهم فنحن نعطيك ما يكتفيك ونسفيك شر من يؤذيك ونضع ذلك مع كل من هو على طريقك سائر وهذا معنى قوله (وتوكل على الحي الذي لا يموت) فأما الأحياء الذين يموتون فانهم إذا ماتوا ضاع من توكلت عليه منهم (وسبح) نزهة عن صفات نقصان (بمحمد) مثليا عليه بأوصاف الكمال طالبا مزيد الانعام بالشكر على سوابقها ومن صفات النقصان التي يزه عنها أن يكل إلى غيره من توكل عليه (وكفى به بذنوب عباده خيرا) أي كفى الله خيرا بذنوب عباده فهو خير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق موضعا يحرض الله بهذا عباده على التوكل عليه إذا قاموا بما وجب عليهم من الدقة في العمل والثبات فيه يقوم على الوجه الأحسن فإذا فعلوا ذلك فليتوكلوا على الله في نتائجهم ولا يفرحوا بما يجيى به القدر لأنه هو الأحسن كما أن خلق السموات والأرض حسن . خلق السموات والأرض في ستة أيام والاستواء على العرش عبارة عن الظلم البديع وإدارة شؤون الملك الموضح في سورة ﴿يونس وهود﴾ فمن تخلق بأخلق الله على قسمة طاقته البشرية في الأعمال الأرضية من الأفراد والأمم فهو حسي أن يتوكل على الله والله كافيه لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا وأتقن صنعا وقوله (الرجن) فاعل استوى وقوله (فأسأل به خيرا) أي فأسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض في ستة أيام واستواء الرحمن على العرش وعن الرحمن علما بخبرك بحقيقته لأن خلق السموات والأرض في ستة أيام معناه أمر غير ما يفهمه العامة لأن اليوم يطلق على ألف سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر من ذلك . والاستواء على العرش ليس معناه الجلوس عليه فذلك مستحيل بل هو فهم عما ذكرناه هناك في سورة ﴿يونس وهود﴾ فليس كل امرئ يعرف ذلك فليبحث الناس في العلم وليبحثوا في البحث ولا يبقوا عند ظاهر اللفظ فالضلال في الوقوف فمن كان جاهلا فليقت عند ظاهر اللفظ ويترك البحث في معناه ومن كان ذكيا فليقبل بالبحث والفراسة بسؤال العلماء فان العلماء إذا قرؤوا مثل هذا فهموا غير ما يفهمه العامة . وأيضا كان القوم لا يعرفون الرحمن فان هذا الاسم المشتق من الرحمة الذي هو أبلغ من الرحيم لم يكونوا يتادونه بل يعرفون الرحيم والراسم والرحوم . ولما كانت هذه الأمور الثلاثة تحتاج إلى العلماء بالعلوم المختلفة كعلم الأرتماطيقى حتى يعرف لم يختص عدد السبعة بالذكر مع أن العوالم خلقت في آلاف آلاف آلاف آلاف الالاف فلم اختار عدد (٧) وكالمعلوم جميعها من فلسفية وطبيعية حتى يعلم كيف يكون الاستواء بطريق الاجمال وكلم اللغة العربية والاطلاع الواسع فيها حتى يعرف الرحمن . ولما كان الأمران الأولان قد تقدم بحثهما في ﴿يونس وهود﴾ وغيرهما من هذا التفسير . وسنزيد الأول منهما بحثا وتنقيها في لطائف هذا المقصد إن شاء الله . لم يبق إلا الثالث الذي ذكره الله تعالى بقوله (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحن) اخضعوا

له (قالوا وما الرحمن) أى لا تعرف الرحمن فنسجد له بل نعرف الراحم والرحيم وأما الرحمن فليس يطلق عندنا على الله . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم أو سؤال عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم (أنسجد لما تأمرنا) أى أنسجد للذى تأمرنا بالسجود له أولاً ثمك بالسجود يا محمد من غير علمنا به (وزادهم) قوله - اسجدوا للرحمن - (نفورا) تباعدا عن الإيمان ولما كان الرحمن مشتقا من الرحمة وهو أبلغ من الرحيم أردف ما تقدم بهجة رحته ونور جلاله وسعة ملكه ليعرف معنى الرحمن فقال (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) البروج فى اللغة القصور العالية أو القصور فيها الحرس وهى هنا إما البروج الاثنا عشر وهى الجمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والمقرب والقوس والجدى والدلو والحوت . وأما النجوم الكبار التى عدتها المتقدمون نحو أرباع وعدها للتأخرون أكثر من مائتي ألف ألف . واتحاسبت البروج المتقدمة بهذا الاسم لأنها للكواكب السيارة كللتلزل لسكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهورها (وجعل فيها سراجا وقرا منيرا) أى شمساً متوقفة وقرا مضيا (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه عند مضيه والخلفة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف فيها كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلفة وقوله (لمن أراد أن يذكر) متعلق بقوله - جعل - أى لمن أراد أن يتعظ باختلافهما ويتذكر آلاء الله فيهما ويتفكر فى صنعه (أو أراد شكورا) أى شكر نعمة ربه عليه فيهما . انتهى التفسير اللفظى للقصد الثانى وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

- (١) فى قوله - ألم ترى الى ربك كيف مدّ الظلّ -
  - (٢) وفى قوله - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - الى قوله - وكان ربك قدبرا -
  - (٣) وفى قوله - الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام -
  - (٤) وفى قوله - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا - الخ
- ﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ألم ترى الى ربك كيف مدّ الظلّ - ﴾

تقدم بحث الظلال مطولا مستوفى فى السور المتقدمة قبل سورة الكهف فلننظر هنا نظرا أخف نقول انظر أيها الذكى نظرة أوسع مما كتبناه وتأمل فى هذه الدنيا . انك لا تعبد فيها إلا نورا على نور كما تقدم فى (سورة النور) إذ جاء فيها - الله نور السموات والأرض - ثم ضرب المثل هناك فأنت اذا تأملت لا تعبد فى هذه الدنيا ظلالا وظلاما إلا قليلا جدا . الأخرى أن الكواكب العظيمة المشرقة التى بلغت مئات الملايين كلها مضيت بأفئسها لا ظل لها بل هى مشرقة ليلا ونهارا لا انتهاء لورها . واذا أردت أن تعرف جميع الشمس فانظر شمسنا هل تظل ليلا أو نهارا . لا ظلام لا ظلام . فاذا كانت شمسنا على صغر حجمها بالنسبة للشمس الأخرى لا تطفأ فما بالك بالشمس الكيرات التى شمسنا بالنسبة لها صغيرة ثبت أن الكون نورى ونور ولا ظلمة فيه اللهم إلا ظلا قليلا وما هو ؟ هو ظل الأرض التى نسينا . واعلم أن الأجرام على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أجرام مضيت وأجرام معتمة وأجرام شفاقة . فالأجرام المضيتة هى هذه الشمس فاعالم كله نور كما قلنا والأجرام المظلمة المعتمة هى الأرض التى نحن عليها والقمر الذى يعبر حولها وماشابه هذين الجبرين من كل سيار يعبر حول الشمس وقد أصبح متجمدا كتجمد الأرض سواء أ كان فيه سكان كما فى أرضنا أم خلا من السكان كما فى قرنا الذى يقال انه قد خرب بعد أن كان يصلح للسكى ويقال بطريق القياس ان حول الشمس الأخرى سيارات كأرضنا وأقمارها وكلها فى الحكم كما فى سياراتنا فلنرجع الى أرضنا وقرنا فانا نجد أن الشمس متى أشرقت على وجه الأرض أضابت وكان هذا نهارا ويكون الجانب الآخر ليلا ولا معنى لليل إلا أن الشمس حجبته عن وجه من الأرض فأصبح مظلما . هذا معنى الليل . ومعنى النهار أن تتجه الأرض الى الشمس بالوجه الآخر فالليل ماهو إلا ظل الأرض والنهار ماهو إلا ضوء الشمس وهكذا للقمر ليل ونهار كذلك ومن ظله يكون كسوف الشمس

لأنه يحجب ضوءها عنا فيقال كسفت الشمس . ولا معنى لحسوف القمر إلا وقوعه في ظل الأرض المخروطي ويكون ذلك في أنصاف الشهور لوقوع الأرض وقت الاستقبال بينهما . فأما الكسوف فانه يكون في أواخر الشهور لوقوع القمر بين الأرض والشمس . اذا فهمت هذا عرفت قوله تعالى - ألم ترالى ربك - أى الى صنعه وعجايبه واتقان فصله - كيف مد الظل - وراء الأرض من الناحية الأخرى المخالفة للناحية المقابلة للشمس . ومعلوم أن الدنيا كلها نورى نور لأن هذه الكواكب كلها نور مشرقا . واذا كانت هناك سيارات للشموس الأخرى فهي في جانب الشمس ضئيلة لاندكرو ولا تؤثر ظلها فالدنيا كلها نور لأن - الله نور السموات والأرض -

يقول الله تجب أيها العبد من صنع ربك كيف ابتنع أجراما قليلة جدا كالأرض وجعلها معتمة بسبب برودة ظواهرها وبهذه الغمة صار لها ظل من ورائها ولولا ذلك ما كان في هذا العالم ظلال يستريح الناس فيها ولهم وقت مناسب للزوم فيه . ولو كانت الأرض شفاقة كالهواء وكالزجاج وكلناس وأشباحها لم يكن لها ظل فانه هو الذى اخترع الأجسام المظلمة رحمة منه ليكون لها ظل فيكون الليل والنهار وفى النهار تختلف الظلال اختلافا كثيرا بسبب الشمس فانه لما خلق الشمس مثلا جعل الهواء وجعل الجسم الأثيرى الذى فوق الهواء شفافين وجعل الأرض معتمة فالشفاف واسطة لوصول الضوء والمعتم يمنع فيكون ظلام الليل والظلال الأخرى النهارية . ثم إن الأرض لو كانت ساكنة وكان وجهها المخادى للشمس ثابتا لا يتحرك لم يكن ليل ونهار ولم تكن هناك رحمة بالناس والحيوان لذلك أعقبه بقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - فان ضوء الشمس بحسب الظاهر يتنقل فيكون نور الشمس تاسعا لظلمة الأرض بحيث يكوثر الله كل واحد على الآخر . فقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - حكمة أخرى غير حكمة الظل فالظل نعمة وتغيره نعمة أخرى والمراد بالظل على هذا المعنى ما يعم الظلام الدامس وقوله - ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا - متم لما قبله - لأنه بنسخ الشمس الظل يكون التدرج فيه وهو معنى - قبضناه الينا قبضا يسيرا - انتهت اللطيفة الأولى

(اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وأزلنا من السماء ماء طهورا - )

اعلم أن هذه الآية وتركيبها من أعجب العجب فان لفظ - طهورا - هنا كقوله تعالى في (سورة الحجر) - وأرسلنا الرياح لواقح - كلاهما وضع رمزا لعلوم واسعة ولكن أكثر الناس عنها معرضون (وبيانه) أن قوله - وأرسلنا الرياح - إنما نزلت في مقام الامتحان بإرسال الرياح وانزال الماء من السماء لتجابه الأرض بعد موتها . فقوله - لواقح - جاء كفتاح لعم لقاح النبات . واذا كنت اطلعت على ما كتبناه في كتبنا أوماجاه في (سورة الحجر) في التفسير هناك . أقول اذا اطلعت عليه هناك رأيت عجبا عجابا في بدائع صنع الله تعالى من الاقحاح ولولا هذه الحكمة لم يكن للترك ذلك في التفسير معنى وعلم القحاح أهم مافى علم النبات لأن عدد الأوراق في الزهرات التى فيها أعضاء التذكور وأعضاء الاناث عليها مدار تقسيم هذا العلم . هكذا هنا فان الله امتحن على العباد بإزال الماء من السماء وذكر هذه اللفظة وهى - طهورا - مع أن المقام مقام النعمة بسقى الأرض به واخراج النبات وسقى الحيوان والانسان . فأما الطهارة فليس المقام لها فإن يقال إن الماء أثره الله لحياة الأرض والنبات والحيوان والانسان ولتنظافة الانسان وثوبه ومكانه . فالماء لحياتنا ولنظافتنا . هذا ملخص ما يفهم من الآية . فانه عز وجل له علينا المنة إذ جعل الماء حياة لنا ولزرعنا وحيواننا وطهارة لنا ولاجرام أن طهارة الظاهر تتبع طهارة الباطن فلاخير في ظاهره لا يتبعه لباطن . إن الله عز وجل جعل الماء شفافا تسطح فيه الكواكب والشمس والقمر فلورأيته فى البالى للظلمة لألغيت الكواكب فيه مرسومة فالماء يحينا وينظفنا واذا نظرنا الى وجدنا جوهره يسع العالم الذى تقابله فهو مرآة للعالم المقابلة له . الماء يكون بخارا ويكون سحبا ويكون ضبابا وتلجا وبردا كما تقدم . يقول الله - ولقد صرفناه بينهم ليدركوا غائبى أكثر الناس

إلا كفورا - ؟ بم كفر الناس ؟ كفروا النعمة لأن الماء لو أنهم فهموه وقمعوه لكان فيه للناس غنية ولكن كافيا لهم ولكنهم كفروا النعمة . فظفروا إلى الماء من حيث أنه حياتهم وإن كانوا متدينين نظفروا إليه من حيث أنه به نظافة أجسامهم ولكن أكثر الناس كافرون بحقيقته فانحطت نفوسهم إلى الشرك الأسفل . أقلم بر الناس إلى اشراق الكواكب فيه وإنها مرسومة . أليس هذا نبراسا لهم عسى أن يتذكروا أن أنفس الناس يجب أن تكون مشرقة . ترسم فيها العلوم كما ارتسمت الكواكب في الماء . الروح الطيف من الماء والماء وسع الكواكب ؟ فلماذا لا يفهم الناس من هذا أن تشرق نفوسهم بالعلوم والحكمة والأخلاق وبالفتح كما أشرق هذا الماء بالكواكب وظهرت فيه ورسمت في خلاله . هذا كتاب كتبه الله بيده في الطبيعة وقال - ولقد صرفناه بينهم - وقال في القرآن - ولقد صرفناه في هذا القرآن للناس من كل مثل - ولكنه شدد هنا فقال - فأني أكثر الناس إلا كفورا - . هنا يقول الله - صرفناه - وفي القرآن يقال لله - صرفنا - وفي الماء يقول - فأني أكثر الناس إلا كفورا - فكأن الماء كتاب وكان الذي لا يفهمه ولا يعمل بما فيه كفور - . فهذا الماء صاف شفاف كما قمتنا بحسب طبعه وهو يسع الكواكب القابلة له كما قمتنا . هكذا فلتكن قلوب الناس خالية من المعاصي والمطامع فتشرق عليها العلوم . ومن أغلقت نفسه بالظلم والذنوب لم يشرق فيها العلم كما لا تظهر صور النجوم في الماء الكدر . وأيضا إن النظر في أمر الماء يدل على بقاء الأرواح فإذا كان الصفاء والكسوف في الماء يختلفان من حيث قبول انطباع الصور وعدم قبولها كما يحصل في أرواحنا هكذا يكون تصرف الماء حرارة وبرودة إذ يكون سائلا وبخارا وتلجا فإذا كان داخل في أجسام الناس والحيوان والنبات فانه يكون سببا في الحياة كما أن الأرواح في الأجسام كذلك وإذا خرج من الأجسام بالبخار صار بخارا كالخروج الأرواح بالموت إلى عالم آخر وكما أن البخار يرجع فيصير سحبا فيتل مطرا على اليابسة فيدخل الأجسام ثانيا هكذا أرواحنا خروجا من أجسامنا لا يمنع بقاءها ورجوعها ثانيا إلى عالم الحياة . فإذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فني بل إنما هو صار بخارا والبخار لم يفن بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا قاله تعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن بل الماء من آدم إلى اليوم وإلى أن تفنى الدنيا هو هو لم يتغير الماء الآن هو الماء إلى يوم تفنى الأرض هو الماء الذي كان منذ مئات الذلوف من السنين وهو المطر وهو البخار وهو الأنهر وهو الذي يرجع إلى البحر الملح وهو الذي يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم تفنى الأرض فليس تحت الشمس من جديد فإله الذي شره أجدادنا هو الماء الذي نشره أول نظيره . ولكن ذلك لم يفن . فاما أن يكون هذا منه . واما أن يكون ذلك قدر جع إلى البحر وهو فيه إلى الآن وسيخرج بخارا يوما ما . هذا ملخص المعنى . فإذا كانت هذه حال الماء الذي هو مركب من أكسوجين وأيدروجين فما بالك بأرواحنا التي لا تركيب فيها . إن الحكماء قرروا أن الجسم كلما كان أكثر تركيبا كان أسرع انحلالا وكلما قل تركيبه عسر انحلاله وطال أمده وجوده . ألا ترى الأشجار فانها أسرع انحلالا من الأحجار لأن الأحجار أقل تركيبا من الأشجار فالماء أولى لأنه أقل تركيبا إذ هو مركب من الأكسوجين والأيدروجين ولا انحلال لهما إلا في أيام خراب الأرض وتبديلها أو بتحليله في العوامل الكيميائية وهذا لأن الماء قليل التركيب بخلاف النبات والحيوان والإنسان فالروح التي لا تركيب فيها لا فناء لها . فاذن يكون في تصرف الماء عبرة لنا وهي بقاء أرواحنا بعد الموت والصفاء في قوسنا المرموز له بصفاء الماء وهذا من أهم أغراض الرسالة فالرسالة إنما جعلها الله تهذيب الأرواح وتذكيرها بمعادها ورجوعها إلى عالم الأجسام مرة أخرى وهو يوم القيامة ولذلك ذكر بعد ذلك قوله تعالى - ولوشئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - وذلك لتذكير الناس بما يصرف الله في القرآن وبما يصرف في الماء وفي غيرها لتصفو نفوسهم ويعلموا حكمهم في الحكمة والعلم . هذه هي المناسبة الساعية لتذكر الرسالة مع الماء وأيضا رسالة العلم وحياة النفوس والماء حياة للأجسام

## ❦ زيادة كشف وإيضاح ❦

﴿ اتقان الصنعة من موجبات دوامها إما بأن تتقن هي أو بأن تتجند أمثالها ﴾

اعلم أن اقتران ذكر الماء والتصرف فيه بقوله تعالى - ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً - داع للبحث والتفكير والموازنة بين القرآن وبين الماء وكذلك الانسان . فها هو ذا بعد أن ذكر ذلك بين كيف يتصرف في الماء بقوله - مرج البحرين - الخ وكيف يتصرف في الانسان فقال - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ . فبهنا قرآن وماء وانسان تصرف فيها كلها . ولقد رأيت كيف تصرف في الماء فيما كتبهنا هنا وأزيد عليه بأن أشير الى ما تقدم في (سورة الأنعام) من التصرف فيه بالاشراق والنور . ذلك ان هذا الماء المذكور في هذه الآية يكون مشرقا مضيا جيلا سواء أكان في الأقطار الاستوائية أم في القطبية . ألا تعجب معي كيف ذوب الله فيه مادة الفوسفور كما تقدم في الأنعام . ذوبها من الحيوانات التي تموت في البحر من حيواناته . فلما أذاب الفوسفور اتقد نورا وظهر على هيئة شهب وذوات أذناب وقوس قزح وظهر وبهر وجل وكانت له أشكال باهرة مختلفة مزدوجة يراها المسافرون في البحر . ألا تعجب معي كيف كان ذلك أيضا في القطبين ؟ ماذا فعل الله هناك . الجوّ هناك بارد والبرد جعل الماء ثلجا . فانظر ماذا ترى . ترى الثلج اذا أشرق عليه نور الشمس أوضو الصباح هناك يلمع ويكون من لمعانه أنوار وبهجة لا تقبل في قلباتها عما في بحار خط الاستواء . هذه هي الصنعة المنقطة . تقن وتفنن واتقان واتقان وأنوار . لم يحجب ذلك حرّ مفرد ولا برد شديد . ففي كليهما لم يعد وسيلة يهر بها العقول ويحسن بها الأشكال في الماء فضلا عما تقدم من أنواع الصور والأحوال . هذا هو الماء وهذه تصرفاته المذكورة في الآية فانظر في أمر القرآن تراه قد اشتمل على حكم ومواظ وأخبار وأحكام وأمثال ووعد ووعيد وأنواع من البديع وتفنن في القول وحسن التعبير فدام على مدى الزمان دام هذا الوجود لحسن اتقانه . ودام هذا القرآن لحسن اتقانه فهذه الدنيا وهذا الوجود كان دوامها لحسن الاتقان في الصنعة كما نرى في الماء وهكذا القرآن واعلم أن الكتب يكون دوامها على حسب حسن التفنن والاتقان فيها فاعلى مقدار تفننها واتقانها تدوم كما دام الماء ونظام الوجود لحسن التفنن وعلى تقن واصفيه بحسنه ❦ يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

بقي علينا أن ننظر في أمر الانسان فنرى نظامه فيه ذلك التفنن كما رأيت في نظام الماء . الماء يكون معزوبا بالنبات مختلطا بجسم الحيوان يدور في دورة كل منهما وهو بخار وماء وتلج الى آخر ما تقدم وهو شئ واحد هكذا هذا الانسان ترى له روحا واحدة ومن عجب انها هكذا

مخيلة	في مقدم الدماغ	متكلمة	باللسان أيضا
مفكرة	في أوسطه	ماضغة	بالأسنان
ذاكرة	في مؤخره	هاضمة	بالمعدة
حافظة	في مؤخره	مجرية الدم	بالشريين
كاتبه	باليد	مصقية الدم	بالرئة
ناظرة	بالعين	موزعة الدم	بالقلب
سامعة	بالأذن	طابخة الدم	بالكبد ونحوه
باطشة	باليد أيضا	حافظة القلب وما حوله	بالضروع
ماشية	بالرجل	حافظة للماء	بالكلية
ذاتة	باللسان	مخرجة الفضلات	بالسيلين وهكذا

فالفلس ولحملة وهي الفاعلة الأفعال المختلفة في كل عضو بحسبه فهمي تنزل على حسب الآلات فهمي في الدماغ عقل وفكر وخيال وذكر وحفظ وهي في الحواس سمع ونظر والحواس وفي المائدة الغذائية هاضمة وفي الموائير التنفسية مصفية وبمدخله الاكسوجين ومخرجه الايدروجين فمن هذا عرفنا حسن النظام في الماء وفي الانسان وفي القرآن . هذا قوله تعالى - ولقد صرفناه بينهم ليدكروا - وقوله - مرج البحرين - وقوله - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ

إن دوام الأشياء على مقتضى حسن اتقانها . فأمثال الحرم بالبلاد المعروفة بقاؤه لحسن الصنعة وكذا الماء والكواكب وأمثال القرآن كذلك . أما مثل الحيوان والنبات فحسن اتقانها كان سببا في تجدد الأشخاص فحسن الاتقان في النظام كان سببا في تجدد هذه الأشخاص وقتا بعد وقت والحمد لله رب العالمين ﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ ﴾

اعلم اني لما وصلت الى هذه اللطيفة قال لي أحد الفضلاء وقد اطلع على ماسبق ذكره في سور مختلفة كسورة يونس وهود وغيرها وقرأ ما كتبت على قوله - استوى على العرش - وعلى ما ذكرته في قوله تعالى - في ستة أيام - فقال ان ما ذكرته هناك لاخبار عليه ولكن لايزال في النفس شيء مما قلته في ذكر - ستة أيام - ومعلوم أن السموات والأرض لم يصنعها الله إلا في ملايين الملايين من السنين وإذا كانت الأرض لم يتم صنعها إلا في مئات الملايين فما بالك ببقية العوالم كالشمس ونوايها . وإذا كانت الطبقة الموائية التي هي فوق الكرة التارية التي هي عبارة عن باطن الأرض لم تكون على رأى بعض العلماء إلا في نحو ثمانية مليون سنة فما بالك ببقية الطبقات . فإذا سنأله الأيام الستة لاجرم انها مدد عظيمة . هذا هو الذي يؤخذ مما ذكره في هذا التفسير . اما الذي يهمني الآن أن أعرف لم اختار عدد (٦) ولم لم يقل عددا آخر مع انه لو قال أى عدد لصح لأنها أزمان طويلة فلتقترب بأى عدد . فقلت اعلم أن الجواب على هذا لا يعرف إلا بعلم الارتماطيقي وهذا العلم هو أصل جميع العلوم الرياضية وهذا الفن قد كتبت مجله في كتابي ﴿ الفلسفة ﴾ التي جمعت فيه سعة عشر علما هي مجموع العلوم التي كان يقرؤها القدماء في الحكمة والمقام لا يسع التصيل ولكن أذكرهنا مجملا تعرف لم اختر عدد (٦) في التوراة والانجيل وبني عرفت ماسأذكره لك استندت سبب اختيار الستة فاعلم أن العدد كاه مركب من الواحد لأن اضافة واحد الى واحد يكون اثنين والاثنان أول العدد لأن العدد يشهر بالتعدد ولا تعدد في الواحد فالواحد خاص بالبدء الأول الذي منه كل الوجود والاثنان أول العدد والثلاثة أول العدد الفرد وجميع الأعداد لا تخلو من الزوج والفرد إذن هي ﴿ قسمان ﴾ أزواج وأفراد . فإذا أضفت الى واحد ٢ و ٣ و ٤ وهكذا تكونت عندك الأعداد الفردية كلها الى ما لانهاية لها . وإذا أضفت الى اثنين ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ وهكذا الى ما لا يتناهى لا تخلو من ﴿ امرين ﴾ إما أن تكون أعدادا أولية أى صماء لا تنقسم لأنها ليست من ضرب عدد في عدد آخر مثل عدد ٥ و ٧ و ١١ و اما مركبة من ضرب أعداد كلها فردية ولا دخل لعدد زوجي فيها أثبت مثل ٩ و ١٥ و ٢١ و ٢٥ و ٢٧ وهكذا فإن هذه كلها مركبة من أعداد فردية . هذه هي الأعداد الفردية من أولية وغير أولية . أما الأعداد الزوجية فانها جميعها يمكن تحصيلها من عدد ٢ وضربه في كل عدد بعده فان ٤ اذا ضربت في ٣ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ الخ أحدثت الأعداد الزوجية ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٤ و ١٦ وهكذا الى ما لا يتناهى . هذه هي الأعداد كلها وهكذا حكمها زوجية وفردية والفردية إما أولية واما غير أولية وغير الأولية لا تكون إلا من الفردية وضربها في بعضها . أما الزوجية فانها كلها مركبة من ضرب (٢) في كل عدد بعدها الى ما لانهاية له

إذا فهمت ذلك فاعلم أن العدد الزوجي والعدد الفردي جمعا ينقسم الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ إما زائد وإما

ناقص وأما كامل فالزائد مثل عدد ١٢ وهو عدد يزيد مجموع مضاربه عنه ١٢ مضارب ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - والمجموع ١٦ وهي أكثر من (١٢) والعدد الناقص هو ناقص مجموع مضاربه عنه وذلك مثل عدد (٨) لأن مضاربه (١-٢-٤) وهذه عددا (٧) وهي أقل من (٨) والعدد الكامل هو ما يساوى جميع مضاربه وذلك مثل العدد (٦) فإن مضاربه هي ١ و ٢ و ٣ التي مجموعها (٦) وكذلك عدد (٢٨) فهو عدد كامل لأن مجموع مضاربه هي (١ و ٢ و ٤ و ٧ و ١٤) هو عدد (٢٨) وهكذا قد توصل العلماء بقاعدة المتوالية الزوجية وهي المتوالية الهندسية التي أسما (٢) وحدها الأول ٢ مع تكرار حدها الثاني وهو (٤) أن يستخرجوا الأعداد الكاملة التي هي قليلة العدد بحيث تكون في الأحاد عشرة عددا واحدا وفي العشرات كلها عددا واحدا وفي المئات كلها عددا واحدا وفي عشرة الآلاف الأولى عددا واحدا ومن عشرة الآلاف إلى مائة الآلاف لا شيء منه فيها . وهكذا رأى العلماء أن العدد الكامل نادر جدا وهاك جدولوه

٦
٢٨
٤٩٦
٨١٢٨
١٣٠٨١٦
٢٠٩٦٢٨
٣٣٥٠٣٣٦
٥٣٦٨٥٤٥٢٨
٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦
١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨
٢١٩٩٠٢٢٢٠٩٩٧٦
٣٥١٨٤٣٦٧٨٩٤٥٢٨
٥٦٢٩٤٩٩٣٦٤٤٠٩٦
٩٠٠٧١٩٩١٨٧٦٣٢١٢٨
١٤٤١١٥١٨٧٨٠٧٤٢٠٤٨٦
٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨
٣٦٨٩٣٤٨٨١٤٣١٢٤١٣٥٩٣٦

فترى في هذا الجدول أنه من (١) إلى (١٠) لا يوجد إلا عدد كامل واحد وكذلك من (١٠) إلى (١٠٠) ومن مائة إلى (١٠٠٠) ومن (١٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠) ومع هذه القلة لا يصح اطراد القاعدة فلا نقول أنه من (١٠٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠٠) تقريبا أو من هذا إلى واحد مليون يوجد عدد كامل لما ظهر من هذا الجدول أنه من (١٠٠٠٠) إلى (٨٠٠٠٠٠٠٠٠) ونحوها لا يوجد إلا عدد كامل واحد ولذلك قال أحد علماء الرياضة كما قال أستاذنا للرحوم على باشا مبارك وهو صادق في المقال ﴿ إن في ندرة الأعداد الكاملة إيماء لنسبة وجود الكمال ﴾ انتهى المقصود من العدد الكامل في علم الارتماطيق

أفلا ترى أيها الذكي أن عدد (٦) في القرآن وفي التوراة في خلق السموات والأرض يراد به التنبه على أول عدد كامل والعدد الكامل كما عدت عزير الوجود . كيف لاوها أنتذا لم ترفى الأعداد من (١) إلى مليونين عددا كاملا إلا خمسة أعداد وليس في الأعداد من (١) إلى (٣٣) مليون ونصف

مليون إلا هذا العدد وستة أعداد معه كما رأيت . ولا شك أن سبعة في ٣٣ مليون ونصف مليون تعتبر نادرة جدا جدا . فبأن الله به على أنه لما خلقه في ستة أيام راعى أكمل الوجود وأنه بحيث أنه اختار من أنواع الوجود ما هو أكمل ولا ريب أن صور الموجودات لانهاية لها فاذا خلقها الله على هذا النظم فهو أحسن وأجل الأنماط والاشارة لذلك بلفظة (٦) التي هي عدد كامل فهو يشير إلى الكمال المطلق في الوجود المعبر عنه بقول الحكماء ﴿ ليس في الامكان أبدع مما كان ﴾ فاذا اختار في التعبير أكمل الأعداد وأولها في الكمال فلا بد أن يكون اختار في خلقه أكمل الأوضاع وأولها وأحسنها في الكمال وهذا هو معنى قوله تعالى - الذي أحسن كل شيء خلقه -

فقال صاحب حسن ما تقول ولكن خبرني رعاك الله أليس يكتفي فيه بالآيات الواردة في حسن الخلق وجاله

ومائنا ولهذا الرمز . قلت له على رسلك أيها الاستاذ اعلم أن هذا حسن في العدد وحسن العدد مطلوب بحسن المحسوسات ، قال فهل جاء هذا في القرآن . قلت قال لله تعالى - والشفع والوتر - فأقسم الله بالشفع والوتر وهما جيع علم الارتعاطيق الذى هو أساس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وفلك وموسيقى ففى كلها مبنية على علم الارتعاطيق وهذا العلم راجع للزوج والفرد وهما المذكوران فى الآية والله أقسم بهما ولا معنى للتقسيم إلا شرف المقسم به والمقسم به هو العدد وشرفه يقتضى البحث عنه من حيث دلالة على الإبداع والاتقان كالسكواكب التى أقسم بها والشفق والشمس والقمر والنجوم فهكذا أقسم بالأعداد جميعها فإذا ظن المسلم أن الله لا يعتبر بالعدد فقد أخطأ من زعم ذلك وعليه يكون اختيار سنة أيام هذه الحكمة الجيبة ولولم يكن فيه سوى الخس على مزاوله هذا العلم الذى هو أسس العلوم الرياضية لكنى . وإذا رأينا علماءنا رضى الله عنهم ألفوا الكتب الضخمة والأبواب الواسعة فى تكفين الميت وغسله والصلاة عليه وفى الحيض والاستحاضة وفى الطلاق وأمثالها ولقدك آيات فى القرآن محددات ؟ أفلا ينبغى أن يؤلف فى علم الأعداد التى أقسم الله به ما يضارع تلك الكتب . عجبا وألف عجب لأمة الاسلام ، أيجوز أنها الأمة العريقة المجد الشريفة المنزع أن ينزل الكتاب علينا فتحفظون البعض وتنسون البعض

أيجوز يا أمة محمد الذى هو خام الأنبياء أن تنفقوا بالنوع الانسانى وقته تزدى بشرفكم . خبرونى فى أى آية أقسم الله بالحيض والنفس . خبرونى فى أى سورة من القرآن أقسم الله بالدين وبالطلاق . خبرونى فى أى آية أقسم الله بالبيع والهبه والميراث وأتم قد تم بما يطلبه الدين فى هذه العلوم وأرضيت الله وخلقه فما بالك تعرضون عما أقسم به الله فقال - والفجر - وليال عشر - والشفع والوتر - وقال - والشمس ونمائها - والقمر اذا تلاها - وقال - والليل اذا يشئ - والنهار اذا تجمل - وهكذا . هذه هى الأشياء العظيمة التى أقسم الله بها ؟ هل أقسم بها لتصدقوه . كلا . والله انما أقسم بها ليحكم على فهمها وإدراكها والتأليف فيها أكثر من التأليف فى الأحكام الشرعية . علم الله أن أمة الاسلام ستكون عالة على الأمم فأنزل فى القرآن هذه الأقسام وحرض أهل العلم على استخراجها وإظهارها للأمة ليقرأها اللاهوتون كما قرأ الأحكام الشرعية السابقون وسيكون فى هذه الأمة من يدرس العلوم كلها كما درست الشريعة سابقا ، سيكون فى هذه الأمة من يقرأ - والشفع والوتر - ويقرأ علم العدد الزوجى والفردى ويعرف نظام الله فى الأعداد التى هى سر الوجود عجبا وألف عجب يقول (فيثاغورس) الفيلسوف ﴿ إن العدد أول الموجودات ﴾ ويقول الفلاسفة بعده ﴿ إن الحساب فى الطبيعة دال على حسب والحساب هو الله ﴾ فكان الفلاسفة عرفوا الله من طريق علم العدد ولذلك جعلوا دلالة على الله عز وجل

### ﴿ حكاية ﴾

لما وفد الشعبي على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان سأله مسائل منها ؟ كيف يتصور الانسان نمبا فى الآخرة لا ينفد ؟ وكيف يكون نعيم يؤخذ منه ولا ينقص ؟ فهل لهذا مثال فى الدنيا فقال نعم السراج يوقد منه ألف سراج فلا ينقص . فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يملون ولا يتقوتون هل لهذا نظير فى الدنيا فقال نعم الجنين فى بطن أمه لراه بال أوتقوت يقتلها . قال ، الله واحد ليس قبله شئ فهل هذا معقول ؟ فقال نعم العدد أوله واحد وليس قبله واحد شئ اه

### ﴿ رؤيا منامية ﴾

اعلم انى أيام أن تخرجت من مدرسة (دلالة لور) ووظفت مديرا بالمدارس الأميرية كان اتجاه نفسى لما أنا فيه الآن وكان ذلك غالبا على فأخذت أفكر فى هذا الوجود . بينما أنا نائم ليلة اذا جماعة أشبه بقوم من بلاد الغرب يقرؤن فى قصة أبى زيد الملأى فرقت بخانهم فقال أحدهم ؟ هل أنت تعرف هذه القصة فقلت



ثم أعرفها ونظرت إليه نظر الذي لا يهتم . فقال عدد (١) اذا زدنا عليه ٢ و ٣ و ٤ الى مالا نهاية له والجميع نسميه واحدا ؟ فهل هذا معقول . قلت العدد الذي لانهاية له ليس له اسم خاص فان مائة وألفا لها أسماء خاصة وأما الذي لانهاية له فاسمه عدد لاغير فنسميه واحدا إذ لا تعدد يظهر فيه ، فالتفت الى من حوله وقال ( هو يفهم ) فحببت في المنام كيف يعبر بهذا التعبير مع اني أجبت اجابة تامة ، ولما استيقظت فابلت أستاذي المحرم الشيخ حسنا العاويل وأخبرته بها ولم يكن لي اللام بهذه المسألة ولا أمثالها ، فقال لي رحمه الله إن هذا الجواب تقريبي لأن الجواب على هذه المسألة مذكور في الكتب وهو أن الأعداد كلها مركبة من الواحد فلو الواحد لم تكن ، ومضت عشرات السنين ودخلت في تأليف هذا التفسير فوجع الخاطر لي ثانيا وكان رجوعه قبل تفسير - في ستة أيام - المذكورة في الآية وكنت أعجب لماذا جاء في هذا الخطر ولماذا أرا في مفكر في الزوج والفرد ، ولماذا أفكر في أن الأعداد الفردية إما أن تكون أولية مثل ٣ و ٥ و ٧ و ١١ و ١٣ و ١٧ واما أن تكون من أعداد فردية تضرب في بعضها مثل عدد (٩) من (٣ في ٣) وليس لعدد (٢) دخل فيها وهكذا (٢١) من (٧ في ٣) وكذلك (٢٥) من (٥ في ٥) و (٢٧) من (٣ في ٩) وعدد (٣٥) من ضرب (٥ في ٧) ونجد أن عدد (٥) اذا ضرب في (٣) وفي ٥ و ٧ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ وهكذا أي أن عدد (٥) اذا ضرب في عدد فردى بالتتابع مثل السؤال الذي أتني على فانه ينتج ١٥ و ٢٥ و ٣٥ و ٤٥ وهكذا فكل عدد فردى يضرب في ٥ ينتج ٥ متبوعه بعدد العشرات وهكذا ، ولماذا أرى أنه يبحث في نفسي أن عدد (٢) بضرب في كل عدد يده زوجي أو فردى ينتج عددا زوجيا أي ان الأعداد الزوجية كلها تنتج من ضرب (٢ في ٢) و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ الذي هو عبارة عن ٤ و ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٤ الخ فلما ولت الى قوله تعالى - في ستة أيام - عرفت أن هذا الخطر يقصد منه البحث في علم الأرقام طبع واستخراج الأعداد الكاملة لأداة الكمال الإلهي وللتنبه على أن علم العدد له منزلة شريفة ، كيف لا والله يقول بعدها أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . أقسم الله بالفجر واليالي العترة والشفق وبالوتر ثم قال أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . فلماذا ذكر هذا الاستفهام التقريري في هذا المقام . يقول الله أتري أيها المخاطب أن هذا فيه قسم لصاحب العقل . لم يذكر الله هذا القول إلا في هذا المقام . لم يقل الله ذلك إلا هنا مؤكدا ومينا فضل القسم به ولافضل فيه إلا ما فيه من جلال وجمال وحكمة وعلم فليس العدد والله معبودا وانما هو مما ينهم ويسئل ، وانظر كيف يقول أليس - في ذلك قسم لذي حجر - أي عقل لوقوف العقول الاسلامية لترقية العقول بعلم الحساب وأصوله . إن أفلاطون أبان في جمهوريته أن رؤساء الجيش ورؤساء الأمة يجب أن يكونوا باارعين في العلوم الرياضية لأنها علوم ترقى العقول البشرية وتجعل العقل علوا لأن الأعداد عارية عن العالم المادى فهي الى عالم الأرواح أقرب ولذلك كرر الكلام على الأعداد والرياضيات بحيث تدرس سنين وستين لرجال الجيش ورجال الحكومه ، والى هذا نيه الله هنا فقال - لذي حجر - . ينهنا الى التحقل والفهم بدرس هذه العلوم . ثم أتني هنا بافظ - ستة أيام - ليحير العقول وانما يحيرها لتبحث وإذا بحث علمت ذكر الأيام الستة يقول الناس لم خصر الستة ، ولم جعل العدد ستة . فإذا عرف الناس أن الستة هي أول الأعداد الكاملة ووجدوا الجدول كله تحت السنة أدركوا أن الأعداد منها ما هو كامل وهو نادر ومنها ما هو ناقص أو زائد وهما كثير عرفوا أن هناك علوما خفية ووجدوا في العلوم أسراراً لانهاية لعددتها وهناك يعرفون العديد من المنحايين الذين تألف كل منها من مضارب الآخر مثل عدد (٢٢٠) و (٢٨٤) فان (٢٢٠) (٢٢٠) (٢٢٠) جميعه مضارب الآخر وهي (٢٠١ و ٤ و ١٤٢٠٧١ و ٢٨٤) وسواى مضارب (٢٢٠) وهي ١١ و ٢ و ٤ و ٥ و ١٠ و ١١ و ٢٠ و ٢٢٠ و ٤٤٠ و ٥٥ و ١١٠ و لايجب الاعداد المتعاقبة رسوما قواعد ما استخرجوها كما أنتهوا ولا لا . انك لا تدري . واعلم أن قول لقاتل ان عدد (١) اذا زيد عليه ٢ و ٣ و ٤ الى

مالانهاية له ثم يقال له عدد واحد الخ والاجابة عليه بأنه واحد كما أجبت هذا الجواب حق في علم ما وراء الطبيعة لأنهم قالوا إن الواحد مساو للوجود ، فكل ما يصح أن يقال عليه موجود يصح أن يقال له واحد حتى ان الكثرة مع بعدها عن طابع الواحد يقال لها كثرة واحدة فصل الالهى ينظر في الواحد وأقسامه والكثرة ولواحقها كما ينظر في الوجود وأقسامه ولواحقه . وقد قسموا الموجود الى المقولات العشرة ، وأيضا الى القوة والفعل والتقديم والحديث والتام والناقص والعلة والحلول ، وقسموا الواحد الى واحد بالجنس وواحد بالتوحد وواحد بالعرض وواحد بالمشاركة في النسبة وواحد بالعدد الى آخره . وعلى ذلك تكون الاجابة التي أجبت بها أن العدد الهى لانهاية له يقال له واحد صحيحة في علم ما وراء الطبيعة لأن كل موجود كثيرا أو قليلا يطلق عليه اسم الواحد فلو احدث مع الموجود أيها كان . وأيضا ان اضافة (٧) مكررة الى واحد تنتج أعدادا كلها فردية الى ما لا يتناهى فلهما كان العدد فهو واحد وأيضا هو فردى . انتهى ما أردته في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

وأما الطيفه الرابعة فهي مفهومه مما تقدم من سابق التفسير . وههنا (جوهرة ن \* الأولى) في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ (والثانية) في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - الخ (الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا -

اعلم أن الله عز وجل قد ذكر البحر في مواضع كثيرة في القرآن ، فقرأه في (سورة الرحمن) يقول - مرج البحرين يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان \* فيأتى آلاء ربكنا تكذبان - وتراه يقول في (سورة النحل) - وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - ويقول في سورة أخرى - هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرى بهم برج طيبة وزحوا بها جاءتها ريح عاصف وحادهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم - الخ . فبالتى شعرت ما هذا الوصف والتذكير وكثرة التكرار . يقول الله - ومن آياته الجول فى البحر كالأعلام - ويقول ان البحر يخرج منه الثؤلؤ والدرجان ، ويقول بأى نعم ربكنا تكذبان أيها الثقلان . فالبحر آيات والثؤلؤ والمرجان آيات وسير السفن فيه آيات ولما علم الله عز وجل قبل أن يخلق الناس على الأرض أن النوع الانسانى لاسيا المسلمين منهم يشملهم الفرور ويعصمهم داء الجاهلة والبلاهة البتراء أنزل القرآن وه فى (سورة يس) - يا حسرة على العباد - . يقول الله عز وجل طريفة الاسلوب العربى - يا حسرة على العباد - كما يقول الانسان يا حسرة على فلان قد فاته فرصة واعتزته السكة وحق به الويل والتبور ، فهو هنا يقول إن هذا النوع الانسانى حوى أن يتحسد عليه لما أصابه من الجهل فهم اذا سمعوا المذكورين لهم بالعلم من الرسل استهزؤا بهم ، ثم أنع ذلك بذكر (١) هلاك الأمم (٢) وحياء الأرض بدمومتها بالنبات (٣) واخراج الحب منها (٤) وظهور النبات من النخل والأعاب فيها (٥) وتجيير الصيون فيها (٦) وانسلاخ الليل من انهار (٧) وجرى الشمس (٨) والقم (٩) وأنه خلق فهم السدر فى الحار ثم ختم ذلك كما بقوله - وما يأتيهم من آية من آية من ربهم إلا كانوا عنها معرضين - وإنما ذكرت لك هذا مع أنه فى (سورة يس) لاذكرك بأن هذا الانسان جدير بالحسنة عى حقيق بالثقة لأن جهول وكيف لا يكون جهولا وهو لا يسمع النصيح اذا أتى له من رسول ولا يفلح ميرا من محذتاب لانيه حتى قل الله عز وجل فى هذا الانسان انه مهما عرضت عليه آيات المنع عليه بالترية فانه معرض عنها ولا جرم أن السلسل على ذلك فانه يعتر بأنه مؤمن بالله ويقول كفا فى ذلك وهو يقرأ صلبا ومساء فى القرآن والقرآن نبي عليه الاعراض عن نفس الآيات . إن المسلم تسحله سوانح البر وسوانح اسحر فيعرض عنها ويقول أنا ، مؤمن بالله غالى والبحار ومالى

والجبال ومال والأشجار وهذا دأب كثير من الفقهاء في الاسلام وكثير من الصوفية وكل هذا غرور وهؤلاء جميعا قد سلمهم الغرور لأنهم أعرضوا عن الآيات التي أتتهم ؟ فهل بقي للمسلمين بعد ما ينه في هذا التفسير وغيره عن في الجهالة . كلا . ثم كلا . هذا جال الله وهذه عجائب تجلت في هذا التفسير وفي أمثاله من كتب يؤلفها العلماء في عصرنا . فانظروا واحبوا . هذا (اللورد أفيري) مؤلف كتاب (جمال الطبيعة) يصف عجائب البحر فيه من صفحة ٢٣٣ الى صفحة ٢٤٨ بحثا عن جلاله وعجائب الله فيه . فيا عجبا كل الجب . قوم من أورور لا يعرفون يقولون وحدها جبال البحار ويزعمون بجبال ربهم ويهدمون بآياته ونحن لنا عقول ولنا دين بفتحنا الله بالأعراض عن آياته فيه ثم هم يسبقونا لمعرفة ربنا . أفليس هذا مما تجزع له القلوب وتنشق له المرائر وترتعد القرائص ولا أقول إلأما أمر الله به في المصائب - إنا لله وإنا اليه راجعون - ثم أرجع فأقول ، لقد آن زمان ارتقاء المسلمين وانتسابهم من الجهالة وارتقاءهم الى العلاء . اللهم اليك المشتكى اللهم أنت البر الرحيم فانخرج هذه الأمة المسكينة من النذل الى العز ومن الجهل الى العلم وأنا واثق ومؤمل لجاية الدعاء فقد أجيب دعاء زكريا إذ طلب ولدا يخلفه في بني اسرائيل ليقوم بأمرهم لأن الدعاء اذا كان لأجل المنفعة العامة استجب . وهام أولاء الصلحون في بلاد الاسلام يدعونك أن ترفع الأضرع من الأمة الاسلامية وأن تنصقهم للمعلم ، فهؤلاء يوقنون باستجابة دعائهم وأنا من هؤلاء الموقنين لاسيما أن أتتنا أكبر جدا من أمة بني اسرائيل . إذن فلا ذكر البحار وعجائبها من كلام (اللورد أفيري) وأبدأ بقول الشاعر الذي خاطب البحر

إن في صدرك الرحيب رجلا • جمعوا البأس والتهى في الصدور  
أخرستهم مدافع مرعدات • فأدحموا عن داعيات النفير  
وهم اليوم بعد طعن وضرب • في قرار غير المقام التقرير  
لك ما شئت من نضار ودر • لم يك البخر بالصديم الفقير

### ( الحيوانات في البحار )

(١) منها (الخطبوط) وهو يعيش في ماء (تيوفوندلاد) ويبلغ على صغر بدنه (٩٠) قدما من طرف الى طرف

(٢) وهناك نوع من الحيتان المسلة يبلغ طول الواحد منها (٧٠) قدما

(٣) ومن آياته وعجائبه (الكشالات) فهنا حوت يطوف في أنحاء المحيط طولا وعرضا قد اتسفت بشدة الرحة على من سائه وبالمنصب والبطش بمن عاداه وشاكسه وقومه وأنيابه محدودات يسطو بها على الحيوانات البحرية فيلتهمها ، ومنى من يتجشش صغير من ركاب سفينة اندفع اليها وعالونه على ذلك أهله وعشيرته وما أكثرهم وما أقواهم حتى ان هؤلاء يوما ما هاجوا مركبا أمريكية خطموها وأغرقوها في البحر جزاء ما كانوا يفعلون

(٤) وأقوى من هذا وذاك وأضخم جثة وأعظم بطشا (الزوركال) ويبلغ طوله (١٢٠) قدما ، يقول وربما كان هذا مبالغة ، ولقد علم الباحثين أن أكبر فصائل الحيتان جثة وأطولها فصيلة (سيبال) والحوت منها لا يبلغ إلا (٨٠) قدما أو (٩٠) قدما

(٥) ذكر (سكورسي) ان قريص البحر يغطي من سطحه أميالا والميل المكعب من البحر لا يحوى أقل من (٢٣٨٨٨٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠) أى (٢٣٨٨٨٨) ألف ألف مليون . ويقول إن هذه المحاولات لاتقوس في البحر كثيرا ولكنها تقطع مسافات من السطح لا يحبسها الحصر ولا يحيط بها الحساب

وهذه الحيوانات الصغيرة تجعل ماء البحر ملوثاً بألوان عجيبة يشاهدها التوتية والسالكون في طرق البحار (٦) الحشرات وبعض ذوات السدى التي تعيش في الماء لا تبعد عن البر إلا قليلاً . ومن هذه (بحرل البحر)

(٧) الحيتان العظيمة المدككة للأمواج تسكن الأعماق بطبعها . ومن أدهب العجب أن طائراً بحرياً يسمى (الصعقاب) قوى الجثة عظيم الصوت كأنه صوت الجار يبلغ طول جناحيه الممدودين معاً (١٥) قدماً . وقد يبق ساعات متواليات طائراً لا يقع وقد ينام محلقاً في الهواء . فهذا الطائر في ضخامته يشبه الحيتان في قاع البحار من حيث الضخامة كأن هناك مناسبة بينهما

(٨) ما أعجب منظر البحر لركاب السفن إذ يرصدون في ظلمات الليالي مناظر النجوم فيرون مجاً وجالاً باهراً يأخذ بالأنباب فإذا رجعوا إلى النظر فلما حولهم رأوا حول المركب عجائب وبدائع الأشكال والألوان في الحيوانات البديعة البهجة المتقنة الأشكال البديعة المناظر

(٩) إن جبال البرّ قاصر على سطح الأرض فإن العجائب النباتية والحيوانية ليست تكون إلا على سطح الأرض . أما عجائب البحر فهي (ثلاثة أقسام) قسم منها في ظواهر الماء وقسم منها في قرار البحر وقسم ثالث بينهما . إذن جميع أقسام المياه في البحر مملوءة بالعجائب . أما الطبقة العليا من البحار فأمرها معلوم فيما تقدم هنا وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذي تقدم في (سورة آل عمران) وغيرها . فأما الطبقة الوسطى فإن فيها السمك المعروف بالسك الهلامي (الدوزا) باللغة الانجليزية (والحسك) وهي دويبات صغيرة كالذئب . أما الطبقة السفلى فقد كشف العلماء كثيراً من أنواع المخالقات فيها فقد وجدوا سمكاً يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة (القامة مقياس طوله ستة أقدام) وهذه يسمونها القرارية أو الركية وهذه لا يسلمها النور لأن ضوء الشمس معدوم على عمق ٢٠٠ قامة وبعد ذلك يكون الظلام الحالك وهناك لا يكون للحيوان عيون البتة . ومن عجب ما ذكره (سرويل تومسون) عن نوع من السرطان له عيون إذا عاش قرب سطح الماء فإذا عمق مسكنه وصار ما بين (١٠٠) و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عيني . وهكذا ما يعيش منه على بعد (٥٠٠) إلى (٧٠٠) قامة

(١٠) إن بعض الحيوانات البحرية لالون له بل هي شفافة وبعضها يراق لماع في غاية الجفشفوري الجسم وقد يكون له أعضاء ساطعة ذات شعاع يكاد يذهب بالأبصار . وترى السمك الذي يعيش في الأعماق فضي اللون جيلاً بهياً غالباً وبعضها أحمر وبعضها أسود ومتى حركت أعضائها اللامعة صارت بهية اللون جداً وهذا السمك قد جعل الله له هذه الأعضاء النورية تحت سلطانه فإن شاء أضاء بها ماحوله من الماء وإن شاء أطفأ النور ، فكأن الله خلق شمساً وكواكباً بهما استضاء أهل الأرض هكذا خلق سبحانه لهذه الحيوانات الساكنات في الظلمات هذه الأعضاء المشرقة تنصرف بها على حسب مطالبيها في المعاش ، فإن رأى الحيوان فريسته استعمل النور الممدد لكشفها ، وإذا أحسّ عدوّه مقابله أطفأ ذلك المصباح . ومن عجب أن هذا النور كما يستعمله السمك لاقتصاص فريسته يستعمله أيضاً لأكراه عدوّه الخائض له على البعد عنه إذ هذا النور متى سطع وظهر لأعين الحيوان المهاجم بهر بصره فكذلك سنا نوره يذهب بتلك الأبصار فيفرّ المهاجم حالاً . أقول فهذا النور عند هذا السمك فعل ماضية رائحة الظربان في حيوان البرّ إذ يجعل الرائحة التي يطلقها على عدوّه سبباً في إزعاجه وكبحض الحشرات التي لاتنجو من صائدها الذي أمسكها إلا إذا أنزلت عليه سائلاً في جسمها كربه الرائحة فبذلك تعيش ولا تخاف من عدوّ يفاجئها فبصان الخلاق العليم

(١١) وهل أتاك نبأ السمك المعروف بعفريت البحر ، ذلك الذي له زعاف شائكات ورؤس ضخمة يسكن قرب شواطئ البحار وله ثلاثة خيوط ألونها تضرب إلى الجرة يطلقها في الأمواج ويجعلها كأنها حبال

للمصيد تقوم له مقام نسيج العنكبوت وشكات العياد فان العنكبوت نسيجها يصطاد الفيلب وأنواع الحشرات وقد جعلت بيوتها مناسبة لذلك . أما هذا فليس له سبيل الى ميد السمك الصغير إلا بأن يطلق تلك الخيطوط الحجر قصبتها تلك السمكات عشا بحريا وماهى فى الحقيقة إلا حائل قد أرسلها ذلك الشيطان الغفريت وقد اختبأ هو فى الزمال أدنى وسط حشيشة الصحرائى تلك السمكات المسكينات لتأكلها فيقتض عليها فيقتربها هذا اذا كانت قرية من سطح الماء ، فأما اذا كانت فى قاع البحار حيث الظلام حالك فلا ضوء هناك ولا شعاع فمن أعجب العجب أن تصير هذه الحبال براقة لماعة لتطهر فى الظلام وتقرى تلك السمكات الصغار

أقول أيها المسلمون . أليس هذا قول ربنا فى القرآن - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقوله - وكل شئ عنده بقدر - وقوله - وكفى بنا حاسين - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وهكذا آيات كثيرة . أيها المسلمون كفى كفى ، ظهر فى هذا التفسير أن أم الاسلام المتأخرة لم يدرس أكثر علماتهم هذا القرآن ولو درسوه لكانوا أعلم الأمم بهذه العلوم . أيها المسلمون أما فى عجب من أن يكون هذا القرآن ديننا وهذا الجهل صفتنا ، إن هذا لإثم كبير وعار عظيم اللهم إني أدت ما أقدرتني عليها وأنت اللهم العلم . اللهم أنت المستقم بمن عرف من المسلمين وسكت ولم ينزع هذه الآراء فى أقطار الاسلام ويعلم المسلمين بما يراه ملائما لأهل زمانه والله هو الولي الحيد

(١٢) إن الساعات البحرية لا تمشى على أعمق من (١٠٠) قامة كما هو آخر ما يعم الناس اليوم ، وقدر المحيط الاطلانطي وهو بحر الظلمات ما بين (٤٠٠) الى (٧٠٠) قامة ماهر ولا طبقات مؤلفة من مادة بيضاء طباشيرية وأعطى أهداف مهشمة مكسرة ونحت هذه الأعماق تكون المواد صلبة أو طينية صافية تميل الى لون الحجر وقد تكون فيها مواد بركانية ، وقد قالوا ان كرتا يسقط عليها فى العام الواحد مائة ألف ألف شهاب

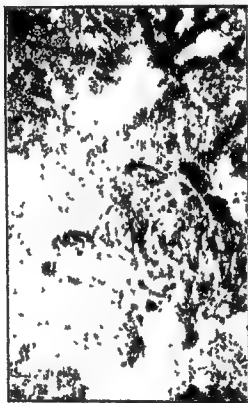
(١٣) إن أقصى أعماق البحار يشه أعلى الجبال وقد سبروا البحر قبلوا (٣٩٠٠٠) تسعا وثلاثين ألف قدم ولم يصلوا لعمقه وأعمق مكان فى الاطلانطي (٣٨٧٥) قامة وذلك فى شمالى جزائر (فوجينيا) وبلغ عمقه (٥٢٧٠) قامة فى مكان آخر ، وليس هذا هو منتهى ما يمكن الوصول اليه . فهذا ما وصل اليه الناس ويعلم الناس بعدنا ما لم نعلم من عمق البحار

### ﴿ الجزائر المرجانية ﴾

الجزائر (ثلاثة أنواع) سائر هي قسم من البر ويصلها مقدار من الماء قليل العمق كجزيرة سيلان وجزائر بركانية وجزائر مرجانية وهذه الأخيرة عددها كثير جدا وأكثرها فى المحيط الهندي والهادى الباسفيكى فهناك ترى جزائر كثيرة مستديرة الشكل وقد تكون بشكل الحاتم أو الحلقة ، وكثيرا ما يكون فى وسط الجزيرة حوض ضحل ضارب مائلا الى الصفرة والخضرة مما وهذا غلاف للماء المياه المحيطة به فانها سوداء لقرط عبقها . ولطه الجزائر سواحل رملية بيضاء غالبا وعالها مائى مكسوة بنجيل الكوكو (الشكولاته) والحرار المرجانية المعروفة باسم (بلسكاديف) و (ملاديف) أى بحيرة الجزائر أى (١٠٠٠) جزيرة و (١٠٠٠) جزيرة (انظر أشكال المرجان وهي ﴿ قديان ﴾ قسم شجرى وهي (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤) و (شكل ٣٥)



( شكل ٣٣ - رسم المروجان بوجه شجر )



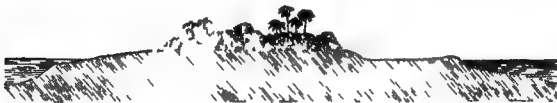
( شكل ٣٤ - هذه صورة أخرى للمروجان )



( شكل ٣٥ - صورة غير المتقدمة للرجان أيضا ظهرت فيها شعور حيوانات صالحة مستنيرة كأشجار البسات )  
 وقسم هيئة الجزائر وهي إما بركانية حلقية مثل ( شكل ٣٦ )

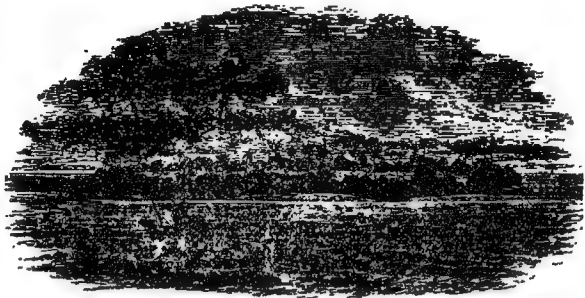


( شكل ٣٦ - رسم جزيرة حلقية من المرجان دا لها بحيرة عمقها قليل جدا )  
 ولما جزء من جزيرة بركانية مثل ( شكل ٣٧ )



( شكل ٣٧ )

واما جزيرة تالقة بركانية مثل (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨ - رسم جزيرة المرجان المسماة « جزيرة الرمل الأبيض » وترى فوقها شجر الشكلاته وهذه في غرب أمريكا الجنوبية في غرب كالو)

هذه الصور الثلاث من كتاب « عالم الجميع » تأليف العلامة (روبرت براون) وهو باللغة الانجليزية

### ( تذكرة )

يزعم بنو آدم انهم أكثر آثارا وأعظم أعمالا ؟ فهل صنعوا جزيرة واحدة عاش فيها الحيوان والنبات وانتفع بها الناس . فهذا المرجان نبي جزائر تعد بالآلاف ومئات الآلاف عاش فيها الحيوان والنبات والأشجار واستكن في بحيراتها أنواع الحيوانات فحاشت قرية الهين سعيدة بعيدة عن مهالك البحر المحيط . فأى حمل للانسان يضارع حمل هذا الحيوان الصغير - قتل الانسان ما أكفروه - إنه كان ظلوما جهولا - فكيف للفضول من حمل أعظم من حمل الفاضلين ، فكيف يفتر هذا الانسان بترعة يحفرها أو ثق في الأرض وأهرم فوقها أو قصر مشيد - إن ربك هو خلاق العلم - انتهى يوم الأربعاء ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨

### ( البحر المالح )

اعلم أن الحكمة في كون ماء البحر ملحا انه بهذه الملوحة يحفظ ما فيه من جثث الحيوانات المائية من ظهور الفساد فلولوا للملح لأنن الماء وفسد الجو ولم تصلح الأرض للسكنى فالملوحة في البحر حكم الملوحة في ماء العين ، فلولوا ملوحة ماء العين لأننت الحديقة ، فهذا الملح يحفظ العين وينع ثمن ماء البحر ، وعسى أن أدق الكلام حقه في (سورة النحل) عند قوله تعالى - وجعل بين البحر ين حاجزا - ولكن أقول هنا من لطف الله عز وجل ورحمته انه جعل البحر ملحا للحكمة التي ذكرناها ، ثم هو تطف فأرسل شعاع الشمس الى ماء البحر فخرج البخار تاركا للملح في البحر صاعدا في الجو متراكما سحبا فيه ماء صالح للشرب ، فتبارك الله الحي القيوم ، جعل الماء ملحا عند الحاجة الى الملح . ولما احتاج الانسان والحيوان والنبات الى ماء عذب خله بحرارة الشمس فحصل الانتفاع به . فهذا هو البحر المالح وهذا هو العذب . ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الأرض ويحرق ينابيع تحتها منها العذب ومنها الماء المصطنع ولا يختلط أحدهما بالآخر . وإذا جعلت بجانب البحر المالح وحفرت قليلا في بعض المواضع أقيت هناك ماء حلو . أليس هذا عجبا ؟ حاولت تحت سطح البحر مرة فوقه حلو في البخار الطائر منه في الجو والسحاب والأنهار ، فالحلو يحيط بالملح من سائر الجهات



فلما جاء البحر الملح غطلا بماتحت القاع للبانع الطيحي - ولا بما فوقه في الجوف لأنهم لم ينسوا له ملحه وترى الأنهار كالنيل والقراود دجلة تسب في البحار كالبحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي وبحوها ومع ذلك لا يطغى البحر الملح عليها فيجعل مائها ملحاً ولا الأنهار الصابة في البحر تجعله حاراً . فهذه مجمل الحواجز التي دبرها الله لحفظ البحرين المتجاورين فلا يبغي أحدهما على الآخر تلك الحركة الدائمة المحكمة ، تبارك الله رب العالمين ومن هذا القليل أن المجاري المعدنية تحت الأرض لا تختلط أحدها بالآخر وقد تقدم هذا في (سورة الأنعام) مشروحا . وأعجب من هذا أيضا أن الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح الهابطة فلا تختلط أحدها بالآخر ، وكذلك يحمل الهواء أنواع الروائح كلها ، وأيضا نجد ذرات اللقاح التي تخرج من الأزهار وتسير في الجوف من أعضاء الذكور إلى الإناث تمتد مجاري لا تختلط أحدها بالآخر إلى أن تقع على الأزهار التي هي من جنسها وقد تشاهد تلك الفترات طائرات كالسحاب من عشرات الأنواع وهي متميزة لا تختلط إحداها بالآخرى . وهذا قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - مرج البحرين يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان -

وأعجب من هذا كله أن الشمس تعمل صور جميع الخلوقات وترسلها في كل مكان ونحن لانراها وإنما الذي يحسن بها هي آلة التصوير (الفوتوغرافية) فحتى سلطت حيلها على قوم جالسين التقطت تلك الصور وولتها إلى لوحة التصوير وراها في الخزانة المظلمة . فهذا دليل على أن صور جميع الخلوقات على الأرض ساطعة في الجوف الهوائي لا تختلط أحدها بالآخر فصور بني آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طائرات طول النهار لا اختلاط فيها . كل ذلك يذكرنا به قوله تعالى هنا - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - انتهى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشر - الخ مع قوله قبلها في الماء أيضا - ولقد صرفناه بينهم ليدركوا - وقوله بعد ذلك - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ﴾

في يوم الخميس الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ أي في مساء ذلك اليوم خرجت للرياضة كما قال توبة في عهده ليلة

وأخرج من بين البيوت لعلني \* أحلت عنك النفس بالليل خاليا

فتوجهت إلى شاطئ النيل الشرقي كهادق ووقفت قبيل غروب الشمس فوق قنطرة عند المنيل أمام مصر القديمة إذا الجوف في حال لم أعهد لها ومنظر لم أشاهده من قبل ، نور أحمر يرتقي يكاد يقترب من الأرض وأمر عجب فرفعت طرفي إذا السماء مغطاة بسحاب يمتد من الغرب إلى الشرق أشبه بسلاسل الجبال المتوازيات فعددتها نحو عشرين جبلا سحاييا والشمس قد أذنت بالغروب وتلك الجبال مشرفة اللون حميرية وقد امتدت في أطراف السماء كلها وكلما كانت أقرب إلى الشمس كانت أبيض لونا وأزهي حرة مشوبة بصفرة برتقالية وكلما تباعدت إلى الجنوب أو الشمال رأيتها مسودة كأنها تنجب ظلها لبعدها عن الشمس . أما تلك المقتربة منها فما أجل طلعتها وما أبهرها وأحسنها ، جبال رأيت جبال . وبهجة وأي بهجة . تراها فتخال بينها أودية زرقاء اللون كرياض كستها الطبيعة أزهار البنفسج . وما أشبه ذلك المنظر البهيج الذي يكاد يضيء إلا بمنظر الجنود مصطفات للملك عظيم الشأن وقد أخذ يودعهم ليتفقد ملكته وهم صفوف وراءها صفوف يهتفون له بالاجلال والاعظام أو كسناده ازدعت بالجمال وأشرقت بالحسن وقد هرع بلها الممجوبون بها - من كل حذب ينسلون - وهم بمنظرها فرحون

الله أكبر . منظر هذا العالم جيل غفل عنه صفار العقول . جهل الناس هذا الجبال في الأرض وفي السماء

ذلك أن كل حيوان قد حيل بينه وبين هذا الجلال بما أودع فيه من عمل لحياته وسعى لذريته ثم هم عن الأرض راحلون ؟ فأتى هؤلاء أن ينتهجوا بالجمال الذي يشاهمهم وهم لا يعلمون . منظر السماء في ذلك التاريخ كان بهجاء وجيلا والناس غادون وراحمون وهم لا ينظرون فكأن الجمهور عصى أمام أجل الفاتنات صم وعند سماع أبجل الأصوات . ذلك ان الناس أكثرهم عن الجبال محجوبون وعن الهجاب معرضون . تحدثنا الشمس والقمر والنجم والملك والماء في السحاب والبحر . يظن كلهم بلغة فصيحة ويفعلوا ألوان الآباب لأن في قلب الليل والنهار والصباح والمساء روايات تمثل لكم وأتم لا تنتظرون . شمس تشرق فكسوا الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع مختلفات الألوان فهي على الهواء زرقاء وعلى الزرع خضراء وعلى الزهر صفراء أو حمراء وهكذا

أما البحار في (خط الاستواء) وما قرب منه فثت ولا حرج . ترى الأمواج ترى بالسرر اللامعات والماس الجبل والزرجد الأخضر واللزورد وقوس قزح وهيئات متنوعة من لطيف ونضار ومن هيئات المصاييح المشرقة في أكثاف السماء . كل ذلك لما فيها من الفوسفور البديع المنبت في تلك الأرجاء (انظره في سورة الأنعام) وهكذا ترى ما هو أعجب عند القطين من جبال جاريات من الثلج بديعات عائمات فوق سطح الماء تمثل القصص الخيالية والأعمال السحرية وقسطم تلك الجبال وتتدخل أجزاءها وهناك تكون أنواع من أفاين الصور وبدائع الألوان مما لا يكاد يتصوره الخيال (انظره في أول سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ) وهذه كلها صور لماء في حاله ساكنا وجامدا تلجيا . الماء خلق لسقي النبات والانسان حتى يعيشا ولكن الحكمة الواسعة لاحد لا بداعها والانهابة لصنعها . ماء ينزل للسقي وللحياة يستعمل هو نفسه زينة ونورا . فهو في ليلة ١٥ نوفمبر جنود تحي ملكة النهار الزاهية الى ملكة الليل فكأن الجيوش معدة لطرده الأعداء وقتلهم هي أيضا تحي الملوكة اذا فتموا أو ودعوا . ذلك لسمة هذا الوجود وللتفنن في التصوير والابداع والجمال . الليل والنهار يشرقان معا . هذا بالمرصع في القبة الزرقاء . وهذا بالنضار الكاسي وجه الغبراء . نجوم مشرقات بهجات جيلت متلائات ليلا تقول للنفس المستعدة في الأرض هلموا الى وتعالوا أتل عليكم نأ الحكمة والعلم والجمال . قول - هاؤم اقرؤا كتابيه - فيرونها صفوا تتلوها صفوف وصوصا تتلوها صفوف قد اذيت لناظرين وحيرت المفكرين حتى اذا أفل الظلام وأقبل موكب الصباح أخذت تتغير للعالم وتبدل المشارق والمغارب وتهزم جيوش البيض سود الجيوش وكلما ازداد موكب النهار اقبالا ازدادت مجاهل الليل إدبارا وأخذت تلك الفاتنات الهيئات المطالع الناعسات الطرف المشرقات في السباحي تتولرى بالجلاب وتودع العاشقين وتعدهم أن ساعود لتروا جالى ولازال مواكب الصباح ترد تباعا حتى اذا أقبل الجمع وتكامل أشرقت الغزاة اشراقا يهرا الجميع . هناك يتم سلطان النهار ويدبر تمام الادبار سلطان الليل وتوجه الأنظار الى مناظر الجبال والبحار والأنهار والحقول والرياض ويستبدلونها بالنجوم الزاهرات في السجنت . وههنا يتجلى النهار في ثوب قشيب ويهزغ الطفل صار شابا ضحى كهلا ظهرا شيخا عصرا ثم يودع الحياة عند الغروب . وهناك تسفر غانيات الليل ويرفعن القناع ويبدون سافرات ضاحكات بهجات مشرقات ويقفن لشاهقهن بالأمس عوجوا اليها وأقبلوا علينا

هذه هي الرواية التي يملها الليل والنهار وهما لا يفتان يمتلان رواية وراء رواية والمناظر مختلفات وليس يعقل اختلافها من الناس إلا قليل . ولما غفل الناس عن ذلك الجال أهموا أن يصنعوا هم لأنفسهم أعراسا وولائم وأعيادا فيها يفرحون وفي أيامها ينتهجون فهم كصناع في قصر ملك معه وزراءه وخواص دولته وهم يشاهدونه كل حين ينتهجون بمنظره فرحون بقربه وفي القصر عبيد منكودون لا يرون الملك إلا في عر بته سائرا أو في موكبه متجليا وفيه حيوانات ودواجن لا تنقل هذه الكرامة ولا تأبه لهذا الجلال . هذه

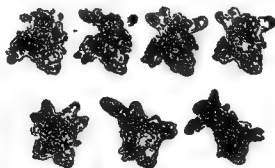
نظرات النفوس الحكيمة في بدائع السموات والأرض . فلذا رجعت إلى أنفسها وتأملت أجسامها رأت في هذا الجسم المركب من أمشاج وأخلاط مظلمة أرضية ما يفوق ما في الكواكب من جلال وما في الشمس من جلال وما في البحار من لآلئ وما في الجبال من نضار . ماذا برون ؟ يرون جنودا يحاربون وجوشا من أعدائها عندللات وعمالك عظيمة كلها في داخل هذا الهيكل الجنائي . فكما أن العقول الضعيفة غفلت عن التمثل التي تمثله المنشققات والشمس في العوالم الأرضية والسماوية هكذا نراها غبية جامدة أمام البهجة والعلم والجمال للودع في أجسامها . وكما يرى الحكيم منظر السماء فيعقل البهجة والجمال هكذا ينظر في أمر جسمه فيرى عجبا عجبا ينهله بل ينسبه منظر المسرقات في البدايح البهجات المناظر . فبالت شعري من ذا الذي كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن في جسمي أنا آلاف في آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحادة القوى تصطف صفوفها وتحارب جيوشا تمتد جنودها بالآلاف والآلاف وتجندلها في ساحات الوغى من (الحيوانات الثرية وهي المكروبات) وهي أنواع مخلقة وتلبس جنودى أنا لكل حال لبوسها . فبالت شعري من ذا الذي يقول هذا ولا ينسب الناس إلى الجهالة والجنون . وهل كان أحد في الأرض يعتقد أن الورم في الجرح ما هو إلا هذه الجيوش المتكاثرة اجتمعت لتهاك الجيوش الداخلة في جسمي لتحدث في مرضي . أليس هذا من العجبان جسمي يكون فيه هذه الجيوش المسلحة الواقعة بالرصد لكل فائت به ثم هي تهلكه وتنصر عليه بل أنها تأكل الأعداء أكلًا وتصلح ما أفسدوا من جسمي ؟ هل كان للعقل في هذا مجل . اللهم لا . لا مجال لعقولنا في هذا لولا تعليمك لنا في هذه السنين ثم ما هذه نفوس والممالك والجنود المجددة ؟ أهذه كلها لجسمي وحده أنجسني هذا تخلق هذه الجيوش والممالك ؟ الخياني أأنتكون تلك النول والممالك والحيل والحروب والجوع والجيوش . اللهم حارث صقولي في وضعك وأصبعا لأفترى أمفردنا جمع أم جمعنا مفرد ثم كيف يكون جسمي مع أن علمي به قليل جدا يكاد يبلغ سعة السموات والأرض في التدبير والكثرة . ممالك جسمي لا حصر لها وعمالك الوجود لا حصر لها فتساوى الكبير والصغير في العظمة والجرأة . ثم أقول يا من تجلبت بجلايب الكبرياء وزديت بأردية الجدل وتربت أرواحنا في هذه التربة ودفت نفوسنا في هذه الأجسام الترابية وأحطتها بكل لطف ورحمة قد حنت أرواحنا إليك وشاقتها براسم الأصابع وبواهر الاسماء ؟ فخي تكشف لنا عن جالك لقد لها من خلال الحجب المسدلة علينا لوامع من نورك فصلنا انك رجعتنا بالحجاب وأنعمت علينا ببصيص من نورك ولواننا كوشفتنا به تمام الكشف لطاحت أرواحنا وصرتنا إلى العدم مادمتنا لم تكمل فينا المواهب العالية التي بها نستطيع ادراك ذلك الجبال ولكننا تشرق في نفوسنا الذكرى بعد الذكرى والشوق يقبه الشوق ثم بعد هذا كله ما أنا إذن . أنا أقول بأعلى صوتي أنا أجهل نفسي جهلا تاما وأنتظر من الذي أبدعني أن يزجني في عوالم تكشف الصانع لي عن نفسي وعن هذا العالم . نعم من ذا الذي كان يخطر له أو يهيجس في نفسه أن كل حيوان وكل نبات ترجع إلى ما يسومونه خلية قانخلية منه . منشأ جميع الأحياء . إذن الوحدة ظاهرة في هذا الوجود منها تركب كله كما إن الأعداد تركبت من الواحد . إذن هذا توحيد علمي والبيانات توحيد قولي واعتقادي . وإن آيت يصلح إلا الاضلاع فهالك مقالا لكتور مصري في (طيب العائلة) تحت العنوان الآتي وهاموذا

### ﴿ سر من أسرار نظام الحياة ﴾

انك لتجد يد الله وقدرته البليغة رامقة كل شئ في الوجود جل أودق وترامها متجلبتين على الأخص في الحياة ونظامها وتطوراتها منذ الخليقة . هذا النظام وما به من غريب ومدعش هو ما أقصد إلى تبيان جانب منه بهذه الكلمات القليلة لأن المقام لا يوسع على الرغم من خطر الموضوع خطرا هو فوق ما تتصوره العقول . إن ظهور الحياة على الأرض كان لغزا من الألغاز الغامضة التي تعبت في حلها الأجيال وعظماء البشر

من حكماء وعلماء ولكن شغف الانسان بالتطلع والاستقراء خلفاى الوجود وأسرار الطبيعة جعله لا يعلم ولا يكل من السعي حتى ظفر بكثير مما تصبوه له نفسه وخصوصا فيما كان له أساس بكيفية ظهور الحياة على الأرض فقد ظنّ يفكر ويستعين بعقله ومداركه ثم يدرج في بحثه واستقصائه الى أن ظفر بنتائج باهرة سارة قربته كثيرا من الحقيقة التي نشدها منذ القدم وإذا تقرب منها اتخذها عمادا في تقرير العلم الزاهن وتوسع فيها الى البرجات الباهرة التي وقف عند حدها في أيامنا الأخيرة وتتلخص هذه الحقيقة فيما يلي

ظهرت الحياة على الأرض لدى الخليقة بالبسيط وانتهت بالمركب . ابتدأت بخلية واحدة وانتهت بملايين الملايين مندججة في شبح واحد . ابتدأت بالشيء الذي لا يقوى على الادراك والعقل وانتهت بالانسان الذي هو أكل مخلوق . واعتقد أن الله الذي جلت قسوته وتعالى حكمته عند ما شاءت مشيئة ابداع هذا الوجود أراد لكمال هذا الوجود أن يظهر فيه من يدركه ويدركه صنعه ويدرك قوته فأبدع الفكر وأودعه الانسان الذي انما كانت الغاية من اظهاره أن يكون أقوى أداة مفكرة في العالم . فالحياة ابتدأت بصنع الله للخلية وانتهت بصنع الله للفكر وبه اتصل الخلق بالخلق . نظم الله الخلية وجبرها على نسق تدريجي وبسط لها بقوته أسباب التدرج والرق والتورث والتسلسل والتفرع والتشعب وأعد لها صور مختلفة وأشكال وأوضاع ووظائف وغايات متعددة مختلفة فمنها النبات وعليه قوام حياة الكائنات الأخرى . ومنها الميكروبات والأسماك والطيور والحشرات والحيوان والانسان وكان من المدهش انها كلها ترجع في أصل الخليقة الى وحدة متحدة دالة على وحدة اليد القوية القادرة التي أبدعتها الأوهى الخلية ، تلك الخلية التي ظهرت بمؤثرات وتفاعلات كيميائية وطبيعية جعلتها تتحرك وتعيش وتتضاعف وتتفرع وتتوارث وترقى على مرور الأجيال والأزمان وتتجنس وتنوع وتستقر في النهاية على ماهي عليه الآن جاهلين على كل حال ماذا تدخه لها المقادير في مستقبل الدهور والحدثان . هنا نرى من المفيد أن يعلم الناس أن كل كائن حي يتبدى عند خلقه بأن يكون خلية اشارة من الطبيعة الى أن ذلك الكائن الخي معها تضاعف في تراكيبه وأعضائه يرجع في نشأته الى تلك الخلية الواحدة (أو بصارة أخرى) اشارة الى الوحدة التي نشاهدها مسيطرة على هذا الوجود ، كذلك من المفيد أن يعلموا أن كل بيضة تنطوّر في نموها تطوّر غريبا مدهشا حيث تظهر فيها لدى نموها كل التطوّرات والتغيرات التي طرأت على نوعها منذ الخليقة الى الآن . ويحقّ اعتبار هذه البيضة أنها خلاصة تاريخية للتطوّرات التي تطوّر بها نوع وليدها بمرور كل هذه العصور التي قضاهما متقلّا في تطوّراته من حالات الى حالات . وعلى كل حال فإن الانسان لم يك في الواقع في مجموعه إلا خلايا لا تعد ولا تحصى مترتبة بعضها ببعض ارتباطا متينا متضامنة تضامنا قويا في الصحة والمرض على السواء وهي كاهل ويدة الخلية الأولى ، فكل حي في الوجود نباتا أو حيوانا أو ميكروبيا يترب من خلية أو أكثر . ومن الأسرار الليرة للاعجاب أن من المخلوقات المشاهدة حتى الآن كانتات حية لا تتركب إلا من خلية واحدة (انظر شكل ٣٩)



( شكل ٣٩ - صور للامبيا مأخوذة عن فلم سينماوغرافي للامبيا وهي تتحرك ، أخذت بسرعة ٣٠ صورة في الثانية ، والصور السبع التي ترى هنا منتخبة من حركة الامبيا في ثانية واحدة )

وقد تنقسم الى قسمين وبصيران خليتين ولكنهما لا يتصلان بل يعيشان ككائنين حين منفردين ،  
 وتوصل العلم الى معرفة مئات من هذه الأجناس (بروتوزوا) ذات الخلية الواحدة تعيش في المستنقعات والبحر  
 والبحار وهي أبسط كائن حي تعرف حتى الآن ، وإذا دقت النظر في محتوياتها لاجلها أكثر من خلاف داخله  
 مادة مخاطية لزجة تسمى (بالبروتوبلاسم) فإذا صادفت هذه الخلية ذرة من نبات تراها تندفع اليها وتحيط بها  
 بمهارة فلا تشعشع النرة إلا وترى نفسها داخله في ذلك الغلاف وحاطة بأكلها بهذه المادة الزرقة مع قليل من  
 الماء فتهمضم بواسطة كيميائية قسرية وتصبح جزءاً من ذلك البروتوبلاسم وهذا كل ما فيها من وظيفة الهضم ،  
 وغريب أنك تجد خلايا لاتعيش إلا في سوائل الجسم (الدم والنف) تعيش عيشة مستقلة كما تعيش الكائنات  
 ذات الخلية الواحدة المسماة (بروتوزوا) في قاع المستنقعات والبحار كما قمتنا ، وانك لو أخرجنا من تلك  
 السوائل ونظرت اليها (بالمكروسكوب) ومنجت معها قليلاً من القترات للوانها لرأيته بعينك تصنع ماصعة  
 الكائنات المذكورة في أساليب غذائها وهضمها على السواء . هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة التي تعيش  
 في سوائل الجسم هي التي نطلق عليها اسم الكرات البيضاء وهي كانت معروفة قبل عصر باستر ، أما في عصر  
 باستر فقد ظهر بفضل فكره الواسع وعبقريته الممتدة ما دعاه له العالم طرا ، ذلك أن قد ظهر لنا عالم خفي  
 كنا نجهله هو عالم الميكروبات وبرهن لنا على أن هذا العالم الخفي علة جميع الحيات المعدية وأن عوارض هذه  
 الحيات لم تكن إلا نتيجة تسمم الجسم متى تسلطت هذه الميكروبات من الخارج الى داخل الجسم ، ثم أتى لنا  
 بعده لستر وبرهن على أن تقيح الجروح نتيجة تسلط هذه للميكروبات على الجروح ، وأن هذا التقيح هو  
 انحلال الحيات الناتج من فتك هذه الميكروبات بها ( انظر شكل ٥٠ في الصفحة التالية )

ثم أتى بعدهما ( كوين هايم ) وبرهن على أن في كل موضع ملتهب من الجسم سواء كان نتيجة ميكروبات  
 أو صدمة فإن الورم الذي يطرأ عليه يكون عبارة عن تراكم الكرات البيضاء بكميات كثيرة تخترق الأوعية  
 الشعرية وتصل الى ذلك الموضع الملهب ومنه ينشأ الورم ، ثم أتى بعدهم ( ميتشيكوف ) وأرانا بأعيننا أن  
 الغاية من تراكم الكرات البيضاء وخروجها من الأوعية الشعرية وذهابها الى اللواضع للملتهب هو البعاع من  
 الخلايا ومقاتلة الميكروبات الطارئة الضارة بها والتعلب عليها بأكلها وهضمها وأكل سمومها وأكل الخلايا التي  
 فسدت بسبب فتك الميكروبات بها . كل ذلك رأيناه بأعيننا وتأكدنا من عمل هذه الكرات البيضاء  
 الضرورية للحياة ولذلك سميت بالخلايا الأكلة أي ( الفاجوسيت )

هذه المنهشات علمت واكتشفت أسرارها وأسرار وظائفها وهي مع ذلك خلية واحدة للجسم الانساني ،  
 فكلمة في باقي منه من أسرار لازال امرها غائبا مجهولا من الانسان

( أخذت هذه الكرات البيضاء وهي تزدور للبكرات )



( شكل ٤٠ )

تنفذ الكرات البيضاء بكمرب الاثاكن

- (١) تنفذ الكرات البيضاء بكمرب المقربا
- (ب) تنفذ الكرات البيضاء بكمرب السربنوك
- (ج) تنفذ الكرات البيضاء بكمرب الحى الراجعة
- (د) تنفذ الكرات البيضاء بكمرب الكوريليل

( بهجة الجوهرة في هذه الآية - وهو الذى خلق من الماء بئرا - الخ وأن المصل رجع في الركوع والسجود من الخلق الى الخلق ، والفيلسوف رجع من الخلق الى الحق )  
 تباركت يا الله ، جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما في آية ( الحجرات ) وجعلتهم - نسا وصهرا - كما هنا فترى قبائل ودولا في القارات الأرضية شرقا وغربا ، وترى أسرات وجاعات بينهم علاقات واشتراك يمكنون قرية واحدة ، ثم ترى جسم الانسان وحده فيه أنواع الخواص وهي خمس قد قسمت عليها العوالم التي تتركها فلعين المناظر وهي عشر وللأذن المسموعات وهكذا . وفيه أيضا أعضاء مختلفة لكل عضو منفعة خاصة كاختلاف منافع الخواص . كل هذا يذكره المصلون في صلواتهم وأكثرهم ساهون ، فيقول الراكع ( خضع لك سمى وبصرى ونحى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين ) ويقول الساجد ( سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين )

فهاهنا الذي يذكّر جماعات الحواس المتضامات من السمع والبصر ومثله الساجد ثم كل منهما يذكر جماعات الأعضاء المتضامات من العظم والعصب والمخ . فليست هذه . جماعات في الأمم كجماعات المدن كجماعات الحواس في الجسم كجماعات أعضاء الجسم داخلاً وخارجاً وكلها راجعات لنظام وحدة كلية . فالأمر تكون أهل الأرض جميعاً والأسرات تكون البلدة الواحدة والحواس والأعضاء تكون الجسم الواحد ؟ وم تكون هؤلاء كلهم ؟ تكونوا من الماء المذكور في هذه الآية والقاعدة في الجميع واحدة . فهل لك أن سمعت الآن ما هو أبعد مدى وأقرب مدى . انظر كيف كانت نفس أجسامنا مركبت من خلايا وهذه الخلايا جماعات بينها اشتراك كاشتراك السلول وأهل القرية والأسرة والحواس والأعضاء في الجسم الواحد . فهناك أمباء في بعض المجلات العلمية

### ( حياة الخلية )

كان الفضل في اكتشاف الخلية أو وحدة تركيب الأندج في جسم كل كائن حي لاختراع النظارات المكبرة وأذهان العلماء المشتغلين بها مثل (شوان) و (شليدن) و (فيرو) وقد أوجد هذا الاكتشاف ما يسمى بنظرية الخلية وهي تلخص في أن كل كائن حي يبدأ حياته تخلية مفردة لأن قسماً من الخلايا المفردة لم يقنع بحالته الوضيعة وصارت كل خلية تبني لنفسها جسماً كبيراً باقسام الخلايا التي تناسل منها واستمرت هذه الكائنات الكثيرة الخلايا في تقدمها حتى استطاعت لكثرة ما فيها من الخلايا أن تقسمها أقساماً وتجعل لكل قسم عمله الخاص ومن هنا نشأت الأعضاء والأجهزة المختلفة التي زلها في جسم الحيوان أوفى تركيب النبات

### ( الوجود التضامني )

ولما اجتمعت الخلايا وكوّنت جسماً واحداً ووزعت الأجزاء المختلفة على كل طاقة منها صارت حياة الكائن المشترك هي عبارة عن مجموع قواها الحيوية ومع ذلك فلكل خلية حياتها الخاصة . ويقول العالم السرلانكستر ( يمكن أن تعتبر الحيوانات والنباتات العديدة التي بنيت أجسامها من خلايا كثيرة كائنات حية مركبة وأن خلايا كل جسم حي مثل السكان في مدينة لكل جافة عملها ولكل فرد كفايته . وأن الغاية من أعمال هذه الجماعات وتضامها هو تحقيق غرضها المشترك وهو الحياة للحيوان أو النبات التي توجد فيه )

### ( أسس الحياة )

ويعد الهيبول أو المادة الأولى ( البروتو بلاسم ) أساس الحياة الطبيعية وهي المادة التي نحيا بها أجسامنا والتي ترتكز عليها حياة الخلية فإن أول شيء يتكوّن في أي حيوان هو الهيبول ثم الخلية والخلية تتولد منها خلايا وهكذا إلى أن تتكوّن جميع أعضاء الجسم ويتم بناء هذا الكائن الحي .

### ( من أين تولد الخلية )

لأن تولد الخلايا الحية إلا من خلايا حية سبقتها في الوجود وباتصال الذكور بالاناث . وقد حاول كثير من العلماء إثبات التولد الذاتي أو تتكوّن الكائن الحي بنفسه فأخفقوا في إيجاد أقل الكائنات في التركيب انتهى هذا ثم انظر ما ذكره (السير أليفردودج) وهناك ما ورد في نفس المجلة بنصه

### ( الجسم والروح )

يقول (السير أليفردودج) رئيس الجمع العلمي البريطاني ( أنه لمن أغرب الأمور أن تكون أجسامنا قادرة على تكوين أناس مماناً كهم من مواد الغذاء فإن نفس هذه المواد الغذائية كان من الممكن أن تصير دجاجاً أو كلاباً ولم يفعل ما قلتم به من المجهزات المدهشة إلا ما فيها من العوامل الحيوية ذات المزايا الخاصة التي حتمت أن يصير هذا انساناً ولم يجعله قرداً مثلاً بل جعلته انساناً بشكل خاص يتقد فيه بعثة عوامل وراثية أو خلافاً ترجع إلى أبيه وأمه أو أسلافه . أما الأجسام فتبلى وترجع التراب إلى التراب كما قالت الكتب المقدسة . أما

تلك العوامل التي قامت بالمهزة فانها تبقى في كائن لطيف لم يترك العلم حقيقته ولكنه لا يستطيع أن ينسك وجوده وأثره وهو الروح ) انتهى

هذا كلام (السرأوليفرودج) ولعمري ما هذا إلا معنى تسبيح المصل في سجوده وركوعه وثناؤه على ربه . يسبح المصل في الركوع والسجود أى ينزه ربه عن الحوادث والأجسام ثم يذكر نعمة السمع والبصر وأعضاء الجسم وهذا معنى (سبحان الله وبحمده) فهنا تنزهه عن الحوادث مع خلقها منه والحد عليها منا نحن فالسرأوليفرودج يقول إن هذه الروح هي التي دبرت هذا الجسم وخصته بكونه إنسانا مثلا فأرجع الأجسام والحواس إلى الروح والروح ليس بقدر العلم على معرفتها ولا على إنكارها فهي إذن - من أمر ربى - العالم (فسمان) عالم الخلق وعالم الأمر والأول هو المذكور من أعضاء الجسم والثاني هو الروح وألله خالقه وهو منزّه عن الحوادث ومن ملازمة الأجسام . فالسر (أوليفرودج) سار بكلامه من الخلق إلى الحق بعقله هو لا بدنه أى إن الفلاسفة يتنبون بعد مشاهدة المادة إلى خالقها . إن هذا هو الذى جرى عند أعظم حكماء هذه الكرة الأرضية . ولعمري عاك الله أن فلاسفة اليونان ابتدؤا نظريهم على هذا الخط فقام (تاليس) قبل الميلاد بخمسمائة سنة فقال (إن هذا العالم أصله الماء ومنه اشتق ما هو أقل منه وهو الأرض وما هو أخف منه وهو الهواء) ثم قام (أنكسبائس) بعده فقال (كلا بل الأصل هو الهواء) وفصل به ما فصل (تاليس) بالماء ثم قام بعدهما (ديموقراطيس) فقال (ويحكما كيف حصرنا العالم في عنصر واحد . كلا . بل الأصل هو الجزء الذى لا يتجزأ فإذا قام من قبل واستغنى عن صانع للعالم ينصرفنا استغنى عنه بهذه الأجزاء التى لا تتجزأ إذن العالم هو هكذا من الآن إلى الأبد)

هناك حاراليومايون وظهرفهم (السوفسطائية) الذين ينكرون الحقائق وقام بعدهم (فيتاغورس) وهو يونانى ففاز فرأى هذا العالم فيه نظام وإبداع وحساب وسكمة فقال (كلا إن أصل العالم أرق من المادة فليكن هو العدد لأن كل شئ له نظام معدود) ثم قام الفيلسوف (أنبولقليدس) فقال (إن هناك حجة وعنادة فالأولى تجمع والثانية تفرق وما العالم إلا جمع وتفرق) فقام بعده في القرن الرابع قبل الميلاد (أنكساغورس) وقال (كلا هذا لا يكفى إن هذا العالم له عقل منه فهذا العقل فصل مع المادة ما منه الذى يدير الساعة فهو أولا نظما فدارت ثم تركها فهي تجرى أبدا وأبدا لأن هذا النظام لا يكون بلا عقل) ثم قام بعده سقراط فقال (هذا رأى أبتره إن الآلة لا تصنع من نفسها فلا بد لها من مدير يديرها ولا يحفظها أبدا . إذن الذى صنع هذا العالم هو الذى يعلمه وهو معه دائما يديره ويحكم صنعه ولا يتركه ولا يفسد ثم جاء أفلاطون وقررهذه النظرية بشكل أتم وأبهى وأبهر . ثم قام (أرسطاطاليس) فأيد الذين قبله وإلى هنا انتهى علم جميع الأمم شرقا وغربا

إذا عرفت هذا أبها الذكى فاعلم انك قد ظفرت بكلمة لم يحرزها سواك . ومتى عرفت هذا وحفظته وعقلته فاعرض على هذا الجدول عقول أبناء أمتك الذين تعيش معهم فستسمع أحدهم يقول انى لا أصتق إلا بالمحسوسات فاعلم أن هذا المسكين لم يزل طفلا أشبه بما قاله (تاليس) أو (ديموقراطيس) وإذا سمعته يقول لمن أصل وهل الله يحتاج إلى صلاتى فاعلم أن هذا لا يصدق بأن الله محيط بالكائنات فهو أشبه أنكساغورس فقل لأبناء الشرق إن العلامة (اسبنسر) الفيلسوف الانجليزى ومثله (ستلانه التليانى) يقولان بأعلى صوتهما وعلى مسمع من أوروبا قاطبة اننا لم نصل في هذا العالم (أى فى هو المقصود من الفلسفة وهى هذه المباحث) إلى (سقراط) و(أفلاطون) . كلا . ويقولان ان جميع فلاسفة أوروبا لم يزيدوا على ما ذكر فى كتبنا هنا وغاية الأسران أحدهم يخترق قول (تاليس) مثلا أو قول (ديموقراطيس) والفلسفة فى طفوليتها فبعلمه ثم يقوم آخرو ويخار مذهب (سقراط) فيعلمه . إذن من درس هذه التراث التى ذكرتها هنا فقد حفظ أمتها المذهب



التي اليها ترجع جميع أقوال علماء أوروبا في الصراخ الحاضر وأقوال المقلدين لهم من المتعلمين نصف تعليم في بلاد الشرق ف هؤلاء مقلدون ولكن المسلم في صلاته قد جمع خلاصة المذاهب واتباع أعلاها فقال ﴿ سبحان ربك العظيم ﴾ وذكر الأعضاء والحواس وما تحتها من الخلايا التي دخلت ضمنها فهي كلها مجموعات مشتركة في حياة الفرد كذا التي جعلت الروح التي صارت أقرب إلى ربها المثلثة عن الملائكة . وهذا آخر ما انتهت إليه الفلسفة وذلك بسقراط وأفلاطون إلى آخره . فالفلاسفة ساروا من الخلق إلى الحق والمصل للمسلم سار من الحق إلى الخلق في الركوع والسجود وهذا في الفائدة والشهادة إذ يحمده الله ويقول إن التحيات له ثم هو بعد ذلك يطلب منه الهداية والاستعانة الخ وطلب منه الصلاة والسلام على النفوس العالية والصالحين . وإذا قال المصلي في سجوده تبارك الله أحسن الخالقين بعد ذكر أعضاء جسمه وحواشيه فذلك مقابل لما في الآية هنا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فهذا الفصل تلك البركة كما اجتمعت فيها الشمس التي لا يعرف عندها ضارت علما منتظما هكذا بها انتظمت أعضاء الانسان والخللا التي لا يعرف عندها وعن مشتركة في نظام الجسم الانساني وحياته فكما أن الانسان حيوان صغير هكذا العالم كله حيوان كبير وهذا كله يشيره قول المصلي في سجوده ﴿ سجد وجهي للخالق ﴾ وهذا العالم الصغير يجده حتى يرجع إلى ربه فيصير روحا طاهرة وهذا سر قوله تعالى - واسجدوا أقرب -

هذا معنى كون الاسلام دين الفطرة ومعنى قوله تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - عليه انتهى مباحث الفلاسفة وهناك وقف نظرم وصار جميع الباحثين يأخذ كل منهم من سلسلة المباحث ما يوافق عقله بقدر طاقته وسيأتي إيضاح هذا المقام في (سورة النحل) في آخرها إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس (٧) فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقروا نيرا -

القول - أو أراد شكورا - ﴾

تبارك يا الله زعمت أبدعت نجوما وشموسا وتلايلات في سماءك وانشرت في أقطارها جبال منيرات مشرقا . أبدعتها بالحكمة وزينتها بالجبال وقلت لها املي أقطار السموات وأفيض نورا على الخالوقات لتبج بك القلوب وتعتقك العقول وتعرض بك النفوس . أيتها النجوم وأيتها الشمس أنتن بهجة عبادي مقسمات الزمن مصليات الضياء منميات الزرع مكثرات الضرع أتلحن بأمرى مجريات الرياح الحاملات السحاب بضوئكن وسوارتكن نما البات واتعش الحيوان وبكن غنت القمارى على أعوادها والقواخت في دوحاتها وراحت الحشرات المغنيات وعدت تجمع العسل وتلقح النبات كل صبايح وكل مساء . وبظام سيركن انتظم لعبادي علم الحساب بأنواعه فعرفوا الستين والشهور والنهور وبهجتكن انطلقت ألسة الشعراء تفتنوا في وصفكن بأماين القول وبدائع الحكم وروائع الفنون . فتيكن يقول الشاعر

كأن سهيلا في مطالع أفقه • مفارق لالم لم يجد بعده لقا  
كأن بنى نض وفتنا مطاعل • بوجرة قد أضلن في مهمم خسفا  
كأن سهاما عاشق بين عود • قاتونة يسحو وآونة يخفي  
كأن قد ادى النسر والنسر واقع • قصصن فلم تسم الخواقي له ضعا

سقتها الفراخ الضيغمية جهدها • فما أغفلت من بطها قيدا صبح  
بها ركر الرمح السهاك وقطعت • عرى العريغ في مكي الأثر يا أدمع  
ويستبطأ الرمح وهو كأنه • إلى الفور نار القابس المتسرّع  
وتبسم الأشرار لجرا كأنها • ثلاث حملات سدنك بموضع

وتعرض ذات العرش بأسفة لها • الخياض في قنورها يد أقطع  
(من سقط الزند للمعري)

وكم تقول فيك عبادي الشعراء ، فأنت نبراس الخيال لشعراء عبادي كما أنك نبراس العقول والحكم  
المستودعات في قوى الحكماء والفلاسفة الفكرية إذ يحسبون سيرك ويقلون بعض سرك وهم بك فرحون  
إذن أنت مسرح القوتين الخيالية والفكرية ومناط الطليق عالم شعر الشعراء وعالم حكمة الحكماء • وقد جعلت لك  
زينة للناظرين وأخفيت بمرآة الصامدين والواردين • ومنحتك الجلال بهجة للعالمين • زينتك أعلى زينة  
وأبهج حلية وأعل منار ولم يقتصر الثقلان في محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدى ذلك إلى  
غيرهم من سائر النطق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التي أفوها ودواجنهم التي ربوها ليقرّبوك من تناولهم  
حتى كأنك بين ظهرانيهم مأوفة لهم

(١) فهم أولاد عبادي الآريون سكان الهند وروما عجميك بصور حيوانات يعرفونها وذلك في كرتهم  
المصورة قبل المسيح بسبعة قرون لجعلوك بجنة ووزتين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجي ضمن الجنة  
واسرة مغطاة بوشاح

(٢) وهام أولاد عبادي العرب سموا بملك باسم بنات نفس الصغرى والفرقد بن والجدى وبنات نفس  
الكبرى والقائد والعناق والجون والنسأ والملبة والحوض والظباء الخ

(٣) وهام أولاد الصينيين قد سموا أكثر من ثلثائة اسم ذكروا فيها أسماء كثير من عظمهم  
(٤) ولقد تمدى العرب عبادي في الخيال وأخسّوا يقولون أنك الرامي وكتب الرامي والشارة والأعلام  
والضباع والكف الخضب وسماء الله والجاء والعز والجسديان وعسك الاعة والحية والبلو والجل والثور  
والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والمقرب والقوس والجسدي والبلو والحوت • وسما هذه  
التي عشرين رويجا

(٥) وهام أولاد عبادي أهل (سكندنافيا) قد سموك بالكلب وبالركبة وبالمنزل

(٦) وكذلك عبادي في الأقطار الشمالية (الاسكيمو) سموك (صائد القط) والقط حيوان بحري عندهم  
فهام أولاد عبادي اتفقوا في مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيها النجوم بما لديهم من الصور  
المأوفة الحية وغير الحية ليستنزلوك من سمائك إلى العاني القرية من تناولهم استئناسا بك وفرحا بمرآة وأنسا  
بمشاهدتك • أيها النجوم وبأيها الشمس أنتن - جال وأي - جمال • أنتن - أنس وأي - أنس • أنتن مشيرات  
العشق والفرام • أنتن للمعشاة لمحبة العلوم • أنتن المضمرات تلر للشوق للقاء ومشيرات نيران الحب لجالى  
أنتن عنوان جلالى وكللى • أنتن حلية عوالى • أنتن العرائس المسطفيات لأحبابى من عبادى وما العرائس  
للمزينات المحاولات في الأرض إلا نموذج زينتكن وجالكن حتى إذا فرحوا بأقل الجبالين طمعوا في أكلهما  
بها وأبهاهما حسنا ولألا

(٧) ولقد تعلم عبادي الذين يطربون اللس بالغمات دواوين الفناء والأحان من نظام مسيرك وهكذا  
الشعراء فهو أولاد وهؤلاء استمقوا الحساب ونظامه من حسابك فأصبحوا لا يفرقون بين حساب الأيات الشعرية  
والأوزان الفنية والحركات الفلكية (انظر هذا في سورة يوسف عند قوله تعالى - وقطنن أبدين - وفي  
مواضع أخرى من هذا التفسير مثل ما تقدم في سورة الرعد عند قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار -)

أيها النجوم • أيها الشمس • أيها الأقمار • أنت اللاتي هام بك القدماء والمحدثون من مخلوقاتى حتى  
دخلت في العبادات وصورت على صنابير بعض الأموات وأزلتك في القرآن فقلت - تبارك الذى جعل فى  
السماء رويجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - انتهى صباح يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

هذه المقالة جاشت في صدرى في هذا التاريخ . ولقد تقدم في هذا التفسير أن قلماء المصريين أغرموا بحمال الكواكب وهاموا بها هياما شديدا وأولعوا بها وأحبروا الله حباجا وجعلوها رمزا لكمالها وصلة بينهم وبينه ونحن معاشر المسلمين أمرنا بالنظر فيها لتنعونا الشوق الى مبدعها الحكيم وخالقها العظيم ولكن قلماءوا المصريين جعلوها مصودهم وهذا للعبود يوصلهم لربهم لأن الرب أجل من أن يذكر على اللسان بل الذى يذكر انما هم مخلوقاته ولذلك تنوعت الآلهة وكثرت الأصنام احتراماً لمقام الالهية . أما الاسلام فقد قوض هذه الأركان وهدم الأوتان وقال أيها الناس اعبدوا ربكم فليس تعظميه بالاشراك ولا تقديسه واحترامه بعبادة الأوتان بل هو المعبود قولوا فعلا والمذكور سراً وهنا . ولقد ترى في تفسير (سورة يونس) صورة منطقة البروج وحولها الكواكب المبروزة عند قلماء المصريين قد كشفوها مرسومة على صندوق أحد العظماء فالكواكب معظمت عندهم في حياتهم وبعدموتهم . ومن ذلك ما ذكرته لك هناك من أن الهرم الذى تراه مرسوماً هناك مشروحاً مذكوراً سببه قد بنى بمخاض كوكب الشعرى المعبود العظيم عند القوم وقد كانوا يجعلون صورة الهرم مع الميت تيمناً بكوكب الشعرى الذى بنى الهرم بمخاضه . وإذا مات الميت وجهوا وجهه الى جهة الهرم للمروق بنظر ذلك الكوكب . هذا ما عثر الباحثون والكاشفون عليه في خبايا الأرض وأحافيرها وطواميرها ونواويسها بالبلاد المصرية في داخل الأجداث . ولقد عثروا على غرام الأحياء بالكواكب في البلاد المصرية فوجدوا بها متمكناً في القلوب بحيث امتزج بالهم وبالصعل وبالدين (انظروا مقامي في سورة يونس) فانك ترى في أولها هناك حساب الهرم وانه بنى على سيرا الشمس وعلى مقتضى دائرتها السنوية وأن محيط الهرم منسوب لمحيط مدار الأرض حول الشمس وارتفاع الهرم منسوب لبعد الأرض عن الشمس حتى اذا هدم الهرم أمكن أن تعرف مقاييساً من قس مدار الشمس . وترى هناك مقاييس مصر كالذراع البلدى ومكاييلها كالأردب وموازينها كلرطل كلها مستخرجت من مساحة الهرم المبتلى على مدار الشمس وعلى بعدها عن الأرض فارجع اليه إن شئت تجد العجب العجيب . وهنا أرى يدك تيانا جيلاً بما قرأته في كتاب مترجم حديثاً ترجمه أحد القائمين بالمتحف المصرى فآثرت قل ما يناسب المقام منه لتعجب من جلال الله الذى أشرق على الكواكب الرافعات في جزاء السماء فأرقت أهل الأرض وهاموا بالجلال والبهاء وجعلوه عبادة لله وإن كان هذا لا يوافق ديننا لأنه أشرف الأديان ولأن الله يقول لتبينا - لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا تنازعك في الأمر وادع الى ربك انك لعل هدى مستقيم - فهناك ما نقلته من ذلك الكتاب تحت عنوان ﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾ ترويحاً للنفوس وتنويعاً للدروس وتشويقاً للعلوم والحكمة وفهماً لقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - وقوله تعالى - وزيناها للنظرين - وهما هذا

### ﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾

﴿ عند قلماء المصريين ﴾

قال مونسترليه « كان قلماء المصريين يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيّلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أى كادور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية » وقال لوسيان « كانت حركات الرقص عند قلماء المصريين تشبه في السرعة اتحدار الماء وتعاوج لهب النار في الهول وخيلاء الاسود وغضب الفهود وترغ الفصون فهو أبدع ما يكون »

قد دلت الآثار المصرية التى يرجع تاريخها الى (٥٠٠) سنة على أن المصريين هم أقدم الشعوب مدنية وأوسعهم حضارة وقد توسعوا في المدنية وفنونها حتى أقتنوا فن الرقص وأحكموا قواعده . وما هو جدير

بالذكرانهم لم يتخذوا الرقص للخلعة وللإله كما نراه الآن بل كان عند خدمة للشعائر الدينية ونموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلاً للأفانم للموسيقى . وكانوا يقصدون من الرقص جلة فوائد دينية ودينية . أما الدينية فهو ما كانوا يقرّبون به حول الهياكل والمعابد فقد قال كسئيل بلاذ ( إن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أدلهم إلى إنشاء الأناشيد المقتسة وأحداث الرقص اظهاراً لسرورهم وأفراحهم وقياماً بشكر النعم وتمثيلاً للصمودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهري من دياناتهم ولم يكن ذلك قاصراً على المؤمنين منهم بل الطبيعيون أنفسهم وهم الذين يعتقدون أن الألوهية منحصرة في نظام الطبيعة . كانوا يرون أن مجموعة الأناشيد وأنواع الرقص عملة لأعياد الكالات في ذلك النظام وكيفية باحترام الطبيعة ومجدها ) ومن العجيب أن قدماء المصريين بلغ احترامهم الرقص عندهم لدرجة أن اعتقدوا أنه من ضمن التعاليم المنزلة فقد قال ديودور الصقلي المؤرخ اليوناني المولود في القرن الأول ق.م ان أسوريس (وهو العبود العظيم) كان يحتم توت (هرمس) ويحمله نظيره ماسرعه وبه في الهيئة الاجتماعية من علوم الفلك والموسيقى والرقص والألعاب الرياضية وغيرها من الفنون التي بلغت عندهم درجة الكمال وسبقوا بها الأمم في مدارج الرفعة وسعادة الحياة . قال مونسترية في كتابه الذي وضعه سنة ١٦٨٣ وسماه ( الرقص القديم والحديث ) مانصه

« إن الرقص عند قدماء المصريين كان يمثل الحركات السالوية على نموذج الألمان الموسيقية وكانوا يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخللون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أي كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسوية » ولم نعتز في التنبؤ المصرية القديمة على تفصيلات هذا الرقص الديني القديم حول الهياكل وغاية ما قاله لوسيان المولود في القرن الثاني للسيح في بلدة ساموزات التابعة لسوريا القديمة « ان مجموعة الكواكب ودائرة النجوم والسيارات هي محور لهذا الرقص الفلكي » والرسوم المنقوشة في المعابد والهياكل لم تدل على أي بيان لهذا الرقص الفلكي وقد كان له قوانين محترمة كغيره من الفنون . أما ( أفلاطون ) فقد وصفه وصفاً مبهماً حيث قل عن قدماء المصريين انه كان من واجب الشبيبة المصرية أن لا تحترن إلا على الرسوم والألحان البالغة حد الكمال لذلك كانوا يختارون نماذج مخصوصة لرقص ويمحذونها ويضعونها في الهياكل والمعابد وكان محذورا على النقاشين والرسامين الذين يحضرون هذه المشاهد أن ينقلوا شيئاً عنها أو يمتثلوها في الخارج حذراً بأن يقتضي نصوص قوانين البلاد وقد قنّسوا كل أنواع الرقص والأغاني

قال ( مينار ) في كتابه الذي سماه ( تاريخ الشعوب الشرقية ) إن المصريين القدماء كانوا أكثر الأمم تدبناً وكانت أكبر اجتماعاتهم الدينية محافل طرب ليلاد ولهم وعدته أو مجامع حزن وبكاء لموته وكانت هذه الاحتفالات تشتمل على أنواع من الأناشيد المقتسة وأشكال من الرقص الديني

وقال أيضاً لوسيان أن الرقص والفناء كانا مقتسين عند قدماء المصريين ومن لوازم الاحتفالات الدينية وذكر ( هيرودوت ) أن المصريين هم أول الشعوب الذين وضعوا الاحتفالات الدينية ومنهم أخذ اليونان جميع عاداتهم وتقاليدهم . وكان عند المصريين أعياد كثيرة في كل سنة لأنهم كانوا يجعلون لكل معبود عيداً خاصاً به . وكانوا عند ما يذهبون إلى مدينة ( بوسط ) للاحتفال بعيد العبودة (ديان) يركبون السفن في النيل والنساء يلعبن فيها بالساجات والرجال يضربون بالناي مدة السفر ويقفون ويسبقون وكما رست السفينة على شاطئ يجتهدون حفلة راقصة . وقد وصف ( إيليه ) الروائي الروماني المولود في القرن الثاني ليلاد حفلة عيد من أعياد العبودة ( ايسيس ) فقال « كان النساء في ذلك اليوم يلبسن الثياب البيضاء ويضعن على رؤسهن أكاليل الزهور تلوح على وجوههن علامات البهجة والسرور ويفرن الطرق التي يمر منها الحفل المقدس بأنواع الورد والراحيين وينشدن نغمات لذيذة ويضربن بالناي ويلبسن كوكبة من أعظم المصريين لابسين الملابس

البيضاء القديمة ويتنحون بالأشيد المقتمة ثم يأتي بهم جماعات من الرجال والنساء من كل الطبقات المتأهلة للأسرار الإلهية لا يسمي حلالا باهرة من الكتان الأبيض وكان النساء يضعن على رؤسهن المعطرة المنسوجة الشفافة وكانت رؤس الرجال محاطة ويضربون على الأعواد التي يتخلونها من النحاس والفضة والتعجب بتوقيعات مطربة منمحة . وكانت الأئمة كلها تشترك في عيد الجبل (أييس) لإحياء مراسمه وتخطيها واجتلالها . ومن عجيب ما اتفق أن (كدين) ملك الجبل رجع منهزما من حربه مع إحدى الممالك فدخل مصر في عودته فصادف دخوله يوم احتفال المصريين بعيد ظهور الجبل (أييس) وهم لا يسون انظر الحفل وتأمون بمظاهر الأفراح لهذا العيد وكان كبير قد دخل مصر قبل هذه المرة فلم يرم من المصريين مثل هذا الاحتفال فظن أنهم يشمتون فيه وأن هذه الولائم والمخاض أقاموها فرجاضلانه وتشتيا في انهزامه في الحرب فاستعصر رؤساء مدينة (منفيس) وسأله لماذا يقيم المصريون الآن معالم الأفراح والزينات عند ما قدلت جنودى في ساحة القتال ورجعت بأقشيل ولم أر ذلك منهم يوم دخلت (منفيس) أول مرة منتصرا فأجابوه ان هذا اليوم صادف ظهور الجبل (أييس) معبودهم فأقاموا له الأفراح ومظاهر الأعياد فلم يستفهم وأصر على اعتقاده أن ذلك شامة به وأعلن غضبه على المصريين وأذاقهم أنواع السكال والعذاب

قال (دى كاهوزاك) في كتابه الذى وضعه سنة ١٧٥٤ وسماه «الرقص القديم والحديث» ما نصه «إن الرقص عند قسما المصريين كان أمرا جوهريا في الدين وقد تشنوا فيه حتى اخترعوا رقصا خاصا لعيد مصودهم الجبل (أييس) وذلك أنهم كانوا اذا مات الجبل أخذوا يحشون عن عمل غيره مستوف للشروط والتعليقات الخاصة له حتى اذا وجدوه فرح به الكهنة وخصصوا لخدمته جهورا من السيدات مدة أربعين يوما ثم يضعونه في قارب وينصبون به الى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجاهة عظيمة من طبقات الشعب ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلفات الأنغام وبدائع الألحان ثم يحتفلون بالاحتفال بأنواع الرقص للمدمنة . وكان اذا مات (الجبل) أييس هذا ألقاه الكهنة في النيل ثم أخرجوه منه وحفظوه ودفنوه بكل الاجلال والاكرام ورقصوا الرقص الجنائزى على شواطئ النيل وفي المقابر والطرق وعم الأسف والحزن الشعب أجسه ومتى ظهر لهم عمل آتوتبتلت الأتراج أفراحا واقلبت المسامح مواسم وأقاموا الأعياد والولائم وأنواع الرقص مدة سبعة أيام . ثم توسعوا في حفلات الرقص حتى اتخذوها شعرا لجنائزهم فقدمت في آثارهم على رسم راقصات لا يأتيا صفراء ومنهن ثلاث واقفات يضربن الطبول وثلاث أخريات الميث . ويوجد في مقابر (طيه) منظر جليل يمثل حفلة مأتم الأمير (حورعجب) وفيها امرأتان تقفان لبيت أوتى مدينة عمارة زهوا وعظرا وثلاث نسوة آخر رقصن ويضربن آلات موسيقية

ويوجد أيضا رسم لرميو يمثل النساء راقصات ضاربات على الطبول حدادا على الميت بينما الرجال بأيديهم عصي من الخيزران يضربونها في الهواء جهة الميتين واليسار ليطردوا الأرواح النجسة في زعمهم . واشتهر الرقص عندهم أيضا في الحروب وقته الأثيوبيون وقد وصفه (بوسيان) فقال «كان الأثيوبيون اذا أرادوا الحرب يرقصون أولا في ميدان القتال ولا يصقون رماحهم الى الأعداء قبل أن يرقصوا ويظهروا حركات حامية يهتدون بها الأعداء . ثم ازدادوا توسعا في الموضوع فاخترعوا الرقص الحديث الذى عرف بالرقص العاتل الذى أخذه عنهم جميع الشعوب القديمة والحديثة » وقال ديدور الصقل «لنه لما ذهب أسوريس الى اثيوبيا كان يصحبه تسع بنات يعرفن كل الفنون وأنواع الفناء والرقص وهن اللاتي نشرن هناك هذه الفنون الجيلة

«صفة الرقص»

قال (بارون) في كتاب الرقص «إن الآثار المصرية القديمة تمثل أنواع الرقص العاتل . ولاحظ أخيرا روسيليني سنة ١٨٣٤ أن حركات الراقصات المصريات في الزمن القديم أكثر شبها بحركات الرقص في عصره

وكان الرقص عندهم على **(نوعين • النوع الأول)** يكون بحركات القدمين والزراعيين **(والنوع الثاني)** بحركات كل أعضائه الجسم • قال لوسيان **(إن الرقص عند قدماء المصريين كانت حركاته تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج طيب النور في الهواء وخياله الاسود وغضب الفهود (١) وترنح النصور فهو أبعد ما يكون)** ويوجد بالمتحف المصري تحت نقرة ٣٣٣٣ بالور الأسفل حجرا كتشف في أحد قبور الأسرة الخامسة يمثل حفلة راقصة وفي أسفلها ترى امرأتين تصفحان وأمامهما الرقصات يتأملن على إيقاع التصفيق وفي أعلاه ترى رجلا يضرب آلة شبيهة بالعود وآخرين ينفخون في البراق المثقب (الثاني) ويحانهم المغنون المطربون وقد وضع أحدهم يده على وجهه ليتمكن من ضبط صوته ورفع آخرون أيديهم ليحسبوا الإيقاع ويرشدوا الموقفين كما هي العادة المتبعة اليوم • وكانت الموسيقى تتبع دائما الرقص وأهم آلات العرب عندهم الطبله والقنارة والربابة والعود والصنج والثاى والأجوسة وغيرها ومحفوظ منها نموذج يفرقة من الور الأسفل بالمتحف المصري وكانت أبواب الرقصات تميل الى أقدمهون مع اتساع الأبدان وهي من الشفاف الذي ظهر منه هيئة الأعضاء وحركاتها • قال (لافاج) في كتابه الذي وضعه سنة ١٨٤٤ وسماه **(الرقص القديم والحديث)** • إن الرقص عند قدماء المصريين كان على **(نوعين • النوع الأول)** مجرد حركات بسيطة **(والنوع الثاني)** تمرين رياضية يتأمل الجسم فيها الى كل جانب يتناحلو القسمان بسرعة بعض خطوات قليلة مع مد اليدين ونحر يكما يمتد ويسرة ومن هذا أخذ المتأخرون الرقص الحديث وقتنوا فيه في كل زمان ومكان قد رأينا في قبر (تي) رسما يمثل امرأة ترقص على الطراز الحديث ونلاحظها الأيمن معتد على أطراف قدميها وذراعاها فوق رأسها وكانت خلات الرقص تحمل عدة ختاما للولائم والأفراح والرسوم الموجودة في المتحف المصري ومقابر (سقارة) و (بني حسن) و (طيه) تبين على أن الرقص قديم جدا وأنه باق على حاله لم يتغيرت شئ منذ (٥٠٠) سنة وأنه كان معتبرا عندهم علما وفنا له قواعد أساسية لا تتغير ولا تزال معاملة محفظة الى اليوم عند جميع الشعوب الشرقية والغربية انتهى

وانما قلت لك هذا أيها الذي تنتظر في أمر هذه النجوم وكيف هام بجماها النوع الانساني كله وكيف هام الناس برهبهم وتشوقوا اليه بما رأوا في مصنوعاته من الجبال • ولا تظن أن أم الاسلام غفلت عن هذه المباحث الدقيقة فانظر كتاب السماع في الإحياء للغزالي وكيف ألجج السماع اذا لم يثر الشهوة البهيمية بشروط خمسة فاقرأها هناك وانظر في كتاب الاشارات لابن سينا فقد قال ان العبادة مع الفكر موصلة لله وقال أيضا إن الصوت اللطيف بشروط خاصة • وصل الى الله عز وجل • وأنا لست الآن في مقام الأخذ بقول من هذه الأقوال ولكني أريد بذلك أن الأمم كلها اسلامية وغير اسلامية نظرت في الجبال للنظور والجبال المسموع فالنظور من الجبال والمسموع من التضامات كلاهما بهياج النفوس الى معالي الامور • وتجد الامام الغزالي في الاحياء فصل المغاني عند القوم وبين ما يوصل الى الحكمة وما يكون قاطعا للنفوس عن الوصول • فانظر كيف شغف قدماء المصريين بالكواكب في الموازين ونحوها وفي ملههم وفرحهم وما تتمم • وهكذا الأمم جميعها قديما وحديثا تلعب (الزرد) وما اتد لامثال للنظام السجوى فالطيران اللذان يريهما اللاعبون كل واحد منهما له ستة أوجه عند الجهات الست وفي كل وجهين متقابلين (٧) قط فان كان في أحدهما (١) كان مقابله (٢) وان كان (٢) كان مقابله (٥) وان كان (٣) كان مقابله (٤) وهكذا فهذان الطيران يمثلان عالم الأفلاك المأثر في مداره والنقط السبع تمثل الكواكب السبعة المعروفة عندهم التي تأتي بالسعد والنحس في عرفهم وما يصيب اللاعب من خير وشر كالذي يصيب الحى من خير وشر بسبب استعمال ما تأتي به هذه الكواكب من سعد ونحس فالحي واللاعب كلاهما يأتيه ما كان مجهولا عنده وذلك بطريق المصادفة والمدار على حسن

(١) العهد من السباع وهو صيق الحلق شديد الغضب ذو وئيات غريبة

استثمار مجاهد له وبشدها تميز الأشياء . فهذه دلائل على أن هذا الانسان كان مغرماً بالكواكب فرحاً بها متعباً للعالم العلوى . ومن حجب اتى رأيت اليوم رأياً للعالم المخترع الكبير الأمريكى المسى (ايسون) فى أصل الحياة يقول انها أتت لنا من عوالم أخرى مجهولة لنا فخرج بهذا الى ما كان عليه القدماء إذ كانوا مغرمين بالكواكب والعوالم العلوية وأن منها السعد ومنها النقص ولكن ايسون لا يعين ذلك العالم الذى أتت منه الحياة وإنما يقول هو عالم غير العالم الأرضى مستديلاً بأن الأرض كانت كرة غازية فلما ظهرت فيها الحويصلات الجوىوية فى البذر والبيض والحويوان والانسان احتلتها تلك الحياة ونظمت شؤونها وهى وان كانت طارئة على الأرض تميز بين بيضة النجاجة واستعدادها وبيضة المرأة وتعطى كلا منهما حياة تناسبه وزاد على ذلك أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الانسان تحتوى على ملايين القرات التى أعطيت قوة التحمل والتفكير والتدبر والعمل وهى طواقم كلواكب الناس فكل له عمل وهذا هو السبب فى اننا نرى الجرح اذا سال دمه يلتئم وهذا الالتئام ناشئ بأعمال متقنة مبنية على علم بل يقول انها تعقل أكثر من الانسان ؛ ويقول أيضاً هو لمحدثه كجاء فى جرائده المصرية يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ انه لما أغلق أحد العمال عليه باب السيارة انطبق على أصبعه فطار منها الظفر فها هوذا أخذ ينمى ومن أين هذا الانمى ؟ إنما تمسحه تلك الخلايا التى تمد باللايين فى أصبى وهى تعقل ما تفعل ومنها اللدبرات أحمر والعاملات والصافعات . أقول وكأنه نطق بقوله تعالى - ان كل نفس لما عليها حافظ - وقوله - فللدبرات أمرا - وقوله تعالى - بأيدي سفره - كرام بررة - وقوله تعالى - وما لنا إلا له مقام معلوم - وقوله تعالى - وان عليكم لحافظين - كراما كاتين - يصلون ما تفعلون - وهكذا من آيات أخرى . ويقول (ايسون) المخترع المشهور المذكور أيضاً ( ان هذه الخلايا للتحدة ما هى إلا عمالكة متحدة منظمة فادام العمل بينها قائماً على السداد بقيت وإذا حصل اضطراب غادرتها تلك الحياة التى جاءت بها من عوالم أخرى وكأنه نطق بقوله تعالى - وفى السماء رزقكم وما توعدون - وما قاله لمحدثه أيضاً ان أباه أخذ منه هودا وسافر الى أوروبا وشاهد ما أراد من البلاد ورجع مسروراً وكانت سنة فوق الثمانين ولما بلغت سنة فوق (٩٣) سنة قال يابنى اتى اريد أن أموت فقال له ولماذا قال لأن كل ما كنت أريد الاطلاع عليه وعمله فى هذه الأرض قدتم فلامضى لبقائى وأنا متوجه الى أهلك لأموت فعندها حاولت منه فلم أقدر فتوجه لها وهو صحيح الجسم قوى متين ومات بعد ثلاثة أيام . قال وإنما مات لأنه أحسن بأن تلك الخلايا فى الجسم رأت انه لاملامة بينها فسمت البقاء على الاجتماع فأنشرت به بالحرف ولاصوت ففارق الحياة . أقول وما قرأته فى كتاب (الأسفار) للشيرازى أن سبب الموت الطيبى أن الروح لا تزال تزداد حرارة والجسم يزداد برودة بتقدم السن حتى لا يقدر الجسم على حفظ الروح لشدة حرارة حبا للعالم العلوى فتنتطلق منه وهذا رأى أيضاً خاص بصاحبه كما ان رأى (ايسون) المذكور (مخترع الفنون جرافوغره) خاص به - وفوق كل ذى علم علم -

وانت خير اربا الذى ان لم يقل هذا على انه يقين عنده بل يقوله من باب الفرض لا غير ونحن نعمته كذلك . ومن حجب ان يكون هذا الفرض هو الذى القاه بطريق اليقين عنده وفى نظره الشيخ النباه الذى قلت عنه كثيراً فى (سورة الكهف) وغيرها إذ يقول هو ويقول الشيخ الخواص ( ان المجدات جميعها تعقل ) وهذا الفرض الذى فرضه (ايسون) والقول الذى قاله الشيخ الخواص والنباه ذكرته هنا ترويحاً لاتصلياً ودعا الى ذكرها مسألة الكواكب وأن القدماء فرحوا بها وعشقوا ربهم بالتفكير فيها وخطوها بمجدهم وهزلهم بل قالوا انها سبب سعدهم ونقصهم فقلنا ان بعض أهل عصرنا يرجع الحياة فى الأرض الى تلك العوالم هذا والقرآن لم يدع فرصة تمر إلا ذكر السموات والأرض وأمر بالتفكير فيها وهذا معناه أن المسلم عليه ان يكون أحرص على جلال هذه العوالم من الأمم السابقة لأننا خيرأمة أخرجت للناس وهل خير الأمم بجهلان

معاملة من هم أقل منهم من جلال الله وجلالة . أما أنا فأقول سيكون بعدنا ام اسلامية يكونون ارقى من الأمم السابقة واللاحقة وهذا التفسير بحمد الله من مقتضات تلك المهمة الجبيلة والجدقة رب العالمين . انتهى مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

### ﴿ بهجة السموات ﴾

#### ( كيف تعرف صور النجوم السماوية )

اعلم ان علم الملك قد خلا فيه الأتكون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دار العلوم) في اواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة مانقلها تكتبه من كتاب المرحوم استاذنا حسن حسني بك فلاذكركم فيه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذي عرف بعد ذلك أكثر مما يدرك أن العلم اليوم سريع الخطو حتى ان الأجرام السماوية التي عرفت للآن أبعدنا يسلم نوره لنا في مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جدا فهو فوق العقل البشري . وقد عدوا نجوم المجرة (٢٠) مليونا وهي الآن تعد بمئات للآلاف فهناك مافي الكتاب للذكور

#### ﴿ وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة ﴾

##### (٢٥) الاحصائيات . الكرات وانطوط السماوية

الفلكيون يعرفون الطرق التي بها تصين الأوضاع المضبوطة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشؤا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطالعها المستقيم وميلها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من قطعة ما مثل (ق) نعتبرها القطب الشمالي مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هي دائرة المعدل ثم ترسم جلة دوائر أخرى موازية لها وتكون هي الموازيات التي ترسمها النجوم تبعا للحركة اليومية ثم ترسم جلة دوائر عظيمة تدل على دوائر الليل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جلة قطع تعين كل واحدة منها بالمطلع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية المينة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خوط سماوية بطرق المساقط

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية - لأجل مساعدة الفلكية في دراسة النجوم قسموها من القدم الى مجموعات متميزة تسمى (الصور السماوية) وهي صور كائنات حية وغير حية تصورها رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مشابهة لمسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثور فان لها وضعا مثلثيا يشابه نوعا للجزء العظمي من رأس هذا الحيوان وكذا العقرب والاكايل والحية والتنين . ولييان بنجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (ا) و(ب) و(ج) و(د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث انه بالمرور من صورة الى أخرى تكون هذه الحروف مبنية لنجوم تختلف عن بعضها في الضوء

(٢٧) عدد الصور . قد عدت (بجليوس) ٤٨ صورة منها ٢١ في الشمال و١٥ في الجنوب و١٢ في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل في المنطقة التي يظهر أن الشمس تقطعها في سيرها السنوي ويشتمل مجموع هذه النجوم والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٩١) للصور الشمالية و(٣١٨) للصور الجنوبية و(٣٥٠) للصور المنطقية . والاثنان عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس في مدة سنة وأسماؤها هي (حل) ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ميزان . عقرب . قوس أوراني . جدى . دلو . حوت) وهي مجموعة في قول بعضهم

حل الثور جوزاء السرطان • ورعى الليث سنبل الميزان



ورى عقرب يقوس لجدى \* نزع البلو بركة الحيات

والاحدى والعشرون صورة الشهابية هي (الدب الأصفر) بنات نعش الصغرى . الدب الأكبر وبنات نعش الكبرى . التنين وألتيان . للثعب . العوا . الاسكيل الشهابى . هر كول أو الجاني على ركبته . القسر الواقع أو السلحفاة . السباجة . ذات الكرسي . برشاوش . ماسك العنان . الخواء . الحية . السهم . القسر الطائر . الفلقين . الفرس الأعظم ، الفرس الأصفر . المرأة للسلسلة . الثلث الشهابى أو الفلثا) واثنتى عشرة صورة الجنوية هي (قيطس . الجبار . نهر الأردن . الأرنب . السكب الأصغر . السكب الأكبر . السفينة . الشجاع . الكاس أو الباطية . الغراب . المحراب أو الجمرة . سنطورس . الذئب . الاسكيل الجنوبى . الحوت الجنوبى)

(٢٨) والنجوم التى تتكوّن منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار فأصاها تسمى من القدر الأول ثم مايلها فى الضوء يسمى من القدر الثانى وهكذا والقدر السادس يشتمل على النجوم التى هى آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب اعتبارى لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلا يمكن أن تكون هى أول نجوم القدر الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين فى هذا الاعتبار ، ولكن المتأخرين حافظوا على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشهابى على ٩ نجوم من القدر الأول و٣٤ من القدر الثانى و٩٦ من الثالث و٢١٤ من الرابع و٥٥٠ من الخامس و١٤٣٩ من السادس . والمجموع هو ٢٣٤٢ نجمة وأما نصف الكرة الجنوبى فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأول و٦٨ من الثانى و١٩٢ من الثالث و٤٢٨ من الرابع و١١٠٠ من الخامس و٢٨٧٨ من السادس . وأشهر الخمرط لا تسمى اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأول وهى مرتبة على حسب ضوئها

أسماء	أسماء	أسماء
(١٥) الطائر	(٨) الشعرى الشامية	(١) الشعرى الجمانية
(١٦) السكك الأعزل (نير السنبلة)	(٩) كتف الجبار	(٢) سهيل الجمن
(١٧) قم الحوت	(١٠) آخر الهر	(٣) (١) من سنطورس
(١٨) ب من السباجة	(١١) الدبران	(٤) السكك الرابع
(١٩) رأس التوأم المؤخر	(١٢) ب من ستورس	(٥) رجل الجبار
(٢٠) قلب الأسد	(١٣) (١) من السباجة	(٦) العيوق
	(١٤) قلب العقرب	(٧) الواقع

(٢٩) عدد النجوم المنظورة - يظهر أن عدد النجوم التى ترى بالعين عظيم جدا . ولقد حصر الموسيو (أرجيلاندر) ٣٢٥٦ نجمة ترى بالعين وتقتد على القبة السماوية بين القطب الشهابى و٥ من ٣٦ من الميل الجنوبى وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ١٠ السطح الكلى للكرة وبهذه النسبة يكون العشرين الآخر (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلى للنجوم التى ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة . وبعض الراصدين ذوى البصيرة الحادة أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى ان العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو يزيد من ذلك . وإذا استعملت النظارات يزيد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠٠٠٠٠٠) نجمة تقريبا فى جميع السماء من ابتداء القدر الأول لغاية القدر الخامس عشر (٣٠) وصف السماء - أسهل طريقة لمعرفة الصور السماوية هى مقارنة السماء بالخمرط السماوية المنشأة على

حسب القواعد ، وإذا لم توجد خطوط وأريد ذلك فبمساعدة بعض قط تعتمداً يمكن إيجاد المجموعات النجمية الأصلية وفي قمرنا (مصر) يجعل المبدأ صورة الدب الأكبر  
 الدب الأكبر (شكل ٤١) - إذا وجه الإنسان نظره جهة الشمال فإنه يرى صورة الدب الأكبر وتحتوى على سبع نجوم أصلية وجميعها من القدر الثاني ماعدا النجمة (د) فهي من القدر الثالث والنجوم (هـ) و (و) و (ز) تكون ذنب الدب الأكبر (انظر شكل ٤١)



(شكل ٤١ - الدب الأكبر)

(النجمة القطبية) - إذا مد الخط (ب) من جهة (ا) بعد يساوى (أر) فإنه يمر بالقرب من نجمة من القدر الثاني أو الثالث وهي النجمة القطبية التي تستعمل في إيجاد جميع الصور المهمة المنظورة في سماء مصر وهذه النجمة لا تبعد عن القطب إلا بقدر درجة ونصف وبواسطة النجمة القطبية يسهل معرفة الأربع قطب الأصلية فإنه بالنظر إليها يكون الشمال أمام الناظر والجنوب خلفه والشرق عن يمينه والغرب عن يساره ، والنجمة القطبية هي تلك نجمة من ذنب صورة مشابهة للدب الأكبر إلا أنها أصغر منها وموضوعة بمكسها وتسمى الدب الأصغر (ذات الكرسي) - إذا وصل بين قطبة (د) من الدب الأكبر والنجمة القطبية بمسحيم ومد من جهة النجمة القطبية بكمية تساويه توجد ذات الكرسي وهي تشتمل على جلة نجوم من القدر الثالث وهذه الصورة هي في مقابلة الدب الأكبر دائماً بالنسبة للنجمة القطبية

(الفرس الأعظم) - للمرأة المسلسلة - (شكل ٤٢) - إذا مد الخط الذى عين النجمة القطبية من جهتها فإنه يقابل صورة الفرس الأعظم وبإضافة النجمة (ا) من المرأة المسلسلة إليه يتكون مايسمى مربع الفرس الأعظم وزوايا هذا المربع تشغلها نجوم من القدر الأول فإذا وصل بين (ا) من الفرس الأعظم و (ا) من المرأة المسلسلة توجد النجمتان (ب) و (ج) من المرأة المسلسلة اللتان تأخذان في الاقتراب من النجمة القطبية (برشاوش) - إذا مد الخط (بج) من المرأة المسلسلة يمر بالنجمة (ا) من برشاوش ، ومربع الفرس الأعظم والخط (بج) من المرأة المسلسلة والنجمة (ا) من برشاوش تكون جلة شكلها يشابه الدب الأكبر إلا أنه ذو امتداد أعظم منه

(الغول) - النجمة (ا) من برشاوش توجد أيضاً على امتداد الخط (اج) من مستطيل الدب الأكبر وإذا مد هذا الاتجاه الأخير قليلاً من جهة (ا) يقابل (ب) من برشاوش وتسمى الغول وهي نجمة شهيرة جداً يتغير ضوءها تغيراً عظيماً ، والغول هي أضوأ نجمة من رأس الغول موضوعة في يد برشاوش (انظر شكل ٤٢ في الصفحة التالية)



( شكل ٤٢ )

(السنبلة) - (السنك الأزهر) - (شكل ٤٣) نحو الجهة المقابلة لنصف الكرة وتقريبا على امتداد قطر مستطيل القلب الأكبر توجد صورة السنبلة وتحتوى على نجمة من القدر الأول تسمى السنك الأزهر (انظر شكل ٤٣)



( شكل ٤٣ )

(الأسد) - (قلب الأسد) - إذا مد الخط (أ ب) من القلب الأكبر في الجهة المضادة للنجمة القطبية فإنه يمر بصورة الأسد، والنجمة (أ) من هذه الصورة هي من القدر الأول وتسمى قلب الأسد (الجوزاء) - رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر (شكل ٤٤) . القطر الثاني (ب د) من مستطيل القلب الأكبر ممتدا من جهة (ب) يقابل جلة نجوم شهيرة منها (أ) و (ب) ورأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر من صورة الجوزاء (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية)



### ( شكل ٤٤ )

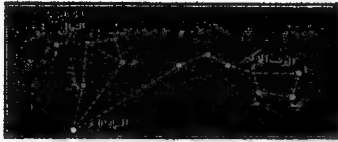
(الكلب الأصفر) - (الشعري الشامية) - النجمة (أ) وهي الشعري الشامية من الكلب الأصفر توجد على امتداد الخط الواصل بين النجمة القطبية ورأس التوام المقدم من جهة هذه الأخيرة وإذا مد الخط (د ب) من جهة الشعري الشامية فإنه يقابل النجمة (أ) أو الشعري الجمانية من الكلب الأعظم وهي أضواء نجوم السماء (ذوالعنان) - (الصوق) - (شكل ٤٤) إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة من جهة (أ) من برشاوش توجد نجمة من القدر الأول وهي (أ) من ذى العنان أو العروق (الثور) - (الدبران) - (شكل ٤٥) إذا مد الانحاء (د أ) من الب الأكبر من جهة ذى العنان فإنه يمر بصورة الثور ويمر بالقرب من الدبران أو عين الثور وهي نجمة من القدر الأول وفي صورة الثور توجد الثريا وأرجل التوامين (انظر شكل ٤٥)



### ( شكل ٤٥ )

(الجبار) - (الكلب الأعظم) - (الشعري الجمانية) إذا مد الخط الواصل بين النجمة القطبية والعروق من جهة العروق فإنه يقابل الجبار وهو أجل صورة في السماء (شكل ٤٤) ويحتوى على سبع نجوم أصلية أربع منها موضوعة على شكل شبه منحرف وفي مركزه توجد الثلاث الأخر التي هي أقل ضوء من الأربع وتوجد هذه النجوم الثلاث على خط مستقيم وتكون ما يسمى منطقة الجبار أو العسا ورأسان من رؤس شبه المنحرف هما نجمتان من القدر الأول (أ) أو كنف الجبار و(ب) أو رجل وإذا مد خط العسا يقابل الشعري الجمانية من الكلب الأعظم التي علمت بتخطيط آخر

(العواء) - (الساك الرابع) - (شكل ٤٦) - إذا مد ذنب الب الأكبر فإنه يمر بالقرب من نجمة من القدر الأول منسوبة إلى صورة العواء هي الساك الرابع وهي أضواء نجوم السماء بعد الشعري الجمانية (انظر



( شكل ٤٦ )

(النسر الواقع) - (الواقع) - الخط الواصل بين السماء الأعزل من السنبلة والسمك الرابع من العواء يمر بصورة النسر الواقع بالقرب من نجمة من القدر الأول هي (١) من النسر الواقع وتسمى الواقع (السباجة) - بجانب النسر الواقع توجد صورة السباجة المركبة من خمس نجوم مكوّنة صليبا والنجمة (١) من هذه الصورة من القدر الأول

(الاعتدال الربيعي) - على امتداد المستقيم المارّ بنقطة (د) من السب الأكبر و (١) من الدب الأصغر و (١) من المرأة المسلسلة توجد نقطة الاعتدال الربيعي على دائرة للمعدل . والبربان وقلب القرب وقلب الأسد وفم الحوت من الحوت الشمال تقسم السماء الى أربعة أجزاء متساوية وهذه النجوم الأربع الملقبة بالنجوم الملوكة كانت هي أربع حواس سماء الجسم بنحو (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد وكان الدبران في الاعتدال الربيعي هو حارس الشرق ، وقلب القرب في الاعتدال الخريفي وهو حارس الغرب ، وقلب الأسد قريب من القلب الصيني وفم الحوت على بعد صغير من القلب الشتوي ولكن هذه النقط تغيرت اليوم . انتهى

هذا هو الذي كنا قرأناه منذ نحو أربعين سنة وكان هذا نهاية العلم في ذلك العصر ، فلا ذكر لك هنا أيها الذكر غاية ما وصل اليه علم الفلك في زماننا هذا حتى اذا فارقنا هذه الدنيا كان يحمل ماعند الناس في زماننا من علم الفلك حاصلا أمام المسلمين كي يجدوا باعنا من نفوسهم وداعيا من عقولهم يدعوهم الى مشاركة الأمم في بحثها والمشاركة الى تحصيل علومها ثم لزيادة بما يؤتيهم الله من فضله لأن كتابنا يأمرنا بالبحث والنظر ولأن المحروم من هذه للباحث وأمثالها محروم من السعادة ومن الحكمة ومن النعم السرمدي الذي يحسن به لفكروهم العالمون في هذا العالم قبل انصرم أجالهم وفوات أعمارهم فهم مع الناس في أهوال هذه الحياة وقلوبهم في نفس تلك الحال في جنة عرضها السموات والأرض أعنت للفكرين في الدنيا والآخرة والناس حولهم يجهلون وهم بما في نفوسهم فرحون . وهذا وإن مدة الأربعين سنة التي مرت بين أيام تعلنا وبين تأليف هذا التفسير اليوم قد خطا فيها العلم بالفلك خطوات تعد بالآلاف السنين فكيف اذا صرنا أربعمائة سنة أخرى ؟ كيف يكون علم الفلك إذ ذاك ؟ وكيف يكون المسلمون وكيف نكون حالهم ؟ أيتوون عالة على الأمم ؟ أم يكون فيهم حكماء وعلماء بكل علم ومنها الفلك ونكون المرادف في نفس بلادهم . سيقرا هذا من بعدنا وسيقرؤه أناس بعد مرور أربعين سنة وسيقولون ليظرب المؤلف ليفرح في برزخه فهانحن أولاد قد علمنا أكثر مما علمت الأمم حولنا وهانحن أولاد شاركنا الأمم في علومها وضررنا في علومها بسهم وأخذنا قسطا من الحكمة والعلم ولم نعد مغرورين كأولئك الذين كانوا عن العلم معرضين وبالحكمة جاهلين

والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

وهاك ماجاء في ( مجلة المقتطف ) في شهر يوليو سنة ١٩٢٨

## ﴿ ما وراء المجرة ﴾

( العوالم الجزرية وعظمة الكون - أحدث المباحث الفلكية )

علم الفلك أو علم الطبيعة من أسس العلوم وأعلىها بالنفس ، وإذا أريد التدقيق فيه فهو من أعوص العلوم لأنه مبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وهو كذلك أول علم استقرى الإنسان شيئا من قواعده وأدق علم وصلت اليه معارف البشر وأسمى علم يتفرغ له كبار العلماء ، وفيما يلي نبذة من أحدث المباحث الفلكية في موضوع يقن كل لب وهوسه هذا الكون وعظمة مبدعه ، فقد أثبت علماء الفلك حديثا أن في الفضاء أكوانا عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسي سعة وعظمة حتى إذا صغرت أرضنا وصار حجمها حجم الجوهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى بالتلسكوب حجم الأرض ، وبلغ حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (اينشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها في الفضاء ، فما أصغر أرضنا إزاء هذا الكون العظيم ، وما أحقر أمورنا ومنازعاتنا إزاء القوى التي تديره وتحركه

أدرك القدماء أن في القبة الفلكية أجراما غير الشمس والقمر والنجوم لأن الذين راقبوا السماء منهم في ليال صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة للمسلسلة تلك الغيوم المنيرة التي تدعوها بالسم الآن . وقد أشار اليها أبو الحسن الصوفي أكبر علماء الفلك عند العرب فقال انه رأى سديم المرأة المسلسلة وسماه (الطخعة سحابة) وأشار اليه والى غيره بما يماثله بكلمة الطخعة أو السحابة ، على أن هذه الأجرام بقيت أسراراً مغلقة على الفهم البشري حتى كشف التلسكوب فأزاح اللثام عن حقيقتها ، فلما استنبط (غليليو) تلسكوبه الكاسر وجهه الى أعماق المجرة التي تظهر فيها السدم أو الطخ السحابية فثبت له انها في الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبعدها فتعذر رؤيتها نجما نجما . وفي آخر القرن السابع عشر استنبط (المراسحق نيون) التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقانه ، فلما اقتضت مائة وخمسون سنة على استنباطه صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد (رس) أحدها في البحث عن حقيقة السدم فوجد أن السديم الذي في كوكبة السلاقيين يظهر في رؤيته بتلسكوب قوى مجموعة من الكواكب منتظمة في شكل حلزوني ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والاقطاع لمرس أشكالها وبنائها من أكبر أعمال الفلكيين شأنا وأعلىها بألبابهم وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها ، وما كاد العلماء يكشفون هذا القمر منها حتى أخذوا يتكهنون في حقيقتها وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . هل هي مجاميع من النجوم تظهر لطحها سحابة لبعدها وانما اذا نظر اليها بتلسكوب قوى حلها الى أجزائها ؟ أم هي غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها . أم هي غاز ملتهب منتشر في الفضاء ؟

في الجواب عن هذه الأسئلة أثبت (السروليم هيجنس) ان من السدم ما هو مجموع نجوم ترى نجوما لبعدها التاسع ، ومنها ما هو في الحقيقة طخ سحابة من الغاز الملتهب لأن خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغم من الجوز درجة أخذ يبعث عندها بمقادير القوة التي يتميز بها عن غيره من الغازات . ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيره من السدم المنتشرة في الفضاء ، فاذا بلغت الغازات التي تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الحرارة أطلقت تلك الأشعة التي لا تشعها الجواهر إلا حين التحللا ، وقد أثبت علماء الحل الطيفي أن في هذه السدم عناصر الهيدروجين والهليوم وأحيانا النتروجين والكربون وأن فيها عناصر لم يجهز له مثيل في عناصر الأرض فأطلقوا عليه اسم (بوليوم) أى السديمي . وليست كل السدم على درجة من الحرارة تجعلها على إرسال أمعتها الى الفضاء فبعضها مضى بالنور المعكس عنه الصادر من الكواكب المجاورة له في الفضاء ، وبعضها بارد يتص نور الكواكب التي يصل اليه فتراه لطحاً مظلمة في مدار الكون . ومن هذا النوع سديم

مظلم في جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية (كيس الفحم) وقد وقف الاستاذ (برنار) الأميري حياته على درس هذا النوع من السدم فذكر (١٨٠) سديما منها تتباين من الملمح السفيرة الواضحة الحدود الى الفيوم السديية التي تشاهد قرب كوكبة الجوزاء ، فالأجرام السجوية التي تعرف بالسدم تقسم الى (قسمين) أولهما (غيوم من الغاز الملتب) (والثاني) السدم اللولبية وما إليها وهي في الغالب مجاميع من النجوم تظهر لمعنا بلعها . وكان الرأي أولا أن هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بشمسنا من كل الجهات ولكن لما أثبتت آلات الرصد والتصوير والحل الطيفي ثبت للعلماء انها لاتقتبس بنظامنا الشمسي لسعتها بل كل منها كون مستقل كالجرة التي تحيط بنا ، وثبت أيضا أن في الفضاء ألوانا من السدم اللولبية كل منها سعة سعة مجرتنا ، ولا يغفل أن تكون ضمنها فلك قبل ان كلا منها كون مستقل بنفسه خارج مجرتنا وأطلق عليها علماء الفلك من الأميريين اسم (الأكوان الجزرية) ولما كانت لظفة (كون) تطلق عادة على كل ما أبدعه مبدع السموات والأرض فاستعملها في الانكليزية والعربية بخروج بذهن القراء عن منطوقها الأصلي ولكن اصطلاح عليها علماء الافرنج لجاريها في ذلك ، فالسدم من هذه الجهة تقسم الى (قسمين) أيضا (الأول) السدم التي داخل مجرتنا (والثاني) السدم التي خارجها

لابحني أن مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشتمل على كل الكواكب التي ترى بالعين المجردة وألوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين أخرى لا ترى إلا بالألة الفوقترافية فانها لبعدها لاتترك أثرا في اللوح اغوتقرافي الحسلس إلا بعد ما يتعرض لتورها الضئيل القادم من أطراف الفضاء ساعات متوالية . والثابت من رصد الجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انها قرص عدي الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وسمكه (٢٠) ألف سنة نورية وأن نظامنا الشمسي في وسطها تقريبا وفي هذا القرص نحو ٣٠ ألف مليون نجمة مشتتة في فضاءه على أبعاد كبيرة ، ولما كانت هذه النجوم لا يبعد أحدها عن الآخر بعدا واحدا فان بعضها يرى مجتمعها كتلا كتلا في أنحاء مختلفة وهذه لبعدها تظهر كاللمح السحابة كما ترى في كوكبي الزمى وهرقل ، وفي الجرة أيضا سدم غازية بعضها منير وبعضها مظلم على ما مر

نفود الآن الى السدم التي خارج الجرة وهي تلك الفيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج الجرة كانشار الجزائر في بحر مرامي الأطراف ، وأشهر العلماء الذين عنوا بدراسة هذه السدم هو الاستاذ (هبل) من علماء مرصد (جبل ولسن) الأميري فقد أشار له في رسالة حديثة له ننشرها في (مجلة الاستروفزكس) (علم الفلك الطبيعي) الى نتيجة بحثه في أربعة مائة سديم منها فقال ان منها سديما غير منتظمة الشكل أى ليس لها شكل قياسي خاص وأشهرها ما يعرف بفيوم مجلان ترى من نصف الكرة الجنوبي ويحسبها رائتها جزءا من درب التبان ولكنها في الواقع بعيدة عنه بعدا شاسعا ولكن السدم التي لها شكل خاص أكثر من السدم غير المنتظمة الشكل وأكثرها اما اهليلجي الشكل أولويه ، ونور السدم الاهليلجية الذي حلل بالسبكتروسكوب ثبت انها تماثل مجرتنا الى حد بعيد مما لا يترك محالا لشك في انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتغير تصوير هذه النجوم واحدة واحدة لبعدها الشاسع ، والمحتمل أن نجومها في طور التكون من الغاز الحامي الى حد الإضاءة وأن الغاز الذي لا يدخل في تكوينها يشعها كبرق الحساء ، وبعض السدم في دور الانتقال من الشكل الاهليلجي الى الشكل اللولبي والبعض الآخر لولبي لا غش فيه تظهر فيه الأذرع المعكوفة التي تظهر عادة في السدم اللولبية كما ترى في الصفحة للقابلة في سديم السلاق . وقد قيست أبعاد هذه السدم فثبت أن السديم الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة بعد عنا نحو ٩٠ ألف سنة نورية وأن السديم اللولبي الذي في كوكبة الثلث يبعد البعد نفسه تقريبا ، ويظن أن ألوانا من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا أضعاف ذلك ، وقود وجد الاستاذان (هبل) و (شبل) أن في جهة كوكبي شهر برنيكي والسنبلة سديما لا يقل بعدها عن مائة مليون من سني النور

وقد استعمل السبكتروسكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر أن سديم المرأة المسلسلة سائر نحو جمرتنا بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية ، ولكن أكثر السدم اللولبية تتباعد عنا بسرعة (٦٠٠) كيلومترا في الساعة . والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتغير بسطها هنا لسعوا بها ولكن يؤخذ من تطبيقها أن جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا ألني مليون ضعف وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة مع أن أرضنا تدور على نفسها مرة كل ٢٤ ساعة . مهما أمعنا بصرنا وآلاتنا في الفضاء فالتا لا نؤمل أن نصل إلى نهايته لا في الزمان ولا في المكان وهذه الملايين التي تشع في الفضاء تدفئ العقول وتجبر القلب ، على أننا نشعر بطمأنينة حين ننظر إلى ما كشفه العلماء عنها فنقول مع بسكال ( أنا صغار ، بل من أصغر الكائنات وأضعفها ولكننا نعرف أننا صغار وفي ذلك سر عظيمنا ) انتهى يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

### ( تذكرة )

قد اطلع بعض العلماء على الصور السجارية الست المتقدمة وهي الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي وأما هنا فقال أنك قد كتبت هذه المقالة من كتاب أستاذك بدار العلوم منذ (٤٠) سنة . قلت نعم . فقال إذن أنت تكتب لنفسك وكأنك نسيت أنك تكتب في تفسير القرآن والتفسير لمجموع الأمة لا للعلماء . قلت كيف ذلك . فقال اني لم أفهم حرفا واحدا من هذه المقالة المتقولة وخبرك أن تسير على طريقك فتكتب بهيئة تلخيص ، فهذا وحده يفهم أكثر الناس ، أما هذا فلن يفهمه إلا قليل . قلت له انني قد لاحظت في هذا انه مسائل علمية والعلوم لا بد من المحافظة على أوضاعها ، ثم ان الأمر سهل جدا . فقال وكيف ذلك . قلت له ألم تطلع في (سورة النور) على رسم القارات مع حيواناتها . قال بلى . قلت فهل فهمته . قال نعم وهو جميل . قلت فهنا كذلك ، فهذه الصور الست التي رأيتها ما هي إلا أماكن من السماء فيها صور النجوم قد رسمت ليطلع عليها الناس ( وبعبارة أخرى ) يقف الانسان ليلا في الخلاء وفي الصحارى القفار والحقول فيرى نفس هذه الصور بعينها بل هي أسهل من القارات الأرضية المتقدمة في (سورة النور) لأن القارة لا يراها الانسان كلها مرة واحدة بعينه في الطبيعة بخلاف هذه الصور فإنك تراها جيلة واحدة . فقال زدني زدني . قلت أنا ولست في بلاد الشرقية من البلاد المصرية وعشت في أولسياني مع الفلاحين وكنت أسمعهم يقولون يا فلان انظر (وند النجم) أي النجمة القطبية . ان وند النجم لا يتحرك والنجوم كلها تتحرك حوله وكنت أسمعهم يقولون (بنات نعش) بذلك الدب الأكبر المرسوم في الصور الست المتقدمة يريدون بذلك أن النجوم المرموز لها بحرف (ا ب ج د) هي هيعة النعش والنجوم المرموز لها بحروف (ه و ز) هي هيعة بناته يكن وراء النعش ، فالجموعة السبعة بنات نعش هي نفسها الدب الأكبر فالنجوم الأربعة هي الدب والثلاث التي سميها بنات هي ذنبه ، فأتأمل الشكل وقل لي هل فهمت ؟ قال نعم فهمت ولكني لا أعرفه في نفس الطبيعة . قلت قف ليلا في العراء كما قلت لك في ليلة حالكة السواد وارفع بصرك إلى الجهة الشمالية وتأمل فإنك تجد الدب الأكبر المرسوم هنا أمامك في السماء مرتفعا فوق الأفق نحو ٣٠ درجة سجارية . فقال وما معنى هذا . قلت معناه انه يبعد عن الأفق ثلث المسافة التي بينه وبين كبد السماء ، ذلك لأن المسافة ما بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي يبلغونها (١٨٠) جزأكل جزء درجة ، ومن الأفق إلى كبد السماء في سمت الرأس (٩٠) درجة ، فاذن هذه الصورة في (٣٠) درجة أي ثلث المسافة بين الأفق وسمت الرأس . قال فهمت الآن ثم ماذا قلت فهذا الدب ذو النجوم السبعة لا يهيب أبدا فهو يدور كل أربع وعشرين ساعة دورة حول نجمة القطب التي تراها عندك في الدب الأصغر أي الذي هو يمسك الدب الأكبر في نفس الصورة المتقدمة . قال أنا الآن فهمت وسأنظرها الليلة في السماء ، ثم جاء في اليوم الثاني وقال لقد نظرت في السماء فوق عيني على



هذه الصورة ففهمتها حالا بدون نسب بل وجدت الفلاحين يقولون لي هذا وتد النجم وأشاروا اليه اذا هو  
نفس النجمة القطبية التي في اللب الأصفر ورأيت اللب الأكبر بدون حولها وهي لا تستمر كـ . فقلت هذا هو  
السبب الذي جعلني أرسم هذه النجوم هنا ، ذلك لعلني أن مبادئ هذه الصور معروفة عند الفلاحين وأهل  
القرى ، ومتى كان القطب معروفا سهلت معرفة بقية الصور لمن أراد . ألا ترى أن ذات الكرسي تبعد عن  
النجمة القطبية بمسافة تساوي المسافة التي بين النجمة القطبية وبين اللب الأكبر . قال بلي وري وأما شاهدتها  
في السماء كذلك فكأن اللب الأكبر على شمال نجمة القطب هكذا ذات الكرسي على يمينه في هذا الوضع  
والمسافة متساوية والناظر للسماء ليلا يعرف هذا بنظره بدون آلة ولا علم ثم قال أما الآن فقد فهمت هذه  
الثلاثة في نفسي وفي التفسير وفي نفس السماء . فقلت له إن بعض العلماء في عصرنا يقولون ان هذه النجمة  
القطبية تبعد عنا (٥٠) ألف سنة نورية وذلك أيام تعلمنا فلا تدري ان هذه المسافة عظمت وزادت بزيادة الكشف  
في عصرنا أم لا ؟ فالتفكر في هذه الصور نظري عظيمة الله عز وجل وهذا هو المقصود من هذا كله لأنه اذا كان  
القرآن لا يفهم سره إلا بعد فهم لفظه فهكذا هذه النجوم لانعرف عجائبها إلا بعد معرفة مواقعها وأسماؤها .  
فقال صدقت والله . فقلت له إذن أنت عرفت ثلاث صور من الصور السماوية في السماء . قال نعم عرفتها .  
فقلت الأمر في البقية سهل لأن هذه جعلت مبدأ منه يمكن معرفة الباقي ، ألا ترى أن الشكل الذي بعد الشكل  
الأول من الأشكال الست وهو (شكل ٤٢) قد عرفنا فيه القوس الأعظم وهو أربع نجوم كهيئة الأربع التي  
في اللب الأكبر ورأينا ثلاث متصلات بها تشبه الثلاث التي في اللب الأكبر ، إذن هذه السبع كالب اللب الأكبر  
وقد عرفناه بأمر سهل بسيط وهو أن الخط الذي امتد من اللب الأكبر إلى ذات الكرسي زدناه مدا فوصل إلى  
القوس الأعظم والذي معه هو المرأة للمسلسلة وبرشاوش ، فهنا تبين لنا صور اللب الأكبر والأصغر والنجمة  
القطبية وذات الكرسي والقوس الأعظم والمرأة للمسلسلة ونجمة القوس . فهذه صور عرفناها الآن واضحة في  
نفس السماء وفي (شكل ٤١ و ٤٢) أفلا يكفيك هذا الايضاح ؟ قال كفايتي ولكن لا يفهمه غيري إلا اذا نظر  
نفس السماء وصبر على الفهم . فقلت وهل الفهم إلا بالصبر ، وهل السماء ليس لها حراس ، إن الله متكبر  
ومتعال وهو الذي جعل السماء سقفا محفوظا ومن حفظ هذا السقف أن لا يبقعه إلا القوي تأهل له ، هذه سعادة  
وملك عظيم وهل الملك العظيم يعلى بجنان والله يقول - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون -  
فالأعراض عن الآيات السماوية يمنع فهمها والاقبال عليها مفتاح فهمها والله عز وجل رحم بخلقه ولكنه  
حكيم والحكيم لا يعطى إلا المستحق . فقال الحمد لله قد فهمت هذا المقال حتى فهمه . فقلت الحمد لله تقرب العالمين  
ثم جاء صاحب بصلها بأيام فقال لقد شغلني هذه الصور وقد قفقتها جيدا وأريد اليوم أن تبين كيف  
نعرف الجوزاء والأسد والسنبلة للشروحات في الرسم . أريد منك بيانا مختصرا بحيث أحفظه نهرا وأطبقه  
ليلا ومتى عرفت ذلك هان على معرفة البقية . فقلت احفظ هذه الحروف الأربعة د ج  
من مربع اللب الأكبر الذي أمامك قال حفظتها . قلت الأمر سهل فابتدئ بالقطر .  
(د ب) من جهة (ب) وسرقي خط مستقيم فانك تقابل الجوزاء . فقال نعم . قلت ا ب  
والجوزاء واضحة في الرسم أمامك فانظرها فيها بنجوم واضحة رسمت شكلا وهي (٦) منها رأس التوأم المقيم  
وسرقي السماء ببصرك فانك تقابل صورة الأسد وهي أمامك في الرسم وفيها كوكب قلب الأسد وترى فيها ما  
يشبه للثك وما يشبه خطا مستقيما أسفلها متحنيا أعلاه وبينهما خط وهمي . قال نعم قد فهمت ذلك . قلت فم  
يبقى إلا أن تتوهم امتداد القطر (ا ج) من جهة (ج) أي من الجهة المقابلة لنصف الكرة قريبا فانك  
تقابل السنبلة فانظرها هنا في الشكل ثم انظرها ليلا في السماء ففيها مستطيل من أعلاها بقرب الأسد وتحت

مثلث بجانبه شكل شبه منحرف يحيط به ست نجومات . فهذه الأشكال الثلاثة هي السنبلة . إذن الجوزاء  
والأسد والسنبلة التي هي ثلاث بروج من اثني عشر برجاً قد عرفناها بامتداد القطر (د ب) وبامتداد الخط  
(أ ب) وبامتداد القطر (أ ج) وهي كلها أمامك في هذا الشكل وبهذا عرفت إحدى عشرة صورة من الصور  
السبائية وهي البلب الأكبر واللب الأصغر والنجمة القطبية فيه وذات الكرسي والقرص الأعظم والمراة المسلسلة  
وبرشاوش والقول والجوزاء والأسد والسنبلة ومن الجوزاء نجمان أيضاً فنكون عرفنا (١٣) صورة . وإذا  
لاحظنا أن الحمل والثور المرسومين في الصور الأخرى هما يقتسمان الجوزاء ظهر لنا أننا عرفنا مواضع الحمل  
والثور والجوزاء والأسد والسنبلة . ولاشك أن السرطان بعد الجوزاء إذن نكون عرفنا (١٤) بروج أه

### ( بهجة العلم )

سيأتي ان شاء الله تعالى في (سورة ياسين) عند قوله تعالى - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم  
مظلون - عجائب ندهش العقول فوق ما ذكرناه فان بعض العلماء يتوقع أنهم سيرجون نجوماً تبعد عنا (١٠٠)  
ألف مليون سنة ، ويقولون أنهم شاهدوا نورا وصل الى الأرض دلم على أن هناك شمساً أضواؤها لا حولة  
فيها بخلاف شمسنا ونراها غرامتها متعددة بنجومها كما ان قوانا الضئيلة متعددة بأنوار عقولنا تشغلها عن كمال  
صفاتها كما ان الحرارة للمباحية لأضواء الكواكب لولاها لكانت أضواء تلك الكواكب أضعاظاً مضاعفة ،  
وقالوا أيضاً ان هناك شمساً لو وضع منها مقدار حجم الحصة على بعد ألف ميل من جسم انسان شوته  
وأشوقه . فهذه العجائب للدهشة في زماننا سترتق بها أناس ويسمعون بأدراكها ويعجبون والجب أول  
منازل المعرفة والحمد لله رب العالمين

### ( إيضاح مسألة النور والحرارة )

عجبت لأمر هذه العوالم التي نعيش فيها . أرى الموت والحياة معا في الماء وفي الهواء وفي الحرارة . أقف  
على شاطئ البحر فأشرب منه فأحيا ولكني أرى للموت قلب قوسين متى اذا أما دنوت منه ففرقت فلألموت موت  
وحياة هكذا الهواء فهو حياة وموت ، حياة باستنشاقه صافيا ، وموت باستنشاقه بما خالطه من الترات الحيوية  
القائلة ، والحرارة بها حياة كل مخلوق وبها اذا اشتدت الموت . ومن العجب أن الانسان يعيش ويموت وهو  
في أضواء من الكواكب السبائية والنيران الأرضية وهو لا يكاد يفرق بين الحرارة والضوء لانهما متلازمان ،  
نوقد الفحم فنحس بحرارة ولكن لا نرى الضوء إلا بعد اشتدادها ، نرى ضوء الشمس يأتي إلينا مصحوبا  
بحرارة فلاندرى أهـ أمران متلازمان الى الأبد ؟ أم هما يفترقان ، ولكن انظر الى العقول الانسانية اليوم  
واجب من هذا العقل الانساني الذي يريد أن يعرج بالانسان الى عالم أرق من علنا وذلك العروج لا يكون  
إلا بنوره ، ذلك النور الذي هو أرق من الأنوار الحسية وهو الذي سنخلص بمساعدته من هذه العوالم التي جعت  
بين الموت والحياة معا في موادها ، لم يفرق الماء ولا الهواء ولا الحرارة بين الموت والحياة بل تراها جميعها مجتمعة  
للأمرين معدة للعالمين ولكن العقل بنوره يهدينا لفته للخروج من مأزق هذه العوالم المنحطة الى عالم يكون  
أرق منها فيه البوام والخلود وهو العالم الذي يتعالى عن المادة ، فهذا العقل العام هو الذي أملى على عالم أمريكي  
أمورا ينتظر تحقيقها في المستقبل فقال « ومن المستنبطات المنتظر تحقيقها قريبا النور البارد » وأبان أن السلك  
المعدني اذا أحيى بالكهرباء في المصباح الكهربائي حتى أضاء فان الضوء لا يبلغ فوق (٤) في المائة من القوة  
الكهربائية التي ينقلها الناس في هذا المصباح ، وأما الباقي وهو (٩٦) في المائة من تلك القوة الكهربائية  
فانه يصير حرارة . ويقول انه اذا تمكن أحد من تحويل الحرارة الى نور رأى (نور بلود) فان النور لاذ ذاك  
يكون أرق من هذا النور المستعمل الآن عشرين ضعفا وذلك بالاكثفاء بأربعة في المائة من الحرارة والباقي  
وهو (٩٦) في المائة يصير نورا (وعبرة ٣٠ من المختطف ولعلها ٢٤)

هذا مايقوله ذلك العالم الأمريكي . أقول وبينما هذا العالم يقول ذلك اذا بعلماء الفلك يقولون ﴿ يا أيها الطبيعي ان ما فكرت فيه قد فعله الله قبل خلق الأرض فانه خلق الشمس الباردة فضوؤها لاسحارة معه وخلق الشمس للجنة ﴾ اللهم ان العلم أرق ما في هذا لوجود الحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩

( لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - )

( عجائب القويم )

اعلم أن الله كرر ذكر الكواكب والبروج والشمس والقمر في القرآن لأمر عظيم جدا . إن الله خلقنا من طين لازب أى لاصق ومن كان من الطين ان لم يهين بما يرفعه الى العلا فانه لا يبارق العليين . جعل الله أضواء الشمس والكواكب سببا لحياتنا فلو لا الحرارة ماسر سحاب ولا ارتفع بخار من البحار فالحرارة رافعة له والرياح الجارية بالسحاب ما أثارها إلا الحرارة . إذن الحرارة أصل حياتنا وهكذا الضوء فلو لا الضوء لم نعرف الطرق ولا الأعمال ولا الأيام والشهور والسنين ، وبالضوء ظهرت خضرة النبات ونما ، ولولا ضوء الشمس والكواكب لم تكن حياة على الأرض ولم يكن نظام لها طليحة والهداية في المعاش كسير السفن في البحار والقطرات في اليابسة . كل ذلك مبنى على سير الكواكب في السماء فالحرارة بها الحياة والضوء به الهداية وانتظام الحركات به الحساب الذى به تمام النظام . أليس هذا عجيبا ؟ تعيش في الأرض وأصول الحياة من السماء والناس غافلون . وقد شاهدنا هذه العوالم المنبثة فوق الأرض منتظمة ولم نزال يد التي نظمت ، أحسنا بالحرارة وشاهدنا الأضواء ولكن جهلنا تلك النظم التي شاهدناها في الحيوان والنبات . فاذا رأينا الحرارة والضوء من عالم السموات فهكذا لتكن تلك المنظمات تقوسا ليست من عالم الأرض ، فالضوء والحرارة اللذان بهما الحياة من هناك وهما محسوسان فبالأولى والأولى أن تكون النفوس التي صورت تلك الصور اللازمة للنمو مساوية وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون -

يا الله ، أنت حكمت علينا بالمحس في هذه الأرض مدة فنحن هنا يلرب مسجونون ومن عادة المسجون أن يؤتى له بالرزق داخل السجن ويوعده بأنه عند تمام مدته يخرج الى أهله هكذا نحن الآن في الأرض سجننا وحكمت علينا أن لا نال مطعمنا وملبسنا إلا بالعمل داخل سجننا ولستك أرسلت لنا ضوءا من المشرقات وجعلت نظامنا متوقفا عليها . تقلبنا في الأرض لطلب المعاش وهذا الطلب لاتمام له ولانظام إلا بحساب سير الكواكب والشمس فله مشرقات فضل الحياة وفضل النظام ، ولقد سعرت منا جاعة يحسون سير تلك الكواكب لأجل النظام عندنا فالأفراد يهتدون في الطرق بالأضواء والأمم تعين جلالة لحساب سير تلك الكواكب . كل ذلك فعلته لتضطرنا الى البحث والنظر فتولى وجهنا جهة السماء ونسمع الأنبياء والحكماء يقولون ان هناك علما آخر توجه اليه اذا متنا وما هذا العالم إلا ما هو فوق أرضنا ، فعل الله ذلك ليشوقنا الى عوالم الجنات في السموات ، وإذا كانت العوالم العلوية قد سببت حياتنا ونحن مهجورون من التراب لاصقون بالأرض فكيف تكون حالنا اذا توجهنا بأرواحنا من الأرض الى السموات ولم يبق هناك مانع يمنعنا من الرحة مباشرة فهناك يكون ملاعين رأيت ولا أذن سمعت

هذا ولقد ذكرت حساب السنين القمرية والشمسية في (سورة الكهف) وآخ (آل عمران) وأز يدعل ذلك بيانا يشرح الصدر فأقول

إن المصريين كانوا أمة زراعية فكان تقويمها تابعا للشمس ، أما اليهود والأمة العربية الذين لم يكن جل اعتمادهم على الزراعة فانهم قد اكتفوا بالأشهر القمرية . ولما جاء (يوليوس قيصر) الى مصر ووجد تقويمها مرتبكا أمر الفلكي المصري (سوسيجنس) فوضع تقوينا قدر فيه السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم

وجعل الأشهر ١٢ مختلفات بين ثلاثين و ٣١ يوما إلا فبراير فانه (٢٨) ثلاث سنوات و ٢٩ في السنة الرابعة وسارت أوروبا و بلاد الشرق الأدنى على ذلك حتى سنة ١٥٨٢ ذلك أن البابا (غريغورس) الثالث عشر رأى أن حساب (سوسيجنس) جعل السنة أطول من حقيقتها (١١) دقيقة و (١٤) ثانية وعلى ذلك أمر بأن ينقص من كل (٤٠٠) سنة ثلاثة أيام وجرى على هذا التقويم الغربيون ، أما القبط في مصر الذين يتبعون الكنيسة الشرقية فانهم لا يزالون يجعلون عيد الميلاد (٧) يناير والكنائس الغربية تجعله (٢٥) ديسمبر ذلك لأن الغربيين عرفوا انطلافاً فاصلاً هو . أوليس من العجب أن المكسيكيين القدماء كانوا يعتمدون على الزراعة وتقويمهم يشبه التقويم الحديث وهذا صورته (شكل ٤٧)



( شكل ٤٧ - تقويم أمريكي وجد في مكسيكا )

وانما ذكرت لك هذا هنا لأريك جلال الله التي ظهر في هذه الأرض ، فانظر هذا الرسم من مكسيكا وانظر ما تقدم في (سورة يوسف) من صور البروج المرسومة في (دندره) والأخرى المرسومة على صندوق (حتر) ذلك (أولا) لأروى علمي للعلم وعلماءك لأنى كنت أحب أن أطلع على آثار الأمم القديمة في هذه العلوم (وثانيا) لتعلم معى عناية الله بالأمم واتصالهم جميعا الى عوالم السموات كأنه يقول لهم ارفضوا وجوهكم الى السماء فاقهوها الآن لأنكم ستسافرون اليها بعد الموت - وما كنا عن الخلق غافلين - وفي السماء رزقكم وما وعدون - (وثالثا) ليكون هذا التفسير معرضا علميا تعرض فيه بهجة علوم الشرق والغرب فيشوق الناس للعلم والحكمة أو كسوق الصور الذي يلبس كل من الناس ماشاء من الصور العلمية فيه فيرى عقله وترقى أمته ، فهذا قوله تعالى - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سربا وقرا منبرا \* وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذا تذكر ومبدأ شكر لأنه لا شكر إلا اذا علم الشاكر بالمشكور وعليه فأقول الشكر العلم بنعمة للمشكور وقد علمت معى أيها الذكرى كيف قوم الله السنين وعلما لأهل الأرض طلبة وشوقهم الى الرقى الى عالم أعلى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . انتهى الكلام على المقصد الثانى من السورة

### ( المَقْصِدُ الثَّالِثُ )

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \*  
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا • إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقُوا لَمْ يُنْزِفُوا وَلَمْ  
يَعْتَدُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا • وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنقُ أَمَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مَثَانًا • إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا سَابِقًا فَأُولَئِكَ يَبْذُلُهُ اللَّهُ  
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا • وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ سَابِقًا فَإِنَّهُ يُتَوَبُّ إِلَى اللَّهِ  
مَتَابًا • وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوْرِ مَرُّوا كِرَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا  
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا  
وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَيْنِ إِمَامًا • أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ  
فِيهَا نَحِيمَةً وَسَلَامًا • خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • قُلْ مَا يَتَّبِعُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا  
دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا •

بعد ما ذكر الله عز وجل حسن سنمه وجمال ابداعه بالماء للبارك النازل من السماء وابداعه في البحر  
الملح والنهر الحاد ، وكيف يكونان مجاورين ولا يلحق أحدهما على الآخر ، وكيف تكون منه الماء والنبات  
والانسان والحیوان وكان منه النبات والبنون ، وكيف أبدع في نظام كواكبه وشمس وقمره ، وكيف نظم  
طريقها وأبدع منازلها ، بعد ما ذكر ذلك كله أخذ سبحانه يصف عباده الذين هم أهل للقرب من مبدع هذه  
الجهاب ليبين العباد بعد العلماء وليظهر مقام العبادة بعد مقام الحكمة وأن الأولى تابعة للثانية والثانية  
مقدمة على الأولى وليفيد المسلمين أن العلم مقدم على العمل فذكر صفات عباد الرحمن ، أنهم في النهار يتصفون  
بوصفين وهما

- (١) أهم يمشون بسكية ووقار على الأرض
- (٢) ويغضون عن السفهاء فلا يقاتلونهم بضيع الكلام ويتاركونهم ، وهم في الليل يعمونه بالعبادة  
ساجدين قائمين في الصلاة
- (٣) ويدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم
- (٤) ويكونون كرماء لامقترين ولا مفسرين
- (٥) ويرحون الله
- (٦) ولا يقتلون النفس إلا بالحق
- (٧) ولا يزنون
- (٨) وينفرون من مجالس الكذابين ومحاضرات الطائين فترها عن مخالطة الأشرار
- (٩) وإذا مروا بأهل الغر والمشتغلين به كرموا أنفسهم عن التلوث به أي إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه
- (١٠) وإذا عطفوا بالقرآن أذكروا بجماب الله كانوا مقبلين عليها وسجدا وبكيا لانهم يكونون  
صالحين عبيدا لا عاصينهم

(١١) وهم يدعون الله أن يرهم زوجاتهم وأبناءهم مطيعين لله ليكونوا معهم في الجنة  
 (١٢) ويكون من دعائهم أن يقولوا ربنا اجعلنا متبوعين في الدين أئمة يقتدى المتقون بنا في الخير  
 هؤلاء المؤمنون المتصفون بهذه الصفات الاثني عشرة (١) يميزون العرفات وهي العائل في الجنة بسبب  
 صبرهم (٢) ويدعى لهم بالتصبير وهي التحية (٣) ويدعى لهم بالسلمة ، فالتحية للبقاء والسلام للسلمة  
 (٤) ويخلدون فيها . هذا هو جزاؤهم . غرقت عالية وتصير وأمان ودوام والبشارة بذلك من الملائكة .  
 ولما بين العلم والعمل ختم السورة بأن الله لا يعتد بهذا الإنسان ولا عباً به لولا عبادته إذ لا شرف له ولا كرامة  
 إلا بالمعرفة والعبادة والأخلاق والأفلاخ بينه وبين الحيوان ، واذ أنزلت عليكم القرآن فكذبتم وخالفتم  
 وقصرتم في العبادة والعلم فسوف يكون جزاء التكذيب لازماً وقد تم ذلك بخلاف كفركم في يوم بصرى  
 غيره . هذا هو ملخص المقصد الثالث من السورة

### ( إضاح لبعض الكلمات )

قوله (هونا) هينين أومشيا هينا وهو مصدر وصف به أي أنهم يمشون في سكية وتواضع (قلوا سلاما)  
 أي تسليماً منكم ومشاركة لكم لآخر بيتنا وبينكم ولاشراً أو قلوا سلاماً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم  
 (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) لأن العبادة بالليل أجمع للفكر وأبعد من الرياء أي يبيتون في الليل  
 بالصلاة سجداً على وجوههم وقياماً على أقدامهم ، وقوله (لئن عذبنا كل قوم إلا أئمة الغريم للآخرة  
 فهم مع حسن عقابهم مع الخلق واجتهادهم في العبادة وجلون من العذاب مبتلوا إلى الله في صرفه عنهم  
 (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) أي بئس وقاعها ضمير مبهم يفسره المميز (والذين إذا أفقوا لم يسرفوا ولم  
 يقتروا) وهذا هو ضد الكرم عند الحكماء (قولوا) وسطاً وعدلاً (حرم الله) أي حرم قتلها (يلق أئمة)  
 أي جزاء الإثم وقوله (يضاعف له العذاب) بدل من يلقي (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يعمو  
 سابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم وهكذا يبدل ملكة العصية بملكة الطاعة (ومن تاب  
 وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) أي ومن تاب عن المعاصي بالترك والدم ودخل في الطاعة فإنه يرجع  
 إلى الله متاباً مرضياً عند الله معمو العقاب محصلاً للثواب أو مرجعاً حسناً وقوله (والذين لا يشهدون الزور)  
 لا يقيمون الشهادة الباطلة أولاً يحضرون محاضرات الكذب فإن مشاهدة الباطل شركاً فيه (واذا مروا بالغو)  
 أي ما يجب أن يلقى ويترج (مروا كراماً) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه (لم يخرؤا عليها  
 صاعاً وحمياً) لم يقيموا عليها غير دامين لها ولا متبصرين بما فيها (الفرقة) أعلى موضع الجنة وهي اسم جنس  
 أريد به الجع أي الفرقات (عاصروا) أي بصبرهم على المشاق من منفض الطاعات ورفض الشهوات  
 وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاماً) أي تحييم الملائكة ويسلمون عليهم ، أو يلقون بقبلة دائمة  
 وسلامة من كل آفة (مايسوا بكم ربى) ما يصنع بكم من عباد الجيش إذا هيأته أولاً يستد بكم (ولادعواكم)  
 لولا عبادتكم والعبادة يتقدمها العلم . انتهى تفسير بعض ألفاظ المقصد الثالث من السورة

( جوهره في جبال القرآن في قوله تعالى - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صاعاً وحمياً - )  
 الحمد لله على نعمة الحكمة والعلم والشكر له على جلال النور والفهم ، سبحانه اللهم أعنت على هذا  
 التفسير وأحسن بالالهام والتيسير وجعلت أسأله سهلاً يتناول أكثره المتوسطون وبعضه ليعقله إلا المليون  
 جعلته شارحاً لآياتك مسهلاً لهم كتابك مذكراً لأنفسكم ناظماً لجواهرها في عقده فذكر به اللهم قلوباً  
 وأشرح به صدوراً ويسر به أموراً واستخرج به رجالاً يقولون آيتك . اللهم انك أنت فسررت هذه الآية في  
 نفس القرآن وذكررت معانيها في حكمك البهجات . أنت قلت - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم  
 برسن تنحرون - وعطت على ذلك ذكر خلق الأزواج لنسكن إليها لخلق السموات والأرض واختلاف

الأسن والأكوان ومنامنا بالليل والنهار وابتغاء الرزق وهكذا كون السموات والأرض قائمتان بأمرك وقيامنا بعد موتنا وهكذا وذلك في (سورة الروم) وأنت الذي جعلت الليل والنهار آيتين في (سورة الاسراء) والقتال أيضا - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - الخ وقد أوضحت سبحانه في سورة البقرة هذا جعلت من الآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والسفن في البحر والتجارة والنبات والمطر وخلق النبات والحيتان وهكذا في آخر (آل عمران)

فيا الله انك لم تدع في كتابك أسلوا إلا أنزلته حتى جعلت الآيات تشمل جميع العلوم العالوية والسفلية ولم تقتصر ذلك على انها آيات بل أقسمت بها فأقسمت بالشمس والقمر والليل والنهار والثلث والربيع والطور والخيل فكما جعلت كل خلقك آيات أقسمت بجميع خلقك حتى قلت - فلا أقسم بمائتات وما لا تبصرون - ولا بجم أن ما تبصر وما لا تبصر يشمل كل علم وكل صناعة - هذه هي آياتك التي ذكرت بها عبادك وجعلت هذا التفسير ايضا لها وشارحا لها ومينا - واني يا الله أكتب هذا وأمضي الى عالم أروته لي بعد هذه الحياة وأترك هذا التفسير بين يدي المسلمين محقة على من قرأه فهو مسؤول بين يديك مسؤول عن نشر كل ما يحل من هذا الكتاب ومن كل علم من علوم أوروبا وأمريكا واليابان - اللهم إن ذلك كله آياتك التي أقسمت بها اعظاما لها واجلالا حتى اذا قرأناها عرفنا انها هي التي شرفها الله بالقسم فهي آيات وهي ذات الشرف العظيم بأن الله أقسم بها - اللهم إن المسلمين في القرون الأخيرة قد عموا وصموا عن آياتك واذا ذكروا بات ربهم خروا عليها صما وهيماء فيقول الغافل من المتعلمين هذه العلوم كفر أو يقول هو كلام النصارى أو يقول هو لامتعة فيه (انظر ملجاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى - نجعلوه قراطين تبسدون وتخفون كثيرا -) لتعلم ماذا حل بالاسلام بعد القرون الأولى من الجهل الواضح والذل القاضح وانتكاس العقول ومخالفة العقول وللقول - فالحمد لله قد ظهر في هذا التفسير أن ما كلن يسمى كفرا هو نفس الشكر وهو نفس القربى الى الله وهو السعادة في الدنيا وهو باب الجنة وهو الروح والريحان وهو مقتضات النظر لوجه الله الكريم وهو مفتاح السعادة ومنهاج السيادة فأصبح الكفر شكرا والذي زعموا انه كلام النصارى وغيرهم هو كلام الله تعالى وهو المشرف بقسمه وهو الذي به النظر لجمال وجهه وهو النافع في الدنيا والآخرة - اللهم اني قد أدت ما على للمسلمين - اللهم أخرجهم من ظلمة الجهالة واجعل هذا التفسير سببا في اتحاد جميع العقول من المذاهب المتشاكسة والطوائف المختلفة من شيعة وسنية وزيدية وامامية وشافعية وحنفية وحنبلية - اللهم يا مقلب القلوب والأبصار كما قلبت أفئدة المتأخرين من الأمم الاسلامية قرأت العلوم التي أمرت بها في كتابك كفرا لانفع فيها غفروا صما وهيماء اذا سمعوها فاشرح الصدور لهما وأزل الغشاوة عن الأعين والجلجبال عن القلوب وارفع الوقر عن الآذان وأثر البصائر - اللهم إن المسلمين متباطعون متباعنون لحصر عقولهم في الفقه وفي الجدل المسمى علم التوحيد - اللهم إن سر دينك هي نظافة الباطن وجمال النفوس بالأخلاق الفاضلة وهكذا استكمال النفوس باهلوم التي ترى في السموات وفي الأرض فاجعل هذا التفسير من مشارق الأنوار وسواطع البرهان - انتهى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ

### ﴿ فصوص الحكم في هذه الآيات ﴾

ما أجل العلم والحكمة وما أبهى الفهم وأبهجه والنظر في هذه الآيات وتأملها - هذه الآيات كأنها ملخص السورة كلها والسورة سميت فرقانا وهو الفرق بين الحق والباطل ونتيجة هذه كلها النظر في آيات الله تعالى في السموات والأرض في قوله - لم يخرؤا عليها صما وهيماء -

في الآية آداب النفس مع الخلق ومع الخلق كالسكنية في المشي وحسن المخاطبة مع الجاهلين وقيام الليل والدعاء والاقتصاد والتبري من الشرك ومن الزنا والغو والكذب - هذه عشر خصال فمن كان متصفا بها استعد

لفيض العلم والحكمة . ملخص هذه الأوصاف سكون النفس وتوجيهها لله . فسرعة المنى نهوش على العقل وتذهب الهية وهكذا اللجاج مع السفهاء فترك هذين وترك الاسراف والشره الخ كل ذلك يجعل في النفس اطمئنانا وسكونا والدعاء وقيام الليل تذكير بالله تعالى . ههنا (ثمان خصال) ترجع لسكون النفس وهذبوها فلاضطراب في الحركات ولا الخطاب ولا الافاق وهكذا . وخصلتان ترجعن للتذكير بالله القيام بالليل والدعاء وهذه المقدمات العشر للفتح والعلم والبرهان . إن النفس لايم لها توجه في الصلاة والدعاء اذا قسمت الامور عليها . فأما اذا اطمأنت باعتقادا وعملا بالصلوات الثمانية فانها يصدق توجهها لله تعالى والصلاة والدعاء معراجا للعلم . ومعنى هذا أن النفس بتعمد التوجه لله يفتح لها باب العلم والعلم هو المقصود من هذه الدنيا ومن وجودنا ومن هذه الاتصال المذكورة . فلاجل العلم خلقنا وبه سعادتنا في دنيانا ويوم القيامة بل هو اللذة القصوى التي تتبادل دونها الجنات الحسية بحورها وقصورها وولائاتها . إذن نتيجة الصفات العشر المذكورة ما بعدها وهو أن لا يكون الانسان أعمى أصم عن آيات الله أى أن يفكر في هذا الوجود (وبعبارة أصرح) أن يكون حكما علما أو عجا أو متعلما أى أن تكون له درجة من درجات العلم حبا واستماعا أو كالا فيه . إذن نتيجة هذه السورة حوز العاوم والحكمة ولتقاء النفس بذلك وهذا غاية الدين والدنيا . وهناك (خصلتان) بعدها وهما أن هذا العبد يجد في أكل أهل منزله من زوجة وولد أكل المتقين فيكون قدوة لأهله ولأئمة أى يكون نورا للناس وطارفا بين الحق والباطل الذى هو معنى القرنة . إذن هذه السورة لتخرج قواد يكونون أنوارا مشرقة للناس ينعونهم من الضلال . هذا هو نتيجة سورة الفرقان

وههنا عجب عجاب . ذلك ان الناس عادة يقرؤن هذه الآيات ويمرؤن على الخصلة السادسة وهي عدم الاشراك بالله وعلى الخصلة الحادية عشرة وهي انهم اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صا وعيانا فينجيل للقارئ انهما يرجعان لعنى واحد وهذا يكون كالتكرار ولكن هذا التكرار فيه سر قد كشفه الزمان وأظهره ما أحاط بنا من الحدثنان بل ان سر هذا المقام قد ظهر في المحطات أكثر أم الاسلام واستبان إيما تبيان . ولما وصلت الى هذا المقام حضر العلامة الذى اعتاد أن يحاورى في الامور العلمية في هذا التفسير واطلع على هذا الموضوع فقال ماى أراك تكثر ذكر السر في القرآن كأن مثل هذا لم يعرفه الناس قبلك . يا عجا لك أين السر هنا . (جلتان) جاءت في هذه الآيات تجيد عدم الاشراك بالله وتجلة تجيد عدم النغلة عن آياته عند التذكير بها وبينهما فرق في المعنى . قلت له ولكن لم قدم عدم الاشراك بالله الذى لايم إلا اذا لم يعرض الانسان عن آيات ربه وكيف تقدم النتيجة على المقدمة . هنا نظري في آيات وتوحيد لله وثانيهما نتيجة لأولهما فل قد علم عليه ؟ فقال إذن ما تقول في الجواب . قلت إذن أجيبك . اعلم أن الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى في أكثر الأحوال وأعمها اكتفوا من دين الاسلام بأمال الخصال العشر المتقدمة على قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - ومنها عدم الاشراك بالله . فاذا رأى المسلم انه آمن بالله ولم يشرك فانه قد ينسى بذلك ويقول كفى . فاذا ضم الى الايمان الأخلاق الفاضلة كالسكينة والتباعد عن الكذب وشهادة الزور والقتل الخ فانه يعد صالحا . هذا هو الذى سار عليه المسلمون في أقطار الاسلام . فأهم أمور الدين التوحيد والأعمال الصالحة ووقف أكثرهم عند هذا الحد وأخذوا يرتدون كلنى الايمان والصالح وفرحوا بما عندهم من العلم - وحق بهم ما كانوا يستهزؤن - . فقال وما لى به يستهزؤن . قلت هي الخصلة الحادية عشرة وهي - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صا وعيانا - . فقال والله إن هذا ليجب أنألمسمع من مؤمن بالله يعرض عن آياته أو يكون كالأصم أو كالأعمى وانما ذلك في الكفار . فقلت اذا كان كذلك فتكون هذه الجلة ملغاة لاجل لما . قل فأين الصمم والعمى عن آيات الله . قلت جبل في أقطار الاسلام وخطب كثيرا من العلماء والجهلاء وقل لهم ماذا تقولون في علم الملك والطينية والسمات والحيوان والانسان



والتشريع وجميع العلوم الكونية فانك لا تسمع منهم إلا ان هذه العلوم فروض كفايات ويستكون عن ذلك وعند الوعظ والارشاد والخطب على المنابر والتعليم لا يقرؤون هذه الجهاب ولا يشقون الناس لربهم ولا يرحونهم به وليس من المعقول أن يصح الانسان صانعا ويعرف حكمته إلا بفهم صنعته . قال لك تقول هذا القول في قوم ماتوا قبل هذا العصر أما أهل هذا العصر فقد عرفوا كل شيء . قلت له أكثر أهل الدين لا يزالون غافلين فهم اذا سمعوا عجائب التشريع والفلك صموا آذانهم وأغمضوا أعينهم لا بخفا في آيات الله ولكن إصراراً عن الآيات لقائنا غنا منهم انها لا تخيد قرياً لله إما لأنها كفر وإما لأنها لا فائدة منها وسبب ذلك الاقتداء بمن علموهم من علماء الدين الذين قبلهم . فهذه الجبله جاءت لترفع الغشاوة عن أعيننا في هذا الزمان وقد ظهر أثرها في هذا التفسير الآن . فلتوجه أيها الذكي نظراً لأهل زمانك الى أن هذه الجبله مذكرة لنا بجميع العلوم وأن الايمان والتوحيد لا يكفيان لرقى المؤمنين وسعادة أمت

تقدم أن هذه الآيات كأنها ملخص المقصود من السورة والسورة مبتدأة بأن الله تعالى تكاثر خيره وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في الصفات وانه له ملك السموات والأرض وانه خلق كل شيء وقدره تقديرًا بحساب متقن . ولا جرم أن كل شيء أعم من السموات والأرض والعالم الخلاق هو الخالق الكبير الذي يفيد معنى - تبارك - ثم انه أعاد هذه الجبله هنا قبيل هذه الآيات فقال - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والبروج هي الاثنا عشر النجوم أوهي نفس الكواكب العظام وهي بعض ماخلق الله وقدره تقديرًا . ولما شرح بعض خلق الله الذي من خيره الكثير أوردفه بذكر عباد الرحمن وصفاتهم وجعل نتيجة الصفات كلها العلم والحكمة والعلم والحكمة يرجعان الى هذا العالم الذي نعيش فيه الذي ذكر في قوله تعالى - الذي جعل في السماء بروجا - الخ فانظر كيف أعاد الجبله التي في أول السورة هنا ليعبقها بصفات المؤمنين الذي يفهم هذا الخبير الكبير الذي تضمنه - تبارك الذي نزل الفرقان - . فملخص السورة اخراج علماء في الاسلام يقرؤون نظام السموات والأرض ويكونون حكماء هادين لتدبرهم وزوجاتهم وأمتهم . فلولا ذكر التوحيد قبل التذكير بآيات الله وعدم الاعراض عنها ما تيسر لنا فهم هذه المعاني . إن هذه المعاني استخرجت من تأخير وتقديم وكان هذا كبرياء ومفاتيح بهما أشرف النور وبهر الفرقان . فانه يذكر في أول السورة ملكه وخلقه وقدره للعالم كلها ثم يبيد ذلك بهيئة جبله في ذكر البروج والكواكب وذلك كله داخل في آيات الله التي اذا أعرض عنها المسلمون أعرضت عنهم الدنيا والآخرة كما هو حاصل الآن في أكثر بلاد الاسلام . فياطوب لمن ذكر بآيات ربه . وياطوب لمن تذكر وتدبر وقرأ

يا الله إني أحجك . هاأما قد ذكرت بآياتك بارشادك والهاملك مع اني أقر وأعترف بالضعف والجهل حقاً وصداقاً . فاجعل اللهم هذا التفسير ذكرى وألمم الأمم الاسلامية أن ينسجوا على منواله ولا يخرجوا عن الآيات صما وعميانا

فقال صاحب هذا حسن ولكن يظهر لي أن المقام مقام قصيد للمعاني بحيث تأخذ ما يلزم ونذر الذي لا يلزم قصدك ويكون هناك ترجيح بلا مرجح وهذا معيب يجعل القارئ في حيرة ويتشكك في قولك ويقول إن القرآن لم تقصد به هذه المعاني ولوانها كانت مقصودة لكانت على وتيرة واحدة . فقلت ماذا تقصد ؟ قال ان قوله تعالى - تبارك الذي - قد ذكر في ثلاث مرات فذكرت أنت اثنتين منها . أما الثالثة فقوله تعالى خطاباً للبيه <sup>ويعلم</sup> - تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً - وهي واقعة في غضون السورة بين الآيتين فهل لهذه حكمه . قلت نعم وأي حكمه أجل منها . فقال وما هي . قلت ان النظر للسموات والأرض الذي جاء ذكره في المقامين الأول والثالث هو هوعينه المذكور في الخصلة الحادية عشر من خصال عباد الرحمن وهو عينه الذي في قوله تعالى - ويجعل لك قصوراً -

الارثى رعاك الله أن الجنة على ﴿ قسيتين ﴾ جنة حبية وجنة معنوية وهى العلم والمعرفة والعلم والمعرفة مقتسمتان للنظر الى وجه الله فانتكشاف الحقائق غذاء للنفس وسعادتها للحكماء فى الدنيا والآخرة . وإذا كان الحكماء بهذه المثابة فما بالك بالأنبياء والصديقين فهل نظروا أن رسول الله ﷺ فى الآخرة يقتنه الحور والولدان ويستغنى عن النظر لوجه الله الذى لا يكون إلا بعد تمام العلم والحكمة كما لا يجالس الملوك والأمراء إلا أهل الجاه والعقول . فإذا كان الله وعده بجنت تجري من تحتها الأنهار ووعده بقصور فليس معنى ذلك أنه قصر على ذلك بل هو رمز الى انكشاف الحقائق ومعرفة العالوم . ومن عكف على قصره على المحسوسات فهو قاصر جهول (اقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله تعالى - ويشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أت لهم جنت - الخ ) فستجد هناك العبارة المتقولة من كلام السلف الصالح ﴿ أن الجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء أفلا ترى سيد الرسل فى أعلى جنة العلماء ﴾ فرجعت هذه الآية الى أختها وظهر أن الدنيا لا يرى فيها الناس إلا بالعلم والآخرة لا يسمعون فيها إلا بالعلم وأن قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخفوا عليها صما وعميانا - هى نهاية العلم والحكمة وفيها ملخص علوم هذه الدنيا ومقاصد هذه السورة وانها الخصلة التى بها تكون الجنة والحكمة ويكون صاحبها قلبا تدور عليه رضى الأمة وبه يقتدون وعليه يقولون

### ﴿ بلاغة القرآن ﴾

فانظرالى أمر التقديم والتأخير فى جملتين كيف أثارا موضوعا يتعلق بحياة أمتنا الاسلامية وبين عيوبها ومخازيها ويضع سرتأخرها وينير السبل لتقمتها وارتقاها . إن هذا المقام هو الذى ألف له الامام الغزالي كتاب الإحياء فقد قال فيه ﴿ إن هذا الكتاب قد صنفته لإحياء ما اندرس من علوم الاسلام ﴾ وبين ذلك بأنه إضاح صفات القلوب والعلوم الأخلاقية والاخلاص ثم المعارف العامة فى السموات والأرض ثم إن هذا التفسير قد جاء لمثل ما جاء له الإحياء . كل ذلك أثره فى هذا المقام تقديم وتأخير . يمثل هذا ترف بلاغة القرآن لابلغة اللفظية التى يفرح بها سفار العلماء ويقولون نحن قرأ الفتح السكاكى وكتاب سعد الدين الفتازانى وكتاب عبد القاهر الجرجاني وغيرها لعرف بلاغة القرآن فقول لهم وهل عند هذا تقفون أو تنكسون على الأعقاب . إن الذى تبحثون عنه إنما هو أن القرآن مجز وتبيح ذلك أن يكون المرء به مؤمنا وقتنا أن خصلة الإيمان وحدها لا ترقى السلم بل رقيه إنما يكون بمعرفة هذه الكائنات فخرج البلاء فى أمة الاسلام عن كونهم أشبه بالبدي القح فى البادية وعن أهم اذا وقفوا على ذلك قد دخلوا فى حوز الموحدين للذكورين فى الخصلة السادسة فى هذه الآيات وهم من آيات ربهم خروا صا وعميانا ، اللهم ان أمة الاسلام طال عليها الأمد وقست القلوب وكثير منهم فاسقون . لقد اعتزى العمى والصمم كثيرا من أهل العلم فى أقطار الاسلام جهالة وغرورا وقد آن اشتاع هذه الفسادة والجد لله رب العالمين . كتب هذا المقال بعد عصر يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

﴿ ياقوتة فى معنى قوله تعالى فى هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخفوا - الخ ﴾

بعد أن كتبت ما تقدم أردت أن أبين بعض أنواع التذكير التى ذكرنا الله بها معاشر المسلمين ليكون ذلك تكملة للجوهرة السابقة وتبصيرا للأذكياء . التذكير إما بالقول أو بالفعل . أما بالقول

(١) فهناك هذا القرآن يدرس صباحا ومساء وصيفا وشتاء ليلا ونهارا يدرسه المسلمون ويقرؤه قراؤهم وفيه سور كثيرة ليس فيها حكم شرعى وإنما هى ذكرى الأمم السالفة وذكرى آيات الله فى السموات والأرض وهذه الأخيرة كما تقدم مرارا (٧٥٠) آية كما أن نظيرها فى المدد أيضا تقريبا جاء فى اصلاح لأخلاق

(٢) وهاك العبادات كما تقدم فى (سورة البقرة) فى تفسير آية الكرسي فقد ذكرت هناك أن هناك آيات قد جعلها الصادق والصالحون بنورا بنورها للمسلمين ليربهم تربية يكونون بها صالحين هؤلاء تراهم اختاروا

الآيات السائلة على أفعال الله الحبيبة كآية الكرسي ونحو - ألم • الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ وأول سورة الحديد وهكذا - فهذه الآيات هي روضات الجنات تمتع الصالحون بأنفائها فست قلوبهم فذكروا ربهم وهي مسعدة للفكرين والحكماء والصديقين ليدرسوا نظام ربهم ويمتدحوا بحمده ويشجروا ويصاوه وينظمه الحبيبة التي ذكر منها في هذه السورة أي سورة الفرقان التي نحن بسدد الكلام عليها

- (١) نظام الظلال
- (٢) ونظام الليل والنهار ، فالأول لباس يستر الناس وفيه النوم للراحة ، والثاني ينشر الناس فيه لطلب المعاش
- (٣) ونظام السحب والأمطار والماء الطهور
- (٤) ونظام سقى الناس والأنعام وحياة كل شيء فوق الأرض
- (٥) ونظام البحرين الطيب والمالح
- (٦) ونظام الكواكب والبروج ومجانبها
- (٧) ونظام الشمس
- (٨) ونظام القمر ، وأن كلام من الليل والنهار يخلف الآخر

هذه مجامع ما ذكر الله به في هذه السورة فضلا عن بقية سور القرآن ونتم ذلك بقوله - لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذه الجانِب جميعها وأمنها تكون ذكرى للذاكرين وشكرا للشاكرين فانظر كيف يقول - إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخفوا عليها صا وهيما - بعد أن ذكر هذه الآيات في نفس السورة وجعلها ذكرى وشكرا للفریقين المذكورين فاذا ذكر الله بالقرآن كله وذكرنا بالآيات التي اختارها العباد والآيات التي في هذه السورة فإن الاعراض عن التفكر في معناها ودراسة علومها لكل قادر من المسلمين يعتبر كفرا بالعمة وكان الانسان أصم أحمى • لقد تكرر الذكر والتذكير في القرآن • ناهيك ما ترى في سورة - اقتربت الساعة وانشق القمر - فهناك - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وقد كررها مرارا بعد كل حادثة وقعت ، هكذا في آيات كثيرة كقوله - وذكرهم بأيام الله - الخ وقوله - إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون - وقوله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقوله - أفلم يدبروا القول الخ - وآيات كثيرة • هذا هو التذكير القولي • أما التذكير بالفعل فهو ما لحظ بالأمر الاسلامي اليوم من القوى القائمة والأمم القوية الظالمة وفتكهم بهم فهذا تذكير للنوع الانساني فحق • فاذا نام المسلمون عن هذا التذكير بنوعيه فلا يولمونه إلا أنفسهم والمقاب الأكبر على كل مفكر عرف أمثال ما كتبه في هذا التفسير ثم ترك النشر والتعليم • انتهى تفسير (سورة الفرقان) يوم الاثنين التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

### { تذكرة }

قد يستعين الناظر للصور السهوية السابقة المذكورة قريبا بمسطرة طولها ثلاثة أمتار يضعها على النجوم المعروفة لتوصل الى النجوم المجهولة على مقتضى التعليمات المقدمة • انتهى

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم )

وبليه الجزء الثالث عشر • وأوله تفسير سورة الشعراء )

## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح فئاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صواب	خطأ
وَقَتْلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ	وَقَتَّلُوا مِنْهُمْ كَثِيرًا	يَابَاحَةُ	يَابَاحَةُ
فَقَتَّلَ	فَقَتَّلُوا	الْمُتَزَوِّجِينَ	الْمُتَزَوِّجِينَ
فَلَاحَ بِهِ	فَلَاحَ لَهُ	مُتَقَارِبَانِ فَلَذَكَ	مُتَقَارِبَانِ
وَيَقُولُونَ	يَقُولُونَ	عَدَا فِي الْأَجَالِ	عَدَا فِي الْأَجَالِ
السَّمَاءِ وَجْهَهُمُ	السَّمَاءِ وَالْعَالَمِ	وَجْهًا وَاحِدًا	وَجْهًا وَاحِدًا
الْمَحَنَةِ	الْمَحَنَةِ	وَانْظُرْ	وَالنَّظَرَ
وَذَكَرَ	قَدْ جَاءَ	الْوَاقِعَةِ	الْوَاقِعَةِ
لِبَنَانٍ	وَلِبَنَانٍ	صُورَتَهَا	صُورَتِهَا
خَلَاهَا	فَلَاهَا	ظَهَرَ	ظَهَرَ
وَأَذَى	فَأَذَى	مُصَدَّنَا	مُصَدَّنَا
الْكُرْبُونَ	الْأُودُوجِينَ	الْحَيَوَانَ	وَالْحَيَوَانَ
وَالْقُرْآنَ	وَالْأَنْجِيلَ	الثَّلَاثَ	الثَّلَاثَةَ
وغير	رَغِيرَ	أَنْ يَزُولَ	أَنْ يَزُولَ
فَانِ (٢٨٤)	فَانِ عِدَدِ (٢٢٠)	هُودَ	يُونُسَ
وَكُنْذَلِكِ (٢٢٠)	وَكُنْذَلِكِ (٢٨٤)	مَحْرَقَةٍ	مَحْرَقَةٍ
يَسَاوِي مَضَارِبَ	يَسَاوِي مَضَارِبَ	كُتِبُوهُمُ	كُتِبُوهُ
(٢٨٤)	(٢٢٠)	يَرْقُونَ	يَرْقُونَ
مِنَ الْمَرْجَانِ	مِنَ الْمَرْجَانِ	أَقْرَبَ	أَقْرَبَ
وَأَعْدَتْهَا صُورًا	وَأَعْدَتْهَا صُورًا	يَنْظُرُ	يَنْظُرُ
مُخْتَلَفَةً وَأَشْكَالًا	مُخْتَلَفَةً وَأَشْكَالًا	وَأَقْدَتِ	وَأَقْدَتِ
وَأَوْضَاعًا	وَأَوْضَاعًا	الْبَرِيَّةِ	الْبَرِيَّةِ
أَبْنَوْ قَلِيدَسَ	أَبْنَوْ قَلِيدَسَ	سَدُومَ	سَدُومَ
أَلْفُوهَا	أَلْفُوهَا	لَا تَعْمَلُ	لَا تَكُونُ
بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ	بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ	تَرَكَ	تَرَكَ
٣٦ دَرَجَةً	٥٥ مِنْ ٣٦	وَادٍ	وَادٍ
الْعِبَادِ (بِشْدِيدِ)	الْعِبَادِ	وَادٍ	وَادٍ
(الْبَاءِ)	(الْبَاءِ)	الْعَابِرِ	الْعَابِرِ
		فَتَعْرِفُوا	فَتَعْرِفُونَ
		الْمَسَرَاتِ	الْمَعَارَاتِ

## فهرست

## الجزء الثاني عشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

## محتوى

- ٢ تقسيم سورة النور الى ( ثلاثة أقسام ) وكتابة القسم الأول منها بالحروف الكبيرة مشكلة
- ٤ التفسير اللفظي لهذا القسم . حكم الزنا . فصل في حكم القذف وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة
- ٥ فصل في قصة الإفك وحصل القصة
- ٧ ( أربع لطائف الطيفة الأولى ) - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - لاتقبل شهادة القاذف أبدا عند شرح . متى حدثت شهادته عند أصحاب الرأي . لايسقط الحد بالتوبة إلا أن يغفوه المذنب فيسقط عنه قوم الخ
- ٨ ( الطيفة الثانية ) - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات ( الطيفة الثالثة ) في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمزكأمنكم من أحد أبدا - ( الطيفة الرابعة ) في قوله تعالى - الخيئات للخيئين - الخ حكاية العابد والقارة المسوقة الى أن الأشكال نحن الى أشكالها بمناسبة الآية
- ٩ ( القسم الثاني ) أوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الى قوله تعالى - ومرصطة للثقلين - مكتوبا بالحرف الكبير مشكلا
- ١٠ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١١ بعض أحكام النكاح من التذب والجواز وهكذا . فصل في المكاتبه ووجوبها وندها
- ١٣ فصل في عدم إكراه الإمام على الزنا ( الطيفة الأولى ) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ وبيان أن الاستئذان ثلاث وأنه ثلاثة أمور
- ١٤ ( الطيفة الثانية ) وفيها قوله وَيَتَوَلَّوْا وتوَلَّوْا الولود والودود الخ
- ١٥ عناية أمة الألمان بكثائر النسل وتصوير المصورين حال ذوى القرية والذين لا ذرية لهم وتأثير ذلك في الشعب
- ١٦ ( القسم الثالث ) - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
- ١٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٩ تفسير - ألم تر أن الله يرضى لعباده - والآيات قبلها وبعدها
- ٢٠ فصل في علم الحيوان وذكر ما يناسل منه بالانقسام وما يناسل بالبيض وما يناسل ( بالتبرعم ) وبيان الحيوانات الفقرية وأما خمسة أقسام والحيوانات الحلقية وأما خمسة أيضا والحيوانات القشرية وأنه ليس لها عظام ولادم ولا حلفاء والحيوانات الشعاعية . كل ذلك تفسير لقوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه - الخ

٢١ بيان أن الخفافس وحدها (٨٠٠.٠٠٠) صنف والحشرات للمروقة (٢٠٠.٠٠٠) صنف ويتوقعون أن تكون مليوناً

٢٢ ﴿أربع لطائف • الطيف الأولى﴾ في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره - الخ وبيان أن قوله تعالى - مثل نوره - راجع لبينا ﷺ أولسيدنا إبراهيم عليه السلام أولكل انسان الخ ثم تبيان الحق من هذه الأقوال وأن هذا التمثيل مثل نظيره العلماء جسم الانسان بسفينة أودار أولوح الخ ثم بيان الوجوه السبعة السابقة

٢٤ عجائب القرآن في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

٢٥ إيضاح الكلام على التنديل والمشكاة في المسجد وبيان العقل بالقوة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال وضرب مثل لدرجات العقل المذكورة بدرجات الفنى ودرجات الملك لشاين أحدهما تأثير الآخر ابن ملك وقياس درجات العقل على درجتهما في الفنى والملك بالقوة والفعل والاستفادة وهكذا وبيان أن العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا فهي تعنى لأعيننا وهو يضىء على عقولنا الصورة والمادة والمعاني والعقول وأن عقولنا تعقل أنفسها فهي عقل ومعقول وهذه العقول أنفسها على

٢٧ منوال العقل الفعال فهو الذى طبعت الصور القائمة به في المادة لحدث الأكوان ، فما نراه نحن الآن من الصور هو الذى كان مرسومًا في ذلك العقل العام فلما رأيناه فيها فر-نا به ورسومناه في عقولنا كما كان في ذلك العقل قبل وجود الصور في المادة • قطرة ماء في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

و بيان أن العلامة (عنه) يقول • ان قطرة الماء اذا كبرت حتى صارت أكبر من فلك الأرض حول الشمس فان الاكسوجين والافروجين وهما الصخران اللذان ركب منهما الماء يرجعان الى نقطة

ضوئية ترسم خطوطاً نورية وحمية بحيث تدور نقطة ضوء كهربائي سالب حول نقطة ضوء كهربائي موجب ستة آلاف مليون مليون دورة في الثانية وهذه النقطة الضوئية باختلافها كما وكيف تختلف العناصر التي

ليست شيئاً سوى هذه النقطة ومع ذلك هذه القطرة المائية لوجعت الجواهر المائية التي فيها لم تملأ إلا جزأً من (مائة ألف ألف ألف ألف) جزء من النقطة المائية ، فمساغات بين الجواهر المائية فيها كالمساغات بين

الكواكب والشمس الخ وعدد الجواهر الفردة المائية فيها (٥) على عينيها (٢٠) صفراً ، وهنا بيان المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة المباركة من نفس القطرة المائية

٣٠ النور قديماً وحديثاً في أرضنا كالشاعل ومصابيح الزيت الخ ﴿الطيف الثالثة﴾ - والطير صافات -

﴿الجوهرة الأولى﴾ في تسبيح الطير ، هل الجاد يعقل والأشجار تتعاشق ؟ هكذا يقول بعض الصوفية ولكن عقولنا لم تعرف إلا الثاني أما الأول فلا • ﴿الجوهرة الثانية﴾ في الطيور الرحالة (مترجم عن

الانجليزية) وأن الخفاف يصر في زمن الشتاء عند بحيرة (تشارد) في أواسط أفريقيا ويرى في أولاده في بلاد الانجليزية زمن الربيع • وبيان سبب تلك الرحلة • صورتان مرسومتان للخفاف الوارد بصلها مهاجرة

بيان أسرع الخفوفات الحية وهي حشرة تجرى (١٤) ميلاً في الدقيقة وجناحها يدوران بضع آلاف مرة في الثانية ، وأسرع طيارة لا يدور دولاها الأمامي أكثر من (٢٠٠٠) مرة في الدقيقة

٣٣ مقاييس السرعة مثل أعظم سرعة للانسان الراكض وأعظم سرعة للطيارة ، أسرع طيارة في العالم لاجناح لها ولا مراوح ﴿القائدة الثانية﴾ جاء في الأنباء البرقية أن طياراً حلول الوصول الى القاهرة المجهولة في

الأقطار القطبية التي تهاجر الطيور اليها ولم يصل لها الانسان ولكنه لم يتمكن

٣٤ ﴿الطيف الرابعة﴾ في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - الخ وبيان أقوال علماء الاسلام في

القرون المتأخرة في معنى هذه الآية

٣٥ نص السؤال الرفوع الى الشيخ ابن المبارك تلميذ الشيخ عبدالعزيز السباعي الثلج والبرد والبرق وهكذا من الحوادث الجوية المسجلة قديما بعلم الآثار العالوية وبيان انه قرأ كتب علماء الاسلام جميعها فلم يجدهم موافقين للموضوع حتى فرجع الى شيخه الصباغ فشرح له الثلج كما في العلم الحديث وهكذا البرد وأوضح المقام حق الايضاح وذكر الصاعقة وأبان أن السماء ليس فيها جبال من برد بل فيها جبال الثلج التي يخلق فيها بعض البرد، وهذا الذي قاله ذلك الشيخ منذ مائتي سنة قد رسم في صفحة (٣٧) بالطيارة وهذه مجزة قرآنية دللتنا على أن القرآن خير مفسر له العلم الحديث

٣٨ (شكل ٤) صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب وما اتصل بها والثلج الدائم المنطلي لها موازنة كلام الشيخ الصباغ المذكور بذهاب القرنجة الآن في البرد وكيفية ظهوره

٣٩ (شكل ٥) صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الرون) بجاني فركا

٤٠ (شكل ٦ و ٧) صورتان للبرد الجبلي البلوري الشفاف الذي سقط على الأرض في ٩ يوليوسنة ١٨٦٩ م وهما هندستان جبلتان سداسيتان مشتملتان على أشكال كثيرة هندسية

٤١ (شكل ٨) و (شكل ٩) أولهما صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من البرد الصخري الذي سقط في بلاد فرنسا سنة ١٨١٩ م (وثانيهما) صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتحدات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف . بهجة العلم في البرد الصخري تفسير آية - ألم تر أن الله يزيح السحابا - بالرسم (شكل ١٠) صورة السحاب المتجمع (شكل ١١) صورة السحاب المركوم (شكل ١٢) صورة السحاب الذي يخرج الودق من خلاله (الجمهرة الأولى) في قوله تعالى - ويترى من السماء من جبال فيها من برد - (الجمهرة الثانية) فيها تهب من هذه الدنيا ونظامها في الماء وبحاره وبرده وتلجج الخ

٤٤ أعام الجبال في هذا المقال وذكر كيفية تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا وانما تاج حول القطب الشبالي ، وذكر الذين حاولوا كشفه مثل (دافيس) ومن بعده الى الدكتور (هيس) الذي مات ورجع أصحابه وبيان أن الثلج هناك قد يكون جبالا بغاؤها ومضايقتها الخ وأسهولا واسعة وانه قد يرتفع مائة متر وأن الخنفي في الماء قد يكون ثلاثة أمثال ما فوقه ، وبيان أن حاسي السمع والبصر هناك تطفان وتظهر هناك حالات وشموس وأقمار كاذبات وشفق شبالي ، وأن الانسان يسمع سقوط الحجر كصوت المدفع وأن صوت الانسان يسمع على مسافة ألف متر وأن الشمس تدور حول الأفق ولا تغيب ونور القمر يظهر الاشخاص على مسافة كيلو متر وأهل تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس ويتمون الأعياد ، وبيان رحلات القطب الجنوبي كرحلات ثلاثة فرنسيين وكوك ، وبيان انهم كشفوا هناك أرضين وانهم وصلوا الى (٧٨) درجة ، ويقولون إن هناك جبالا وبراكين ودارة جنوبية ومنابع للفحم الجبلي

٤٦ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يزيح سحابا - الخ واجتماع ٢٥٠ علما أوروبا من علماء الجمعية الجغرافية واقرارهم بأن هذه الآية منطبقه على نهر النيل وأن الخريطة التي صنعا بمصر بحسبة مصطفى بك منبر مقلتة وانهم وضعوها بحيث تضيء عليها الشمس ، وذكر مساحة بحيرة (فكتوريا نيارزا) وهكذا الجبال وارتفاعها ونحو ذلك

٤٨ رسم الخريطة المقدسة وهي خريطة النيل

- ٤٩ مقال عام في هذه الآية - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . ويبان أن هذه الآية هي ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيا دين قدماء المصريين ، وذكر أن المند الجرمانية عندهم الله هو النور أو الشمس والنور عندهم (ديف) ومنها اشتق نحو (١٣) لفظا بمعنى الله وكلها راجعات للنور مثل (ديفاس) في لغة السفكريت و (ذبوس) عند اليونان وهكذا والسبب في ذلك انه لولا الشمس ما ظهرت على الأرض فعشقها الناس وذكروا الله بها وأصبوها الى النور ترجع عبادة الصابئين وقد اختلط الحق القديم بوحداية الله في دياناتهم بالباطل وهو عبادة الشمس ونحوها لبقاء النبي العرفي وقال ، يا أيها الناس الشمس والنور من صنع الله فلا تعبدوا إلا إياه الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه وأن الأرض راقعة بمركتها اليومية حول الشمس عليها حلها وحلاها في مشهد عرس وحولها تزييت النجوم مشرقات عليها ، ومن حلاها قوس قزح والتلويح في القطبين وفوق جبالها وهكذا الأزهار في الرياض الخ . ويبان أن دين قدماء المصريين كان التوحيد المطلق وتوت أي الشمس يرجع الى خالق العالم في الحقيقة لانفس الشمس وهم وان عبدوا الآلهة فقد وحدوا فعلا أيام الملك (مينا) بحيث يكون (توم) في مدينة (عين شمس) هو نفسه (فتاح) في مدينة (منفس) وهكذا لتكون السياسة واحدة كالدين ، وذكر أنشودتين من أنشيد قدماء المصريين مترجعتين من كتب الألمان ، ويبان أن حكماء الأمم مع الناس بأجسامهم وهم الآن في جنة العرفان
- ٥٢ بهجة العلم في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . الجبال (نوعان) جبال ظاهرة وجبال باطنية وقداماء المصريين ذكروا الجبالين معا الظاهر والباطن وتمجيد الله أذهام الى انشاء الأنشيد المتقدمة والى الرقص ، ويبان عشق الله عند الأمم الاسلامية في (كتاب الاشارات) للرئيس ابن سينا ومعنى العشق الضيف
- ٥٣ بيان السباع الجائر والمحرّم ملخصا من الإحياء في كتاب السباع ، وذكر حسي بن يقظان تأليف ابن الطغريل
- ٥٤ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي تردفت بها أرضنا ومنها (شكل ١٤) صورة مناطق النبات حول الأرض و (شكل ١٥) صورة للمناطق الخمس وحيواناتها و (شكل ١٦) نبات افريقيا و (شكل ١٧) حيوان افريقيا
- ٥٨ تفصيل الكلام على المناطق التي فيها اسماء النبات حول الأرض ، ويبان ان الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة
- ٥٩ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وأن هذا الشرح ليس خارجا عن التفسير وقد أكثر المسلمون في الصلاة والزكاة ونحوهما تأليفا ولم يعد ذلك خروجا عن المقصود وهذه العلوم تزيد الناس مالا وعقلا وحبا لله تعالى . وهذه العلوم منفعة أعم من منفعة الصلاة والزكاة . أقسام الحيوان خمسة من مبدا الفقرة الى النباتية (شكل ١٨) نبات أوروبا
- ٦٢ (شكل ١٩) حيوان أوروبا
- ٦٣ الحيوانات الفقرية التي فيها الأقسام الثلاثة في الآية وهذا القسم فيه (١٢) نوعا من الحيوان ذى اليبدين وهو الانسان وذى الأربعة الأيدي وهي القردة والثالث وهو آكلات اللحوم والرابع وهو الحيوانات الثدية البحرية الى الحادى عشر وهو الحيوانات القيطسية ، والثاني عشر وهو الحيوانات ذوات الرجين في بلاد (هولانده الجديدة) . الكلام على القسم الثاني من الحيوانات ذوات الفقرات وهي الطيور وهي ستة أنواع كالساجية مثل السباع والطاووس وكنزوات الأرجل الكفية مثل البط والشاطبية مثل أبي قردان



وإلى مفاز كالنودية مثل البلب والندليب والكتسفة والجلارحة . الكلام على القسم الثالث من ذوات الفترات وهي الزواحف مثل السلاحف وسور والثعابين . الكلام على القسم الرابع من ذوات الفترات وهي الضفادع . والقسم الخامس السمك وهنا (شكل ٢٠) نبات آسيا و(شكل ٢١) حيوان آسيا و(شكل ٢٢) نبات أمريكا الشمالية و(شكل ٢٣) حيوان أمريكا الشمالية و(شكل ٢٤) نبات أمريكا الجنوبية و(شكل ٢٥) حيوان أمريكا الجنوبية

٢٢ شكل نبات وحيوان أفريقيا ، وبيان الكلام على أن من الحشرات ما لا جناح له ومنها مستقيم الجناح كالصرصار أو نصفه كالقبي أو غشاته كالنحل أو غمدية كخنافس الفول وذو الجناحين كالبرغوث القسم الرابع الحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف

٢٣ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية . معادنة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مقتضى وناظر مدرسة ومدربين واعتراضهم على الاطالة في امثال هذه الآيات ورسم خرائط القارات وما فيها من النبات والحيوان والاجابة على ذلك بأن القرآن هو الذي قسم الذي يمتد من الحيوان الى ثلاثة أقسام من المثلث على رجلين وأربع وهكذا ففتح باب للتقسيم . ولا جرم أن المنطق تحليل وتعريف وتقسيم وقياس ولكل من هذه حظ من العلم والاعلم في الدنيا بخارج عن هذه الأربع ، وإذا كان الله يقول انه هو بئس القواب في الأرض فلا يمان لها إلا يرسم نفس القواب في كل فائقة ، ولانما من تصوير تلك الحيوانات وجعلها في الصور المتحركة

٢٥ هذا التفسير وأمثاله يرجع المسلمين إلى العصور الأولى وبيان أوصاف الأسد والثعلب والذئب والجل ونحوها ٢٦ بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه الفترات وغرائرها وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين . بيان أن لحظة الآيات القرآنية بالحيوان والنبات معجزة أمامت اللئام عن الحقيقة وأخرجت الانسانية كلها من الحيرة إذ يقولون العلم شيء والدين شيء آخر فالسعادة للناس أن يكون دينهم هو عين فطرتهم وهذا هو القرآن وتنبأ للوفاء أن الناس سيكتبون هذه الآيات على أسوار حدائقهم في المستقبل

٢٧ جعل أكثر هذا النوع الانساني وغفلة بالتقليد الأعمى وهو لا يحب التعب والنصب بل يسير على سبيل الآباء طلباً لراحة نفسه والحيوان يسير على مقتضى الفريضة والغريزة لا خطأ فيها ولكن انطاعاً في تقليد الانسان وغفلة وقد دمه الله على ذلك وسيبئراً للتبوعون من التابعين . الحيوان من نوع واحد وعاداته متشابهة أما الانسان فعاداته كثيرة الاختلاف فمن متزوج أمه وأخته ومن محرم ذلك ومن أكل لحم الانسان ومن محرم لحم كل حيوان . إن الانسان ضلّ عن فطرته والحيوان لم يضلّ عن غريزته ، لذلك كان تقليد الانسان للانسان جهلاً مبيناً يحط الانسان عن مرتبة الحيوان . وبيان أن التقليد هو الذي يمنع منكر الدين الاسلامي أن يكتب ويقرأ هذه الآيات التي توافق كل الأمم لأنها ترجع إلى الفطرة إذن التقليد يحط بالفطرة الانسانية وينزلها الى اسفل سافلين ، وترى الشعراء والفلاسفة في كل جيل وأى أمة محترمون بخلاف آيات الدين الموافقة للفطرة فهناك من يمنحهم وهم رجال الأديان الأخرى حرصاً على المكاسب الأرض أشبه براقصة ترقص حول الشمس ، وفيه ذكر نظم أوته

\* الأرض ترقص حول الشمس من فرح \* الخ

٢٨ الذات وتقسيمها ( ثلاثة أقسام ) عليا ووسطى وسفلى ( العلم . السلطة . شهوة البهائم ) الحيوان مقسم على حواس الانسان وحاجاته فالسمك من حيوان اللحم واللبن من حيوان اللزوق وهكذا

٨٠ الحيوان كتاب مفتوح فنه الحرف كالآساد وللمستعبد كالنعم . هكذا الانسان اذا أهمل صار كالثاني اوفسح  
كان كالأول والقرآن أشار لذلك بذي البقرة وبالحق للنحل ، وأيضا قد أسمعت الجملة نيا وهذا شرف  
لما لم تله البقرة ونحوها . حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان  
٨٢ يحمد المؤلف ربه على نعمة العلم وإنه في كبرسه اليوم أقرب الى الصحة منه أيام الشباب ، ويقول المؤلف  
ان جهله بعلم الصحة في شبابه قربه من المرض وعلمه بالصحة وعمله اليوم أكسبه بناية الله الصحة وأن  
الناس بجهلهم شقوا ومن الجهل العام في الانسان اذاعة القول في الجرائد أن الكبراء وعظماء الأمم قد  
شربوا في محافلهم العاتية المربطات ، ومعلوم أن ذلك لم يكن لداعية العطش فهو غير محي لم تقدم عليه  
الأنعام التي هي خير من الانسان في ذلك ، وقد شاعت عادة التدخين والمخدرات وكل ذلك مما دخل في  
قوله تعالى - وما أباكم من مصيبة فيها كسبت أيديكم -

٨٣ نداء الى أم الاسلام بذ كر خطبة الاستاذ (فيشر) الأمريكي الذي يقول ان الجيل (٢١) سيكون متوسط  
اعمارهم (١٠٠) سنة لأنهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر والناس اليوم يقصرون اعمارهم بأمثال  
هذا ، ويتعجب المؤلف من أن هذه الخطبة نشرت عند كتابة موضوع الحيوان هنا الذي ليس مغرطا  
في طعامه وشرايه ونحوها ، ويقول المؤلف ان المسلمين قرؤا آية الخمر وكان شعراؤهم يتباهون بها أمام  
مناوئهم جهلا . ذكر السود والجراد والفحل والنحل والحمام والغراب والأسد والفيلة . فالجراد والقبابة  
والناموسة لا يرين ذريتهن والفحل والنحل يعطب الفرد على المجموع والسباجة والحمامة لا تعرف نظام  
المجتمع . والغراب لها حكومة منظمة والبقرة والشاة لا يعرفن إلا أنفسهن وذريتهن . والفيلة والذئب  
والفرد تعرف نظام المجموع وسيقول أبناءنا في المستقبل ان الطفل والحرم كالنود والأقرباء يلبسون القربة  
وتكون لهم جاعات فاليابان والألمان ونحوهم وصلوا الى درجة الغراب والذئب في علم الاجتماع والناس  
الآن في الشرق والغرب لم يزيدوا عن الغراب . هذه الأم كلها فعلت فعل الحيوان فأما بعض المسلمين  
كأبناء العرب في شمال افريقيا وسوريا والعراق فانهم لم يصلوا الى درجة أعلى الحيوان كأهل الصين  
واليابان وممالك أوروبا . وسيقول فلاسفة المسلمين في المستقبل ﴿ يجب على كل أمة شرعية بمجموعها دين  
أو وطن أولفة أن تحافظ على مجموعها ثم يجب على هذه الأم كلها في الشرق أن يعدوا كما اتحدت الممالك  
المتحدة ليكونوا أرق من الحيوان ومن الأمم الحالية شرقا وغربا . ثم يقولون نحافظ على أخلاق آبائنا  
ولكن لا نقب عندها وأن ماخافه نبينا ﷺ علينا من فتوح البلدان قد تم ووقعنا في مآزق الحياة  
مع الأمم فيجب علينا الآن أن نسي في اتحاد الأمم جميعها شرقيا وغربيا لأن الجعية كلها كانت أكبر  
كانت منافعتها أوفر ﴾ وهذه المسائل نطقت بها الاشتراكية والبشيفية ولكن هذه المحاولات الى الآن لم  
تد وقراءة علوم الحيوان وغيره مثل ما هنا تعين على هذه الفكرة وهكذا الوحي الذي أمر بذ كر الله  
أكثر من ذكر الآباء في الحج وأمر بان يؤذن بلال وهو غير عربي في الكعبة وهناك يسمون تعليم كل  
ذكر وكل أنثى وينظمون المجموع الانساني كما تقدم ويشترط ذلك حديث الصدقة إذ لا يجيد المتصدق من  
ياخذ صدقته ذلك لأن الأمم كلها عاملة وكل فرد نافع للمجموع فيكون مجزئة

٨٧ ذكر انتشار الاسلام في بلاد (البرازيل) ، وأمريكا وقول المستر (ولز) ﴿ كل دين لا يسير مع المدنية لا ينفع  
والاسلام هو الدين الحق الخ ﴾ فانتشار الاسلام في الشرق والغرب الآن ومعه أمثال هذا للتفسير ربما  
يساعد على اتحاد ام الشرق والغرب ويتم إذ ذاك حديث الصدقة وعدم اخذها  
الانوار على ﴿ قسمين ﴾ نور ظاهر وهو نور الشمس والاقمار والكواكب ونور باطن وهو قوى النفس  
وما فيها من الصور والانسان لجملة يحقر الأمرين معا الشمس والكواكب وقواه الباطنة لأنه لم يتعب في

تحصيلها . أما الصور الشمسية (الفوتوغرافيا) مثلاً فإنه يفرح بها لأنها جاءت له بعد التعب فهو مجهول والصور المألوهة نفوسنا وكل أنوار في الأرض إنما جاءت من السماء ويقاس عليها أنوار عقولنا فهي من السماء لا من الأرض . فإذن قضى لاحد لها فلا درسها ولا أقلد بعض الشيوخ الجاهلين الذين قالوا ﴿ إن الأعمال الدينية لا تهترب العبد من ربه ﴾ وهناك طوائف يقتصرون على الذكر وحده ولا بد من قراءة كل علم في الدنيا لأن نفوسنا لاحد لها ، ولكن هذه القراءة توزع على جميع الأفراد وهم متعاونون تعاون قوى البصائر سواء بسواء ، هنالك يتم سعادة هذه الأرواح المرسلة من السماء بالاتحاد العام وترتقي لارتقاء لاحد له والله لا يعطي هذا الانسان إلا على قدر تعاونه العام

٨٩ (القرآن والعالم المادى) المادة لم نرمها منفعة إلا على مقدار ما استخرجناه منها كالمعادن ونحوها من الأرض ، هكذا القرآن لا تنتفع منه إلا على مقدار ما نستخرج من علومه ، فهذه القصص فيه قد ترك الناس مغزاها . عرف سليمان قيمة نعمة العلم بكلام الخلة فشكر النعمة وهكذا في مسألة العرش واستقراره عنده وشكر النعمة بقبولها والعمل لها . مسألة الهدى فوزى سياسى ومسألة الخلة فوزى علمى فوجب عليه شكر النعمتين ومن لم يشكر النعمة سلبها ولا شكر إلا يعلم . سبأ كان لهم سد العرم والجنات فكفروا النعمة فزالت والشياطين يملكون لسليمان محاربين وتمائيل ، فهنا علم وصناعة وزراعة فالأول بالخلة والثانى بذكر الهدى والثالث بعمل الجن الصناعات لسليمان والرابع بجنتى أهل سبأ وكلها قد ذكر معها الشكر أوضده . إذن هذه القصص جاءت لا يقاط المسلمين لأمثال هذه الأعمال ولا نذارهم بأعمالها . هذا بعض سرآية - وقليل من عبادى الشكور - وكل ذلك مناسب لهذه الآيات لأن أرواحنا نور من الله وللمناسبة الهدى والخلة التى ذكرت في مساق الدواب والطيور هنا

٩٢ تفصيل الكلام على الشكر وقول المصلى ﴿ ولك الشكر الخ ﴾ ولا شك لأمر الاسلام اذا لم يحافظوا على عروشهم وعلى بلادهم ولم يتركوا الترف والتمتع . والمالك اختبار للانسان لا تخليد وسلبات يقول فيه - ليأوى أشكر أم أكفر - فكيف بالمسلم الذى لم يعبده الله بالمالك كما وعد سليمان عليه السلام . وبيان أن السلام في بلاد الاسلام لا يتم إلا بتعميم التعليم وجميع أقوال الصلاة تشهد لهذا المقام

٩٤ ذكر أن أمان الله خان قد حمت الثورة أنحاء بلاده كما كنت أنوقه في نفس هذا التفسير (سورة الحجر) وأن هذا التفسير جاء لمساعدة الملوكة والأمراء المصلحين فهو خير من الضغط الذى يورث الانفجار

٩٥ ونظير هذا ما حصل أيام للمفغور له محمد على باشا إذ اعترض العلماء جهلا على الأطباء لاتخاذهم الحجر الصمغى (الذى هو شرجى) حقاً وهم نسوه وردة عليهم فسكتوا . كل ذلك وهذا للجهالة بهذا الدين بيان أن ما قوله في هذا التفسير قد ابتدأ العلماء قبلنا كالامام الغزالي فقد ذكر أسناف الحيوان واقسامه وعجائب البقعة والنحلة والعنكبوت وهندستها وأن الناس لما ألفوا ذلك سقط وقعه من قلوبهم ولا يجهلون إلا من الأمر الغريب مع ان الحجاب كثيرة أمامهم في الأنعام ومنافعها وفوائدها وقطعها للبوايد وهكذا جاء في كتاب التفكير أحداث وآيات للحث على التفكير . ولقد سلب الله على المسلمين صفات العلماء الصوفية من الداخل والتأثر من الخارج بعد العصور الأولى ، فهذا الذى كتبناه في التفسير اليوم تتم به ما كانوا ابتدؤوا قبل (٩٠٠) سنة ونسير معهم لامع المتأخرين الناجين

٩٧ بيان أن علماء أوروبا في القرن العشرين ينظرون لعلومهم في القرن التاسع عشر نظرتهم الى الأطفال كما تقسم في (سورة المؤمنون) فصار المتعلمين من المسلمين الآن عرفوا آراء القرن التاسع عشر والى الآن لم يعرفوا آراء علماء القرن العشرين فضاوا وجهوا

٩٨ يقول الامام الغزالي « أعظم علوم القرآن أسماء الله وصفاته ، فعلى المسلم أن يفهم صفات الله من ذكر أفعاله كالمسوات والأرض بحيث يرى الله في كل شيء وكل شيء هالك إلا وجهه وأوّل علم المكاشفة أن وجود كل شيء تابع لله فليتنازل المسلم أعضاء الانسان ومجاثبه الظاهرة والباطنة ولتكن تذكرة بصفات الله ﴿ ويناسب هذا قطرة الماء المتخمة وانها ترجع هي وجميع المادّة لأتوار ، وهنا ذكر الغزالي رحمه الله انصراف الناس عن فهم القرآن بتيقظهم لخارج الحروف أو للجمود على منذهب أو لاتباع الهوى أو لتفسير لفظي جدوا عليه

٩٩ بيان ماهو التفسير بالرأى المذموم كأن يفسر القرآن مبتدع ويلبس على خصمه كأن يجعل حديث ﴿ تسبحوا ﴾ للستغفرين بالأسحار وكان يفسر بظاهر العربية وقد جهل الحذف والاختصار الخ وذم التفسير بالرأى لا ينافي ماقله عليّ وأبو البرداء من أن للقرآن وجوها والاختصار على المنقول عن الصحابة جهل ورسول الله ﷺ لم يعم بتفسير القرآن كله . إذن القرآن فيه معان تفتح لكل جيل فافعلها جهل الجوهره الأولى في آية - لقد أنزلنا آيات مبينات - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - وهو التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٠١ هنا ﴿ موضوعان ﴾ الموضوع الأول ﴿ محاضرة في القرآن الكريم وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق ألقاها في مؤتمرات الشرقين الأستاذ محمد أحمد بك جاد المولى المفتش بوزارة المعارف وقد سمعها (٧٠٠) عالم منهم (٧٠) علما من الألمان في مدينة (أكسفورد) وأقروا هذه الخطبة التي اشتملت على أن النبي ﷺ أعظم مصلح قام في الأرض وفيها وصف القرآن ومحتوياته وآثاره في اللغة العربية وأثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية ، وفيها ذكر العقائد والفرائض الدينية والأوامر والنواهي والانبأار والتبشير والجدل والتحتي والقصص والتشريع الاجتماعي والجنائي والمدني والحربي والوعظ والارشاد ، كل ذلك مبين بالآيات

١٠٢ بيان أن سيدنا محمدا ﷺ أعظم مصلح ظهر

١٠٧ أثر القرآن في الأحوال الخلقية وأثره في الحال العلمية

١١٠ ومن التبيين القوي وصف به القرآن ما جاء به تعريف كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ في الجمعية الاسيوية الفرنسية على يد عشرة علماء وفلاسفتهم إذ جاء فيها أن هذا الكتاب أثبت أن الاسلام دين الفطرة بعد أن نخصوا ما في الكتاب من المباحث التسعة وأن مباحث ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ التي طبعتها المؤلف على القرآن جاءت بطريقة سهلة لم يسبق للمؤلف بها أحد من أمم الاسلام الذين جدوا على الألفاظ جودا معيبا أتى الى انحطاط أمم الاسلام

١١٣ أنواع تبيين القرآن في الارشاد خاصة وهي ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ووضع كل منها في موضعه ، ومن ذلك آية التي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك فلم يكلمه إلا بمسألة الشمس ومشرقها ومغربها لأن الغرود من عبادها . فهذه مجادلة ولذلك لم يقل فيها - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - الخ وما قال هذا إلا عند آية الحكمة وهي التي في الأنعام حين ذكر الشمس والقمر والنجم ، فهذه حجة وإيقان . فأما الموعظة الحسنة فثل آية الكرسي ونحوها فهذا من تبيين القرآن ، ومن الحكمة المحبوبة في القرآن قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وهذا عند التكلم في الاضاق والمناسبة التامة لا تعرف إلا بأن يعرف الناس انهم جميعا اذا تعاونوا شرقا وغربا سعدوا السعادة التامة لأنها ترجع الى كل فرد على قدر كثرة الاتحاد العام ، ولقد

جاء في كتاب أصول القوانين أن للدار على اسعاد المجموع وكذلك مسألة الخضر وموسى فقتل الغلام لاصلاح الأسرة كلها ، فالصبي الخاصة للاصلاح العلم لاضرر فيها بل قتل الكفار يوم بدر لنفعة أعم وهو اسلام أبنائهم وهم أم كثيرة

١١٥ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - ومأواهم النار وبئس المصير - وتفسير الآيات اللفظي

١١٦ ﴿ أربع لطائف ﴾ اللطيفة الأولى ﴿ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - وأخبار النبي ﷺ لمدى أن الامن يعم البلاد حتى ان الطغينة لتأتى من الحيرة وتطفو بالسكبة فلا تخاف وهذا مجزء ، ثم اللطيفة الثانية ﴿ في قتل عثمان وفي أن الاسلام دين علم وعمل

١١٧ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها . فصل في أن المسلمين ينقسمهم أمران الاتحاد والعلم . ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم . معنى الجهاد وانه ليس خاصا بضرب العدو بالسلاح بل هو يشمل كل ما يقوى الأمة من زراعة وتجارة وصناعة بجميع الصناعات فروع كفايات جهاد

١٢٠ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى - لعلكم تعقلون - وتفسيرها اللفظي

١٢٢ ﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ - إنما للمؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - الى آخر السورة وتفسيرها اللفظي خاتمة وفيها ملخص السورة

١٢٤ الجبال والنور في سورة النور وفيها ذكر نلسب السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في ذكر خلق

الانسان وانه من نقطة فخصفة الخ في سورة الحج وفي سورة المؤمنون ، فأما في سورة النور فقد جاء ما يحفظ حواسه ، ففي الأوليين جعل هيكل الانسان مستمدا من الأرض والهواء والماء والغذاء أى من كل ما حوله وبذلك قيل - فبارك الله أحسن الخالقين - الذى جعل له منافذ تطل على العوالم المحيطة به فيستفيد الانسان بها ، ومن عجب أن اللسان يعبر عن كل ما أحس به بحواسه الخمس من هذه العوالم وأيضا حاسة البصر تشاهد صور كل ما عرفته الحواس الأخرى من المنومات والمشومات الخ وتعرف نعمة الحواس بموارنة الانسان بالود الذى فقد أكثرها ، وأكثر الذنوب ذنوب اللسان ويعين عليه طموح العين لحاسن النساء . إذن اللسان خلق لمنفعة هامة فوضعه في غير موضعه ظلم . خاطب الله عباده بهذه الحواس والجوارح فهو يقول الناس ﴿ فريقان ﴾ أصفاء وأغبياء ، الأغبياء ينظرون جالى في النجوم والنار والأزهار فلا يعقلون إلا ما يشتهونه كالحيوان ، ومتى سمعت لهم سائحة بحوالا سلطت عليهم زبانية الشهوات تضر بهم بمقامع من حديد فتدفعهم الى أسفل شهواتهم وألسنتهم عاكفة على الأذى لتوهمهم كأصحاب الإفك . إن تكلفى لكم بالسجود والتحميد لتذكروا نعمي المحيطة بكم فليس الجبال في الانسان وغير الانسان لمجرد التناسل . ألم تفكروا في تنويركم بعد فراغكم من تلك اللذة . تتادىكم الشمس والقمر والنجوم والأشهار والطير المفردات أن هلموا الى العلا . ان لم تصونوا اللسان عن تضييعه لأوقاتكم والفرج عن الفاحشة والعين عن المحرم فكيف ترون انى نور السموات والأرض ؟ أنكم تحجبون عنه . الحيوان لا يسرف في لذة الوقاع فالحكم تسرفون

١٢٧ آراء الانسان المخرقة في عقله أجنحة يطير بها الى العلا . السمع والبصر والفؤاد اتم عنها مسؤولون . هذه الجبل ملخص سورة النور

١٢٨ ﴿سورة الفرقان﴾ هي ثلاث مقاصد : المقصد الأول ، من أول السورة الى قوله - بل هم أضل - مبيلا - قد كتب مشكلا بالحرف الكبير

١٣٠ التفسير اللغوي

١٣٣ تفسير لفظي - لقد أضلني عن الذكر بعد إذهابي - الى قوله - وأصحاب الركن -

١٣٤ تفسير لفظي لقوله تعالى - وقرونا بين ذلك كثيرا - الى آخر هذا المقصد - وهنا (١٥) لطيفة

١٣٥ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وتبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - نذيرا - كما اختل النظام كان الملك أسرع انحلالا ، وكما كان العدل أتم كان لللك أديم ، وبيان الهدية التي يقال ان أرسطاطاليس أهدها الى تلميذه الاسكندر وهي دائرة ذات ثمان كرات وكل منها تصلح مبدءا ونهاية اشارة الى أن الأمة متضامة وفي هذه الكلمات علم السياسة كلها

١٣٧ اعتراض على المؤلف بأنه لايفتر عن ذكر الحيوان والكواكب في كل مناسبة ؟ فنحن في صفات الله فلماذا نتعدها ؟ وجوابه اننا لانعرف دوام الملك بقولنا إلا بالوارثة فلما دام ملك الله ولم يهدم ملكه بشي آدم عرفنا أن ذلك من التقدير في قوله تعالى - فقدره تقديرا -

١٣٨ بيان الدائرة الكبرى العلة - بخاريها فيكون مطر بتحريك الشمس له أولا وللوهاء ثانيا وهي تلح على الحب البثور فينمو ويقادح الحيوان والنبات التنفس فماخرج به الحيوان بالزفير ينفع النبات والعكس وغذاء الحيوان متوقف على السباد الذي ينما يكون من فضلات الحيوان ، والانسان متوقف على النبات والحيوان والجميع على ضوء الشمس والهواء - هذا نظام عام - فأما الخالص فكجانب النحل والفحل وقد كتب منه كثير في هذا التفسير ، ومن نظام جسم الانسان تعاون الدائرة التنفسية مع الدائرة السموية وهكذا بقية الموائر الثمان المتكئة في سورة المؤمنين - فهذه دوائر متعلقات تعد بالعضرات أوسع من دائرة (أرسطاطاليس) التي هي في سياسة الأمة وحدها وهذه في نظام العالم العام فتجب وافرح بالحكمة - وهنا ذكر اللطيفة الثانية وفيها ذكر حكم (توت) وهو (هرمس) وأعداد المتواليات العديدة عند قدماء المصريين وذكر الباقونات الثلاث في ترتيب الآلة - وبيان أن الانسان جنين في الأرض (٣٠٠) ألف سنة وهو اليوم طفل والحقائق تظهر الآن واختار الاسلام في افريقيا ورفقيهم ونشره في الصين ليرجعوا له بعد احتقار الأصنام التي شرعوا في تحويرها الآن بالعلم وبيان أن مسلمي الصين الآن علمهم قليل

١٤٣ ملخص هذا المقال أن الأمم كلها أطفال وأن رحة الله تشمل الأمم كالأفراد وأن دين الاسلام مهد لهم ليهتدوا به ، وان التقديم والتأخير حصلا في قوله - نزل الفرقان - وقوله - الذي له ملك السموات والأرض - فإزال القرآن بجملة فعلية وملك السموات والأرض بجملة اسمية والأولى للحدث والثانية للديموم - فتم الله ذكر نزول القرآن بجملة تقتضي الحدث وأخر ذكر ملك السموات والأرض وهذه هي حال المسلمين الآن لم يعرفوا إلا ألفاظ القرآن كالصبي يرضع لبن أمه ولم يفقهوا ملك السموات والأرض مع أن هذا الملك ترتيبه الوجودي قبل نزول القرآن وهو دائم فلتأخرون من المسلمين كالأطفال الرضع وسيمرحون العلم بملك السموات والأرض بالقرآن ليكونوا رجالا كما يفعل الشاب بعد زمن الصبا ، وبيان أن مافعله مصطفى كمال باشا من عدم مزج العلم بالدين (طرفة) لا تؤمن عواقبها كما حصل بعد كتابته هذا الموضوع للأمبر أمان الله خان الذي قلده مصطفى كمال باشا في تلك المجازفة وهذا كالأدوية المسهلة تنفع مؤقتا ولكنها تترك في الجسم داء ، وذكر أقوال الأطباء مثل (فرانشتاين) الانكليزي القاتل (إن

الضعف ناتج من استعمال الأدوية ولو كان المستعمل لها طيبا ماهرا ( ومثل الدكتور ( كيمسر ) القائل ( إن السواء والطبيب كلاهما شر من المرض في أغلب الأحوال ) وهنا ( ٨٠ ) عالما قرروا أن الاقتصاد على الطبيعة كالسواء والغذاء الجيد خير من الأدوية ، فهذا تمثيل لأمر السياسة فعزلها عن الدين أشبه بهذه الأدوية ولا فرق بين جسم الأمة وجسم الانسان والطبيب السياسي والطبيب لجسم الانسان . وبيان أن هذا التفسير روح بها الله في الاسلام لترجح الملوكة والمصلحين من العناء وإن كانت آثاره يتأخر زمان ظهورها ولكنها تقوم

١٤٦ وبيان أن ذلك نظير شيخ طريقة كان مجاورا لى في طولون ، وكان يظهر بعض الكرامات الصناعية

فهباه المرءون في الصعيد بمصر وهذه حال لا تفيد لأنها وقتية كالأدوية التي ذتها الأطباء

( الباقوة الثالثة ) في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - . نظرة المؤلف للعنكبوت اتخذت لها بيوتا وضربت خيامها في آلاف الأفندة بجوار ( بلدة المريج ) قرب القاهرة وانها نساجة غزالة صائفة مفترسة للذباب وهي أشبه بالأمم الصانعة التي فتك بالأمم الزارعة لأنها أرق منها وقد عرف هذه الفكرة السلطان سليم فانه لما فتح مصر أخذ جميع صناعاتها فبقيت البلد زراعية ليتمكن استبعادها ، وهنا بيان مافى جسم العنكبوت من المصنعين مصنع الغزل ومصنع السم جلب المنفعة ودفع المضرة ، ومثلها في ذلك النحل لها ( مصنعان ) مصنع لصناعة العسل ومصنع لاحداث السم ، فاذن جميع ما في الأرض من مصانع التخميرة ماهي إلا تكرر الصانع في الحيوانات كهذين المصنعين في العنكبوت والنحل ، وهكذا مصانع الغزل والنسج والسكر تكرر لذلك في العنكبوت والنحل ، وبيان أن العنكبوت ليست من الحشرات كالذباب والنحل في عدد أرجلها فهي ذات ٨ أرجل والحشرات ( ٦ ) أرجل ، ومثل العنكبوت العنكبوت في عدد الأرجل وكذلك أبو شيت وأكثر الحشرات غير سقطة وأقلها كالنحل والزنبور سام بخلاف العناكب والعقارب وأبو شيت . هذه حكم المصانع من مغازل ومناسج وذخيرة للاهلاك ملأت بيوتنا وحقولنا في الأماكن التي تركها الانسان لتكون عبرة لعقلاء الأمم المفكرة ( شكل ٢٧ ) فيه رسم جهاز الغزل في جسم العنكبوت مكبرا ( شكل ٢٨ ) رسم ابرة النحل مكبرة جدا ( شكل ٢٩ ) رسم العنكبوت وله إرتان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت ابرة مكبرة والى يمينها الفتحة التي تفرز السم ( الحكمة العملية ) وهي ان الأمم الصانعة تستعيد الأمم غير الصانعة لأن الأولى تخلفت ببعض أخلاق الله ، انظر الى الألمان الذين صنعوا حرايرا من خشب القطن وخشب التوت وهو أرخص من حرير البودة وإذا دام هذا تنقرض البودة . في الهند يزرع نبات نيلة الصباغة في مليون فدان فلتستخرج الألمان مادة الصباغة من الفحم فبارت تلك الألمان . إذن هذا الانسان خلق في الأرض ليصنع كل شيء بنفسه فلا يتكلى على حيوان ولا نبات وهذه حال أشرف للانسانية العامة ويكون الانسان أقرب الى ربه

١٤٩ بماذا يشيئ الله لناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما الذباب نفعة لأنه يحيل الرطوبات الى جسمه ولكن هو نفسه ينقل العدوى لأعراض كثيرة ، لذلك خلق له العنكبوت يسلط عليه . إن الامم الموفرة الرزق ذليلة والأمم التي تعبت في التحصيل عزيزة الجانب . فالأولى كالذباب الذي يجد الرزق في كل مكان والثانية كالعنكبوت الذي يحتاج الى شبكات يصطاد بها . هذا كله من معنى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - . لذلك كله ضرب الله الأمثال وأزله في القرآن إذ علم أن المسلمين سينامون أمدا طويلا فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - ( بكسر اللام ) ثم إن هذا التقدير ليس خاصا بما فوق الأرض بل يشمل مافى البحر من السمك ومن الحيوان صاحب السيفنة

١٥٧ فهنا سمك كهربائي (شكل ٣٠) و (٣١) يكون بالبرترول وغيتا ويقتل السمك بالكهرباء المتولدة من صفائح منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمسامير المستترة الأضلاع . فهذه جعلت لصيده في البحر كشبكة العنكبوت في البر وهكذا (شكل ٣٢) صورة حيوان (التويلوس) أو صاحب السفينة بهجة العلوم المتطورة في لوح الطبيعة وهي (ثلاثة فصول)

١٥٨ (الفصل الأول) في خطاب الله للأمم ، وفيه بيان أن منازل بني آدم تكون ظواهرها حيطانا متينة ولكن الحيوان منه ما جعل كذلك كصاحب السفينة وأمثاله من كل ما جعل له صدقات تحيط بحجمه ومنه ما لا صلافة في جسمه لا داخلا ولا خارجا كالحشرات ، ومنه ما جعلت صلابته في الداخل لاقى الخارج كالإنسان وذوات الأربع والطيور أى جميع الحيوانات الثورية فهي تخاف بناء منازلها ، صلبها داخل ولطيفها خارج كجلد الإنسان والحيوان بالنسبة للعظام

١٥٩ (الفصل الثاني) في خطاب الله للمسلمين بنفس هذه الحيوانات ، يقول هذه سقى وهذه أفعال فسقى ابراز جميع الصناعات كما أرى يتم في جسم السحل والعنكبوت والسمك وصاحب السفينة

(الفصل الثالث) في خطاب الله للأمم الاسلامية المتعبرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكان ، وفيه بيان أن الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وأخبروا بالغيب فرضا لا يدل ذلك على رفعة قدرهم فإن اتوهم المغناطيسى قد حدث بذلك صدقا نارة وكذبا آخرى ، وهل زاد الصادق من هؤلاء الشيوخ عن المهدى إذ أخبر سليمان بما لا يعلم ، فهل المهدى بهذا الاخبار صار أفضل من سليمان ؟ وهل خرق بعض العادات من غير الأنبياء إن صح أنها المسلمون يزيد عما صنعت العنكبوت من المراكب الطائرة التي طارت بها في الجو ، فهل اتخذت الحيوانات البرية العنكبوت أئمة لها لما فعلت ذلك ؟ أم اتخذت حيوانات البحر السمك الطيار أئمة لها بسبب الطيران غير المعتاد عندها . أيها المسلمون والله ما دمت جهالا فاني أرسل اليكم هؤلاء الجهال ليصوموا دماءكم هم والمستعمرون من الأمم القوية جزاء ما كنتم تجهلون الاسماء مثلا القوم الجاهلون

١٥٧ ذكر ما قاله الشيخ الفياض من أن من فتح الله عليه بسبب العبادة ونصب نفسه لقيادة الناس وجعل ذلك بابا للرزق فهو غامر ، وبيان قول الفيلسوف (سبنسر) ان الناس قروا قبل أن يكتبوا فعلمنا أن نبتدىء بالكلام قبل الكتابة مشاركة لتاريخ ذلك والله خلق العالم قبل خلق الإنسان . فليدرس المسلمون الحيوان والنبات وظواهر العلوم قل درس تشرح الإنسان . إن النبات والحيوان مخوفان قبل الإنسان فليدرسوا قل دراسة جسمه ليكون ذلك أسهل لهم جسم الإنسان فهذا صراط الله ونحن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهذا المعرف يرجع الى المنكر

١٥٨ بيان أن الطوفان والجراد والقمل والضفادع المذكورات في القرآن انها آيات مفصلات من الأمثال التي ضربها الله للناس وما يعقلها إلا العالمون . إذن هذه آيات مفصلات وآيات القرآن آيات مفصلات ولا تفصيل لآيات هذه الحشرات والحيوانات والطوفان إلا يعلم يشمل نوع الإنسان . وليس يعقل تلك الآيات إلا علماء بنص القرآن . فالسليم الجاهل يحقر الضفدعة والقملة والجراد والهم ويقول هذه أشياء معروفة أما أعرفها ولا يحتاج الى علم ولا فهم ولكن انه يقول كلام لا لا يعقلها إلا العلماء اخصموا بها والجاهل يعلم كل شئ والعالم يتوقف حتى يعلم . فالطوفان يهلك البلدان اذا لم يحترس الناس من غوائل الأنهار كالنيل ولم يدنو القناطر والجسور . وترى بلاد اليمن زراعية كان بها سد العرم قديما فانتفخوا به واليوم لا علم في البلاد كالذي كان في الجاهلية أيام عمالك سبأ فأفقرت الجنتان . وهل يرجع المجد



للقوم إلا بالتبحر في علوم الهندسة وأعمالها كالأتم حولنا اليوم ؟ وهل يعرف المسلمون ماعرفه الناس في أيامنا من أن البراغيث تستعمل الفيران كما نستعمل نحن الخيل فتركب منها وتهجم على الناس فتقع على الأجسام حاملات جراثيم مرض الفيرقان والذيف ومرض السودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون وأن نفس الفيران مدمرات لما تحفره وأن الاحتراس منها ومن البراغيث يستحيل أن يكون إلا بعد العلم بذلك المخطرون لم يعلم لم يعمل . هذا معنى كونها آيات مفصلات . ثم البرغوث ليس مذكورا في الآية ولا الفيران ولكن البرغوث من الحشرات كالقمل فلذلك كور في القرآن يراد به فتح باب البحث إذن هذه آيات مفصلات وليس يصلها إلا العلم بها والمسلمون أكثرهم اليوم جاهلون بها . إذن على المسلمين جميعا أن يدرسوا هذه العلوم من باب فرض الكفاية وهي طاعة واجبة . وهذا زمان ظهور سر بعض أسرار القرآن . كل ذلك من قوله تعالى - وقتره تقديرا - لأن هذا من التقدير والنظام وهو لا يعرف إلا بالعلم

١٦١ ومن هذه الآيات المفصلات (النموس) الذي يسبب مرض (الذبح) الذي يسمى بمصر (أبالركب) ويسمى (حى البلع) فلهذا المرض جراثيم لم يمكن رؤيتها لبقثها وتنتشر بالناموس والناموس يتغذى من دم الإنسان ، وهنا كيفية أعراضها وكيفية منع انتشارها وطرق الوقاية منها في بلاغ الحكومة المصرية إذ أمرت أن يعدم الناموس وأن تقطى الأسرة وأن لا تترك الماء راكدا لأن الناموس يعيش فيه ولعزل المريض عن الأصحاء . كل هذا ذكرته لبيان قول الله تعالى في سورة أخرى في هذه الحيوانات وأمثالها أنها آيات مفصلات فهذا نوع من تفصيلها بالعلم والمسلمون إذا لم يعلموا هذا فأنه لهم بالمرصاد في الدنيا بالقل وفي الآخرة بمجهنم

١٦٤ ﴿الطيفة الثالثة﴾ - ولعلكم موتا ولا حياة ولا نشورا - ويان أن هذه (سبع صفات) لابد منها للالوهية وبيت التصيد منها قوله - ولاننشورا - لأن الإله الذي يخلق الخلق ثم لا يسيده قد فعل فعلا عبثا فالإله كامل والكامل لا يفعل العبث بخلق أرواح في الأرض ثم اهلاكا بلا فائدة ترتب عليها . وانظر إلى عدد (١٩) التي مرت في الطيفة السابقة فقد جعله قدماء المصريين رمزا للبعث

١٦٥ ﴿الطيفة الرابعة﴾ - وقالوا مال هذا الرسول - الخ - . الناس لا يعظمون إلا من كثرت ماله وحشمه والترف عندهم علامة الشرف فكيف يأكل الرسول الطعام الخ وهذه الفكرة الجاهلية هي هي نفسها اليوم تملك قلوب كثير من أم الإسلام إذ يقولون لو كان ديننا حقا مادخل الفريضة بلادنا

١٦٦ الطيفة الخامسة - ولكن متعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - يقول المعبودون جوابا على سؤال الله لهم عن العابدین ان هؤلاء تنعموا فاتبعوا أهواءهم فهل كانوا ، وعليه يكون الأنبياء المذكورون في الآيات لو أنهم لم يشعروا في الأسواق وكانت لهم كنوز يأكلون منها لكانوا متعمين والمتعم ضال غالبا . إذن الفتح ليس نتيجة التوبة بل نتيجة الضلال ، فالأنبياء إذن ليس من شرط نبوتهم الفنى . إن الملائكة والأرواح العالية لا تسكلم إلا نفوسا ترفضت عن المذبة ، فأما الشهوانية فقد احتل الناس في زماننا على محادثة منها أرواح بالمائدة وبالفتنجال وغيرها مما هو مشروح في كتابي ﴿الأرواح﴾ وأكثر لأرواح التي يكلمها الناس بالصناعات المتقدمة أرواح كاذبة ساقطة تصدق وتكذب

﴿الطيفة السادسة والسابعة﴾ النعمة معها قيمة والمضار فيها منافع . ان في أجسامنا الحيوانات البيضاء تساعد الجراء في الدم وتحارب الترات لتتمك بأجسامنا وفي أثناء القتال تحصل الحرارة فنسميها حي والتلقيح المعتاد يراد به ادخال حيوانات مهلكة تمرث الكرات البيضاء على الحرب فتكون ذريتها معدة لهلاك حيوان كل طاعون أو مرض مهلك في الجسم . هذا كله سر قوله تعالى - وجعلنا بعضكم

لبعض فتنة - ومن هذا منافع الأعداء ومنه قول الشاعر \* عدائي لم فضل علي ومته \*  
 (الطائفة الثامنة) - وقد منا إلى ما عملوا من عمل - الخ - نيات الانسان وآراؤه اذا تركت مبعثرة كانت  
 أشبه بفرات الضوء في طبقات الجو لا ظهور لها ولكنها تجتمع على وجه الأرض فيظهر ضوءها هكذا  
 الأفكار إن لم تجتمع في نقطة في العقل ذهبت شعاعا بلا فائدة  
 جوهرية في قوله تعالى - أمحباب الجنة يومئذ خير مستقرا - الخ سؤال طالب من دارالعلوم يقول كيف  
 تصور وجود الله وعقولنا لا تعقل كيف كان هذا الوجود ، ثم كيف يعذبنا وهو المقدر لكل شيء فأجابته  
 المؤلف على السؤال الأول

(١) بأن المثلث والمربع وقضاي الحساب وغيره ثابتة في نفسها كالأعداد مثلا ، فهذه القضايا الثابتة  
 بنفسها تقرب لنا وجود الله بدون خالق وإضافتنا ولهذا أرضنا صغيرة فهي صغيرة بالنسبة للعالم كلها بحيث  
 اذا كانت الأرض جوهر افردا كانت العوالم على نسبتها ألف مليون أرض فكيف نطمح أن نعقل خالق العالم  
 (٢) وأيضا نحن لا نعرف العلم ، فليت أجزاءه باقية بعده وكانت موجودة قبله بل المادة قبل اليوم  
 انها تعلم وترجع الى أثر ولكن الأثر موجود ، إذن لا عدم والوجود هو الأصل ، إذن وجود الله  
 أصل لا يحتاج الى تعليل وليس فيه غرابة اى فلا نقول من خلق الله ، والاجابة على مسألة القدر وهي  
 الثانية بأن ندرس أجسامنا والعوالم كلها لنعرف الرحمة ، فلننظر طبقات العين مثلا وقد أعنت لتستظر  
 الأنوار الآتية لنا بعد سيرها (١٠٠) ألف ألف سنة ، فلجنة لاحد لها قد مكنت العين من رؤية  
 أجرام بعيدة جدا ، ومن الرحمة اذلال العناصر للانسان بحيث أمكنه بالكهرباء أن يوسع درجات الحرارة  
 بحيث صارت (١٤) ألف درجة فوق الصفر و (٤٤٩) درجة تحت الصفر بسبب القرن الكهربائي  
 فنصرف في المادة وحول الهواء (الاوزون الذي فيه) مع الاودروجين الى نواشيد وهذا دخل في سداد  
 الزرع وفي الأعمال الحريية ، فنحن في يد الله يصرفنا تصرفنا للعناصر بالحرارة وهذا جعل لرقينا  
 فكل ألم انما هو لمنفعتنا ، وأيضا السنة أمرت بترك الكلام في القضاء والقدر - ومن أراد الكلام  
 فليستكر في أن لكل امرئ جنة ونارا في نفسه فاطوف من التعبير بالتأخر عن فنارائه وهكذا لحوق  
 العار بنحو الفسوق - كل هذا يعذب به الانسان ولا يفيد ان يقول هو قضاء وقدر ، فالتاس يحسون  
 بالآلام الضمير وقد انطبق عليهم قوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة \* ولوالقي معاذيره -  
 وهكذا نرى المجدين منشغى الصدور بنجاحهم في النهاية ، فلكل امرئ عذاب ونعيم لاحقان به في  
 الحياة الدنيا ولكن هذا يصير مجسما بعد الموت - ومن ذلك الخياط (شوارد) الانجليزى الذى قتل  
 زوجته ثم ندم وقيم نفسه للمحكمة فقتلوه وذلك لشدة ضغط ضميره عليه - إذن لم يكتف ضميره بالقضاء  
 والقدر - إذن العذاب يكون في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامة وذلك ظاهر في جميع قصص القرآن وفي  
 حديث قلبه يدومندادة النبي ﷺ للقتل في القلب - ثم يبان أن عذاب الخزي هو أشد أنواع العذاب  
 ١٧٥ يبان ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح وضرب مثل لذلك أولا . ذلك اننا في الأرض اتخذنا  
 من الجبال حجارة فبنيناها ووضعنا معها ما يناسبها . واتخذنا ما في باطن الجبال وقرار البحار من الأنهار  
 الكريمة والجواهر لعلناها زينة للحسان ونحوهن ونرى رجال السياسة بناء الامم يكتفون من الشعوب  
 بطواهر التآلف وثلمهم رجال الدين . أما الحكماء فيقولون . كلا . فالعقول الصافية العالة هي المقصودة  
 في عوالم الجنة وهي أشبه بالجواهر تتحلى بها الحسان والله لا يصطفى عنده إلا هؤلاء المخلصين فهم كالجواهر  
 أما الباقون فهم كحجر البناء وحجر البناء لا يصلح للزينة لعدم المناسبة وهذا معنى الحديث « انا أحكم

بأظهاره والله يتولى السرار ، هذا هو المثل الذي ضربناه . ويقول الأستاذ (محمادويل) الذي ختم ذكره في التفسير وهو من علماء الأرواح ﴿ إن الذين قرؤا العلوم وامتزجت بنفوسهم وأحبوها هم الذين ترتفع منازلهم بعد الموت ، أما العلوم التي حفظت بدون تطلعا في النفس فلا ترتقي الروح بعد الموت فاعلم بهذه الدنيا ونظامها على هذا الشرط يجعل النفس مع الأرواح العالية ﴾ . ويقول المؤلف ﴿ إن آراء هذا العالم الروحاني تشابه آراء الغزالي في كتاب الإحياء ﴾ . ثم يبين أن آيات القرآن تساعد على ذلك ، ألم تر أنه يقول تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الخ فلماذا جعل رزقا من السماء بالطمثا وأخبرنا به وجعل لنا عيوننا بآلاف حشرة (الأرض) التي لا تحتاج للماء المطر وهي حياء ، ماذك إلا ليدكرنا بأن ندرس هذا الوجود ، وأيضا هو أوقف حياة الفرد على حياة المجموع لتعارف ونعد ونستخرج منافع الأرض معا . وبيان أن أخلاق الانسان وأعماله يراها المفلتسون من الملائكة مسطرة على دماغه وجسده كله ، ويخفف في النار بعد الموت أوفى الجنة أو يبقى مدة الى أن تظهر خباياه ثم رسل الى جنة أو نار وهذا كله بواقع الآيات القرآنية . - الكلام على المقال الذي أقيته لذلك الطالب بعد ذلك في وجود الله فيما سبق ، وأن هذه العوالم ترجع الى ذرات ضوئية كهربائية وماهى لإحركات ناشئة من عالم لا تتركه والعالم الذي لا تتركه وراءه موجود - فمقي هو الأصل عرفناه بوجود نفوسنا التي لا تراها وإذا كان الوجود المجارى أو الظاهرى الذى سميناه مادة رأينا لا نلتمس له المادّة ترجع الى الأثير الخ فكيف إذن يكون الموجود الحقيقي الذى هو الأصل . إذن الوجود هو الأصل لا العدم وعلى هذا لا يرد السؤال بقولنا من الذى خلق الله الذى بنى على أن الأصل هو العدم . وبيان عجز المؤلف وعجز العلماء قبله عن ادراك حقيقة عالم الأثير كما همزوا عن ادراك ذات الله والاكتفاء بضرب مثل لله في خلقنا وذلك بعلم الخيال عندنا فنسب ضعف خيالنا الى عظمة هذا العالم المشاهد كنسبة ضعف نفوسنا الى عظمة خالق العالم وخيالنا لبقائه له إلا بنفوسنا وإذا غفلنا عنه لحظة علم هذا الخيال هكذا هذا العالم لو أغفله الله لحظة عدم فلا وجود له ، وهذا يفهمنا - لا تأخذه سنة ولا نوم - ويفهمنا - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - وعليه حاجة في خلق العالم الى مادّة سابقة ولانمال ولاقى عسمة الى شئ غير الإرادة وبه نفهم معنى - كن فيكون - وهذا أصل عجيب فتح أبوابا هائلة مغلقة على أكثر أنواع الانسان والعلم الحديث هو الذى سهل فهمه لأنه أرانا أن المادّة حركات لا غير فهمى معدومة ، ثم يبين أن هذا المقال سيتم في آخر سورة الفحل وهناك نذكر موازنات بين علماء اليونان وتفصيل العلوم المعروفة في القرون الوسطى التي استلهمت منها علوم الأمم الحاضرة

١٨٢

﴿ الطائفة التاسعة ﴾ في قوله تعالى - ويوم تشرق السماء بالغمام - وبيان الكشف الحديث أن ستين ألف كوكب ظهرت الآن وانما في حال التكوين كأنها غمام وأن الشمس وأمانها سترجع الى تلك الحال بعد خراب هذا العالم

﴿ الطائفة العاشرة ﴾ - ويوم يعرض الظالم على يديه - وفيها ذكر أنواع الصداقة وانها (أربعة أقسام) تأتي سر بها وتذهب سر بها أو بالعكس الخ . ضعف السياسة في الأمم الاسلامية اليوم . وبيان أن الأمم الأوروبية قد نبغت في صناعة السلاح وصناعة الحيل والمكر حتى أنهم يرسلون للأمبر وقائد الجيش في أم الاسلام رسولين وكل منهما يحرك صاحبه الى مناوأة الآخر وهناك تكون لهم هم القائمة المرجوة وهذا يناسب الآية - ويوم يعرض الظالم على يديه - الخ

﴿ الطائفة الحادية عشرة ﴾ - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - وبيان أن

١٨٤

المسلمين جهلوا الحكمة في أن أول سورة نزلت جاء فيها الأمر بالقرادة ووصف الله بأنه كريم خلقه الانسان وأكرم لأنه علمه بالقلم فرضوا بالاغتراف من نعمة الكرم ولكنهم لم يرضوا بقبول نعمة الأكرم التي هي نعمة العلم خلق العذاب بنا في الدنيا قبل الآخرة

١٨٦ القرآن وقصص المسلمين ، وكيف نسوا سرّ تقديم كون - المدقة - على كونه - رب العالمين - كما قدم - اقرأ باسم ربك - الخ على ذكر الصلاة . إذن العلم أفضل من العبادة ولكن المسلمون اكتفوا بالعبادة ونسوا العلم . إذن هناك اتفاق بين الفاتحة وبين سورة العلق

١٨٧ القرآن كالبحر الملح ، أخذنا منه علم الفقه القى يشبه السمك في البحر وتركنا الجواهر والرياح فأخذتها أم غيرنا وهي علوم هذه الكائنات

﴿ الطيف الثانية عشرة ﴾ - الذين يحشرون على وجوههم الى جحيم - الخ وفيها أن النبات وأبيه أسفل والانسان يحسه والحيوان وسط بينهما ، فالانسان نبات مقلوب ، وعلى قدر انفصال الرأس من الأرض يكون خطها من العقل فادراك النبات أضف ويله الحيوان فالانسان . إذن النفوس المنحلة تحشر على وجوهها لعدم عقلها - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل - الخ فعل مقدار الجسد في العلم والعمل وارتقاء الغرائز تكون السعادة والكمال

١٨٨ جوهرة في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ وشرح معنى المثل والأمثال (كيلة ودمنة) وقصص (ألف ليلة وليلة) وأمثال اليهود وأهل بابل والمند وقدماء المصريين وهكذا وأن الأمثال انما ألهمها الله لعباده لأن فهم للعالمات منها أبقي لها عند النفوس الانسانية لأنها لا تعظم إلا ما قصبت في محصيله كما ترغب في جمال النجوم وبهجة الأشجار كغيتها في المس والجواهر لأنها عززة عندها لتباعد عنها وغلو ثمنها ، هكذا الأمثال فهي تحتاج الى اعمال الفكر . ونظير ذلك ما شاهدته المؤلف في دار الآثار العربية من سجادة غالية الثمن واتاه من حقيق أثمانها مرتفعة جدا وهكذا قص ابن هرون الرشيد . فهذه كلها لتدريتها جذبت قلوب الناس لمشاهدتها ولو كانت مبنولة لتروكها

١٩١ وهما أن أن أذكر قصة العابد المفتون وهي الرواية الهندية . ذلك ان العابد (كننو) حصد ملائكة السماء (في زعمهم) فأرسلوا له (براموتشا) وهي حورية من الجنة فأضلته بجملها وأنست العبادة أياما كثيرة ففرح بذلك حساده من الملائكة ولما استيقظ لنفسه عرف المكيدة . فهذا مثل لعنة الانسان عند تلك الأم . وتلبها قصة (نال ودامان) الهندية من كتاب (مها بهارته) كتاب هندي . وذلك أن (نال) ملك مملكة (نيساواه) الهندية أخبرته (أوزة) لما اصطادها بجمل الفتاة الفتانة (دامان) ففتن بها وأخبرت الأوزة لما أطلقها (دامان) بحب (نال) فهامت (دامان) به فأخبرت أبها (قم) ملك مملكة (فيدونه) وانتهى الأمر بزواجها . ثم أن إله النار (في زعمهم) أوحى الى (يوسكار) الذي هو أخو (نال) أن يلاجه اليسر وهو بشره يساعده عليه يغسر (نال) كل ملكته وعاش هو وزوجته في التل والفقر ثم رجع معها الى مملكة أبيها وأخذ جيشا وقصد أخاه فسلم له بالاحرب ولا ضرب فأصدر (نال) أمرا بتحريم لعب الفرد على مال لأنه مضيع للمال . وبلى ذلك قصة هاروت وماروت التي ضرب بها الأم السالفة مثلا لفضال الانسان بالشهوات فيسقط من عزه الى أسفل سافلين . ويبان أن تلك الغرافات المنقولة عن نبي اسرائيل جاء في حديث ﴿ حدثوا عن نبي اسرائيل ولا حرج ﴾ جوازها باعتبار انها ضرب أمثال لاحقا في ولكن حقاقتها لا قيمة لها وديننا لا يبيع انشاء روايات على هذا النمط لأن الأمثال لا يعقلها إلا العلماء بها والقرآن نزل لأمة أمية فهو للجاهل والعالم فلذلك منع العلماء مثل هذا لأنه يوهم

أنه حقيقة . وهذه الروايات نقلها المنسرون باعتبار أنها أمثال ولا لم يميز بالاعتراض عليهم في ذلك لأجل أنه بعد ورود الحديث المتقدم . ولقد اعتنى أهل أوروبا بالروايات ورواها بها أهمهم كرواية (وردة) عن قدماء المصريين باللغة الألمانية فقد رقت الشعب والله منح الحكمة من أي قاتل كان . الإنسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويقله إلا المفكرون . طعامه يكون دما وبقية فضلة غليظة وهذه تريح فتصير زرعاً فدما . فهذه كتليد سقط في سنته فأعيد ثانياً وهككنا . وهذا السم يمد الجسم ويكون منه ولد لحفظ النوع كما يفعل النهر من سقى الأرض وإيجاد أرض جديدة في البحر . الذكورة والأنوثة ليست شرطاً في النسل فإن المخلوق لا يحتاج إلى ذلك . إذن الذكورة والأنوثة سلم جعلت لارتقاء العقول بالعلم والأخلاق والصبر والنسك وما أشبه ذلك (وعبارة أخرى) أنها تمرين على الفضائل وعلى حب الله والملا الأعلى لأن الحب (ثلاث درجات) حب الذكر والأختى وحب العلم وحب الله وكل حب مقدمة لما بعده . والناس لما عشقوا وكرهوا وتقاتلوا أنزلوا الله في منزلتهم فاخترعوا آلهة يحاربون ويعشقون وجعلوا الله على حسب عقولهم فجاء القرآن وقال . كلا . الله لا كفو له حتى يحاربه ولا ولد له ولا زوجة

١٩٦ ومن أمثال القدماء ناصح (بناح حنب) وقصة (البحرى الفريق) عند المصريين القدي ركب سفينة وكسرت وغرقت السفينة فلبأ إلى جزيرة وقابلته حبة وأكرمته ورجع إلى بلده . ومثلها السندباد البحرى وقصة حى بن يقظان وروبنسون كروزو وأفسالية وليلة وقوانين (جوراني) سنة ٢١٠٠ قم (الطيفة الرابعة عشرة) - أقرأيت من اتخذ له هواه - الخ . الناس قد حسبوا الستين والشهور والأفلاك والكواكب والكهرباء والبخار والماء وكالوا كل مكيل ووزنوا كل موزون حتى الكهرباء والضوء وكل شئ ولستهم إلى الآن جهلوا أمر نفوسهم فالأنهم - حفظوا قواها ووزنوها لنفوسهم كما اتفقوا بحفظ الضوء ووزنه والكهرباء وهكذا

١٩٨ الإنسان اليوم أكثره في جهالة (انظر هذا في كتابي أين الإنسان)  
١٩٩ (المقصد الثاني) - ألم ترى ربك - إلى - وأرأيت شكورا - قد كتب بالحرف الكبير مشكلا  
٢٠٠ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً -

٢٠٣ هنا (أربع لطائف) - اللطيفة الأولى - ألم ترى ربك كيف مدّ الظل - وتقسيم الأجسام إلى معتمة وشفاقة ومضيئة كالأرض والهواء والشمس ومعنى الظلام والظل وما سببهما وأن الظل والظلام في العالم يقلان جداً وأن الكسوف والخسوف بسبب الظل القمري والأرضى

٢٠٤ (اللطيفة الثانية) - وأنزلنا من السماء ماء طهوراً - ويان أن الماء تظهر فيه الأجرام الفلكية وليس يبقى إذا امتعه النبات أو شربه الحيوان بل هو باق ويرجع ثانياً وهكذا والنفس الإنسانية أولى بالطهارة والصفاء حتى تقبل رسوم المعقولات للطاقات وأحقّ بالبقاء لشدة لطاقاتها وصفاتها . ثم إن الماء كثير التصرف فهو في الأقطار الاستوائية تظهر فيه شهب وذوات أذنان وأقواس قزح وفي القطبين تظهر فيه عجائب وألوان ويدائع تقمّ ذكرها وهكذا القرآن قد مرّ - الله تصرف الماء من ثقلان في الحكم والمواظ والأخبار الخ . هكذا الإنسان فهو يتخيل ويفكر ويحفظ وينظر ويسمع ويمضغ ويهضم ويطيخ السم وهكذا وكل عمل من هذه بعضو خاص . فالنفس واحدة ولكن بالتصرف فيها كثرت أحوالها . هذه هي النفس وهذا هو القرآن وهذا هو الماء المذكورات في هذه الآيات

٢٠٧ (الطيفة الثالثة) في قوله تعالى - الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ وبان

الحكمة في اختيار عدد (٦) مع ان العالم خلق في ملايين الستين فأى عدد ينطبق عليه . وبيان أن العدد (فسان) زوج وفرد والأفراد إما أولية وإما مركبة من ضرب أعداد فردية مثل (٥) ومثل (١٥) والأزواج كلها من ضرب عدد (٢) في كل عدد بعده مثل (٣) و (٤) و (٥) و (٦) وهكذا ثم العدد إما زائد وإما ناقص وإما كامل فلزائد مثل (١٢) لأن مضاربه تزيد عليه والناقص مثل (٨) لأن مضاربه تنقص عنه والكامل مثل (٦) ومثل (٢٨) لأن مضاربهما تساويهما . وبيان الجدول الذى استخرجه العلماء وفيه ظهر ان (٧٣٣) مليوناً ليس فيها إلا سبعة أعداد فقط كواكمل والبقية إما زائدة أو ناقصة ، فاذن عدد (٦) اختير للإشارة الى أن العالم وضع على أكمل نظام لأن الكمال قليل في العدد

٢٠٩ أقسم الله بالمد وهو الشفع والوتر وبالشمس والقمر الخ ولم نره أقسم بغسل الميت ونكفيه ولا بالمحيط واليوسف والذى أقسم به الله شريف . إذن فلماذا لا يبحث المسلمون عنه وينصرفون الى غيره وهذا عجب فقد ألفوا في غسل الميت ونكفيه وأوسعوا . أما هذا فلا

حكاية الشعي لما أوفده عبد الملك بن مروان الى ملك الروم وسؤال الملك له عن نعم الجنة كيف لا ينفد وعن الله كيف لا يكون قبله شئ وهكذا

رؤيا منامية للمؤلف إذ رأى أقواماً يسألونه في عدد (١) زيد عليه (٢) ثم (٢) وهكذا وهو لا يزال واحداً واجابة المؤلف في النوم بأن العدد الذى لانهاية له ليس له اسم فهو عدد واحد بخلاف غيره كلماته والألف وبيان أن الشيخ حسن الطويل قال ان هذا الجواب تقريبى ثم تبيان أن علم ما وراء الطبيعة يفيد أن هذا الجواب في المنام صحيح لأن الوحدة مساوية للوجود فكل موجود كثيراً أوقليلاً يقال له واحد . وبيان أن المؤلف قيل تضير هذه الآية كانت تخطر له خواطر في الأعداد الأولية والفردية والزوجية وأنه لما وصل الى تفسيرها عرف أن المقصود هو المبحث العندى في قوله - ستة أيام -

٢١١ (الجمهرة الأولى) في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ . وبيان قول الله تعالى - يحسره على العباد - وذلك لاعراضهم عن آياته واستزائهم بهامثل ما هنا من آيات البحار كالرجان واللؤلؤ وهكذا

٢١٢ تعجب المؤلف من أمة الاسلام كيف يقوم (اللورد أفرى) الانجليزى فيصف جلال الله في هذه الطبيعة والمسلمون نائمون فأين حب الله إذن ؟ وذكر الشعر الذى في كتاب اللورد المذكور خطاباً للبحر مثل

• إن في صرلك الرقيب رجلاً • الحيوانات في البحار مثل الكاشولات ومثل الزوركل

ويبلغ طول هذا (١٢٠) قصداً وذكر قريص البحر التى يغضى اميالا من سطح البحر

٢١٣ الحشرات وبعض ذوات الثدي ثم الحيتان العظيمة . وطائر صوته كهوت الحمار . وبيان أن جبال البر قاصرة على السطح . أما جبال البحر فهو في سطح الماء وفي وسطه وفي القاع وهناك سمك بعيش على عمق (٣٧٥٠) قامة وضوء الشمس لا يصل لأبعد من (٢٠٠) قامة

٢١٤ ومن السرطان ما يعيش قرب سطح الماء فتكون له عيون فاذا عاش في عمق (١٠٠) قامة الى (٧٠٠) قامة فقد العيون . وكلما كان السمك أبعد عمقا كان أجل لونا وذلك اللون والنور يكون تحت سلطانه فاذا رأى فريسة أضاه بنوره ليراها أو عدواً مفاجئاً أطفأ نوره وقدير قد مصباحه ليرسل الضوء الى عدوه فيكاد سنا نوره يذهب بصره فيفترقه فهو يفعل فعل الظربان بإطلاق رائحته على عدوه . وغريبت البحر له خيوط تضرب الى الحرة يستعملها جبال للسيد فتقوم مقام نسج المنسكوت في البر فما عليه

إلا أن يطلق في الماء فتغتربها السمكات المسكينات فتظنها حشائش فتغترب منها فينتفض ذلك الغريرت عليها فيقتسمها ، هذا اذا كان الغريرت قريبا من السطح ، فأما في الاعماق فان تلك الخيوط تكون لناعمة وبهذه الصفة تقترب السمكات

النباتات البحرية لا تعيش على أعماق من مائة قامة وقمر المحيط الاطلسيقي يصل من (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة وهو مؤلف من مادة طباشيرية وأعظمها أهداف مهشمة وتحتها الصلصال والطين المائل الى الحمرة ثم البركانية . كرتنا يسقط عليها كل عام مائة ألف ألق شهاب . أقصى عمق البحار يشابه أعلى الجبال والبحر عمقه (٣٩٠٠) قامة ولم يصلوا للعمق الحقيقي وبعض السعار وصل عمقها (٥٢٧٠) قامة

الجزائر (ثلاثة أقسام) قسم يفصله عن البر قليل من الماء بجزيرة سيلان ، وقسم هو جزائر بركانية وقسم هو جزائر مرجانية ، وهذه الأخيرة كثيرة جدا وأكثرها في المحيط الباسفيكي والهندي وهي تكون إما مستديرة بشكل الخاتم أو الحلقة وقد يكون في وسطها حوض ضارب مائل الى الصفرة والخضرة معا بخلاف الماء المحيط به فهو مائل الى السواد لقرط العمق . والسواحل رملية يضاء غالبا وعليها تخميل (الشكولاته) وهناك جزائر (١٠٠.٠٠٠) جزيرة وجزائر ألف جزيرة

٢١٥ رسم المرجان بيوت شجر ورسمه بصورة أخرى شكلا ٣٣ و ٣٤

٢١٦ ثم شكل ٣٥ فيه تقور بسامة وما هي إلا تلك الحيوانات المرجانية . ثم (شكل ٣٦) وهو رسم جزيرة بركانية حلقة . ورسم ٣٧ جزء من جزيرة بركانية . ورسم (٣٨) جزيرة مرجانية

٢١٧ يزعم بنو آدم أنهم أحسن عملا من كل حيوان وأنهم ان المرجان يصنع جزائر تعد بالآلاف سكن فيها الحيوان وعاش فيها النبات وهم لم يقدروا . البحر للملح وحكمة ما فيه من ذلك الملح التي لولاه لأتلف ماؤه بما فيه من الرم وجثث الحيوانات المائية . ولقد جعل الله من هذا الماء الملح ماء عذبا استخرجه شعاع الشمس فعلا في الجوف وحلا ثم نزل فصار أنهارا وجرى تحت الأرض يتابع بعضها يكون تحت الماء للملح ويفصله طبقة من القاع . وهكذا نجد ما يشبه ذلك وهو أن الهواء تكون فيه أصوات الناس والحيوان والنبات واختلاط لها كما لا اختلاط للروائح الساريات في الهواء وللأصوات الساريات في الجوف بموتة ضوء الشمس . وليس يلتقطها إلا آلة التصوير بعد تثبيتها فتتسرع على اللوحة ورامعا في خزائنها المظلمة عند المحصور الشمس فهذا كله يشبه قوله تعالى - وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - لطيفة في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - وقوله - ولقد صرفناه بينهم - وقوله

٢١٨

- تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والكلام على منظر رآه المؤلف من نور الشمس المشرق على سحب ممتد من الغرب الى الشرق وقت الغروب كأنه جبال بينها يشبه الأودية الزرقاء (١٥) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ والناس لا يعقلون هذا المنظر . هكذا الحيوان فكأن تلك المناظر جنود مصطفة لك عظيم الشأن وقد حيل بين الناس وبين أمثال هذا الجبال وما منظر الليل والهيا لا صور متحركة تمثل الجبال بأنواع من الحركات والجهور هي عن هذه المناظر الجلية فلذلك عوضهم الله عن هذا الجبال الذي حرموا من منظره وهو أمامهم بالأعياد والمواسم التي يفرحون بها تقربا من عقولهم . أما أولوا الألباب فخانظر هذه الدنيا هي الأعياد الباطنة لهم قريبا من ربهم ومعرفتهم بجمال صنعه . يرون الشمس تسكو الأرض جلبابا ذهيبا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب يراقع خضره وزرقاء وصفراء أوجرها وهذان وحدهما في الزهر . وتري أمواج البحر في خط الاستواء تنبث منها هيئة قوس قزح والبرق اللامعات والماس والزبرجد الأخضر واللازورد فإذا غربت الشمس تبدت تلك الحسان في جو

السما بإسماث الثغور ويسدل الستار على الأرض وماعليها من جبل وزرع وبحر وتجه العيون الى تلك المناظر البهجة والنجوم الساهرة الطرف البديعة والقروش الفريبة والعرائس السافرات الضاحكات السبششات . فهذه روايات يمتلئ الليل والنهار وأكثر الناس عنها حجبون لهذا عوذهم الله بأعيادهم كما فقمنا وبالصومار المتحركة التي اخترعها الناس في عصرنا لتصوير عقولهم

٢٢٠ هذه صور السماء التي يراها الحسكاه فإذا رجعوا الى أنفسهم وجدوها أبدع من تلك المناظر السالوية والأرضية فإذا رأوا ابداع القروش الأرضية والمناظر السعريه السالوية فانهم يرون ما هو ابداع في أجسامهم من أنواع الحواس التي قسمت هذه المناظر المذكورات عليها ليل ونهار ومن الأعضاء المختلفة في ظاهر الجسم وباطنه . ومن تلك الخلايا المتكاثرة التي كانت خلية واحدة فاقسمت اثنتين فأربعا الخ وهكذا حتى صارت جماعات متبادرات مقسبات الى أقسام كل قسم له عمل خاص وبهذه الأعمال المختلفة يتم نظام مجموع الجسم الانساني ( وبعبارة أخرى ) اتنى أنا قد وجدت في جسمي أعما من الأحياء تعد بالآلاف المؤلفة وكلها مدبجات بالسلاح وهي الكرات البيضاء التي تحارب الجنود الهاجة على جسمي شهلك ثم ان جنودي أنا تقص على تلك الهاجة فتهلكها وتزداد بذلك قوة ومتى حصل في جسمي جرح بدخول الأجانب أسرع جنودي قترأكت فيه لاهلاكهم فيكون هناك الورم فهذا الورم ما هو إلا القلعة الحصينة التي تحصن فيها جنودي فأكلت الأعداء وجدلتهم كما أكلت تلك الخلايا الفاسدة التي أفسدت تلك الجنود المحاربة . أفليست هذه المناظر مجيبة ليس يسقها الانسان لولا أنها أصبحت منظورة رأى العين . أفليست تلك الروايات المشخصات في جسمي أعجب من الروايات المشخصات بالليل والنهار بواسطة غروب الشمس وشرورها والليل والنهار . هكذا جسمك وأجسام جميع الناس والحيوان

٢٢١ منظر الخلية في ثانية واحدة اذ تفلورت سبع مناظر ( شكل ٣٩ )

٢٢٢ وهذه الخلية التي تعيش في البرك مشابهة للخلية التي تعيش في دنا وكلاهما لها حياة مستقلة . لجميع جنود أجسامنا مستقلة أفرادها استقلال هذه الخلية في البرك وهي أب كل كائن حي وقد وجدوها أو عاشت في هذه الخلية أو ( البروتوبلاسم ) متى صادفت ذرة من النبات أكلتها وهضمتها فلافرق بينها وبين الحيوان المعروف أكلها وهضما وحركة وهكذا . ثم إن الكرات البيضاء المشابهة لهذه العائشة في أجسامنا كانت معروفة قبل أيام ( باستور ) فلما ظهر هو كشف لنا ( عالم المكروب ) وما هو إلا كرات مثل هذه تكون أسباب الحمى والجذري وغيرها ومنها ينشأ الورم الخ ( شكل ٤٠ ) صورة ظهرت فيها الكرات البيضاء في أجسامنا وهي تغذي بمكروب ( البكتريا ) ومكروب ( الستربتوكوك ) ومكروب الحمى الرابعة ومكروب ( الكوليباسيل ) ومكروب ( الاثنا كس )

٢٢٣ جوهره في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - وأن المصل في ركوعه وسجوده إذ يقول ( خضع لك سمي و بصري ) وأذ يقول ( سجد وجهي للذي خلقه وصوره ) انتقل من الحق الى الخلق إذ يسبح أولا ثم يفصل أعضاء المشتعلة على هذه الجماعات من الحوصلات والجماعات من الجنود الحاميات لها . فأما الفيلسوف فانه ينتقل من الخلق الى الحق

٢٢٤ يذكر الزاكن جماعات الحواس وهكذا الساجد ثم جماعات الأعضاء المتضامنة وبماثل الأولين جماعات الحكام في الأمر وتعمل الأخرى جماعات الأمم للحكومة . الكلام على حياة الخلية الواحدة وعلى الوجود التضامني وعلى أساس الحياة ؟ من أين تولد الخلية . الجسم والروح من كلام السير ( أوليفر لودج ) وأن كل روح أوتيت قوة إلهية بها كان جسمها انسانا أو قردا الى آخره وهذا أعجب



٢٢٥ ان ما ذكره اللورد (أوليفرلودج) من حيث تصرف الروح في الجسم وانها لم تصرف فيه إلا بحكمة فلم تضع صورة حيوان موضع صورة الانسان مثلا سير من الخلق الى الحق والمصل في سجوده وركوعه إذ يذكر فمة السمع والبصر بعد التسييح يرجع من الحق الى الخلق وماضيه اللورد (أفيري) هو بافله حكاه اليونان فان (تاليس) اليوناني و (أنكسباينس) و (ديموقراطيس) والسوفسطائية (فيثاغورس) و (أينذوقلس) و (أنكسافورس) و (سقراط) و (أفلاطون) و (أرسطو) ساروا في مباحثهم هكذا أصل العالم (الباء . الهواء . الجزء الذي لا يتجزأ . ليس هناك حقيقة ولا علم . أصل العالم العدد . أصل العالم المحبة والعداوة . للعالم إله ولكنه حركة وتركه . للعالم إله وهو قائم بصغيره وكبيره وهو منظمه) فهذه آراؤهم على الترتيب من أدنى الى أعلى والرأى الأخير اشترك فيه الثلاثة المتأخرون ، وهذه الآراء لم يخرج عن واحد منها ملحد ولا موحد في أوروبا والشرق الآن والمصل في الفاتحة والشهد سار على عكس سير الفلاسفة

٢٢٨ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وشعر للعروى • كأن سهيلا الخ • وشعره أيضا • سقتها الرياح الخ • خطاب الله للنجوم الجيلات وتسمية الأم لها بأسماء تناسب عقولهم مثل أهل الهند والصين والعرب وأهل اسكندنيا فيا والاسكيمي ، والكلام على غرام قدماء المصريين بجمال النجوم حتى جعلوا الهرم بناءه على مقتضى كوكب الشعرى ، وانهم لتعظيمهم لله غنوا أن الرقص حول الحياكل كسبرالكواكب حول الشمس وأن رقصهم يكن للخلاعة والهبو بل كان تدبنا وهم يتمنونه عن غيرهم وفيه احتفالهم بعيد العبودة (ديان) بمدينة بويست ، ومقال بطريق الاستطراد في الرقص عندهم في أفراسهم وأعيادهم ، وأن القرد عند لاصيه جاء على مقتضى الكواكب السبعة المعروفة عند الأمم قديما وهي الرموز لها بالنقط السبعة في الوجهين المتقابلين لطبرى النرد المسمين بالزهر

٢٣٢ آراء (أديسن) في جسم الانسان وانه مركب من خلايا تعقل وتدبر أكثر من الانسان وأن الحياة أمت من عالم غير علنا وأن والده سم الحياة لا لمرض ثم مات بعد ثلاثة أيام

٢٣٣ (هجرة السموات) كيف تعرف صور النجوم السماوية . وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة . الاحصائيات . الكرات السماوية . كيف تصنع الكرات والخرط السماوية بحيث تجعل نجمة القعلب مبدأ وترسم دائرة للعدل والدوائر الموازية لها ثم دوائر تدل على دوائر الليل . عد بطليموس (٤٨) صورة ٢١ في الشمال و (١٥) في الجنوب و (١٢) في الوسط

الكلام على النجوم المنظورة وعدد ما يرى بالعين وانه (٤١٠٠) وقد وصل العدد الى (٩٠٠٠) نجمة وبالظارات نصف و (٢٠) مليون نجمة . وبيان أن أضواء النجوم (٢٠) نجمة . وبيان أقدارها الست بالعين والحمسة عشر بالظارات (شكل ٤١) البب الأكبر والبب الأصفر وذات الكرسي

٢٣٦ (شكل ٤٢) مريح الفرس الأعظم . المرأة السلسلة . برشاوش الفول (شكل ٤٣) الشعرى الشامية القلب . الشجاع . السباك الأزول . السباك الرابع . العواء . أم الشعور . قلب الأسد . رأس النوا الخ (شكل ٤٤) (الجلل . الثور . الجوزاء . الجبار . رجل الجبار . العصا) وهكذا (شكل ٤٥) الكلب الأصفر الخ

٢٣٨ (شكل ٤٦) السباك الرابع . العواء . الاسليل التنجالي . هذا هو الذي تعلمناه قبل (٤٠) سنة ولكن علم الفلك في هذه المدة زاد أضافا كثيرة جدا فذلك نذكر ما جاء في عصرنا وهو ما وراء الجبرة . العوالم

الجزرية ، وذكر أن أرضنا إذا كانت جوهرًا فردًا يكون العالم ألف مليون أرض . إن من السدم ما يبعد عنا مائة مليون من سنى الثور وهناك سدم تعد بالآلاف . ومن السدم ما يستغرق سيرة (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة

(تذكرة) في تسهيل معرفة الأشكال السابقة . وبيان أن بنات نعش معروفة عند العامة . ومنها يعرف القطب وما يبعده من الصور

٢٤٣ (بهجة العلم . إيضاح مسألة النور) وأن الناس اليوم يريدون تحويل الحرارة إلى النور وأن الله فعل ذلك في شموه التي كشفت حديثا

٢٤٤ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء رجوا - الخ . وبيان أن أصول الحياة من الشمس والناس غافلون . وذكر أن المصريين أمة زراعية غسوا سحر الشمس واليهود والعرب اكتفوا بالأشهر القمرية لعدم اعتمادهم على الزرع . والكلام على يوليوس قيصر لما عدل بأمره الفلكي (سويجنس) وهذا التعديل المصري قد أصلحه بعد ذلك البابا (غريغورس) إذ رأى أن (سويجنس) جعلها أطول من حقيقتها (١١) يوما ودقائق فعدل وجرى عليه قوم وخلقه القبط بمصر ذكر تقويم المكسيكيين

٢٤٥ (المقصد الثالث) - وعبد الرحمن - قد كتب مشكلا إلى آخر السورة وتفسيره اللفظي

٢٤٧ جوهره في جلال القرآن في قوله تعالى - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم - الخ . ومناجاة المؤلف لله وتعبه من أنه أقسم بمخلوقاته من شمس وقمر الخ . والقسم تشريف لحث العباد على معرفة المقسم به فعصوا وصموا وقد اختص المسلمون وتشعبت مذاهبهم وفرحوا بقليل من العلم وجهلوا نعمه

٢٤٨ فصوص الحكيم في هذه الآيات

٢٤٩ في هذه الآيات (ثمان خصال) ترجع لسكون النفس وهبوطها (وخصلتان) ترجعان للتذكير بالله فهذه مقتضات عشرة للعلم والرفان . إن هنا سرا قد ظهر في هذا الزمان وهو تقديم آية عدم الاشتراك بالله على آية - وإذا ذكروا بآيات ربهم - الخ مع أن الظاهر كان يقتضى العكس وذلك أن المسلم إذا لم يشرك بالله وفعل الصالحات يظن أنه أرضى ربه فقال الله له لا يا عبدي أنا لا أرضى عنك إذا سمعت آياتي وكنت عنها أصم وآيات الله هي العلوم كلها فجرد الإيمان لا يفي عن ذلك وهذا شأن المسلمين الآن يفترقون التوحيد ويقولون كفانا وما يكفي بل لابد من العلوم . ملخص للسورة كلها هذه الآيات هنا . وملخص هذه السورة اظهار علماء في بلاد الاسلام يقرؤون العلوم كلها

٢٥١ الجنة (قسان) أعلى وأدنى . فالجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء وهذا تقدم في سورة البقرة عن الامام الغزالي (بلاغة القرآن) . (ياقوتة) في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم - الخ . وبيان أن في القرآن (٧٥٠) آية للتذكير بآيات الله في السموات والأرض ومثلها عددا في علم الأخلاق ولكن آيات العبادة أقل

٢٥٢ بيان أن الآيات التي اختارها الصالحون للقراءة كآية الكرسي وما أشبهها ورويات الجنات فهي سعادة لفظية للصالحين وهي سعادة للفكرين ومنها هنا (ثمان خصال) نظام الظلال ونظام الليل والنهار ونظام السحب والأمطار والماء الطهور ثم نظام الشمس ونظام القمر الخ . هذا تذكير لفظي وهناك تذكير فعلي بأزال المندرات لهم على يد الحوادث الزمنية وثمة الأمر من قبل ومن بعد والحمد لله رب العالمين

## صحيح البخاري

---

قد اتفق علماء أهل السنة في مشارق الارض ومناربها على أن كتاب صحيح الامام البخاري أصح كتب الحديث الشريف ولما كانت نسخه المتعددة الطباعات نفدت وأصبحت نادرة الوجود قد استخرنا الله سبحانه وتعالى وطبعناه طبعة متقنة بشكل لم يسبق له مثيل على ورق جيد وحرف جلي واضح مضبوط بالشكل الكامل لسهولة القراءة فيه

وقد صحح بناية الاعتناء بمعرفة لجنة من العلماء معتمدين على النسخة « اليونانية » التي اتقها المغفور له « السلطان عبد الحميد خان » وأجمع على صحتها أكبر علماء الأزهر الشريف . وقسمناها الى تسعة أجزاء لسهولة التلاوة فيه فجدير بكل مسلم اقتناء هذا الأثر النبوي الشريف

---

ويطلب من مكتبتنا ومن جميع المكاتب الشهيرة



4530

